وفيات الائمة

من علماء البحرين والقطيف

ص: ١

مجموعة وفيات الائمة (عليهم السلام) ويليه وفاة السيدة زينب (ع)

ص: ٣

مجموعة وفيات الائمة (عليهم السلام) ويليه وفاة السيدة زينب (ع) تأليف مراجع من العلماء الاعلام طبعة جديدة محققة ومصححة دار البلاغة

ص: ۴

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة الطبعة الاولى ١۴١٢ ه - ١٩٩١ م دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع. هاتف وفاكس: ٣١٧۴٢۵ - ٨٢٠٣٢٠ - ٨٣۴٢۶۵ - ص ب: ١۶ / ٢۵ - تلكس: ٢٢۵٩٧ بلاغ - بيروت - لبنان

ص: ۵

وفاة الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب " عليه السلام " تأليف المرحوم الشيخ على نجل محمد آل سيف الخطى

ص: ٧

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المحمود بعموم الاحوال، المشكور بجزيل النعم والنوال، المتنزه عن مشاركة الاغيار ومناسبة الامثال، المتعالية ذاته بعزة العظمة وكمال الجلال، المتفرد بدوام الملك وامتناع الزوال، وأشهد أن لا

إله إلا الله المقتدر الفعال، وأن محمدا عبده ورسوله المرتضى لوحيه فى جميع الخصال، وأن الخليفة من بعده بلا واسطة ولا انفصال، ووزيره وابن عمه صاحب ذى الفقار والحوض الزلال، ذو المعجزات العضال، ووسيلة الدعاة إلى ذى الجلال، على بن أبى طالب سهم الله الصائب فى أهل الضلال، شهادة تصلح لقائلها ضعيف الاعمال، وتنجحه من مرديات قبائح الافعال، صلى الله وسلم عليهما وعلى الطاهرة الزكية أم الحسنين وزوجة على بن أبى طالب (سلام الله عليهم). أما بعد: لما تصفحت أحوال الامام، فوجدت أحدهما على ما فيه من حسن التطويل، قد اقتصر فى الاستشعار بوفاته على نزر قليل، والآخر أسهب فى وصف قطام وشبيب، فلم يحسن إذ ذاك إطنابه، فكأنما هو ذا تسمع له طرفا من ديوان الصبابة، فعن لى أن أجمع بينهما وهما بحران، فاستقصرتهما على مغالبة الزمان، وأخرجت منهما اللؤلؤ والمرجان، ونظمتهما خلال ما

استطرفته، وعقدتهما مع ما استحسنته، ولا أدعى البراءة من الغيب، وتحصنت بالله عن أرجاف المراء وجنود الريب، على كلام مختصر رقيق، وأسلوب مستحسن أنيق، مسترقا من الله نفسى الامارة من الرياء والاعجاب، مسترفقا توفيقه فى سلوك الحق والصواب، سائلا منه أن يجعله مدخرا ليوم الحساب، منتظرا به الشفاعة يوم المآل، ملتزما بعض ما التزمه المؤلف الاول، معولا على ما نقله وربما عليه المعول فقد أغير فى الشعر، وقد أحذف منه وربما أذكر بعض الرواية فى سلك مناسبته، بم يعن لى ذكر بعضها الآخر مع ما ينتظم به فلا يعجل باللوم على عجول، ولا يبتدر فى الاعابة إلى ملول، وليسدد أخ ناصح كريم، ويستر الهفوة منى لامح حليم، فإننى بالقصور معذور، على أن لا يسقط الميسور بالمعسور، فها أنا أقول وبالله التوفيق ومنه نيل المأمول. سبق (صلوات الله وسلامه عليه) فخرا فجل أن يسابق، ولحق من تقدمه فضلا وأنى يلاحق، حتى غرس فى قلوب أبت الهدى غرائس الاضغان، وغرس نفوسهم بمحمود سعيه غرائس الاشجان، فأنتجت له نتائج الحسد والعدوان، ولم تأخذه فى الله لومة لائم، جانب النصف ومتع نفسه الزكية فى الله بالتلف، وشغف بالقرب منه غاية الشغف، فاستوطن قباب الا خطار، واستأجن شرب الراحة والاصدار، فلذلك التهب نفس كل حاسد بما أخفاه، وحاقد بسالف من الكفر أرداه، فدعوه عن رتبته ودفعوه عن منزلته، ومنعوه من بلغته، وبالغوه فى أذيته، لكنه لحظ إلاسلام بطرف الرحمة والالطاف وبسط له أنماطا للشفقة والاعطاف، ولم يجعل للدنيا فى حماه منصبا، ولا خالط زلال مطلبه من أجاجها مشربا، فسالم فى الله راغما جد معطسه (١)، واستبق الاسلام بانقياده وقد اتشح من الشرف جميل ملبسه، إذ كانت الدنيا لديه كقلامة ظفر، هانت عليه كما قال رسول الله (ص): يا على إن الله زينک بزينة لم يزين

---

(١) المعطس: الانف. (*)

بها أحدا من الخلق، الزهد فى الدنيا، وجعل الدنيا لم تنل منک شيئا. فكان سلام الله عليه كما قال النجم الزاهر ابنه محمد الباقر: والله إن عليا ليأكل أكلة العبد، ويجلس جلسة العبد، وانه ليشترى القميصين فيخير غلامه خيرهما، ثم يلبس الاخير، فإذا جاز أصبعه قطعه، وإذا جاز كعبه حذفه. وقال (ع): لقد تزوجت فاطمة الزهراء، وما لى ولها فراش غير جلد كبش، كنا ننام عليه فى الليل، ونعلف عليه الناضج فى النهار، وما لى خادم غيرها. ولقد ولى على (ع) خمس سنين، ما وضع أجرة على أجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قطع قطعيا، ولا ورث بيضاء ولا صفراء وإنه كان ليطعم الناس خبز البر واللحم، ويذهب إلى منزله فيأكل خبز الشعير والزيت والخل، وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضى، إلا أخذ بأشدهما على بدنه، ولقد أعتق ألف مملوک من كد يداه، وعرق فيها وجهه، وإنه ليصلى فى اليوم والليلة ألف ركعة، وناهيک ما فاهت به ألسن أعدائه، وطبق الآفاق مما رق من مناقبه وراق، فمن ذلک اصطفاه من هذا العالم بالغ الحكمة، لمقتضى عظيم اللطف بهم وواسع الرحمة، فلما أراد الله أن يبرز نور نبوته من مكنون علمه فى خير بريته، جعله المنذر وعلى الهادى إليه، فكان مما صنع الله به وزاده من الخير، ان قريشا أصابهم القحط الشديد والجدب المبيد، وكان أبو طالب كثير العيال، فقال رسول الله (ص) للعباس: يا عم إن أخاک ذو عيال كثير، وقد أصاب الناس ما ترى، فانطلق بنا نخفف عنه من عياله، آخذ أنا رجلا وتأخذ أنت رجلا، فنكفيهما عنه. قال العباس: نعم، فأتيا إلى أبى طالب، فقالا: إنا نريد أن نخفف عنک عيالک، حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال أبو طالب: إن تركتما لى عقيلا فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله (ص) عليا فضمه إليه، فلما أمر الله تعالى جبرائيل أن يهبط إلى الارض بإظهار الرسالة، وجد رسول الله قائما بالابطح بين أمير المؤمنين وجعفر، وجلس جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وانتبه رسول الله صلى الله عليه وآله فأدى إليه جبرائيل الرسالة عن الله عزوجل.

قال الثعلبى فى تفسير قوله تعالى: (والسابقون الاولون) (١) فلم يزل على مع رسول الله (ص) حتى بعثه نبيا، فاتبعه على وآمن به وصدقه، ونزل جبرائيل يوما على النبى وهو بأعلى مكة فغمز جبرائيل بعقبة وانفجر الماء فتوضأ النبى (ص) وصلى الظهر، واتبعه عليا فى تلک الصلاة، وهى أول صلاة فرضها الله عزوجل، ثم نزلت الآية: (وأنذر عشيرتک الاقربين) (٢). روى الثعلبى فى تفسيره عن البراء بن عازب قال: لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله بنى عبد المطلب، وقال: إنى أنا النذير إليكم من الله عز وجل، وجئتكم بما لم يجئ به أحد، جئتكم بالدنيا والآخرة، فأسلموا، أو سلموا وأطيعوا، فمن يؤاخينى ويؤازرنى، ويكون لى وليى ووارثى ووصيى بعدى، وخليفتى وقاضى دينى ؟ فسكتوا، وأعاد القول ثلاثا، ولم يقل غير على بن أبى طالب (ع) أنا، فقال رسول الله (ص): أنت أنت، قال: فقاموا وهم يقولون لابى طالب: أطع ابنک فقد أمر عليک، ولما مات أبى طالب، كثر منهم الاذى إلى رسول الله، وأمير المؤمنين يتحمل عنه مكان أبيه، ويكابد الاذى والمشقة فيه، حتى أذن الله لنبيه بالمهاجرة إلى يثرب ويخلف عليا لاداء الديون، ورد الودائع، وكفالة النساء ليخرج بهن إليه، وأمره الله أن يبيته على فراشه ليخفى خروج رسول الله على

قريش، فيفرط عليهم ما دبروه فى هلاكه ومكروه فى قتله، فأخبر عليا بذلک فانسر سرورا عظيما، وسجد لله شكرا، فقال له على بن أبى طالب: امض فيما أمرت به فإنى لله ولک مطيع، فداک أبى وأمى ونفسى، فخرج رسول الله قاصدا إلى المدينة، وبات أمير المؤمنين على فراش رسول الله فاديا له بنفسه، وأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل إنى قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فمن منكما يؤثر أخاه بالحياة، فاختار كل واحد منهما الحياة لنفسه، فقال: الله تعالى: ألا كنتما

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠. (٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١۴. (*)

مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين ابن عمه محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه، اهبطا إليه واحرساه من عدوه. فهبطا إليه وجلس جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وجبرائيل يمسح عليه بجناحيه ويقول: بخ بخ لک يا ابن أبى طالب من مثلک، وقد باهى الله بک الملائكة، فنزل قوله تعالى: (ومن الناس من يشرى نفسه إبتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) (١) وأحاط القوم ببيت رسول الله، يقذفوه بالحجارة ليخرج إليهم رسول الله (ص) ليقتلوه، غير شاكين أنه على فراشه، فلما قرب الصبح انتضوا أسيافهم وهجموا عليه، فخرج لهم أمير المؤمنين، فتفرقوا عنه، ثم تهيأ للخروج للمدينة، بعد رد الودائع وأداء الديون. فلما وصل (ع) المدينة، استقبله رسول الله (ص) وضمه إلى صدره، وقبله وهو يقول: من مثلک يا أبا الحسن، وقد وفيت بعهد الله وأنجزت وصية رسول الله، ووقيته بنفسک، أنت منى بمنزلة هارون من موسى. ولله در من قال: [والله ما يهواک إلا مؤمن * بر ولا يقلوه إلا ملحد] [صهر النبى ونفسه وأمينه * ووليه المتعطف المتودد] [فالدين والاشراک لولا سيفه * ما قام ذا شرفا وهذا يقعد] [من لم يدر وجها إلى صنم ولا * للات والعزى قديما يسجد] [ومبيته فوق الفراش مجاهدا * بمهاد خير المرسلين يمهد] [رجلا يتيه به الفخار مفاخرا * ويسود إذا يعزا إليه السؤدد] قال: وكان منطقه وتاجه، وبه أظهر الله كواكبه، وأمد سراجه، حتى غدا غسق ليله فلقا من صباحه، وعاد من هشيم مرتعه يقهقه بوروده واقاحه، فلو تفكروا بعقول فارغة ممن شواغل الحسد والاضغان، لعلموا مكان هذه الفدية

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٧. (*)

الشريفة والبيتة المنيفة، والمنزلة الراجحة المباركة، التى فاز بفضيلة المؤازرة والمشاركة فى جميع فوائد النبوة والرسالة، من اهتدى من الامة إلى يوم القيامة، وانه سبب سلامة النبى وحفظه، وانتظام أمر الدعوة إلى الملة الحنيفة، وانه الحامل للاجابة إليها، والناصر لجيوش رسول الله وسراياه، فقد قاتل فى (بدر) حتى هزم المشركين، وغنم المسلمون أموالا كثيرة وأسارى. وفى (أحد) وقد فر المسلمون عن رسول الله، وانقطع سيفه وأعطاه الله (ذو الفقار)، فما زال به إلى أن أصابه سبعون جراحة، واعجب الملائكة بثباته فقال جبرائيل: يا رسول الله إنها لهى المؤاساة، فقال رسول الله: انه منى وأنا منه فعرج جبرائيل ينادى " لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على " وهزم أصحاب قريش، إذ أقبل عمرو بن عبد ود وابنه، فنزل قوله تعالى: (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) (١) فقال رسول الله: قتل على لعمرو أفضل من عبادة الثقلين إلى يوم القيامة. وقتل فى غزاة بنى النضير رامى قبة النبى (ص)، وعشرة دونه وفر الباقون. وفى غزاة ذات السلاسل: إذ جاء أعرابى فقال: يا رسول الله، إن جماعة من العرب يريدون أن يقتلوك، فأنفذ أبا بكر فى سبعمائة فرجع مهزوما، ثم بعث عمر فرجع بالرعب يجبن أصحابه وهم يجبنوه. فقال رسول الله: فى الثالثة: أين على بن أبى طالب ؟ قال: ها أنا ذا يا رسول الله، فأعطاه الراية، فسار بها متنكبا للطريق، فظل يسير بالليل، ويكف بالنهار، لئلا يعلم به أحد من القوم فيفروا، حتى اتصل بفم الوادى، فتيقن ابن العاص وصولهم فدعته الضغينة والحسد لامير المؤمنين (ع)، إلى أن يعمل الحيلة حتى يعلم به القوم

---

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٢٥. (*)

فيفروا، ويفرط على على بن أبى طالب ما دبره فى هلاك أعداء الله وأعداء رسوله، فأوعز للاول والثانى، أن قولا لعلى بن أبى طالب أن هذه الارض كثيرة السباع والذئاب، فالرأى أن يعلوا على الجبل، فلم يلتفت أمير المؤمنين (ع) لمقالتهما ونكس على القوم، فجرى واستأصلهم، فأنزل الله تعالى على نبيه البشارة بسورة العاديات. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله يتلقاه، فلما رآه أمير المؤمنين (ع)، ترجل لرسول الله إجلالا له، فقال رسول الله: اركب يا على، فان الله ورسوله عنك راضيان. وفى غزاة بنى المصطلق، قتل مالكا وابنه، وفر الباقون، وغنم المسلمون أموال الباقين. وفى خيبر إذ دفع الراية رسول الله لابى بكر، ففر، ثم إلى الثانى ففر، فقال (ص): لاعطين الراية رجلا يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، كرارا غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، فلما كان من الغد دعا بعلى بن أبى طالب (ع) فأتى به سلمان الفارسى يقوده من الرمد، فبصق رسول الله فى عينيه فما اشتكاهما، فدفع إليه الراية ودعا له، فخرج وقتل مرحبا، وفر الباقون إلى حصنهم وأغلقوه عليهم، فعالجه أمير المؤمنين (ع)، حتى قلع بابه، وكان يعالج إغلاقه وفتحه أربعون رجلا منهم، وجعله جسرا للخندق، قيل وأكمل بيده حتى اقتحم المسلمون الحصن، وأثخنوهم قتلا وغنموا أموالهم. ولله در من قال: [أقسمت بالمشرفيات الرقاق وبالجرد * العتاق وبالعسالة الذبل] [وكل أبلج طعم

الموت فى فمه ❊ يوم الكريهة أحلى من خبا العسل] [لقد نجا من لظى نار الجحيم غدا ❊ فى الحشر كل موال للامام على] [مولى تعالى أن يحيط به ❊ وصف وجل عن الاشباه والمثل] [لا يدرک الفکر من کلی مدحته ❊ جزءا ويرجع عنه العقل فى عقل] [لولا حدود مواضيع لما انتصبت ❊ ولا استقامت قناة الدين من ميل]

ص: ١۴

[سل عنه بدرا وأحدا والنضير ويوم ❊ خيبر والاحزاب والجمل] [وسل من العلماء الراسخين ترى ❊ له فضائل ما جمعن فى رجل] [قل فيه واسمع له وانظر إليه ترى ❊ ملؤ المسامع والافواه والمقل] [زوج البتول أخو الهادى الرسول ❊ مزيل الكرب عن أنبياء الله فى الازل] [يا من يرى أنه يحصى مناقبه ❊ أهل تراها على التفصيل والجمل] [إن وجدت مجال القول ذا سعة ❊ وإن وجدت لسانا قائلا فقل] [وإلا فسل عنهم الذكر المجيد تجد ❊ فى طلعة الشمس ما يغنيک عن زحل] قال: وكان قد أهلک المسلمين العجب، بكثرتهم حتى قال الاول: إنا لن نغلب من قلة، وكانوا اثنى عشر ألفا، ففروا عن رسول الله (ص)، ولم يبق معه من يذب عنه بسيفه غير على بن أبى طالب (ع)، حتى قتل جمعا منهم، فانهزم المشركون وتراجع المسلمون من هزيمتهم، قتلا وأسرا، وغنموا أموالهم، وأصاب جيش رسول الله الوهن فى تبوک، حتى فر عنه أصحابه، وقد خلف أمير المؤمنين، فنزل جبرائيل على رسول الله وقال: يا رسول الله أدر وجهک نحو المدينة، ونادى يا أبا الغيث أدركنى يا على، فسمع على نداء رسول الله، وهو مع سلمان فى حديقة من المدينة، وهو على نخلة ينزل منها كربا، وسلمان يجمعه. قال سلمان: فسمعت أمير المؤمنين يقول: لبيک لبيک يا رسول الله ها أنا جئتک فنزل والحزن ظاهر عليه، ودمعه ينحدر على لمته، فقلت: ما شأنک يا أبا الحسن ؟ قال: يا سلمان انكسر جيش رسول الله، وبقى فريدا يدعونى ويستغيث بى، ثم ذهب إلى منزله، ولبس لامة حربة ثم قال (ع): ضع قدمک على موضع قدمى، قال سلمان: فاتبعته حذو النعل بالنعل سبعة عشر خطوة، فعاينت جيوش المشركين، وعلى قد دخل فيهم، فصرخ صرخة ألهبت النار فيهم، وحكم سيفه فأخذ منهم مأخذه حتى ولوا الدبر، ونصر الله نبيه، وكانت كلمة الله هى العليا ونبيه المنصور، ودخل الناس فى دين الله أفواجا وأسلمت قبائل اليمن وملوک حمير، وتتابعت

ص: ١۵

وفود العرب من كل ناحية، ومن إنشاده (ع) يقول: [الله أكرمنا بنصر محمد ❊ وبنا أقام دعائم الاسلام] [فى كل معترک تطير سيوفنا ❊ منه الجماجم عن فراخ الهام] [ويزورنا جبريل فى أبياتنا ❊ بفرائض الاسلام والاحكام] [فنكون أول مستحل حله ❊ ومحرم لله كل حرام] [نحن الخيار من البرية كلها ❊ وإمامها وإمام كل إمام] [انا لنمنع من أردنا منعه ❊ ونجود بالمعروف للمعتام] قال عبد الله بن عمر: ما كنا نعرف المشركين والمنافقين، على عهد رسول الله إلا ببغضهم لعلى بن أبى طالب، وعلم ما يجرى عليه، من أهل الشقاق والنفاق الشاكين فى الله ورسول الله

(ص)، ألبسه الله من الفضل والفضائل حلل أنواره، وجليل مناره، لتقوم به الحجة على الخلائق، بحيث لا يبقى عذر لمنافق أو مفارق. روى التغلبى فى تفسيره والشافعى والخوارزمى فى المناقب، قال أنس بن مالک: أهدى إلى النبى بساط ابن جندب، فقال لى: يا أنس ابسطه، فبسطته، فقال: ادع لى العشرة، فدعوتهم، فأمرهم بالجلوس على البساط، فقال: ادع لى عليا، فدعيته له، فناجاه طويلا، ثم رجع على البساط فقال: يا ريح احملينا، قال أنس: فحملتنا الريح، والبساط يدف بنا دفيفا، ثم قال: يا ريح ضعينا قال: فوضعتنا الريح قال: فقال: أمير المؤمنين أتدرون فى أى مكان أنتم ؟ قلنا: لاقال: هذا موضع الكهف والرقيم، قوموا وسلموا على إخوانكم، قال أنس: فقمنا وسلمنا عليهم، فلم يردوا علينا، فقام أمير المؤمنين وقال: السلام عليكم يا معاشر الصديقين والشهداء، فقالوا: وعليک السلام ورحمة الله وبركاته، قال أنس: فقلت: يا أمير المؤمنين ردوا عليک السلام، ولم يردوا علينا، فقال أمير المؤمنين: ما بالكم لم تردوا على إخوانكم ؟ فقالوا: لا نكلم بعد الموت إلا نبيا أو وصى نبى

ثم قال (ع): يا ريح احملينا، فحملتنا الريح، والبساط يدف دفيفا ثم قال (ع): يا ريح ضعينا، فإذا نحن بالحرة، فقال أمير المؤمنين (ع): ندرک النبى فى آخر ركعة، فتوضينا وأتيناه، وإذا النبى يقرأ آخر ركعة: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) (٢). وفى روضة الواعظين، عن الصادق (ع) قال: اجتمعت التسعة يعنى الذين كانوا مع على (ع) على البساط، فى دار الاقرع بن حابس، مسكن صهيب الرومى يومئذ، فقالوا: لقد كثر محمد فى ابن عمه على، حتى لو أمكنه أن يقول لنا اعبدوه لفعل، قال سعد بن أبى وقاص: ليت محمدا أتانا فيه بآية من السماء، كما أتاه الله فى نفسه من انشقاق القمر وغيره. فباتوا ليلتهم، فنزل نجم من السماء، حتى صار فى ذروة جدار أمير المؤمنين (ع)، متعلقا يضئ فى المدينة، حتى دخل ضياؤه فى البيوت والآبار والمغارات والمواضع المظلمة، فانذعر أهل المدينة ذعرا شديدا، فخرجوا وهم لا يعلمون على دار من نزل، إنما يرونه على بعض منازل رسول الله، فخرج رسول الله لما سمع ضجيج الناس إلى المسجد، فقال: ما الذى أذعركم وأخافكم، لعله هذا النجم الذى نزل على دار أخى وابن عمى على، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: أفلا تقولون لمنافقيكم التسعة الذين اجتمعوا أمس فى دار صهيب الرومى وقالوا: فى وفى أخى ما قالوه ؟ قال قائل منهم: ليت محمدا أتانا فى على بآية كما أتاه الله فى نفسه من انشقاق القمر وغيره. فأنزل الله تعالى هذا النجم على شرفة أمير المؤمنين، وقد أنزل الله فى هذا النجم قرآنا تسمعونه. ثم قال: (والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، ان هو إلا وحى يوحى) (١) وبقى على شرفة أمير المؤمنين، إلى

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩. (٢) سورة النجم، الآيات: ١ - ۴. (*)

أن غاب كل نجم وهم ينظرونه: [هذا هو السر الخفى ومن لولاه ❊ ما كانت الدنيا ولا الفلک] [ولا تكون هذا الكون من عدم ❊ إلى الوجود فهذا المالک الملک] فقال بعض المنافقين: لو شاء لامر محمد هذه الشمس أن تنادى باسم على هذا ربكم فاعبدوه، فهبط جبرائيل فأخبر النبى بما قالوه. وكان ليلة النجم، فأقبل على الناس بوجهه فى صبيحتها، ثم قال: استدعوا لى عليا من منزله، فدعى له، فقال: يا أبا الحسن إن قوما من منافقى أمتى ما قنعوا بآية النجم، حتى قالوا: لو شاء محمد لامر هذه الشمس فنادت باسم عليا هذا ربكم فاعبدوه، فأت البقيع فى غد معى، فقف نحو طلوع الشمس، فإذا بزغت فادع بدعوات أنا ألقنک إياها وقل للشمس: السلام عليک، يا خلق الله الجديد، وتسمع ما تقول لک الشمس، وترد عليک فسمع التسعة وانصرفوا، يقول بعضهم لبعض: لا تزالون تغرون محمدا بأن يظهر فى ابن عمه كل يوم آية، مثلما قال فى مثل هذا اليوم، فقال الاول والثانى: والله لنحضرن البقيع، فننظر ونسمع ما يكون من الشمس وعلى، فلما صلى رسول الله أقبل على على وقال: قم يا أبا الحسن إلى ما أمرک الله به، حتى تأتى البقيع وتقول للشمس ما قلت لک، وأسر إليه سرا كانت فيه الدعوات التى علمه إياها، فخرج أمير المؤمنين يسعى إلى البقيع، حتى بزغت الشمس، فهم بالدعاء همهمة لم يعرفوها، فقالوا: هذه الهمهمة مما علمه محمد من سحره، فقال لها: السلام عليک يا خلق الله الجديد، فأنطقها الله تعالى بلسان عربى مبين، وقالت: السلام عليک يا أخا رسول الله ووصيه، أشهد أنک الاول والآخر، والظاهر والباطن، وانک عبد الله وأخو رسول الله حقا، فأرعدوا واختلطت عقولهم، ورجعوا إلى رسول الله مسودة وجوههم بغيظ نفوسهم، فقالوا: يا رسول الله ما هو إلا العجب العجيب، الذى لم نسمع به من النبيين، ولا من المرسلين، ولا من الامم السالفة القديمة، لو كنت تقول أن عليا ليس ببشر

فاعبدوه، فقال رسول الله (ص): أسمعتم ما قالت الشمس، وتشهدون بما سمعتم ؟ قالوا: يحضر عليا ويقول، ونسمع ونشهد بما قال للشمس وما قالت له. فقال لهم رسول الله: بل تقولون، فقالوا: قال على للشمس: السلام عليک يا خلق الله الجديد، بعد أن همهم همهمة تزلزل منها البقيع، فأجابته الشمس: السلام عليک يا أخا رسول الله ووصيه، أشهد أنک الاول والآخر، والظاهر والباطن، وأنک عبد الله وأخو رسول الله، فقال رسول الله: الحمد لله الذى خصنا بما تجهلون، وأعطانا علم ما لا تعلمون، انى واخيت عليا دونكم، وأشهدتكم أنه أخى ووصيى، فماذا أنكرتم، عساكم تقولون ما قالت له الشمس، إنک الاول والآخر والظاهر والباطن، فقالوا: نعم يا رسول الله لانک أخبرتنا أن الله هو الاول والآخر، والظاهر والباطن، فى كتابه المنزل عليک. فقال رسول الله: ويحكم وأنى لكم علم بما قالت الشمس، أما قولها (الاول): فإنه أول من آمن بالله وبى من الرجال، وخديجة من النساء. وقولها (الآخر): لانه آخر الاوصياء وأنا آخر الانبياء والرسل. وقولها (الظاهر): انه ظهر على كل ما أعطانى الله من علم وحكمة، فما علمه معى غيره، ولا يعلمه بعدى إلا هو، ومن ارتضاه الله لسره من ولده. وقولها (الباطن): لانه والله باطن علم الاولين والآخرين، وسائر الكتب المنزلة على الانبياء والمرسلين، وما زادنى الله به من علم ما لا تعلمون، وفضل ما لم تعطوه، فماذا أنكرتم ؟

فقالوا بأجمعهم: نحن نستغفر الله، فاستغفر لنا. فأنزل الله عليه: (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدى القوم الفاسقين) (١). [تبا لناصبة الانام لقد ❊ تهافتوا فى الضلال بل تاهوا] [قاسوا عتيقا بحيدرة سخنت ❊ عيونهم بالذى به فاهوا]

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ۶. (❊)

[كم بين من شک فى عقيدته ❊ وبين من قال إنه الله] فمن نظر فى حال ذاته الطاهرة، وصفاته الباهرة، ومناقبه العالية، ومذاهبه الشافية، قضى بسليم عقله من وصمات الجسد إنها نصوص صريحة بمقتضى الحكمة البالغة، إذ عرف رتبة النبوة، وعلم مقام الهادية، وانه نفس رسول الله كما فى آية المباهلة. وقد اعترف منهم العلماء ورواه منهم الجمهور، فهو الحقيق بمقامه ورتبته، الهادى من بعده لامته. ففى الطرائف قال: ورواه التغلبى من عدة طرق، فمنها ما رفعه إلى عبابة بن ربعى، قال: بينما عبد الله بن عباس، جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله (ص)، إذ أقبل رجل معتم بعمامة، فقال ابن عباس: سألتک بالله من أنت، فكشف العمامة عن وجهه فقال: أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى، أنا جندب بن جنادة البدرى، أنا أبو ذر الغفارى. سمعت رسول الله بهاتين وإلا صمتا، ورأيته بهاتين وإلا عميتا، وهو يقول على قائد البررة وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، أما إنى صليت مع رسول الله يوما من الايام صلاة الظهر، فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيئا، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: أللهم إنى سألت فى مسجد نبيک ورسولک محمد فلم يعطنى أحد شيئا، وكان على راكعا، فأومى بخنصره الايمن وكان يتختم فيها، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره وذلک بعين رسول الله (ص). فلما فرغ من صلاته، رفع النبى رأسه إلى السماء وقال: إن موسى بن عمران سألک وقال: (رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى وأحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى اشدد به ازرى وأشركه فى أمرى) (١) فأنزلت قرآنا

---

(١) سورة طه، الآيات: ٢٥ - ٣٢. (❊)

ناطقا (سنشد عضدک بأخیک ونجعل لکما سلطانا فلا یصلون إلیکما بآیاتنا أنتما ومن اتبعکما الغالبون) (۱). أللهم وأنا محمد عبدک، ورسولک، وصفیک، أللهم فاشرح لی صدری، ویسر لی أمری، وأجعل لی وزیرا من أهلی علی أخی أشدد به أزری وأشرکه فی أمری، قال: فما استتم رسول الله الکلمة حتی نزل جبرائیل من عند الله تعالی فقال: یا محمد اقرأ (إنما ولیکم الله ورسوله والذین آمنوا الذین یقیمون الصلاة ویؤتون الزکاة وهم راکعون) (۲). وفی روایة الشافعی وابن المغازلی بطریقه إلی ابن عباس: قال رسول الله: الحمد لله الذی جعلها فی وفی أهل بیتی، ثم أکمل الحجة وأکدها لیهلک من هلک عن بینة، ویحی من حیی عن بینة، فقال تعالی: (یا أیها الرسول بلغ ما أنزل إلیک من ربک – فی علی – وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله یعصمک من الناس) (۳) فأقام رسول الله (ص) فی غدیر خم علیا علما للناس. وفی ما رواه المغازلی عن أبی هریرة وقد أخذ رسول الله (ص) بید علی بن أبی طالب (ع) فقال: ألست أولی بکم من أنفسکم ؟ فقالوا: بلی یا رسول الله. قال: من کنت مولاه فهذا علی مولاه، أللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله. فقال عمر: بخ بخ لک یا ابن أبی طالب أصبحت مولای ومولی کل مؤمن ومؤمنة، فأنزل الله تعالی: (الیوم أکملت لکم دینکم وأتممت علیکم نعمتی ورضیت لکم الاسلام دینا) (۴). ومن روایة ابن مردویه قال: قال رسول الله (ص): الحمد لله علی إکمال الدین وإتمام النعمة، ورضی الرب سبحانه وتعالی برسالتی إلیکم، والولایة

---

(۱) سورة القصص، الآیة: ۳۵. (۲) سورة المائدة، الآیة: ۵۵. (۳) سورة المائدة، الآیة: ۶۷. (۴) سورة المائدة، الآیة: ۳. (*)

لعلی بن أبی طالب. وأمر أبا بکر وعمر وعثمان أن یقوموا ویسلموا علی علی بإمرة المؤمنین ففعلوا وهنوه بالخلافة علیهم، وأمر أزواجه فسلمن علیه بإمرة المؤمنین. [حتی إذا قبض النبی ولم یکن * فی لحده من بعد غسل یلحد] [خانوا مواثیق النبی وخالفوا * ما قاله خیر البریة أحمد] [واستبدلوا بالرشد غیا بعدما * عرفوا الصواب وفی الضلال تمردوا] [یا للرجال لامة مفتونة * سادت علی السادات فیها الاعبد] [أضحی بها الاقصی البعید مقربا * والاقرب الادنی یذاد ویبعد] [لعبوا بها حینا وکل منهم * متحیرا فی حکمها متردد] [ولو اقتدوا بإمامهم ووليهم * سعدوا وکان هو الولی الاوکد] [لکن شفوا بخلافه ابدا ما سعدوا * به وهو الولی الاسعد] قال: فلما أمکنتهم الفرصة انتهزوها، فبلغوا غایاتهم من إظهار الاسلام، و حصلوها إذ طلبو الحیلة بذلک الایقاع والبطش برسول الله (ص) وأهل بیته (ع) کما رواه سعید بن العاص: أنه لما بلغ عبد الله بن عمر ما فعل یزید بالحسین وأصحابه وأهل بیته من القتل والاسر والتنکیل، استنهض أهل المدینة والحجاز علی حربه حتی بلغ بجنده دمشق، فخرج له یزید وقال: یا عبد الله أبوک قلدنی أمر الشام، قا ل: نعم، قال: أتحب أن أریک الصک الذی کتبه أبوک إلی أبی إذ ولاه ؟ قال: نعم،

فأخرج له طومارا من سفط وفيه صک فقال: يا عبد الله هذا خط أبيک ؟ قال: نعم، فقرأه فإذا فيه: إن الذى أكرهنا على الاقرار به فأقررنا والصدور وغرة، والنفوس واجفة، والبصائر شائكة ما كانت عليه، من جحدنا ما دعانا إليه فأطعنا فيه رفعا لسيفه وتكاثره بالحى علينا من اليمن، وتعاضد من سمع به ممن ترک دينه، وما كان عليه آباؤه فى قريش، فبهبل أقسم واللات والعزى ما جحدها عمر منذ عبدها، ولا عبد للكعبة ربا، ولاصدق لمحمد قولا، ولا ألقى السلام إلا

للحيلة وإيقاع البطش به، فإنه قد أتانا بسحر عظيم. فخذ يابن سفيان سنة قومک واتباع ملتک ممن جحد هذه الابنية التى يقولون ان لها ربا أمرنا بإتيانها، وجعلها لهم قبلة والسعى حولها، فجعلوا صلاتهم للاحجار فما الذى أنكره علينا، لو لا سحره ما أطعنا، فانظر بعين مبصرة واسمع بأذن واعية، وتأمل بعقلک واشكر اللات والعزى واستخلاف السيد الرشيد عتيق ابن العزى على أمة محمد وتحكمه فى أموالهم ودمائهم وشريعتهم، فعاش يخضع جهرا ويشتد سرا، ولقد وثبت وثبة على شهاب بنى هاشم الثاقب، وقرنها الزاهر، وعلمها الناصر المسمى بحيدرة المصاهر لمحمد على المرأة التى جعلوها (١) سيدة نساء العالمين ويسمونها فاطمة الزهراء حتى أتيت دارها، وهى فيها مع على وابنيهما الحسن والحسين وابنتيهما زينب وأم كلثوم والامة المدعوة بفضة، ومعى خالد بن الوليد وقنفذ، فقرعت الباب فأجابتنى الامة فضة، فقلت لها: قولى لعلى دع عنک الاباطيل ولا تلج نفسک إلى طمع الخلافة، فالامر لمن اختاره المسلمون. ثم قلت للمهاجرين والانصار: الامام فى قريش فقالوا: إذا هى للاصلع البطين أمير المؤمنين (ع) الذى أخذ رسول الله البيعة على أهل ملته، وسلمنا له بإمرة المؤمنين فى أربعة مواطن، فإن كنتم نسيتموها يا معاشر قريش فما نسيناها، وليست البيعة ولا الامامة ولا الوصية إلا حقا مفروضا وأمرا صحيحا لا تبرعا ولا ادعاء، فكذبناهم، وأقمت أربعين رجلا شهدوا على محمد أن الامامة بالاختيار، فعند ذلک قالت الانصار: نحن أحق، وتنازعوا، فقلت والجمع يسمعون: لا نختار إلا أكبرنا سنا، قالوا: فمن ؟ قلت: أبى بكر، فأقبل بنو هاشم يتميزون غيظا، فقالوا: لا نبايع إلا عليا، فوثبت إلى أبى فضيل وصافحته وتلانى عثمان وسائر من حضر. ثم قال: من ينكرون بيعة أبى بكر: ويقولون ما فعل على. فأقول له: خلعها وصار جليس بيته، فيبايعون وهم كارهون فعلمنا أن عليا يستنفرهم

فيعدونه للنصرة ليلا، ويقعدون عنه نهارا، فأتيت داره لاخرجه منها فقالت لى الامة فضة: إن أمير المؤمنين مشغول بنفسه فقلت: خلى عنک وقولى له يخرج وإلا دخلنا عليه وأخرجناه كرها، فخرجت فاطمة الزهراء ووقفت من وراء الباب، فقالت لنا: أيها الضالون المكذبون ماذا تقولون واى شئ تريدون ؟ فقلت: يا فاطمة ما بال ابن عمک قد أوردک للجواب وجلس من وراء الحجاب ؟ فقالت: طغيانک يا شقى أخرجنى، وألزمک الحجة وكل ضال غوى،

فقلت: دعى عنک الاباطيل وأساطير النساء وقولى لعلى بن أبى طالب يخرج، فقالت: لا حبا ولا كرامة فقلت لخالد بن الوليد: أنت ورجالنا هلموا فى جمع حطب الجزل، إنى مضرمها فقالت: عليک يا عدو الله وعدو رسوله. فضربت بيدها على الباب لتمنعنى من فتحه فتصعب على، فضربت كفيها بالسوط حتى آلمها، فسمعت لها زفيرا وبكاء فكدت ألين وأنقلب، فذكرت أحقاد على وولوغه فى دماء العرب وصناديد اليمن، وكيد محمد وسحره، فركلت الباب وقد ألصقت أحشاء ها بالباب تترسه، وسمعتها قد صرخت صرخة حسبتها جعلت أعلى المدينة أسفلها، وقالت: يا أبتاه يا رسول الله. هكذا يفعل بى وأنا حبيبتک وابنتک، آه يا فضة إليک فخذينى، فقد قتل والله ما فى أحشائى من حمل، فجعلت تمخض وهى مستندة على الجدار، فدفعت الباب ودخلت فأقبلت على بوجه أغشى بصرى نوره فصفقتها على خديها من ظاهر الخمار، فخرمت أذينها فتناثرت أقراطها إلى الارض، فخرج على فلما أحسست به أسرعت إلى خارج الدار فقلت لخالد بن الوليد ومن معه: نجوت من أمر عظيم، وخرج على وقد ضربت فاطمة بيديها على ناصيتها لتكشف عنها وتستغيث بالله مما نزل بها، فأسبل على عليها ملاءتها وقال: يا بنت رسول الله إن الله بعث أباک رحمة للعالمين، وأيم الله لئن كشفت عن ناصيتک شاكية إلى ربک ليهلكن هذا الخلق لاجابک حتى لا يبقى على وجه الارض منهم أحدا، فكونى يا سيدة النساء رحمة ولا تكونى عذابا. واشتد عليها المخاض ودخلت البيت وأسقطت سقطا قد سماه على

محسنا، وجمعت جمعا كثيرا لا مكاثرة لعلى ولكن ليشتد بهم قلبى، وجئت واستخرجته من بيته مكرها مغصوبا، وسقته للبيعة سوقا حثيثا وإنى لاعلم علما يقينا لو اجتهد من على الارض على قهره ما قهرناه، ولكن لهنات فى نفسى أعلمها ولا أقولها، وقام أبو فضيل ومن بحضرته يهزؤون بعلى فقال على: يا عمر أتريد أن أعجل لک ما أخرته عنک ؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين، فسمعنى خالد وأسر إلى أبى بكر، فقال أبو بكر عند ذلک ما لى ولک يا عمر ثلاث مرات، فقمت أنا وأبو فضيل وعثمان وأنا أقول: جزى الله عليا خيرا، لم يمنعک البيعة. فوثب جندب بن جنادة وهو يقول: والله يا عدو الله ما بايع على عتيقا، وكلما لقينا قوما نخبرهم أن عليا بايع وأبو ذر يقول: والله ما بايع، فمن دخل يا معاوية بعلى واستثار أحقاده السالفة غيرى، وأما أنت وأبوک وأبو سفيان وأخوک عتبة، فإنى أعرف منكم فى تكذيبكم لمحمد فى جبل حرى لقوله: إنكم لم تسلموا طوعا، وإنما أسلمتم كرها. فجعلكم طلقاء، حتى قال أبوک لمحمد: والله يا ابن أبى كبشة لاملانها عليک خيلا ورجالا، وأحول بينک وبين هذه الاعواد، وكان محمد يظهر للناس أن لا يعلوها غيره وغير على ومن يليه من أهل بيته، فبطل سحره وخاب سعيه، وعلاها أبو بكر وعلوتها بعده، وإنى لارجو أن تكون لبنى أمية عيدان اطنابها فمن ذلک وليتک وخالفت قوله فيكم وما أبالى من تأليف شعره ونثره إذ قال يوحى إلى (والشجرة الملعونة فى القرآن) (١) فزعم بها أنتم، وأنا مع تذكيرى إياک يا معاوية وشرحى لک، ناصح ومشفق عليک فيما أوصيتک به ومكنتک من شريعة محمد وأمته، أن تبدى لهم مطالبة بضغن أو شماتة بموت، ولا تنقض فرضا، ولا تغير لمحمد سنة فتفسد علينا الامة، بل خذهم من مأمنهم واقتلهم بأيديهم وتوصل إلى قتلهم

برئيسهم، واعف عنهم يطيعوک ويحبوک. فما آمن علينا وعليک من ثورة على وشبليه الحسن والحسين فإن أمكنک فى عدة من الامة، فبادر ولا تقنع بصغار * (هامش ص ۲۴) (۱) سورة الاسراء، الآية: ۶۰. *

ص: ۲۵

الامور، واحفظ وصيتى وعهدى لک، واخفه ولا تبديه، واسلک طريق أسلافک واطلب بثارک، فقد أخرجت إليک بسرى وجهرى. فلما أتى عبد الله على آخره، أمسک عن لوم يزيد وعما عزم عليه، وتفرق أصحابه وجنده ورجع معتذرا. ولله در من قال: [فوالذى رفع السماوات العلا * وله يدين فصيحها والاعجم] [لو لا تأسينا بكم لتقطعت * أكبادنا وجلودنا والاعظم] [لكنكم غربتم وضربتم وحرمتم * وسلبتم وصلبتم وحرقتم] [وثلبتم وشتمتم وسبيتم * وأضعتم ومنعتم وأجعتم] [وأخفتم وأهنتم وأجعتم * وبعدتم وغلبتم وقتلتم] [فإذا أصبنا بعدكم بمصيبة * قلنا مصابكم أجل وأعظم] [وأقل رزؤكم يهون عندنا * أرزاءنا اللاتى تشف وتسقم] [إرث البتول ونحلة الهادى لها * غصبا وعبرتها تسح وتسجم] [وغدا مهاجرها وأنصاريها * كل له فى ذاک سهم يسهم] [والمرتضى أراده فى محرابه * بيمين أشقاها الحسام المخذم] [فتكلم الحسن ابنه فى حقه * فغدا بمنطقه الاذية يكلم] [ولذلک سالم مكرها حتى قضى * بالسم وهو والمستظالم المسلم] [وإذا جرى ذكر الحسين تحدرت * عينى بما فيها أسر وأكتم] [ما كان أدهى يومه وأمره * فلطعمه حتى القيامة علقم] روى عن جابر بن عبد الله الانصارى قال: قلد أبو بكر الصدقات بقرى المدينة وضياع فدک الاشجع بن مزاحم الثقفى وهو معروف بالزندقة والنفاق، وله أخ قتله أمير المؤمنين (ع) بهوازن، فجعل أول قصده ضيعة من ضياع أهل البيت (ع) تعرف ب (بانقيا)، فجاء بغتة واحتوى عليها وعلى صدقات كانت لعلى (ع) وتغطرس على أهلها فابتدر أهل المدينة برسول إلى على يخبرونه بما فرط من الرجل، فدعى بفرسه السابح، واجتذب رمحه المرتجز، وتقلد

ص: ۲۶

سيفين واصطحب معه ابنه الحسين (ع)، وعمار بن ياسر، والفضل بن العباس، وعبد الله بن جعفر حتى وافى القرية، فوجه ابنه الحسين (ع) إلى الاشجع يسأله المسير إلى أمير المؤمنين (ع) فأتاه الحسين وقال له: أجب أمير المؤمنين فقال الاشجع: ومن أمير المؤمنين ؟ فقال له الحسين: على بن ابى طالب، فقال له الاشجع: انا اعرف أمير المومنين ابا بكر وقد خلفته، فقال الحسين: أجب على بن أبى طالب فقال: أنا سلطان، وعلى بن أبى طالب من العوام والحاجة له، فليسير إلى، فقال له الحسين (ع): ويلک أيكون أبى من العوام وأنت سلطان ؟ فقال: أجل لان أباک بايع أبى بكر كرها ونحن بايعناه طائعين وكنا له غير كارهين، وشتان بيننا وبينه. فأعلم الحسين (ع) أباه بمقالة الاشجع، فالتفت أمير المؤمنين (ع) إلى عمار بن ياسر وقال له: يا أبا اليقظان سر إليه، وألطف له المقال، واسأله أن يصير إلينا، فأنا كتاب الله يؤتى إليه ولا يأتى. فسار له عمار وألطف له القول، فانتهر عمارا وأفحش له فى المقال، فوضع عمار

حمائل سيفه فى عنقه، ومد يده إلى السيف، فقيل لامير المؤمنين أدرک عمار، فوجه أمير المؤمنين (ع) أصحابه وقال لهم: صيروا به إلى، وكان مع الاشجع ثلاثون فارسا، فلما وصل أصحاب أمير المؤمنين (ع) قالوا له: ويلک هذا على بن أبى طالب قتلک وقتل أصحابک عنده دون النطفة، فسكت أصحابه جزعا، فلما أتوا به إلى أمير المؤمنين قال: لا تعجلوا عليه، فإن العجلة بالطيش لا تقوم بها حدود الله وبراهينه، ثم التفت إليه وقال: يا ويلک بما استحللت ما أخذت من أهل البيت، وما دليلک على ذلک ؟ فقال الاشجع: وأنت بما استحللت قتل هذا الخلق فى كل حق وباطل وان مرضاة صاحبى أبى بكر أحب إلى من اتباع مرافقتک. فقال أمير المؤمنين: ايه عليک، ما أعرف لنفسى عندک ذنبا إلا قتل أخيک بهوازن، وليس بمثل هذا تطلب الثارات، قبحک الله وترحک. فقال الاشجع: بل قبحک وبتر عمرک، فإن حسدک للخلفاء لا يزال بک حتى يوردک موارد الهلكة والمعاطب، وبغيک على الخلفاء يقصر بک مرادهم. فغضب

الفضل بن العباس، وتمطى إليه بسيفه وضرب عنقه، فاجتمع أصحابه على الفضل، وسل أمير المؤمنين سيفه ذا الفقار، فلما نظروا إلى لمعانه وبريق عينى أمير المؤمنين (ع) رموا أسلحتهم وقالوا: الطاعة الطاعة يا أمير المؤمنين، فقال: (ع): أف لكم، انصرفوا برأس صاحبكم هذا إلى صاحبكم الاكبر، فما بمثلكم يطلب الثأر ولا تنقضى الاوتار. فانصرفوا برأس صاحبهم حتى ألقوه بين يدى أبى بكر، فجمع المهاجرين والانصار فقال: معاشر الناس إن أخاكم الثقفى قلد صدقات المدينة فغافصه على بن أبى طالب فقتله أخبث قتلة، وقد خرج نفر من أصحابه إلى الحجاز، فليخرج إليه من شجعانكم من يرده عن سنته، فسكت القوم مليا كأنما على رؤوسهم الطير. فقال أبو بكر: أخرس أنتم أم ذو ألسن ؟ فابتدر إليه الحجاج بن صخر وقال له: إن سرت سرنا معک، أما والله لوسار جيشک لينحرنهم على نحر البدن، ثم قال غيره: إلى من توجهنا ؟ إلى الجزار الاعظم الذى يخطف النفوس بسيفه، وإن لقاء أحدنا الموت أهون من على بن أبى طالب، فقال إذا ذكرت لكم على بن أبى طالب دارت أعينكم فى وجوهكم، وأخذتكم سكرة الموت، فقال عمر: ليس لها إلا خالد بن الوليد، فأرسلاه فى جيش عظيم وقالا له: إن نابذک على بالحرب فتجيئنا به أسيرا. فنظر الفضل إلى غبرة الخيل وقال: يا أمير المؤمنين قد وجه إليک ابن أبى قحافة بقسطل فقال: يا ابن عباس هون عليک، فلو كانوا صناديد قريش وقبائل حنين وفرسان هوازن لما استوحشت إلا من ضلالتهم، ثم شد محزم الدابة واستلقى على قفاه غير مكترث بهم، وانتبه لصهيل الخيل، فقال له خالد: يا أبا الحسن إنک عليم غير معلم، وفهيم غير مفهم، فما هذه اللوثة التى بدرت منک والنبوة التى ظهرت فيک ؟ فإن كنت كارها لهذا الرجل فليس يكرهک، ولا تكونن ولايته عليک ثقلا على كاهلک، ولا شجى فى حلقک، ودع الناس وما تولوا، ضل من ضل، وهوى من هوى، وهدى من هدى، ولا

تضرم النار بعد خمودها فتجد غبة غير محمودة، فقال أمير المؤمنين (ع): أتهددنى بنفسک يا خالد وبابن أبى قحافة، فما بمثلک ومثله تهديد، فدع عنک ترهاتک واقصد إلى ماجئت فيه، فقال خالد: يا على ارجع عن سنتک فتحظى بالكرامة، وإلا حملتک أسيرا، فقال له أمير المؤمنين (ع): يابن اللخناء والردة عن الاسلام، أتحسبنى يا ويلک، مالک بن نويرة قتلته ونكحت امرأته، يا خالد جئتنى برقة عقلک واكفهرار وجهک وتشميخ أنفک، والله إن تمطيت عليک وعلى أوغادک بسيفى هذا لاشبعن من لحومكم عود الضباع وطلس الذئاب، فقال خالد توعدنى وعد الاسد، وتروغ روغان الثعلب، وما مثلک إلا من يتبع قوله فعله، فقال أمير المؤمنين (ع): شأنک، فسل أمير المؤمنين سيفه، فلما رأى خالد تصميم أمير المؤمنين قال: لم أرد هذا يا أمير المؤمنين، فخفق عليه بسيفه ولم يرد قتله، إلا أنه كان إذا أومى لم يرد يده، فنكسه عن دابته ولحق أصحابه الجزع والخوف، فقال لهم (ع): ما لكم تكافحون عن سيدكم، والله لو كانت أموركم إلى لسلخت رؤوسكم عن أجسادكم هو أخف من حب الحصيد على أيدى العبيد وعلى السيل تقتسمون مال الفئ، فقال المثنى بن الصباح وكان عاقلا وقال: والله يا أمير المؤمنين ما جئنا لعداوة بيننا وبينک، وإنا لنعرفک صغيرا وكبيرا، ونحن أتباع مأمورون وجند مؤازرون، فتبا لمن وجه بنا إليک، أما كان له معرفة بيوم بدر وأحد، فاستحى أمير المؤمنين وقال: يا خالد ما أطوعک للخائنين والناكثين، جئتنى تجوب مقاوز البسابس لتحملنى إلى ابن أبى قحافة أسيرا بعد معرفتک بى، وأنا قاتل عمرو بن عبد ود ومرحب وقالع باب خيبر، وتزعم أنه قد خفى على ما تقدم به إليک صاحباک وأنت تذكر لهما ما كان منى قديما، فقالا لک إنما ذلک من دعاء النبى وهو الآن أقل من ذلک، فوالله لولا ما تقدم به إلى من رسول الله (ص) لكان منى إليهما ما هما أعلم به منک، فاتق الله يا خالد ولا تكن للخائنين عضدا. فقال خالد: يا على ارجع عن سنتک وأنا أعرف ما تقول، وما عدلت عنک العرب إلا لطلب دخول آبائهم قديما، وصعوبة إخراج مال الله من يدک، وما دهاهم به من بيعة أبى بكر إلا

استلانة جانبه وأخذ الاموال فوق استحقاقهم، ولعل اليوم من يميل إلى الحق وأنت قد بعت الدنيا بالآخرة، ولو اجتمعت أخلاقهم إلى أخلاقک لما خالف خالد فقال أمير المؤمنين (ع): والله ما أوتى بخالد إلا من جهة هذا الخؤون المفتن ابن صهاک، لا زال يؤلب القبائل ويوسعهم من عطائه، ويذكرهم ما أنساهم الدهر، وسيعلم غب فعله إذا فاضت نفسه. فقال خالد: يا أبا الحسن بحق أخيک إلا قطعت هذا الكلام من نفسک وصرت إلى منزلک مكرما إذا كانوا راضين بالكفاف، فقال: لا جزاهم الله خيرا عن أنفسهم ولا عن المسلمين خيرا. فركب أمير المؤمنين (ع) دابته وأتى المدينة وصار إلى قبر رسول الله (ص) وأبو بكر فى المسجد، فقال للعباس: ادع لى ابن أخيک عليا لاعاتبه فى الاشجع، فقال العباس: إنى اخاف عليک منه إذا عاتبته أن لا تنتصر منه، فقال أبو بكر: أتخوفنى منه دعنى وإياه، فدعاه العباس وأتى إلى جانبه، فقال يابن أخى إن أبا بكر استبطأک فقال: لو دعانى لاجبته، ثم عاتبه أبو بكر فى الاشجع، فقال: ما أنت أعرف بالحلال والحرام منى، إنما قتلت زنديقا منافقا فى بيته صنم من الرخام يتمسح به ويصير إليک ثم ترادد الكلام بين العباس وأبو بكر، حتى قال العباس أبلغ من شأنک يا أبا بكر تتعرض لولدى وإبن أخى، أنت ابن أبى قحافة ابن مرة ونحن بنو عبد المطلب بن هاشم أهل بيت النبوة والخلافة، تسميتم بأسمائنا، وتقدمتم علينا

فى سلطاننا، وقطعتم أرحامنا، ومنعتم ميراثنا ثم أنتم تزعمون أن لا إرث لنا وأنت أولى وأحق بهذا الامر منا، فسحقا وبعدا أنى تؤفكون، ثم أخذ بيد على وانصرفا، فقال على (ع): ليس لنا إلا الصبر، دعهم يا عم يستضعفونا يحكم الله وهو خير الحاكمين. ولله در الشاعر حيث يقول: [يا للرجال الدين قل ناصره * ودولة ملكت ملاكها السفل] [أضحى أجير ابن جذعان لها خلفا * برتبة الوحى مقرون ومتصل]

ص: ٣٠

[فأين أجلاف تيم والخلافة * والحكم الربوبى لولا معشر جبل] [ولا فخار ولا زهد ولا ورع * ولا وقار ولا علم ولا عمل] [وقال منها أقيلونى فلست إذا * بخيركم وهو مسرور بها جذل] [ونصها وهو منها المستقيل على * الثانى ففى أى شئ يصدق الرجل] [ثم اقتفاها عدى من عداوته * وانفض من فضها العدوان والجدل] [وأجمعوا الشور فى الشورى وقلدها * أمية وكذا العدوان تنتقل] [تداولوا لها على ظلم وأورثها * بعض لبعض فبئس الحكم والدول] [وصاحب الامر والمنصوص فيه * بأمر الله عن حكمه ناء ومعتزل] [من لم يعش فى غوات الجاهلين * ذوى غى ولا مقتدى آراءه هبل] [عافوه وهو أعف الناس بينهم * طفلا وأعلى محلا وهو مكتهل] [حتى قضى وهو مظلوم وقد * ظلم الحسين من بعده والظلم ينتقل] وفى أحد التأليفين وضمانه على مؤلفه، حاصله فى الارشاد من كتاب سليم قال: لقيت محمد بن أبى بكر، فقلت، وهل شهد موت أبيك أحد غيرك وغير أخيك عبد الرحمن وعائشة وعمر ؟ قال: لا، قلت: فما الذى سمعوا ؟ قال: دعا بالويل والثبور، وقال: هذا رسول الله وعلى يبشرانى بالنار، ومعهما الصحيفة التى تعاقدنا عليها فى الكعبة، ورسول الله يقول لى: قد وفيت بها وظاهرت عليا ولى الله، فابشر أنت وصاحباك بالنار فى أسفل درك الجحيم فى أسفل السافلين، فلما سمع عمر خرج وهو يقول: إنه ليهجر، قال: لا والله لا أهجر أين تذهب، ثم قال: ألم أحدثك أن محمدا - ولم يقل رسول الله - قال لى وهو فى الغار، أن سفينة جعفر وأصحابه تعوم فى البحر ؟ قلت: يا رسول الله أرنيها، فمسح يده على وجهى، فلما نظرت إليها أضمرت أنه ساحر، فقال عمر: يا هؤلاء إن أبا بكر يهجر، فلا تخبروا واكتموا لئلا يشمت بنا أهل هذا البيت. ثم خرج وخرج أخى وخرجت عائشة لتتوضأ للصلاة، فأسمعنى من قوله

ص: ٣١

ما لم يسمعوا، فقلت له لما خلوت به: يا أبت قل لا إله إلا الله قال: لا أقولها ولا أقدر عليها أبدا حتى أرد النار فأدخل التابوت، فلما ذكر التابوت ظننت أنه يهجر، فقلت له، أى تابوت ؟ قال: تابوت من نار مقفل عليه بقفل من نار، فيه اثنا عشر رجل أنا وصاحبى هذا فقلت له: تعنى الثانى قال: نعم، قال: أعنى أنه فى جب من جهنم مقفل عليه بصخرة، قلت له: تهذى ؟ قال: والله لا أهذى، لعن الله ابن صهاك هذا الذى أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى فبئس القرين، ثم ألصق خده بالارض، فما زلت أسمع منه يدعو بالويل والثبور حتى أغمضته، ثم دخل عمر فقال: هل

حدثک بشئ بعدنا ؟ فحدثته بکل ما سمعت منه، فقال: رحم الله خلیفة رسول الله، اکتم یا محمد، هذا کله هذیان. ثم قال لی: إیاک أن یخرج من فمک شئ مما سمعت، فیشمت بنا علی بن أبی طالب وأصحابه. [برئت إلی الرحمن ثم محمد * وحیدرة وابنیه والام منهم] [ومن دان فی أقوالهم وفعالهم * ومن کل شیعی نفی اللعن عنهم] [فلعنهم للدین أصل مؤصل * ودین بلا أصل فذاک مهدم] وأما الثانی فلم یزل فی ولایته یسعی لشیعة علی (ع) بالاذی، ویظهر لهم العداوة والبغضاء، ویبدی لهم الاهانة والحفا، فاشتکوا منه إلی أمیر المؤمنین (ع) فقال: اصبروا إن الله مع الصابرین. ثم لقیه یوما خارج المدینة یرید بساتینها، فقال أمیر المؤمنین: یا عمر إن شیعتی یشتکون منک، فقال: وإن فعلت فلا أبالی، فقال أمیر المؤمنین (ع) أتحب أن أریک ما لا تبالی ؟ وکان أمیر المؤمنین (ع) فی یده قوس، فألقاه علیه، فإذا هو ثعبان کهیئة البغل فاتح فاه وهو یرید ابتلاعه، فالتجأ عمر إلی أمیر المؤمنین (ع) وهو یتضرع بین یدیه، فمد أمیر المؤمنین (ع) یده. وتناوله فإذا هو قوسا بإذن الله تعالی. ثم رجع إلی منزله ودعا بسلمان الفارسی، وقال له: امض إلی عمر وقل

له إن أهل المشرق أرسلوا مالا فوصله خفیة، فإن لم یقسمه علی الفقراء والمساکین فضحته، قال سلمان: فمضیت إلی عمر وأخبرته فقال لی: من أخبر علیا وقد جاء فی جوف اللیل ؟ فقال سلمان: أما علمت أن علیا یعلم من علم الله تعالی، فقال عمر: بل هو ساحر، فلا علیک أن تترکه وتوالینی أکرمک، فقال سلمان (رض): ویلک یا عمر لو أن الدنیا قبضتک، وخیرتنی بینها وبین شعرة واحدة من رأس علی بن أبی طالب (ع)، لما اخترتک، أما علمت أنه إمام المتقین، ویعسوب الدین، وولی الجبار، ووصی سید الابرار ؟ فقال عمر: لا تخبره بما صار بینی وبینک، وقل له إن عمرا سامع مطیع لله ولک. قال سلمان: فلما رجعت إلی أمیر المؤمنین أخبرنی بما جری حرفا، والله در من قال: [یا نبی الوحی والکتاب وطة * والمثانی وما حوی السورات] [فی هواکم وهجو شأن قلاکم * ألسن المدح والهجا قاصرات] [کیف یحصی الثناء سطور طروس * نمت وشی بردها فقرات] [أو یحیط القریش منکم بوصف * وعلیکم تنزلت آیات] وفی الخصال: أن عمرا أمر عثمان وطلحة والزبیر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبی وقاص أن یدخلوا بیتا ومعهم أمیر المؤمنین، ویغلقوا علیهم الباب یتشاورون فیما بینهم فی أمر الخلافة، وأجل لهم ثلاثة أیام، فإن توافقوا وأبی واحد منهم یقتلوه، زعم أن علیا یأبی فیقتلوه، فلما توافقوا علی عثمان قال أمیر المؤمنین (ع): ألا تسمعون منی قولا، فإن یکن حقا فاقبلوه، وإن یکن باطلا فاترکوه، فقال أمیر المؤمنین: أنشدکم الله هل فیکم أحد زوجه الله تعالی فاطمة سیدة نساء العالمین غیری ؟ قالوا: أللهم لا، قال: هل فیکم أحد إبناه الحسن والحسین سیدی شباب أهل الجنة غیری ؟ قالوا: اللهم لا، قال: هل فیکم أحد أعلم بناسخ القرآن ومنسوخه غیری ؟ قالوا: اللهم لا، قال: هل فیکم أحد قال فیه رسول الله: من کنت مولاه فعلی مولاه، أللهم وال من والاه

وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وادر الحق معه حيثما دار غيرى ؟ قالوا: أللهم لا، ثم قال: هل فيكم من قال فيه رسول الله: إذا تغلقت خزائن العلوم فعلى مفتاحها غيرى ؟ قالوا: أللهم لا، فما زال ينشدهم بما ينكرون مما خصه الله تعالى إلى خمس وأربعين منقبة، ثم قال: إذا أقررتم وبان لكم فضلى عليكم، فاتقوا الله ولا تتعرضوا لسخطه، وردوا الحق إلى أهله واقتفوا سنة نبيكم محمد، فإن خلافى خلافه وطاعتى طاعته، ولم أقل هذا راغبا فى دنياكم، ولا افتخارا وتزكية لنفسى، وإنما حدثت بنعمة الله لتقوم عليكم الحجة. ثم أن عثمان بعد عمر تسلمها فى نكرها، وتسنمها على دبرها، وحطم بحنبطها ربيع الدين فى ابان بلوغه، وهشم أنيع الحق عجلان ولوغه، وبدد أموال الله فى غير أهلها، ورفع درجات بنى أمية وهم الشجرة الملعونة فى القرآن على لسان أهل البيت وأشراف الاصحاب، وكان على خلاف رسول الله (ص) مدة حياته، فآوى المغيرة عمه وقد هدر رسول الله (ص) دمه، فقال لابنه رسول الله (ص) وكانت يومئذ تحته: إياك أن تخبرى أباك بمكان المغيرة، غير موقن أن الوحى ينزل على رسول الله، فقالت لا أكتم على رسول الله عدوه، فنزل الوحى بإخبار النبى بمكان المغيرة وبعث رسول الله إليه ليقتله، فأخفاه عثمان ولم يظفر به، فلما خرج أمير المؤمنين (ع) من منزل عثمان،، أخذ بيد عمه وأتى به إلى النبى، فقال (ص): أللهم العن المغيرة بن العاص، والعن من يأويه، والعن من يحمله، والعن من يطعمه، والعن من يسقيه والعن من يجهزه، والعن من يعطيه سقاء أو حذاء أو وعاء، وانطلق به عثمان وأخرجه سرقة، وفعل به جميع ما لعن عليه رسول الله (ص) فانتقب حذاءه فى مسيره، وتورمت قدماه ولم يطق المسير، واستظل بسمرة، فعلم به النبى (ص) وبعث إليه على (ع) فقتله. وجاء عثمان لابنة رسول الله (ص) فضربها حتى أنهكها ضربا وكان سبب وفاتها.

[باعوه بالامر الضعيف سفاهة * وقت الحياة فكيف بعد وفاته] [خذلوه فى وقت يخاف ويرتجى * أيراد منهم أن يفوا لمماته] ونفى أبا ذر إلى الربذة، وضرب عمارا حتى فرث لحمه، وكسر أضلاع ابن عباس، وتتبع شيعة على بن أبى طالب (ع) بأنواع العذاب والاذى، وكتب إلى معاوية أفحش وأشنع مما كتبه عمر، وتظاهر باللعب حتى أنكر عليه المسلمون واجتمع الانصار على قتله تقربا لله تعالى وطلبا لطاعته، وعائشة تحرضهم على قتله وتقول اقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر.

فى وفاته (ع) الحمد لله عز شأنه، وأشكره بما عمنى من فضله وإحسانه، وأشهد أن لا إله إلا الله أنى ينتهى أمده أو يحد مكانه، وأشهد أن محمدا (ص) عبده رسوله، أرسله والكفر جاش قد ارتفع بنيانه، فأيده بأمير المؤمنين

(ع) حتى هد شامخه، وتداعت أركانه، صلى الله وسلم عليهما وعلى ذريتهما الاكرمين، ما اتضح الصباح وامتد لسانه. أما بعد فهذه كلمات يسيرة قد اقتصرت عليها من الوفاة الكبيرة لئلا يسأم السامعون، وينام الحاضرون ويذم الطامعون فيعرضون، فأقول والله الموفق: سبق صلوات الله وسلامه عليه كل سابق، وأردف خلفه كل ملاحق، غرس فى فجاج قلوب أبت الهدى غرائس الاحزان حتى نتجت له نتائج الحسد والعدوان، فدعوه عن رتبته ودفعوه عن منزلته، فمضى الاول بضغينته، ومضى الثانى بجفاه وإهانته لشيعته، وأفحش الثالث فى نوبته، وأشنع فيما ارتكبه من نكره وخطيئته، حتى اجتمع المهاجرون والانصار على قتله تقربا لله ورغبة فى طاعة الله، فلم تزل المرأة تحرضهم على ذلک وتستحثهم عليه فتقول: اقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر، فلما قتل اجتمعوا على مبايعة أمير المؤمنين (ع) فأبى، وترددوا عليه مرارا حتى أجابهم على شروط شرطها عليهم، منها المساومات فى العطاء، وأن القوى والضعيف سواء، يأخذ الحق للضعيف من القوى، فأول

ص: ٣۶

من بايعه طلحة حتى قيل ان البيعة لا تتم لان أول يد بايعته شلاء وأن يد طلحة شلت بأحد، ثم الزبير وسائر الانصار والمهاجرين. فلما سمع معاوية حرض أهل الشام على قتال أمير المؤمنين يتعلل عليه بدم عثمان، وبايعه طلحة والزبير وكتب إليهما وأمرهما أن يصيرا إلى البصرة، فأتيا أمير المؤمنين (ع) وطلبا إليه أن يزيدهما فى النفقة، فقال لهما أمير المؤمنين: ألم تبايعانى على المساواة ؟ فإن انتظرتم عطائى زدتكم، فقالا: إنا لم نرد شيئا من ذلک، ثم استأذناه للعمرة، فقال: كلا بل تريدان الغدرة، ثم أذن لهما، فلحقا بمكة واتفقا مع عائشة على قتال أمير المؤمنين، وقصدوا بجمعهم للبصرة، وخرج أمير المؤمنين (ع) فى أربعة آلاف فارس من المهاجرين والانصار فى ثاقب المناقب. قال ابن عباس: قلت لأمير المؤمنين (ع) وهو متوجه إلى البصرة: انک فى نفر يسير فلو تأنيت حتى يلحق بک الناس، فقال: يجيئنا من الغد من ناحية الكوفة خمسة كراديس كل كردوس خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلا. قال ابن عباس: فلما صليت الفجر قلت لغلامى: اسرج لى على فرسى، قال: فتوجهت نحو الكوفة، وإذا بغبرة قد ارتفعت، فسرت نحوها، فلما دنوت منها صحيح بى من أنت ؟ قلت: أنا ابن عباس، فقلت: لمن هذه الراية ؟ قالوا: لفلان، قلت: كم أنتم ؟ قالوا: طوى الديوان عند الجسر على خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلا. قال: ثم مضوا ومضيت، ثم التفت فإذا أنا بغبرة قد ارتفعت، فدنوت منهم، فصيح بى من أنت ؟ قلت: ابن عباس، فأمكسوا عنى، فقلت: لمن هذه الراية ؟ فقالوا: لربيعة، قلت: من رئيسها ؟ قالوا: زيد بن صوحان العبدى، قلت: كم أنتم ؟ قالوا: طوى الديوان عند الجسر على خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلا، فمضوا ومضيت على وجهى، وإذا أنا بغبرة قد ارتفعت، فأخذت نحوها، فصحيح بى من أنت ؟ قلت: ابن عباس، فأمسكوا عنى، قلت: لمن هذه

ص: ٣٧

الراية ؟ قالوا: لفلان، قلت: كم أنتم ؟ قالوا: طوى الديوان عند الجسر على خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلا، قال: فمضوا ومضيت، وإذا أنا بغبرة قد ارتفعت، فدنوت منهم، فصيح بى من أنت ؟ قلت: ابن عباس، فأمسكوا عنى، قلت: كم أنتم ؟ قالوا: طوى الديوان عند الجسر على خمسة آلاف وستمائة وخمسة وستون رجلا. قال: فمضوا ومضيت على وجهى، وإذا أنا بغبرة قد ارتفعت، فدنوت منهم، فصيح بى من أنت ؟ قلت: ابن عباس، فأمسكوا عنى، فقلت: لمن هذه الراية ؟ قالوا: رئيسها الاشتر، قلت: كم أنتم ؟ قالوا: طوى الديوان عند الجسر على خمسة آلف وستمائة وخمسة وستون رجلا قال: فمضوا مضيت إلى العسكر، فقال لى أمير المؤمنين (ع): من أين أقبلت ؟ قلت: إنى سمعت مقالتك، فاغتممت مخافة أن يجئ الامر على خلاف ما قلت، فقال أمير المؤمنين: نظفر بهم إن شاء الله تعالى، ثم نقتسم أموالهم، فيصيب كل واحد منا خمسمائة دينار. فلما كان من الغد أمر أمير المؤمنين (ع) أن لا يحدثوا شيئا من الحرب حتى يكون الابتداء منهم. قيل وأرسل إلى طلحة والزبير فلم يرتدعا، وكتب إلى عائشة ما للنساء وقود العساكر، أتطلبين بدم عثمان وبالامس تقولين اقتلوا نعثلا قتله الله فقد كفر، فاتقى الله يا عائشة، وارجعى إلى منزلك، واسبلى عليک سترک، فلم تفعل. ثم أن أمير المؤمنين خطب من بايعه وقال: أيها الناس: إنى ما تأنيت عن هؤلاء إلا ليرجعوا عن الحرب، فلم يستجيبوا لى، وبعثوا إلى أصبر للطعان وأثبت للجلاد، وقد كنت لا أهدد بالحرب ولا أذعن إليهما، ولعمرى لئن أبرقوا وأرعدوا فلقد عرفونى ورأوا مكانى، فأنا أبو الحسن الذى فللت حدهم، ومزقت جماعتهم، فبذلک ألقى عدوى وأنا على بينة من ربى لما وعدنى من النصر والظفر، وإنى لعلى غير شبهة. ثم رفع يده إلى السماء وقال: أللهم إن طلحة بن عبد الله أعطانى صفقة

يمينه طائعا، ثم نكث بيعتى، أللهم فعاجله بالعقوبة ولا تمهله، وان الزبير بن العوام قطع قرابتى، ونقض عهدى، وظاهر عدوى، ونصب لى الحرب وأنت تعلم أنه ظالم لى، فاكفه كيف شئت وأنى شئت. ثم أنه أعطى الراية ابنه محمد بن الحنفية، وجعل على الميمنة ابنه الحسن، وعلى الميسرة ابنه الحسين، وعلى الخيالة عمارا، وعلى الرجالة محمد بن أبى بكر، وعلى المقدمة عبد الله بن العباس، فجعل أهل البصرة يرمون أصحاب أمير المؤمنين حتى عقروا بنبلهم جماعة. فقالوا: ما انتظارک بهؤلاء وقد عقرونا بنبلهم يا أمير المؤمنين ؟ فقال (ع): أللهم اشهد أنى قد أعذرت وأنذرت، فكن لى عليهم شاهدا. ثم دعا بالمصحف فقال: من يأخذ ويدعو هؤلاء إلى ما فيه ؟ فأخذه مسلم بن عبد الله المجاشعى، فقال لهم: هذا كتاب الله بيننا وبينكم، فضربه رجل منهم على يده اليمنى فقطعها، فأخذ المصحف بيده اليسرى فقطعت، ثم احتضنه فما زال يضرب عليه حتى قتل رضوان الله عليه. ثم أمر أمير المؤمنين (ع) ابنه محمد أن اقتحم، فحمل الراية وظل يضرب ويطعن حتى أعجب أباه، فرجع محمد رضى الله عنه وحمل أمير المؤمنين، فما زال يضرب بالسيف حتى انحنى سيفه، فوقف يسويه بركبته، فقال له أصحابه: نحن نكفيک يا أمير المؤمنين فلم يجب، وحمل ثانية، فجعل يضرب قدما قدما حتى التوى السيف، فرجع يسويه بركبته وهو يقول: والله ما أريد بذلک إلا الله والدار الآخرة، ثم التفت إلى ولده محمد بن الحنفية: فقال هكذا فاصنع يا بنى. ثم اشتبک العسكران واقتتلوا قتالا شديدا حتى احمرت الارض بالدم، وصار هودج فلانة كالقنفذ من كثرة النبال، وقطع على خطام جملها ثمان وتسعون

كفا مخضبا، وما زالت الحرب على ساقها حتى عقر جملها. فقال أمير المؤمنين (ع) لاصحابه: ادفعوه فإنه شيطان، فدفعوه وقد قتل طلحة ثم

طعن أمير المؤمنين هودجها وقال لها: هكذا أمرک رسول الله ؟ قالت: ظفرت يا أبا الحسن فأحسن وملكت فاسمح فقال لمحمد أخيها: شأنک أختک، فادخلها البصرة ثم أمرها أن تعود إلى المدينة. قال ابن عباس فى حديثه السابق: فقال أمير المؤمنين (ع) للخازن: اقسم المال، فقسمه، ثم قال له: هل بقى عندک شئ ؟ فقال: ألفى درهم، فقال: هل أعطيت الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية خمسمائة خمسمائة، وعزلت لى خمسمائة ؟ قال، لا، قال هذه لنا، فلم تزد درهما ولا تنقص درهما كما أخبر (ع) وهى من بعض فضائله. قال الراوى: وكتب إلى جميع الامصار فأجابته سوى معاوية، هش للسلطنة ويتعلل عليه بقتل عثمان وكتب إليه مع جرير البجلى إنه لزمک البيعة، لانه بايعنى من بايع أبا بكر وعمر، ولست ممن تحل له الخلافة فبايع جريرا. فكتب إلى أمير المؤمنين بعدم الاجابة يتعلل بما تعلل به من طلب دم عثمان، وأن يرجع الامر شورى فيمن يختاره أهل الشام، فكتب إليه أمير المؤمنين (ع) أتانى كتاب ليس له نور يهديه، ولا قائد يرشده، زعمت أن خطيئتى فى عثمان سدت عليک بيعتى، وما أمرت بأمر يلزمنى خطأه، وليس فى أهل الشام من يحكم على المسلمين حتى تحل له الشورى، فإن سميت أحدا كذبک المهاجرين والانصار. فصار معاوية بعد ورود الكتاب عليه يستشير ثقاته فى حال القتال، فقال عقبه أخوه: ابعث إلى ابن العاص واخدعه بالاموال والولايات فانه قريع زمانه، وقلوب أهل الشام تميل إليه فما زال به حتى أجابه ونهضوا لحرب أمير المؤمنين، فخرج من الكوفة يريد ملاقاتهم وأدرک أصحابه العطش، فلاح لهم دير راهب، فمالوا إليه وسألوه عن الماء، فقال، إنه بعيد عن هذا المكان جدا، فأمر أمير المؤمنين بالحفر بالقرب من الدير فانكشف لهم عن صخرة تلمع كأنها الثلج، فعجزوا عن اقتلاعها، وقلعها أمير المؤمنين وحده ودحى بها عن

موضعها أذرعا، وإذا بماء يفوق على الشهد، فشربوا منه وارتووا، ثم وضع الصخرة وعفى الموضع، ونزل الراهب، فقال: إن الدين مبنى على معرفة قالع الصخرة ومظهر الماء المعين، فمن يكون هذا ؟ قالوا وصى رسول الله، فأسلم وتبعه حتى استشهد معه. قال الاصبغ بن نباتة: لما التقى الجيشان بصفين، مضيت إلى معاوية ومعه ملا من أصحابه، ودفعت إليه كتابا من أمير المؤمنين فقرأه ثم قال: إن عليا لا يدفع إلينا قتلة عثمان، فقلت له: يا معاوية لا تتعلل علينا بقتلة عثمان، لانک تطلب الملک والسلطان، ولو أردت نصره لنصرته حيا، لكنک تربصت به لتجعله سببا إلى وصول الملک إليک. قال الاصبغ: فأردت أن أزيد غيظه، فقلت لابى هريرة: أحلفک الله يا صاحب رسول الله أشهدت غدير خم ؟ قال نعم، قلت: ما سمعت من رسول الله فى على ؟ قال: سمعته يقول: من كنت مولاه فعلى مولاه،

أللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيثما دار. فقلت له: إنک واليت عدوه وعاديت وليه، فتنفس صعدا وحولق وتغير وجه معاوية، فانتهرنى وقال: لا تخدع أهل الشام عن طلب دم عثمان، وعند صاحبک قتلته، وقد أغراهم به فهم اليوم عضده وأنصاره، قال: فمضيت إلى أمير المؤمنين (ع) وأخبرته، فقال: إنى لا أعجب من بغض معاوية وحسده، لكنما عجبى ممن رأى منزلتى من رسول الله كأبى هريرة وأبى الدرداء وغيرهم، وقد أزمعوا على قتالى، ثم عقد الالوية للحرب، فلما رأى أصحاب رسول الله (ص) لواءه بكوا لتذكار رسول الله، وبكى أمير المؤمنين بكاء شديدا، وقال لمالک الاشتر: إن معى راية لم أخرجها منذ قبض رسول الله إلا يومى هذا، وقد قال لى رسول الله (ص) عند وفاته: يا أبا الحسن إنک لتحارب الناكثين والقاسطين والمارقين، وأى تعب ونصب يصيبک من أهل الشام فاصبر على ما أصابک إن الله مع الصابرين، قال: وسبق أهل الشام على الماء، ومنعوا أصحاب أمير المؤمنين (ع) الماء، فشربوا ماء آسنا حتى فشى فيهم السقم، فأرسل

أمير المؤمنين (ع) من يستعطف معاوية ويدارى أهل الشام، فامتنع معاوية حتى قال قائلهم اقتلوهم عطشا كما لم يرحموا عثمان، فقال بعض أصحاب معاوية: أما والله لو سبقک على لما منعک الماء، فلو كانوا من الترک والديلم والروم فطلبوک الماء لما يحل لک أن تمنعهم، فكيف وهم أصحاب رسول الله وابن عمه وصاحب سره وخليفته، لكنه الجور والله، ثم لحق بأمير المؤمنين (ع) وقاتل معه حتى استشهد رحمه الله تعالى، واستأذن مالک الاشتر والاشعث بن قيس وخواص أمير المؤمنين فى حال القتال، قالوا: نموت عطشا ومعنا الاسنة والاسياف فأذن لهم بالقتال، وقال لقنبر: اخرج رمح رسول الله الملموس بيده الشريفة، وسيصير لا بنى الحسن ثم ينكسر بيد ابنى الحسين فى كربلاء، وتقلد سيف رسول الله (ص) وتدرع بدرعه، وخرج وعليه جحفته وقضيبه الممشوق، واقتتلوا قتالا شديدا حتى انكشف أهل الشام عن الماء بعد قتل ذريع، وقد أثخنوا بالجراح، ونزلت مقدمة أمير المؤمنين (ع) على الماء، ونزل (ع) عند مقدمته، ثم استسقى معاوية من أمير المؤمنين الماء، فقال بعض أصحاب معاوية وهو الذى قال: اقتلوهم عطشا كما لم يرحموا عثمان: يا أبا الحسن ملكت فاسمح وجد علينا بالماء، فقال أمير المؤمنين، قولوا لمعاوية يشرب ويسقى دوابه لا أمنعه، ولا يحول بينه وبين الماء حائل، ولله در من قال: [ملكنا فصار العفو منا سجية ❊ ولما ملكتم سال بالدم أبطح] [وحللتم قتل الاسارى وطالما ❊ غدونا عن الاسرى نعف ونصفح] [فحسبكم هذا التفاوت بيننا ❊ وكل إناء بالذى فيه ينضح] قال الراوى: ثم قامت الحرب بينهم أياما وشهورا، وروى أن عمارا استسقى يوما فأتى له بقدح فيه لبن فشربه، فقال، الله أكبر قد قال لى رسول الله: آخر زادک من الدنيا ضياح من لبن، وتقتلک الفئة الباغية، وهذا آخر أيامى من الدنيا، ثم حمل على القوم وهو يقول: الجنة الجنة تحت ظلال الاسنة، اليوم ألقى الاحبة محمدا وصحبه، فأحاطوا به حتى قتل رضوان الله

علیه. ودعی أمیر المؤمنین قنبرا وقال له: قل لابنی محمد وعبد الله بن جعفر لیحملا إذا أنا حملت، وقال لکمیل بن زیاد قل لسلیمان بن صرد لیحمل إذا أنا حملت، فحمل (ع) وحملوا معه، وازدحم الناس بعضهم ببعض وجثوا علی الرکب، وکسفت الشمس، وثار الغبار، وأظلمت الدنیا، وظلت الالویة، وفقدت الرایات، ومر مواقیت الصلاة، وصاروا لا یسجدون إلا تکبیرا، ولا یسمع إلا وقع الحدید علی الحدید، حتی تکادموا بالافواه، ونادی القوم فی تلک المفازات الله الله یا معشر العرب فی الحرمات من النساء والبنات، واتصل اللیل بالنهار، فکانت لیلة الهریر، وسمع فیها لامیر المؤمنین خمسمائة تکبیرة عدد من قتله بیده، وأصبح أصحاب أمیر المؤمنین (ع) والمعرکة خلفهم فاقتحموها. فلما رأی ابن العاص أن الحرب عفتهم أشار علی معاویة برفع المصاحف علی رؤوس الاسنة، وقال: بیننا وبینکم کتاب الله، فامتنع أصحاب أمیر المؤمنین عن القتال لما رأوا المصاحف علی رؤوس الرماح، فقال لهم أمیر المؤمنین: ذرونا نناجزهم، فما هی إلا ساعة فإن الحرب قد عفتهم، فلم یجیبوه، فقال (ع): هذه خدعة، وأنا کتاب الله الناطق، فلم یفعلوا وکتبوا بینهم إمهال إلی شهر رمضان، ثم خدع معاویة ثانیة أصحاب أمیر المؤمنین (ع) حتی ألجأوه إلی تحکیم الحکمین، فأراد أن ینصب لهم ابن عمه عبد الله بن العباس، فأبی أصحابه وقالوا: إلا أبو موسی الاشعری، فأجاب وهو کاره وجعل معاویة من قبله ابن العاص، وبعث کل بحکمه. فغدر ابن العاص بأبی موسی الاشعری إذ قال: إنا لنخلع علیا ومعاویة، وندع الناس ومن یختارونه، فقام ابن العاص وقال: لقد سمعتم ما قال وإنی قد أقررت خلع علی وأثبت صاحبی، وبادر الحصین وضرب أبا موسی الاشعری بعصی کانت فی یده، ثم ندم وقال: لیتها کانت السیف، فرجع أمیر المؤمنین (ع) مرغوما قد استضعفه قومه، وخرج من طاعته ثمانیة آلاف من عباد قومه ونساک خاصته، وکانوا إثنا

عشر ألف، وأمروا فیهم عبد الله بن الکوا، فأرسل لهم أمیر المؤمنین عبد الله بن العباس، فقالوا: لیخرج علی بنفسه لعله یزیل ما بأنفسنا، فخرج لهم أمیر المؤمنین بنفسه، وبرز عبد الله بن الکوا فی عشرة رجال وقال: یا أمیر المؤمنین أنا آمن سیفک قال: نعم، قال له: یا عبد الله عما نذر الحرب عن معاویة ؟ فقال: برفع المصاحف علی رؤوس الاسنة وأمر الحکمین، قال: ألم أقل لکم إنها خدعة فناجزوهم فأبیتم، وأردت أن أنصب لکم ابن عمی عبد الله بن العباس فإنه لا ینخدع، فألحیتم فی أبی موسی الاشعری، فأجبتکم کارها، ولو وجدت أعوانا دونکم لما أجبتکم، ألم أشترط علی الحکمین بمسمعکم أن یحکما بما أنزل الله فی کتابه المجید من فاتحته إلی خاتمته وإن لم یفعلا فلا طاعة لهما ؟ قال ابن الکوا: صدقت قد کان هذا کله فلا ترجع إلی حربه، قال (ع) حتی تنقضی المدة بیننا، قال ابن الکوا: فأنت مجمع علیه، قال (ع): لا یسعنی غیره. فرجع ابن الکوا والعشرة الذین کانوا معه عن رأی الخوارج، ولحق بأمیر المؤمنین، وتفرق القوم عنه واجتمعوا إلی عبد الله بن وهب الراسی وذی الثدیة، وأمروهما وعسکروا بالنهروان، وخرج أمیر المؤمنین (ع) وعسکر علی فرسخین، وبعث لهم عبد الله بن العباس، فقال لهم: ما الذی نقمتم علی علی ؟ قالوا: أشیاء کثیرة لو کان حاضرا لکفرناه بها، فأبلغ علی (ع) مقالتهم، فأتاهم وقال: أیها الناس أنا علی بن أبی طالب

فتكلموا بما نقمتم على، قالوا: نقمنا عليک أنک أبحتنا بعد قتال أهل البصرة فی العسکر، ومنعتنا أسر النساء والذرية، فإن کانوا کفارا فهلا أحللته لنا، وإن کانوا مسلمين فقتالهم وسلبهم علينا حرام ؟ فقال لهم (ع): أهل البصرة بدؤنا بالقتال فحل لنا قتالهم، ولنا سلب من قتلناه، والنساء لم يقاتلن والذرية علی الفطرة، وقد رأيت رسول الله من علی المشرکين، أفلا تمنوا علی المسلمين بأن لا تسلبوا نساءهم وذريتهم ؟ فقال قوم منهم: لا تخاصموا قريشا، فإن الله قال: (بل

ص: ۴۴

هم قوم خصمون) (۱) وقال الباقون: نقمنا عليک أيضا لانک محيت اسمک من إمرة المؤمنين يوم صفين، فلست إذا بأمير علينا، فقال لهم: اقتديت برسول الله حين محی اسم الرسالة فی صلح قريش، فقالوا: نقمنا عليک قولک للحکمين انظروا فی کتاب الله، فإن کنت أفضل من معاوية فاثبتانی فی الخلافة، فأنت إذا فی شک من نفسک، فنحن أشد شکا فيک، فقال: أردت منهما أن ينصفانی، فلو قلت احکما لی واترکاه لم يرض معاوية، کما قال رسول الله لنصاری نجران (فنجعل لعنة الله علی الکاذبين) (۲) فلو قال فنجعل لعنة الله عليکم لم يرضوا، قالوا: نقمنا عليک قد حکمت فيما هو حق لک، فقال، إن رسول الله حکم سعد بن معاذ فی بنی قريظة فاقتديت به، فصاح من کل ناحية جماعة التوبة التوبة يا أمير المؤمنين، واستأمن إليه ثمانية آلاف وطلبوا الاعتزال، فأجابهم، وبقی علی حربه أربعة آلاف رجل، فتقدم عبد الله بن الراسی وذو الثدية وقالا: والله ما نريد بقتالک إلا الله والدار الآخرة، فتلا علی (ع) هذه الآية: (قل هل ننبئکم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فی الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (۳). ثم التحمت الحرب بين الفريقين، وأسعرت الحرب لظاها، وأسفرت عن زرقه صبحها وأحمر ضحاها، فاقتتلوا قتالا شديدا حتی فنی کثير من الخوارج، فقام عبد الله الراسی ونادی يا ابن أبی طالب، والله لا نبرح حتی تأتی علی آخرنا، فابرز وذر الناس جانبا، فقال أمير المؤمنين وهو يبتسم: ما أقل حياؤه إنه ليعلم أنی حليف السيف، وخدين الرمح، لکنه يئس من الحياة. فحمل عليه أمير المؤمنين (ع) فقتله، فما کانت إلا کدورة الرحی حتی أتی علی آخرهم، فلم يفلت منهم إلا عشرة کما أنه لم يقتل من أصحابه عشرة، وقد أخبر (ع) قبل منصرفه وقال: إنا نقتلهم ولم يفلت منهم إلا عشرة،

---

(۱) سورة الزخرف، الآية: ۵۸. (۲) سورة آل عمران، الآية: ۶۱. (۳) سورة الکهف الآية: ۱۰۳ - ۱۰۴. (*)

ص: ۴۵

ولم يقتل منا إلا عشرة. والله در من قال: [ياليت فى الاحياء شخصک حاضر * وحسين مطروح بعرصة كربلا] [عريان يكسوه الصعيد ملابسا * أفديه مسلوب اللباس مسربلا] [متوسدا حر الصخور معفرا * بدمائه ترب الجبين مرملا] [ظمآن مجروح الجوارح لم يجد * ماء سوى دمه المبدد منهلا] [ولصدره تطأ الخيول وطالما * بسريره جبريل كان موكلا] [عقرت أما علمت لاى معظم * وطأت وصدر غادرته مفصلا] [ولثغره يعلو القضيب وطالما * شرفا له كان النبى مقبلا] [وبنوه فى أسر الطغاة صوارخا * ولهاء معولة تجاوب معولا] [ونساؤه من حوله يندبنه * بأبى النساء النادبات الثكلا] [يندبن أكرم سيد من سادة * هجروا القصور وآنسوا وحش الفلا] [بأبى بدورا فى المدينة طلعا * أمست بأرض الغاضرية آفلا] [نزحت عن عقر دارهم أيدى العدى * بأبى الفريق الظاعن المترحلا] [ضاقت بهم أوطانهم فتبوأوا * شاطى الفرات عن المواطن موئلا] [ظفرت بهم أيدى البغاة ولم أجد * وأبيک تقتنص الكلاب الاشبلا] [منعوهم ماء الفرات ودونه * بسيوفهم دمهم يراق محللا] [هجرت رؤوسهم الجسوم فواصلت * زرق الاسنة والوشيج الذبلا] [يبكى أسيرهم لفقد قتيلهم * أسفا وكل فى الحقيقة مبتلى] [هذا يميل على اليمين معفرا * بدم الوريد وذا يقاد مغللا] [ومن العجائب أن تقاد أسودها * أسرى وتفترس الكلاب الاشبلا] [لهفى لزين العابدين يقاد فى ثقل * الحديد مقيدا ومكبلا] [أفدى الاسير وليت خدى موطئا * كانت له بين المحامل محملا] قال الراوى: وعن جويرية بن مسهر البجلى قال: لما أقبلنا مع أمير المؤمنين (ع) من قتل الخوارج، حتى إذا قطعنا أرض بابل حضرت

الصلاة، فنزل أمير المؤمنين ونزل الناس معه، فقال (ع): أيها الناس إن هذه الارض ملعونة قد عذبت فى الدهر ثلاث مرات، وفى خبر مرتين، وهى تتوقع الثالثة، وهى أول أرض عبد فيها وثن، وهى إحدى المؤتفكات، وإنه لا يحل لنبى أو وصى نبى أن يصلى فيها، فمن أراد أن يصلى فليصل، فمال الناس عن جنبى الطريق يصلون، وركب بغلة رسول الله (ص)، قال فمضيت خلفه، وقلت: والله لاتبعن أمير المؤمنين وأقلد به صلاتى اليوم، فمضيت خلفه، فوالله ما جزنا جسر سورى حتى غربت الشمس، فشككت، فالتفت إلى وقال: يا جويرية شككت ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فنزل عن دابته فى ناحية، فتوضأ ثم قام، فنطق بكلام لا أحسبه إلا كأنه بالعبرانية، ثم نادى الصلاة الصلاة، فنظرت والله إلى الشمس وقد خرجت من بين جبلين ولها صرير، فصلى العصر وصليت معه، فلما فرغنا من الصلاة غابت الشمس وعاد الليل كما كان أولا، واجتمع نفر من الخوارج وقالوا: إن عليا ومعاوية قد أفسدوا هذا الامر، فلو قتلناهم لعاد الامر إلى أهله، فقال رجل من أشجع: وما أمر العاص بدونها وإنه أصل هذا الفساد، وتأسفوا على من قتل بالنهروان، فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادى والبرک بن عبيدالله التميمى وعمرو بن أبى بكر التميمى فلو شرينا من الله أنفسنا والتمسنا غرة هؤلاء وقتلناهم لارحنا منهم العباد والبلاد، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم عليا، فقيل له: وأنى لک به ؟ قال: أغتاله، وقال البرک بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمر بن أبى بكر: أنا أكفيكم ابن العاص، ومضوا إلى البيت شرفه الله تعالى وتحالفوا على الوفاء بينهم، فأتى إلى أمير المؤمنين (ع) رجل من مراد وقال له: احرس نفسک يا أمير المؤمنين، فإن أناسا من مراد يريدون قتلک، فقال: مع كل رجل ملكان يحفظانه ما لم يقدر عليه أحد، فإذا

جاء القدر خليا بينه وبينه، وكفى بالاجل جنة حصينة، ثم إنه (ع) أنشأ يقول: [تلكم قريش تمنانى لتقتلنى * فلا وربک ما فازوا وما ظفروا] [فإن بقيت فرهن ذمتى لهم * وإن عدمت فلا يبقى لهم أثر]

ص: ۴۷

[وسوف يورثهم فقدى على عجل * ذل الحياة بما خانوا وما غدروا] قال الراوى: ثم إن ابن ملجم قصد الكوفة مع الوفد الذين بعث بهم حبيب بن المنتجب عامل أمير المؤمنين ليتربص الفرصة، ودخل فى جملتهم عليه وسلم كما سلموا، وكان طلق اللسان حسن المقال، فأعجب أمير المؤمنين (ع) لما سمع من مقالته، ورأى حسن تأدبه فى أقواله وأفعاله، فسأله عن اسمه، فلما أخبره أطرق برأسه يفكر، ثم رفع رأسه وقال: أمرادى أنت أنت ؟ ثلاث مرات وهو يقول: نعم فاسترجع أمير المؤمنين (ع) وحولق وتمثل ببيت ابن معد يكرب الزبيدى وهو يقول: [أريد حياته ويريد قتلى * خليلى من عزيزى من مراد] ثم دعاه للبيعة واستحلفه مرارا كثيرة، وأخذ عليه العهود والمواثيق أن لا يغدر به، فقال: ما رأيتک يا أمير المؤمنين فعلت بغيرى مثلما فعلت بى، أتراک تؤكد على البيعة ثلاثا وتستحلفنى ثلاثا ؟ فقال: إنى لا أرى أنک تفى بما عاهدت عليه، وستخضب هذه من هذا، وأشار إلى لحيته ورأسه، ولقد قرب وقتک وحان زمانک، فقال: أعيذک بالله يا أمير المؤمنين هذه يمينى وهذه شمالى فاقطعهما أو فاقتلنى، فقال أمير المؤمنين: وكيف أفعل ولم تستوجب قبل شيئا ؟ ولو أننى أعلم أنک قاتلى، لكن هل كانت لک حاضنة يهودية وكنت إذا بكيت تلطم وجهک وتقول لک اسكت يا من هو أشقى من عاقر ناقة صالح ؟ قال: قد كان ذلک يا أمير المؤمنين. وفى بعض الروايات قال له: إذا أنا قتلتک فمن يقتلنى وقد سبق القضاء، إنک قاتلى، فسمع ذلک مالک الاشتر رضى الله تعالى عنه والمقداد بن الاسود الكندى فجردا أسيافهما، وأتيا إلى أمير المؤمنين (ع) فقالا: ومن هذا الكلب الذى تخاطبه بما سمعنا، فأمرنا بقتله، فقال: افتأمرونى بأن أقتل رجلا لم يفعل بعد شيئا ؟ واجتمع نفر من أصحاب أمير المؤمنين وخواص شيعته، فقالوا: إنا

ص: ۴۸

نقترح أن نجعل كل ليلة على قبيلة تحرس سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (ع)، فإنه يخرج غلسا إلى الجامع ونخاف أن يغتاله هذا اللعين فيفجعنا فيه، فابتدأت بذلک أهل الكنائس، فلما أقبل أمير المؤمنين (ع) وجدهم شاكين فى سلاحهم، فقال: ما شأنكم ؟ قالوا: تخوفنا عليک من هذا المرادى اللعين فجئنا لنحرسک فجزاهم خيرا وتلا قوله تعالى: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (۱) ثم قال: إذا نزل القضاء فلا راد له وكفى الاجل حارسا. فتفرق القوم، فكانت فى الكوفة امرأة من الخوارج اسمها قطام بنت سجية بن تميم من تيم الرباب، وقد خطبها ابن ملجم وتمكن فى قلبه حبها، فقالت: نعم على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة، وأشترط عليک قتل الخليفة على بن أبى طالب، فقال: والله ما أقدمنى إلى هذا المصر وكنت بعيدا منه إلا قتل هذا الرجل، فلک ذلک،

ولله در الفرزدق حيث يقول متعجبا من هذا الاقدام: [فلم أر مهرا ساقه ذو سماحة ❊ كمهر قطام من فصيح وأعجمى] [ثلاثة آلاف وعبد وقينة ❊ وضرب على بالحسام المسمم] [فلا مهر أغلى من على وإن علا ❊ ولا فتک إلا دون فتک ابن ملجم] روى أن ابن ملجم دخل يوما الجامع، وأمير المؤمنين على المنبر يخطب، فقال: والله لاريحن منک العباد، فسمعه بعض الاصحاب فأتى به ملببا، فقال لهم أمير المؤمنين: وما تريدون منه ؟ فأخبروه بما قال، فقال (ع): خلوا عنه، فإنه لم يقتلنى، ولم يزل يكرمه لسرعته فى الخدمة ويؤثره على غيره لتأدبه استظهارا عليه، ومع ذلک يقول: أنت قاتلى لا محالة، بذلک أخبرنى رسول الله.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١. (❊)

ثم قال دخلت أنا يوما على رسول الله وفاطمة والحسن والحسين فبكى حين رآنا وقال بعض من حضر: أما تستر برؤيتهم يا رسول الله ؟ فقال: والذى بعثنى بالحق نبيا أنا وهم لاكرم الخلق على الله تعالى، وما على وجه الارض نسمة أحب إلى منهم، أما على بن أبى طالب فإنه أخى، وابن عمى، وخليفتى، ووصيى على أهلى وأمتى فى حياتى وبعد وفاتى، محبه محبى، ومبغضه مبغضى، وهو مولى كل تقى، بولايته صارت أمتى مرحومة، وإنما بكيت على ما يحل بهم بعدى من غدر الامة، وإنه ليزال عن مقامه ومحله ومرتبته التى وضعه الله فيها، ثم لا يزال كذلک حتى يضرب على قرنه فى محرابه ضربة تخضب لحيته ورأسه فى بيت من بيوت الله، فى أفضل الشهور شهر رمضان، فى العشرة الاواخر منه، يضربه بالسيف شر الخلق والخليقة، أخو قدار ابن قديرة عاقر ناقة صالح، ثم استعبر وبكى بكاء شديدا عاليا. ثم قال: وأما ابنتى فاطمة الزهراء، فإنها سيدة نساء العالمين من الاولين، وهى بضعة منى ونور عينى وروحى التى بين جنبى، الحوراء الانسية الزهراء الزاهرة التى أزهرت من نورها السماوات بكواكبها، والارضين بأقطارها، ويقول الله تعالى إلى الملائكة: يا ملائكتى انظروا إلى أمتى إذا قامت إلى الصلاة وهى ترتعد خيفة وخشية منى، اشهدوا أنى قد آمنت شيعتها من النار، ولكن ذكرت ما يصنع بها بعدى كأنى بها، وقد دخل عليها فى بيتها الذل والهوان، فترى نفسها ذليلة بعد ما كانت عزيزة فى حياتى، فتناديها الملائكة بما نادت به مريم ابنة عمران (ان الله اصطفاک وطهرک واصطفاک على نساء العالمين) (١) فتمرض عند ذلک، فيبعث الله لها مريم ابنة عمران فتمرضها، فتقول: إنى قد سئمت الحياة وتبرمت من أهل الدنيا، أللهم فألحقنى بأبى، فيلحقها الله بى فى المدة القليلة، فتقدم على محزونة مغصوبة

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ۴۲. (❊)

ص: ۵۰

مکروبة مغمومة، أللهم العن غاصبیها وظالمیها، وخلد فی النار من آذاها وضرب جسمها حتی ألقت جنینها، فتقول الملائکة آمین. وأما ولدی الحسن فإنه قرة عینی وثمرة فؤادی ولکن ذکرت ما یحل به بعدی من الذل والهوان، حتی یقتل بالسم ظلما وعدوانا، فتبکیه الملائکة وکل نبی حتی الطیر فی الهواء، والحیتان فی لجج البحار، فمن بکاه لم تعم عیناه یوم القیامة. وأما ولدی الحسین فإنه منی وأنا منه، وهو خیر الخلق بعد أبیه وأخیه، وهو إمام المسلمین وخلیفة رب العالمین، وسید شباب أهل الجنة أجمعین، ولکنی کلما نظرت إلیه فکأنی به وقد استجار بحرمی وقبری فلا یجار، فأضمه فی منامی إلی صدری، وآمره بالرحیل إلی أرض مصرعه ومقتله، فیرتحل للشهادة إلی أرض تعرف بأرض کربلاء، تنصره جماعة من المسلمین، أولئک سادات أمتی یوم القیامة، وکأنی أنظر إلیه وقد رمی بسهم فی قلبه ذی ثلاث شعب، فیخر عن فرسه المیمون صریعا یفحص فی التراب برجلیه، ثم یذبح ذبح الشاة من قفاه. ثم بکی وأبکی من کان حاضرا حوله، ونهض وهو یقول: أللهم إنی أشکو إلیک ما یلقی أهل بیتی من بعدی. [فیالیت شعری من أنوح ومن له ❊ أبکی وما قلبی علیه بسالی] [أأشجو علیا حین عمم رأسه ❊ بمنصلت ذی رونق وصقال] [له أم لبنت المصطفی بعد ما قضی ❊ قضت لم تفز من إرثها بخلال] [أم الحسن الزاکی سقته جعیدة ❊ من السم قتالا بغیر قتال] [وإن حنینی للشهید بکربلا ❊ لباق فلا یقضی له بزوال] [فدیت إماما بالطفوف کأنما ❊ رکائبه قد قیدت بحبال]

ص: ۵۱

[فدیت وحیدا قد أحاط برحله ❊ لآل أبی سفیان جیش ضلال] [یقول لانصار له قد أبحتکم ❊ ذمامی وعهدی فاسمعوا لمقالی] [ألا فارحلوا فالیل مرخ سدوله ❊ علیکم ومنهاج البسیطة خالی] [فقالوا جمیعا وما یقول لنا وما ❊ نقول جوابا عند رد سؤال] [تقیک من الموت الشدید نفوسنا ❊ ویرخص عند النفس ما هو غالی] [فدیت الذی یرنو الفرات بغلة ❊ وما یلها من بردها ببلائی] [فدیت فتی قد خر عن سرج مهره ❊ کما خر طود من منیف جبال] [فدیت صریعا قد علا الشمر صدره ❊ لقطع ورید أو لجز قذالی] [فدیت طریحا ترکض الخیل فوقه ❊ ترض خباجن صدره بنعالی] وروی عن أنس بن مالک قال: مرض أمیر المؤمنین فی حیاة رسول الله وعدته وعنده أبو فضیل وعمر، فدخل علینا رسول الله ونظر فی وجهی فبکی، فقال أبو فضیل وعمر: لقد تخوفنا علیه یا رسول الله، فقال: لا بأس علیه، وإنه لن یموت إلا مقتولا مضروبا علی أم رأسه مخضوبا بدمائه، فی شهر الله الحرام شهر رمضان، فی أثناء صلاته فی بیت من بیوت الله، فوا شوقاه ووا أسفاه وواحزناه، ثم بکی بکاء شدیدا. وفی المجالس عنه (ع) قال: سألت النبی ما أفضل الاعمال فی شهر رمضان ؟ قال: الورع من محارم الله، ثم بکی، فقلت له: وما یبکیک یا رسول الله ؟ قال: أبکی لما یحل علیک من بعدی فی شهر رمضان، کأنی بک وأنت فی محرابک إذ انبعث إلیک أشقی

الخلق من الاولين والآخرين، شقيق عاقر ناقة صالح، فيضربک ضربة على مفرق رأسک ويشقه نصفين، ويخضب لحيتک من دم رأسک، فقلت له: يا سيدى أفى سلامة من دينى ؟ فقال: نعم يا على، من قتلک فقد قتلنى، ومن سبک فقد سبنى، لانک منى وأنا منک، وروحک روحى وروحى روحک، إلى أن قال: وإنه لا يقرب الحوض مبغض لک أبدا، ولن يغيب عنه محب لک أبدا. فخر على (ع) ساجدا لله تعالى

وقال: الحمد لله الذى من على بک يا مولاى، فلما مضى من شهر رمضان شطره، دخل المسجد يوما فصلى ركعتين، ثم صعد المنبر وخطب خطبة أكثر فيها من الحمد والثناء، ثم التفت إلى ولده الحسن وقال له: يا أبا محمد كم بقى من شهرنا هذا ؟ فقال الحسن (ع): ثلاثة عشر يوما يا أمير المؤمنين، ثم التفت إلى ولده الحسين (ع) وقال له: يا أبا عبد الله كم مضى من شهرنا هذا ؟ فقال الحسين: سبعة عشر ليلة يا أمير المؤمنين، فضرب على لحيته وهى يومئذ بيضاء، فقال: الله أكبر الله أكبر، ليخضبها بدمها إذ انبعث أشقاها، ثم قال (ع): قل ما أصحبكم، قالت أم كلثوم: لما سمعت ذلک من أبى قلت له وكيف ذلک يا أبتاه ؟ قال (ع): رأيت البارحة نبى الله فى منامى وهو يمسح الغبار عن وجهى ويقول: يا على لا عليک وقد قضيت ما عليک. وما زال ابن ملجم يتربص به الغفلة، وينتهز فيه الفرص، ويصلح سيفه ويكرر صقله ويسقيه، فدخل يوما بيته فأخذته الملعونة قطام وأخرجته من جفنه تنظر إليه وإلى حسن صقله، فقالت: إنى أريد أن أسقيه سما نقيعا عندى، فقال ابن ملجم: إنه لا حاجة له فى السم، وهو لو وقع على حجر ابرأه شطرين، فقالت: لابد له من السم، لان عليا ليس كمن لاقيت من الشجعان، فما زالت تصفه وتعظمه فى عينه بكلام يغيظه ليجهد نفسه فى قتله، فأخذه بعدما عملت فيه ما شاءت من السم، وخرج إلى السوق ومر على الامام (ع) وهو عند ميثم التمار، فسلم عليه بخشوع النفاق وخضوع الملاق، فجعل أمير المؤمنين يطيل النظر إليه، ويرسل الفكر فيما عزم عليه، فقال: يا ميثم هذا قاتلى لا محالة، فقال: ومتى يكون ذلک يا سيدى ؟ فقال (ع): (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (۱) وإذا نزل القضاء فلا مردله، وكفى بالاجل حارسا، ثم استرجع وحولق وذكر رسول الله (ص) وقال:

---

(۱) سورة الرعد، الآية: ۳۶. (*)

[ما لانسان من الموت نجا ❊ كل امرء لا بد يأتيه الفنا] [تبارک الله وسبحانه ❊ لکل شئ آخر وانتها] [يقدر الانسان فى نفسه ❊ شيئا ويأباه عليه القضا] [لا تأمن الايام فى مكرها ❊ لكل شئ مدة وانقضا] [فبينما الانسان فى غفلة ❊ يمشى وقد حل عليه القضا] قال الراوى: وانصرف الملعون، فبقى شبيب بن بحرة التميمى، فقال له: هل لک فى المعونة على قتل على بن أبى طالب لنحوز من الله الثواب ؟ فقال له شبيب: ويلک وأنى لک بذلک ؟ فقال: نكمن له فى بعض صلاته ونضربه ضربة رجل واحد، فإن نحن قتلناه شفينا غل صدورنا منه، وإن كانت الاخرى كنا كمن مضى من قبلنا من أهل الخير والصلاح، فقال له: قد عرفت بلاءه فى الاسلام وسابقته مع ابن عمه رسول الله، وما أجد نفسى تجيبنى إلى ذلک أبدا. فما زال به حتى أجابه، قال: فأخبر قطام بذلک، فبعثت إلى بعض أقاربها فدعته إلى مساعدة ابن ملجم، فغدوا جميعا إلى الاشعث بن قيس، وأبدوا إليه ما فى نفوسهم من العزيمة على قتل أمير المؤمنين، فواطأهم على ذلک، فلما كانت الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان، أتى (ع) بعد أن صلى المغرب وما شاء من النفل ليفطر، وكان سلام الله عليه يتعشى ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبد الله بن جعفر، ولا يزيد على ثلاث لقم، وكان يقول: أرجو أن ألقى الله وأنا خميص الحشى، فقدمت إليه ابنته أم كلثوم قرصين من شعير وقصعة فيها لبن وجريش ملح، فقال (ع): قدمت إلى أدامين فى طبق واحد، وقد علمت أننى متبعا ما كان يصنع ابن عمى رسول الله، ما قدم إليه أدامان على طبق واحد حتى قبضه الله إليه مكرما، ارفعى أحدهما فإن من طاب مطعمه ومشربه طال وقوفه بين يدى الله يوم القيامة، ثم أكل قليلا وحمد الله كثيرا وأخذ فى الصلاة والدعاء إلى أن غفت عيناه، فاستيقظ وقال: رأيت النبى فشكوت إليه ما أنا فيه من التبلد بهذه

الامة، فقال لى: ادع عليهم فإن الله تعالى لا يرد دعائک، فقلت: أللهم أبدلنى بهم خيرا، وأبدلهم بى شرا. ثم إنه (ع) أسبغ الوضوء، وأخذه الفكر مما لحقه من التعب فى طلب إصلاح هذه الامة وما قصدوه به من الاذية، فخرج يسعى. قال إسماعيل بن عبد الله الضلعى: بت قريبا من الحيرة، فلما جننى الليل وإذا أنا برجل قد أقبل، فاستتر برابية، ثم صف قدميه فأطال فى المناجاة، وكان فيما قال: أللهم إنى سرت فيهم بما أمرنى رسولک وصفيک المرسل فظلمونى، وقاتلت المنافقين كما أمرنى فجهلونى، وقد مللتهم وملونى، وبغضتهم وبغضونى، فلم يبق لى خلة انتظرها إلا المرادى، أللهم فاجعل له الشقاء، وتغمدنى بالسعادة، إنه قد وعدنى نبيک إذا سألتک أللهم [فإنه لن يرد دعائى] وقد رغبت إليک فى ذلک. ثم مضى فقفوت خلفه حتى دخل منزله، فإذا هو على بن أبى طالب. ولما أخذ مضجعه بعد أن صلى العشاء الآخرة، رأى النبى محمدا (ص) وهو يقول له: يا أبا الحسن إنى إليک مشتاق، وإن الله سيلحقک بنا عن قريب وعند الله خير وأبقى، ثم انه انتبه (ع) وجميع أولاده وأهل بيته وعشيرته، فأخبرهم ونعاهم نفسه، فأخذوا فى البكاء والنحيب، فنهاهم عن ذلک وجعل يوصيهم بفعل الخير واجتناب السوء، ثم تفرقوا واشتغل بالصلاة والدعاء والتلاوة، ثم يخرج تارة إلى خارج الدار ينظر فى الكواكب والعلامات لما أخذه من القلق والارق، ويكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، أللهم بارک لى فى الموت وما بعد الموت، أللهم بارک لى يوم ألقاک، والله ما كذبت ولا كذبت وإنها الليلة التى وعدت فيها. ثم نعس قليلا واستيقظ وأسبغ الوضوء، ونزل وكان فى الدار إوز أهدى

للحسن والحسين (ع)، فلما صار فى صحن الدار تصارخن فى وجهه فقال: لا إله إلا الله صوائح تتبعها نوائح من نسوة صوارخ، فسمع ذلک الحسن، فقال: وما ذاک يا أبتاه، قال: يا بنى إن

قلبى يحدثنى أنى مقتول لا محالة، قال لابنته أم كلثوم بحقى عليک إلا ما أطلقت هذا الاوز يأكل من حشائش البر، ولا تحبسى من لا له لسان ولا يقدر على الكلام، وأطعميه وخلى سبيله، ثم مد يده إلى الباب ليفتحه فانحل مئزره فشده شدا وثيقا وقال: [أشدد حيازيمک للموت ❊ فإن الموت لا قيكا] [ولا تجزع من الموت ❊ إذا حل بواديكا] [ولا تغتر بالدهر ❊ وإن كان يواتيكا] [فكم رفع أقواما ❊ وقد كانوا صعاليكا] [كما أضحكک الدهر ❊ كذاک الدهر يبكيكا] قالت أم كلثوم: كنت أمشى خلف أبى، فلما سمعت ذلک منه قلت: واغوثاه يا أبتاه مالى أراک يا قرة عينى تنعى نفسک، فأخذت فى البكاء فوقف عندى وجعل يعزينى على نفسه وهو يبكى، ثم خرج فأعلمت أخوى الحسن والحسين وقلت لهما: إن أبانا قد تنكر حاله فى هذه الليلة، فأخبرتهما بما جرى فأدركاه، فقال له الحسن: مالک يا أبتاه خرجت فى هذه الساعة ؟ فقال (ع): لاجل رؤيا أفزعتنى، فقال الحسن: وما هى يا أبتاه ؟ فقال: رأيت كأن أخى جبرائيل نزل من السماء على جبل أبى قبيس، فتناول منه حجرين ومضى بهما إلى مكة، فضرب بأحدهما الآخر فصارا رمادا فذراهما فى الهواء، فلم يبق بمكة ولا بالمدينة ولا بلد من بلاد الاسلام بيت إلا دخله من ذلک الرماد شيئا. فقال الحسن: وما تأويل ذلک يا سيدى ؟ قال: يا بنى إن صدقت رؤيا أبيک فإنه مقتول، ولم يبق بيت من بيوت الاسلام إلا دخله من ذلک هم وحزن، فقال الحسن: ومتى يكون ذلک يا أبتاه ؟ فقال: إن الله تفرد بخمسة أشياء لم يطلع عليها نبى ولا وصى نبى وهو قوله تعالى: (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما

تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير) (۱) قال: فأردنا أن نصحبه إلى مصلاه فأبى، وقال: بحقى عليكما إلا ما رجعتما إلى منزلكما، قال: فأتينا البيت، وإذا بأختى أم كلثوم خلف الباب، فجلسنا معهما نبكى وقد مضى وحده. قال عبد الله بن محمد الازدى: كنت أصلى فى المسجد الاعظم تلک الليلة، وهى الليلة التاسعة عشر من شهر رمضان مع رجال من أهل مصر كانوا يصلون ذلک الشهر من أوله إلى آخره، إذ نظرت إلى رجل قريب من السدة، فأقبل أمير المؤمنين (ع) وهو ينادى الصلاة الصلاة يرحمكم الله تعالى، قال حجر بن عدى: وسمعت الاشعث بن قيس يقول: النجاة النجاة لحاجتک فقد فضحک الصبح، فعلمت ما أراد، وخرجت لاخبر أمير المؤمنين، فإذا هو قد خرج وسبقنى إلى الجامع. قال عبد الله الازدى: فما رأيت إلا بريق السيوف وقائلا يقول: الحكم لله لا لک ولا لاصحابک يا على وشد عليه شبيب وضربه فأخطأه، وشد عليه ابن ملجم فضربه على مفرق رأسه فشقه نصفين، فخر

يخور فى دمه وهو يقول: فزت ورب الكعبة. شعر للمؤلف: [طلى شيبه قان من الحلم رشده ❊ تؤم هداة المتقين زواهره] [فديت دماء بالعلوم مسيلها ❊ أحالت وجوها للمدارس ناظرة] [فمن مبلغا عنى الرسول معزيا ❊ بأن أهاضيب الشريعة هابرة] [ومن مبلغا يا شمس دارة فخرها ❊ لقد أصبحت تلك المعالم دائرة] [وإن عيون المجد إذ فجعت به ❊ تسح أماقيها من الثكل هامرة] [وها معصرات الورق تبدى حنينها ❊ تطارح مسجور الحشاشة شاعرة] قال عبد الله الازدى: وهرب الثالث الذى كان معهما، وسمعت

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤. (❊)

أمير المؤمنين (ع) يقول: لا يفوتكم الرجل، ولزم رأسه الشريف بيده وهو يقول: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله. وغشى عليه من انبعاث الدم على لحيته ووجهه، وقد صبغ جميع أثوابه وبدنه حتى احمرت الارض، وسمع الناس نعى جبرائيل يقول: تهدمت والله أركان الهدى، وانطمست أعلام التقى، وانفصمت العروة الوثقى، قتل والله على المرتضى، قتل الوصى المجتبى، قتل خاتم الاوصياء، قتله أشقى الاشقياء. فقامت أم كلثوم لاطمة خدها صارخة وا أبتاه وا علياه وا أماه وا فاطماه، فأخذت الناس الدهشة وهم لا يعلمون وإلى أين يذهبون حتى أحاطوا به (ع)، واختلطت النساء بالرجال، وهبت ريح سوداء مظلمة، والملائكة تنعاه فى السماء. وأقبل الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وبقية أولاده فوجدوه مشقوق الرأس، وقد علته الصفرة من انبعاث الدم وشدة السم، والناس من حوله فى النياحة والعويل والبكاء المحرق للاكباد، فأخذ الحسن رأسه ووضعه فى حجره، فأفاق وقال: هذا ما وعد الله ورسوله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ثم نظر إلى أولاده فرآهم تكاد أنفسهم تزهق من النوح والبكاء، فجرت دموعه على خديه ممزوجة بدمه، قال (ع): أتبكيا على ؟ ابكيا كثيرا واضحكا قليلا، أما أنت يا أبا محمد ستقتل مسموما مظلوما مضطهدا، وأما أنت يا أبا عبد الله فشهيد هذه الامة وسوف تذبح ذبح الشاة من قفاك، وترض أعضاك بحوافر الخيل، ويطاف برأسك فى مماليک بنى أمية وحريم رسول الله تسبى، وإن لى ولهم موقفا يوم القيامة. فقال الحسن: من فعل بک هذا الفعل يا مولاى ؟ فقال: فعله ابن ملجم المرادى وسوف يطلع عليكم الساعة من هذا الباب، وأشار بيده إلى باب كندة على يد رجل محب لنا أهل البيت، فاشتغل الناس بالنظر إلى باب كندة على يد رجل محب لنا أهل البيت، فاشتغل الناس بالنظر إلى باب كندة وقد غص بهم الجامع وهم بين باک وباكية، فبينما هم كذلک وإذا هم برجال قد دخلوا بابن ملجم اللعين مكشوف الرأس، وحذيفة

يذود الناس عنه وكل منهم يود [أن] يبرد غلة صدره، وأنى لهم الشفاء بعد قتل سيد الاوصياء، وكيف يبرد منهم الغليل وقد فقد من اهتز له عرش الجليل، لكنما الامر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله. [عجبا لمصقول أصابک حده * فى الرأس منک وقد علاه غبار] [لم لا تقطعت السيوف بأسرها * حزنا عليک وطنت الاوتار] قال: ثم انكب الحسن على وجه أبيه يقبله، ففتح عينيه وقال: رفقا بى ملائكة ربى، فقال الحسن: يا أبت هذا عدو الله قد أمكننا الله منه، فالتفت إليه وقال: يا عدو الله ألم أحسن إليک ؟ قال: بلى، قال: فما حملک على ذلک ؟ قال: إنى شحذته أربعين صباحا، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه. فقال الحسن لحذيفة: كيف ظفرت بعدو الله ؟ قال: كنت نائما وزوجتى إلى جانبى إذ سمعت نعى جبرائيل ينعى أمير المؤمنين أباک فى السماء، فأيقظتنى زوجتى وقالت لى: أنت نائم لا نامت عيناک وقد قتل أمير المؤمنين، فقلت مكذبا لها: فض الله فاک، قد ألقى الشيطان على سمعک ذلک، فقالت: والله ما أظن بيتا فى الكوفة إلا دخله صوت التعزية من السماء وترديد القول بالنعاء، فوهى فؤادى وتحدرت مدامعى، فظللت مبهوتا، وإذا الناعى ينعى أباک فى الازقة والطرقات، والناس لا تفيق من البكاء والنحيب فى كل جهة، فمددت يدى إلى قائم سيفى وسللته من غمده ونزلت حتى صرت فى الجادة، وإذا بعدو الله يطلب مهربا وقد انسدت عليه الطرق فى وجهه، فقلت: من أنت ؟ فتسمى لى بغير اسمه، فسألته عن الصيحة وقتل أمير المؤمنين، فقال: لا علم لى بذلک، قلت: هلا تجى معى نتحقق الخبر، قال: أنا ماض (لا) أمرأهم من ذلک، قلت: أظن أنک قاتله، فأراد أن يقول لا فقال نعم، فهممت عليه فراغ عنى، وإذا ببريق سيفه تحت ثيابه فتحققت أنه قاتل أمير المؤمنين، فعلوته بسيفى، فسقط إلى الارض، فوقعت عليه، فخرج من أهل الجادة من ساعدنى عليه وجئت به يا سيدى، فقال: الحمد لله الذى نصر وليه وخذل

عدوه، فابشر يا حذيفة بمغفرة ذنوبک، ولله در من قال: [قل لابن ملجم والاقدار غالبة * هدمت ويحک للاسلام أركانا] [قتلت أفضل من يمشى على قدم * وأحسن الناس إسلاما وإيمانا] [وأعلم الناس بالقرآن ثم بما * سن الرسول لنا علما وتبيانا] [صهر النبى ومولاه وناصره * أضحت مناقبه نورا وبرهانا] [وكان منه على رغم الحسود له * مكان هارون من موسى بن عمرانا] [ذكرت قاتله والدمع منحدر * فقلت سبحان رب العرش سبحانا] [قد كان يخبرنا (أن) سوف يخضبها * شر البرية أشقاها وقد كانا] قال: ولما حمل (ع) من مصلاه، والناس من حوله قد أشرفوا على الهلكة من شدة البكاء والنحيب، وبلغوا به منزله ومعهم ابن ملجم موثوقا، وأقبلت فضة أمة فاطمة الزهراء وبيدها حربة، فقالت: أموالى ذرونى أضرب عدوالله بهذه الحربة فأشفى بعض جوى صدرى، فقد أحرق فؤادى، وأقلق رقادى، وهيج حزنى، وأوهى ركنى، وأجرى دمعى، وهتک سترى، واجتث أصلى وفخرى، وانقضت عليه كالشهاب، فقال لها الحسن (ع): اصبرى يا أمة الله، وردها إلى الدار فقالت لابن ملجم: ويلک يا عدوالله أفجعتنا وجميع الاسلام، فمصيرک إلى النار، ولا بأس على سيدى فلقد قتل فى جنب الله واختنقت بعبرتها، فقال لها ابن ملجم: يا أمة الله ابكى على نفسک إن كنت باكية، فلقد سقيته السم حتى عذقه، ولو كانت هذه الضربة على من فى الارض لافنتهم جميعا. قال محمد بن الحنفية: لما طرحناه على فراشه أقبلت أم كلثوم وزينب وهما يندبانه ويقولان: من

للصغير حتى يكبر، ومن للكبير بين الملا، يا أبتاه حزننا عليک طويل وعبرتنا لا تبرح ولا ترقى. قال: فضج الناس من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب، وفاضت دموع أمير المؤمنين على خديه وهو يقلب طرفه وينظر إلى أهل بيته.

ص: ۶۰

قال الاصبغ بن نباته غدونا على أمير المؤمنين (ع) ونحن نفر من أصحابه، فسمعنا البكاء فى منزله، فبكيت حتى ارتفع صوتى بالبكاء، فخرج الحسن (ع) وقال: ألم أقل لكم انصرفوا، فقلت: لا والله يا ابن رسول الله، لا تحملنى رجلى أن أنصرف ولم أر سيدى ومولاى وبكيت، ودخل الحسن فلم يلبث أن خرج إلى فأدخلنى معه، فوجدته معصب الرأس بعمامة صفراء، فلم أشعر أن وجهه أشد صفرة من العمامة أو العمامة أشد صفرة منه، فنظرته وأنا أبكى، فقال لى: لا تبكى يا أصبغ، إنها والله الجنة. فقلت: جعلت فداک يا سيدى إنما لفقدى إياک، ثم دعا بابنيه الحسن والحسين وفتح يده وضمهما إلى صدره وعيناه تهملان دموعا، ثم أغمى عليه ساعة طويلة وأفاق، وهكذا كان رسول الله (ص) لما غلب عليه السم السارى فى بدنه، فأتى له بقدح فيه لبن وعسل فشرب منه قليلا وقال: احملوه إلى أسيركم بحقى عليكم، طيبوا طعامه وشرابه، فقالوا: إنه قد أفجعنا فيک، فقال (ع): إنا أهل بيت لا نزداد على كثرة الاساءة لنا إلا إحسانا. قال حبيب بن عمر دخلت على أمير المؤمنين فحل لى عن جراحاته، فقلت: يا أمير المؤمنين ما جرحک هذا بشئ، وما عليک من بأس فقال (ع): إنى مفارقكم، فبكيت وبكت أم كلثوم، فقال لها: يا بنية لوترين ما يرى أبوک ما بكيت، فقلت: ما ترى يا أمير المؤمنين ؟ فقال: أرى يا حبيبتى ملائكة السماء وملائكة الارض صفوفا بعضهم فى اثر بعض يتلقونى، وأخى رسول الله جالس عندى يقول: فإن أمامک خير لک ولله در من قال: [عين تروم فراق شخصک ساعة ❊ كحلت بأميال العمى آماقها] [نفس للحظک لم تكن مشتاقة ❊ ضربت بأسياف العدى أعناقها] قيل وحضر عروة السلولى (۱) وكان أعرف أهل زمانه بالطب، فذبح شاة

---

(۱) وفى بعض الروايات: السكونى (المصحح). (❊)

ص: ۶۱

وأخرج من ريتها عرقا فأدخله فى جراحته ثم أخرجه، وإذا عليه بياض الدماغ، فقال الطبيب بعد ان استعبر وبكى: أعهد عهدک يا أمير المؤمنين فإن الضربة وصلت إلى الدماغ. قال محمد بن الحنفية، فبينما نحن ليلة عشرين من شهر رمضان عند أبى على (ع) وقد سرى السم فى جميع بدنه الشريف، وكان تلک الليلة يصلى من جلوس وهو يعزينا على نفسه ويوصينا بما هو أهله من أفعال الخيرات واجتناب الشرور، ويكثر من ذكر الله تعالى وقول لا حول

ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فلما أصبحنا أقبل الناس يعودونه ويسلمون عليه فيرد عليهم وهو يقول: سلونى قبل أن تفقدونى، قال الحسن (ع) فقلت سلوه قبل أن تفقدوه وخففوا سؤالكم عنه، فما زالوا يسألونه عما يريدون وهو (ع) يجيبهم ويعلمهم كثيرا من الاحكام، ويبين لهم من مسائل أصول الدين والاسلام، ويوعظهم بما يزجرهم من ارتكاب الآثام، قال: وكان ابن عباس حاضرا عنده، قال: وفى نفسى أن أسأله عن سبعين مسألة وأنا مشفق عليه لما أرى ما به، فما شعرت به إلا وقد قال لى: يا ابن العم عندک مسائل تريد أن تسألنى عنها ؟ قلت: نعم، فاحتوى على ما فى نفسى، وشرح لى عن كل مسألة مسألة، ثم قال: اثنوا لى الوسادة فثنيت له، فقال: الحمد لله قدره متبعين أمره كما أحب، ولا إله إلا الله الواحد، الاحد، الفرد، الصمد كما انتسب. أيها الناس كل امرء لاق لاق ما يفر منه فى فراره، الاجل مساق النفس والهرب منه موافاته، كم اطردت الايام أبحثها عن مكنون هذا الامر، فأبى الله إلا اخفاءه. هيهات: علم مكنون. أما وصيتى فالله لا تشركوا به شيئا، ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذم ما لم تشردوا. وحمل كل امرئ منكم مجهوده، وخفف عن الجهلة. رب رحيم وإمام دين عليم قويم، أنا بالامس صاحبكم وأنا اليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم غفر الله لى

ص: ۶۲

ولكم، إن تثبت الوطأة فى هذه المزلة فذاک، وإن تدحض القدم فانا كنا فى أفياء أغصان ومهاب رياح، وتحت ظل غمام اضمحل فى الجو متلفقها، وعفا فى الارض مخطها، وإنما كنت جارا جاوركم بدنى أياما، وستعقبون منى جثة خلاء ساكنة بعد حراک وصامتة بعد نطق، ليعظكم هدوى، وخفوت إطراقى وسكون أطرافى فإنه أوعظ امرى من النطق البليغ والقول المسموع، وداعى لكم وداع مرصد للتلاقى ! غدا ترون أيامى ويكشف لكم عن سرائرى وتعرفونى بعد خلو مكانى وقيام غيرى مقامى، فإن أبقى فأنا ولى دمى، وإن أفنى فالفناء ميعادى، العفو لى قربة ولكم حسنة فاعفوا واصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟ فيا لها حسرة على كل ذى غفلة ان يكن عمره عليه حجة أو توديه إلى النار شقوة، جعلنا الله وإياكم ممن لا تقتصر به عن طاعة الله رغبة أو تحل به بعد الموت نقمة، فإنما نحن له وبه، ثم أقبل علينا يوصينا، وقال: يا حسن ضربة مكان ضربة ولا تأثم. وجاء جماعة من اليهود وأستأذنوا عليه فى تلک الساعة فأذن لهم، فدخلوا عليه وأسلموا على يديه، وأخبرهم عن كثير من الاحكام، ثم سألوا عن سبب إسلامهم قالوا: نعم رأينا الساعة المياه قد تكدرت والهواء قد سكن، والجو قد اسود، والبهائم قد صفت آذانها، والسحاب قد أقبل على داره، والطير قد رفرف على بيته، فعلمنا أنه وصى نبى، وذلک مكتوب فى التوراة. ثم قال: (ع): أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخيرته، اختاره لعلمه وارتضاه لخلقه، وأن الله باعث من فى القبور، وسائل الناس من أعمالهم، عالما بما فى الصدور، أوصيک يا حسن وكفى بک وصيا بما أوصانى به جدک رسول الله، فإذا كان ذلک يا بنى فالزم بيتک وابک على خطيئتک، ولا تكن الدنيا أكبر همک، وأوصيک بالصلاة عند وقتها، والزكاة عند محلها، والصمت عند الشبهة، والاقتصاد فى العطاء، والعدل فى الرضى والغضب، وحسن الجوار، وإكرام الضيف،

ورحمة المجهود، وحب المساكين، ومجالستهم، والتواضع لهم، فإنه من أفضل العبادات وقصر الامل، وذكر الموت والزهد فى الدنيا، فإنک رهين موت، وغرض بلاء، وطريح سقم، وأوصيک يا بنى بخشبة الله فى سرک وعلانيتک، وإياک ومواطن التهمة، والمجلس المظنون به السوء، فإن قرين السوء فى جليسه، وكن لله يا بنى ذاكرا، ولنعمائه شاكرا، وللبلاء صابرا، وعن المنكر ناهيا، بالمعروف آمرا، ودار الفاسق لدينک، وأبغضه بقلبک، وزايله بأعمالک، لئلا تكون مثله، وإياک والجلوس فى الطرقات، ودع المماراة ومجاراة من لا عقل له، واقصد يا بنى فى مشيتک واقتصد فى معيشتک، والزم الصمت تسلم، وقدم لنفسک تغنم، وتعلم الخير، وكن لله ذاكرا على كل حال، وارحم من أهلک الصغير، ووقر الكبير، ولا تأكل طعاما حتى تتصدق منه قبل أكله، وعليک بالصوم، فإنه زكاة البدن، وجنة لاهله من النار، واحذر جليسک واجتنب عدوک، وعليک بمجالسة أهل الذكر، وأكثر من الدعاء وخالط الناس مخالطة إن مت بكوا عليک، وإن غبت عنهم اشتاقوا إليک، فإنى إليک يا بنى ناصحا، وهذا فراق بينى وبينک، وأوصيک بأخيک محمدا خيرا، فإنه ابن أبيک، وأنت تعلم حبى له، وأما أخوک الحسين فلا أزيدک الوصاة فى حقه، والله خليفتى عليكم، وإياه أسأل أن يصلحكم وأن يكف بأس الطغاة البغاة عنكم، والصبر الصبر حتى ينزل الامر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. ثم قال: يا حسن إذا مت فغسلنى وحنطنى ببقية حنوط جدک رسول الله وأمک، فإنه من كافور الجنة جاء به جبرائيل يوم مات رسول الله، ولا تغال فى كفنى، ثم ضعنى على السرير، ولا يحمل أحد منكم مقدمه، فإذا رأيتم مقدمه قد ارتفع فارفعوا أنتم مؤخره، فإن الله عزوجل يأمر جبرائيل وميكائيل [أن] يرفعونه، فإذا وضع المقدم فضعوا أنتم مؤخره فإنه موضع قبرى، ثم تقدم يا حسن وصل على وكبر سبعا، واعلم أنه لا يجوز إلا على ورجل يخرج فى آخر

الزمان اسمه القائم المهدى من ولد أخيک الحسين، ثم زحزحوا السرير واكشفوا التراب عنه، فإنكم ترون لحدا محفورا وساجة منقورة، فإذا وضعتمونى [فى] قبرى واشرجتموه فعد إلى النظر، فإنک لا تجدنى فإنى ألحق بجدک رسول الله فاجتمع به، فإنه مامن نبى يموت ولو كان بالمغرب وبموت وصيه بالمشرق إلا ويجمع الله بين روحيهما وجسديهما، ثم يفترقان كل واحد إلى تربته التى أعدت له. ثم قال: يا أبا محمد ويا أبا عبد الله، كأنى بكما وقد خرجت عليكما الفتن من ها هنا وها هنا، فاصبرا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. ثم قال: أما أنت يا أبا محمد ستقتل مسموما مضطهدا، وأما أنت يا أبا عبد الله فشهيد هذه الامة، فعليک بتقوى الله والصبر الجميل. ثم نادى أولاده واحدا بعد واحد، إناثا وذكورا، صغيرا وكبيرا، وأوصاهم بطاعة الله وطاعة أخويهم الحسن والحسين (ع) وشفتاه تختلجان بذكر الله تعالى، وجبينه يرشح عرقا وهو ينشفه بيده، فقال له ابنه الحسن، يا أبه أراک تمسح جبينک، فقال:

سمعت جدک رسول الله يقول: إن المؤمن إذا نزل به الموت عرق جبينه وسكن أنينه. ثم أدار عينيه فى أولاده وأهل بيته واحدا بعد واحد وهو يقول: أستودعكم الله، حفظكم الله، وهو خليفتى عليكم وكفى به خليفة. ثم قال: (لمثل هذا فليعمل العاملون) (١) ثم مد يديه ورجليه وغمض عينيه، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم قضى نحبه صلوات الله وسلامه عليه، فأقاموا عزاءه، وارتفعت الاصوات بالنياحة والعويل من أهل بيته ونسائه وهن حاسرات، وخرجت نساء بنى هاشم، مشققات الجيوب، ناشرات الشعور، لاطمات الخدود، وارتجت الكوفة بالنياحة والعويل، ودهش الناس وصار كأنه اليوم ❊ (هامش ص ۶۴) (١) سورة الصافات، الآية: ۶١. ❊

ص: ۶۵

الذى مات فيه رسول الله، وأقبل الناس من كل فج، وأخذتهم الرجفة والزلزلة، وأظلمت الدنيا، واغبر الافق، وكسفت الشمس، وما قلب فى ذلک اليوم حجر إلا وجد تحته دم عبيط، وكثر النوح من تحت الارض من الجن، وسمع الناس جبرائيل مع الملائكة ينعونه فى السماء وقائلا يسمع صوته ولا يرى شخصه يقول: [بنفسى ومالى ثم أهلى وأسرنى ❊ فداء لمن أضحى قتيل ابن ملجم] [على أمير المؤمنين ومن بكت ❊ لمقتله البطحاء وأكناف زمزم] [وظل له أفق السماء كأنه ❊ شقيقة ثوب لونها لون عندم] [وناحت عليه الجن إذا فجعت به ❊ حنينا كثكلى نوحها بترنم] [تكاد الصفا والمروتان كلاهما ❊ يهدا وبان النقص فى ماء زمزم] [لفقد على خير من وطأ الثرى ❊ أخى المصطفى الهادى النبى المكرم] قال وعن رزين قال: كنت بالرحبة فسمعت غلاما يقول: مات أمير المؤمنين (ع) ورب الكعبة، قال: فقمت إليه وضربته وقلت له: ما تريد من المصالح، قال: كنت أرعى الاغنام منذ خمسين سنة، وكانت الذئاب تقع فيها فتدفع عن نفسها، وأرى هذه الساعة الرعاة يضجعون من كل ناحية وما ذاک إلا فقد إمام عادل. قال: فرحلت راحلتى ودخلت الكوفة فجرا وإذا الناس يضجون من كل ناحية مات أمير المؤمنين وسيد الوصيين ولله در من قال: [عليک أمير المؤمنين تأسفى ❊ وحزنى وإن طال الزمان طويل] [جللت فجل الرزء فيک على الورى ❊ كذا كل رزء للجليل جليل] [مصاب أصيب الدين منه بفادح ❊ تكاد له شم الجبال تزول] [فليس بمجد فيک وجدى ولا البكا ❊ مفيد ولا الصبر الجميل جميل] [وإن سئم الباكون فيک بكائهم ❊ ملالا فإنى للبكاء مطيل] [فما خف من حزنى عليک تفجعى ❊ ولا جف من دمعى عليک مسيل] [وينكر دمعى فيک من باب قلبه ❊ خليا وما دمع الخلى هطول]

ص: ۶۶

[وماهى إلا فيک نفس نفيسة ❊ يحللها حر الاسى فتسيل] [تباين فيک القائلون فمعجب ❊ كثير وذو حزن عليک قليل] [فأجر بنى الدنيا عليک لشأنهم ❊ دنى وأجر المخلصين جزيل] [عليک سلام الله ما اتضح

الضحى * وما عاقبت شمس الاصيل أفول] قال محمد بن الحنفية: ثم أخذنا فى جهاز أبى ليلا، وهى الليلة الحادية والعشرون من شهر رمضان. قال: وكان الحسن (ع) يغسله، والحسين (ع) يصبب الماء عليه، وأخرجت زينب الحنوط الذى أوصى به، فشمل أهل الكوفة ريحه، لانه كان من كافور الجنة، ثم لفوه فى خمسة أثواب، ثم وضعوه على السرير، ودخل عليه رجل أزهرى اللون وانتحب وبكى برفيع صوته ودمعه كالسيل الجارى، وقال: السلام عليک يا أمير المؤمنين، السلام عليک يا سيد الوصيين، السلام عليک يا وصى خاتم الوصيين، انفصمت بک والله خلافة الانبياء فرحمک الله يا أبا الحسن، وكنت أول القوم إسلاما، وأخلصهم إيمانا، وأشدهم يقينا، وأخوفهم لله، وأعظمهم عند الله بلاء، وأحفظهم ميثاقا، وأكرمهم سوابقا، وأرفعهم درجة، وأشرفهم منزلة ومحلا، فجزاک الله عنا وعن الاسلام خير الجزاء، برزت به إذا تأخروا ونهضت به إذا وهنوا، ولزمت منهاج ابن عمک رسول الله (ص)، كنت له خليفة حقا، لم تنازع فيها، ولم تعجل على المنافقين الذين تعدوا عليک فى أخذها، صبرت على كظم الغيظ، وكثرة الحاسدين وضغن، الفاسقين، قمت بالامر حين فشلوا، ومضيت بنور الله إذ وقفوا، كنت أحفظهم صوتا، وأعلاهم فضلا، وأقلهم كلاما، وأصوبهم منطقا، وأحسنهم رأيا، وأشجعهم قلبا، وأحسنهم عملا، وأعرفهم للامور، كنت والله للدين يعسوبا حين تفرق الناس، كنت للمؤمنين أبا رحيما إذ صاروا عليک عيالا، وحملت أثقالهم حتى قضيت نحبک مأجورا، وحفظت إذ ضاعوا، كنت للكافرين عذابا صبا والمؤمنين غيثا وخصبا، حضيت والله

ص: ۶۷

بنعمائها، وفزت بحبورها، لم تهلک الصفوف، ولم تكثرت بالالوف، ولم يزغ قلبک، ولم تضعف بصيرتک، كنت ولم تجبن نفسک كالجبل العظيم الذى لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف، كنت كما قال ابن عمک رسول الله ضعيفا فى بدنک، قويا فى ذات الله، متواضعا فى نفسک، عظيما عند الله ورسوله، جليل عند المؤمنين، لم يكن لاحد فيک مهمز، ولا لقائل فيک مغمز، ولا لاحد عندک هوادة الضعيف، والقوى عندک واحد، والقريب والبعيد عندک سواء فى العطاء، تأخذ للضعيف من القوى، ولا تأخذک فى الله لومة لائم، وقولک حق، وأمرک حتم، ورأيک علم، فانقرضت وقد أوضح بک السبل، وأطفئت بک النيران، واعتدل بک الدين، وقوى بک الاسلام، فجللت عين من لا يبكى عليک، وقد عظمت رزيتک فى السماوات والارض، وقد هدت مصيبتک جميع الاسلام وجميع الانام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه وسلمنا إليه أمره، فوالله لن يصاب الاسلام بمثل مصيبتهم بک، كنت لهم كهفا حصينا، وعلى الكافرين غيظا، فألحقک الله بنبيه، ولا حرمنا الله أجرک، ولا أضلنا بعدک. وكان الناس كلهم يبكون لما يسمعون من كلامه، ثم انتحب باكيا ثم انتحب باكيا وانكب عليه يقبله والناس مما عاينوه منه سكارى كأنهم سقوا خمرا، ثم غاب ولم يعلمه، فسألوا الحسن (ع) وهو يبكى، فقال: هذا أخوه الخضر، ثم تأوه (ع) وقال: لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون، وا انقطاع ظهراه وا أبتاه وا علياه وا فاطماه وا محمداه من أجلكم تعلمنا البكاء، فإلى الله المشتكى وهو المستعان على الامور كلها. ثم ارتفع مقدم السرير، فرفع الحسن والحسين (ع) مؤخره ونحن نسمع تسبيحا، وتقديسا، وتكبيرا، وتهليلا من أعلى الهواء، وقائلا يقول: أحسن الله لكم العزاء فى سيدكم حجة الله، وأعظم لكم الاجر وجزاكم أحسن الجزاء، والصوت يردد هذه التعزية على هذه الصفة وخرجن نساء أهل الكوفة

ص: ۶۸

وهن بحالة تصدع القلوب القاسية بالندب والبكاء فردهن الحسن (ع)، وان الحيطان والجدران والنخيل والاشجار لتنحنى على سريره إجلالا له وشوقا، حتى إذا بلغوا به الغرى فوضع المقدم فوضعوا المؤخر، ثم تقدم الحسن وصلى عليه كما أمره، وكشفوا التراب وإذا بقبر محفور ولحد مشقوق وساجة منقورة مكتوب عليها بخط حسن: (هذا قبر ادخره نوح النبى للعبد الصالح والميزان الراجح والصراط الواضح والعلم اللائح والزناد القادح، سراج الامة والكاشف عن وجه رسول الله (ص) الغمة، إمام المشارق والمغارب على بن أبى طالب (ع). ثم سمعوا هاتفا يقول: انزلوا الجسد الطاهر فى التربة الطاهرة، فلقد اشتاق الاب إلى ولده، والحبيب إلى حبيبه. فألحده الحسن (ع) وخرج من قبره، فوقف عليه صاحبه صعصعة بن صوحان العبدى وأرسل دموعه كالسيل الجارى وهو يقول: هنيئا لک يا أبا الحسن بهذه الشهادة وهذه التربة، فلقد طبت وطاب مولدک فطيب الله بک التراب، وقد عظم صبرک، وارتفع قدرک وجاهک، وربحت تجارتک، ولحقت بدرجة ابن عمک محمد المصطفى (ص)، وشربت بكأسه الاوفى، فلقد من الله علينا بک، وباقتفاء أثرک، والعمل بسيرتک، وبموالاتک، ومعاداة عدوک، فنسأل الله أن يحشرنا فى زمرتک، فلقد نلت من الشرف ما لم ينله أحدا، وأدركت ما لم يدركه مجتهد، ولقد جاهدت الفجار والكفار بين يدى رسول الله (ص) حتى أقيمت بک السنن، وارتفعت بک الفتن، واستقام بک الاسلام، وانتظم من أجلک الايمان، فكم قصم الله بک من جبار عنيد وذى بأس شديد، وكم هدم بک من حصون الكفر والضلال، فهنيئا لک لک يا أمير المؤمنين، كنت أقرب الناس إلى رسول الله نسبا، وأولهم سلما، وأكثرهم علما، وأسخاهم كفا، وأعدلهم قسما، وأقربهم جاها، فعليک السلام ورحمة الله وبركاته. فبكى وأبكى جميع من حضر، ثم أشرجوا عليه اللبن، وأهالوا عليه

ص: ۶۹

التراب، وسويت الارض، ثم رفعوا لبنة من قبره من عند الرأس الشريف، ونظروا فإذا ليس فى القبر أحد والهاتف يقول: كان عبدا صالحا فألحقه الله بنبيه محمد (ص)، وكذلک يفعل بالانبياء، حتى لو أن نبيا مات بالمشرق والوصى بالمغرب لالحق الله النبى بالوصى. ولله در من قال: [آه لها من حسرة لا تنقضى ❊ طول الزمان وعبرة لا تنفذ] [بالله يا حادى السرى سحرا إذا ❊ وافاک ربع للوصى ومعهد] [فاقبل وقبل بالجفون ترابه ❊ فترابه لقذى النواظر أئمد] [وقل السلام عليک يا من عنده ❊ يهبط أملاک السماء ويصعد] قال ورجع الحسن والحسين ومن معهما من خواصهما وأهل بيتهما، مروا على مكان خرب من الكوفة، فسمعوا أنينا، فقفوا أثره، فإذا به رجل قد توسد لبنة وهو يحن حنين الثكلى الوالهة، فوقف عنده الحسن والحسين وسألاه عن حاله، فقال: إنى رجل غريب لاأهل لى قد أعوزتنى المعيشة، وأتيت إلى هذه البلدة منذ سنة، وكل ليلة يأتينى شخص إذا هدأت العيون بما أقتات به من طعام وشراب، ويجلس معى يؤنسنى ويسلينى عما أنا فيه من الهم والحزن وقد فقدته منذ ثلاثة أيام، فقالا له (ع) وهما

يبكيان: صفه لنا، فقال: إنى مكفوف البصر ولا أبصره، فقالا: ما اسمه ؟ قال: كنت أسأله عن اسمه فيقول: إنما أبتغى بذلک وجه الله والدار الآخرة، فقالا له: اسمعنا من حديثه، قال: دأبه التسبيح، والتقديس، والتكبير، والتهليل، وإن الاحجار والحيطان تجيب بإجابته، وتسبح بتسبيحه، وتكبر بتكبيره، وتهلل بتهليله، وتقدس بتقديسه، فقالا له: هذه صفات سيدنا ومولانا أمير المؤمنين (ع)، فقال الرجل الغريب: ما فعل الله به ؟، فقالا (ع) وهما يبكيان: قد أفجعنا فيه أشقى الاشقياء ابن ملجم المرادى، وها نحن راجعون من دفنه. فلما سمع ذلک منهما لم يتمالک دون أن رمى بنفسه على الارض وجعل يضرب برأسه الاشجار، ويحثو على رأسه التراب، ويصرخ صراخ المعولة الفاقدة، فأبكى

من كان حاضرا، ثم قال لهما: بالله ما اسمكما واسم أبيكما ؟ فقالا له: أبونا أمير المؤمنين (ع) على بن أبى طالب، وأنا الحسن، وهذا أخى الحسين، وهؤلاء بقية أولاده وأقربائه وجملة من أصحابه راجعين من دفنه، فقال: سألتكما بالله وبجدكما رسول الله وأبيكما ولى الله إلا ما عرجتما بى على قبره لاجدد به عهدا، فقد تنغص عيشى بقتله وتكدرت حياتى بعد فقده. فأخذه الحسن (ع) بيده اليمنى، والحسين (ع) بيده اليسرى، والناس من رائهما بالبكاء والعويل المقرح للاكباد، حتى أتوا إلى القبر المنور، فجثى عليه وجعل يمرغ نفسه عليه ويحثو التراب على رأسه، حتى غشى عليه وهم حوله يبكون، وقد أشرفوا على الهلاک من كثرة البكاء والنحيب، فلما أفاق من غشوته رفع كفيه إلى السماء وقال: أللهم إنى أسألک بحق من سكن هذه الحفرة المنورة أن تلحقنى به وتقبض روحى إليک، فإنى لا أقدر على فراقه ولا أستطيع التحمل لوجده واشتياقه، فاستجاب الله دعاؤه، فما وجدوه إلا مثل الخشبة الملقاة، فجهزوه، وقيل دفنوه بجنب أمير المؤمنين (ع): يا قبر سيدنا المجن سماحة * صلى عليک الله يا قبر فليعذبن سماح كفک فى التراب * وليورقن بجنبک الصخر والله لو بک لم أدع أحدا * إلا قتلت لفاتنى الوتر قال الراوى: قال حبيب بن عمر: لما رجع الحسن (ع) من دفن أبيه تلک الليلة وهى الليلة الحادية والعشرون من شهر رمضان، رقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على جده، ثم قال: أيها الناس إن فى هذه الليلة نزل القرآن، وفى هذه الليلة رفع عيسى ابن مريم (ع)، وفى هذه الليلة قتل يوشع بن نون، وفى هذه الليلة مات أبى أمير المؤمنين، إنه كان لا يسبقه أحد كان قبله من الاوصياء ولا بعده، وإنه كان رسول الله ليبعثه فى السرية فيقاتل جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، ومات ولم يورث بيضاء ولا صفراء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطاياه، كان

يجمعها ليشترى بها خادما لاهله، ثم خنقته العبرة وبكى. ثم نزل عن المنبر وصلى بأهله وخاصته صلاة الصبح، ثم جلس فى معزا أبيه، فأتت الناس إليه التعزية. ثم انه (ع) أمر بإحضار اللعين ابن ملجم، فلما مثل بين يديه قال للحسين: يا أبا محمد إنى ما أعطيت الله عهدا إلا وفيت به، وإنى عاهدت الله أن أقتل عليا ومعاوية أو أموت

دونهما، وقد قتلت أباک، فإن شئت خليت بينى وبين معاوية ولک الله على إن قتلته لآتينک حتى أضع يدى فى يدک. فقال الحسن: لا والله حتى تعاين النار. ثم قال للحسن: يا ابن رسول الله إنى أريد أن أسارک بكلمة، فأبى الحسن وقال: إنه يريد أن يكدم على أذنى، فقال الملعون: أى والله لو أمكننى منها لقلعتها من صماخها. ثم ترادوا فى القول كيف يقتلونه، فقال الحسن: أنا ماض فيه بما أوصانى به أبى ضربة بضربة ولا تأثم، فأنى سمعت رسول الله يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور. ثم أبركوه على ركبتيه وقام الحسن وضربه ضربة بالسيف شق بها رأسه، فانقلب عدو الله يخور فى دمه لا رحمه الله تعالى، وقيل استوهبت جثته أم الهيثم زوجة حذيفة بن اليمان وأحرقتها بالنار، وأما شبيب بن بحرة فلقيه رجل حين أصيب أمير المؤمنين (ع) وخرج من الجامع فصرعه وبرک عليه يريد قتله، فرأى الناس يقصدونه، فخشى أن يكونوا عليه، فخلاه حتى دخل منزله، فرآه ابن عم له يحل الحرير من صدره، فقال له: لعلک قتلت أمير المؤمنين، فأراد أن يقول: لا، فقال نعم، فقتله، وأما الثالث فلم يظفر به أحد، قيل وكانت قطام جالسة على روشن لها، فسمعت ضجيج الناس وقائلا يقول: قتل أمير المؤمنين، فصفقت كفيها فرحا، فأقلب الله عليها الروشن، فما وجدوها إلا كالرغيف المحترق وعجل الله بروحها إلى النار، وأما اللذان تعاقدا مع ابن ملجم على قتل على ومعاوية وابن العاص، فقد خاب أملهما وقتلا، أما ابن العاص فاستخلف على الصلاة تلک الليلة خارجة العامرى فظن عمرو التميمى أنه ابن العاص [فضربه فمات خارجه من

تلک الضربة] ثم قتل، وأما معاوية فأصابه البرک فى اليتيه ثم قتل. وسلم معاوية وفيه يقول ابن زيدون: [فليتها إذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بما شاءت من البشر] وكتب ابن العاص إلى معاوية بن أبى سفيان يخبره بقتل على وسلامته. فبلغه الكتاب وكان فى مجلسه ضرار بن ضمرة، فقال له: صف لى عليا يا ضرار – مظهرا للشماتة – فقال: اعفنى من ذلک، قال له معاوية: لا أعفيک، فقال ضرار: رحم الله أبا الحسن عليا، كان فينا كأحدنا، ينبئنا إذا استنبأناه ويجيبنا إذا سألناه، ويقربنا إذا أردناه، لا يغلق دوننا بابه، ولا يمنعنا حجابه، ونحن والله مع تقربه إلينا وقربة منا لا نكلمه هيبة منه، وكان إذا ابتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلا ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة عن لسانه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، كان والله غزير الدمعة، كثير الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، ويناجى ربه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب،، كان يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوى فى بطشه، ولا ييأس الضعيف من عدله. فقال معاوية وهو يبكى: زدنى يا ضرار: فقال ضرار: رحم الله أبا الحسن، كان طويل السهاد قليل الرقاد، يتلو كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار، فكيف بک يا معاوية لو رأيته فى محرابه وقد أرخى الليل سدوله وغابت نجومه، وهو قابض على لحيته يتململ تململ السليم، ويئن أنين السقيم، ويبكى بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غرى غيرى أبى تعرضتى أم إلى تشوقتى، هيهات هيهات قد طلقتک ثلاثا لا رجعة لى فيک، فعمرک قصير، وخطرک كبير، وعيشک حقير، ثم يقول: آه آه لبعد السفر، وقلة الزاد، ووحشة الطريق، وعظم السرى. فبكى معاوية وجلساؤه، ثم قال: يا ضرار كان والله أبو الحسن كذلک وأكثر، ثم قال معاوية: رحمک الله يا أبا الحسن، كنت عفيا عمن جنى

ص: ٧٣

عليک، حليما بما سطى عليک، رقيق القلب، فكيف صبرک عنه يا ضرار ؟ فقال: صبرى والله صبر من ذبح ولدها الواحد فى حجرها بعد كبرها، فهى لا ترقى لها عبرة، ولا تبل لها حسرة، ولا تبرد لها زفرة. ثم قال: معاوية لاصحابه: أما إنكم لو فقدتمونى ما كان فيكم من يثنى على مثلما يثنى هذا على صاحبه على، فقال له بعضهم: الصاحب على قدر صاحبه. وشوهدت أم شيبان المذحجية بحضرة معاوية بهذه الابيات تقول: [لما ملكت أبا الحسين فلم تزل ❊ بالحق تعرف هاديا مهديا] [فاذهب عليک صلاة ربک ما دعت ❊ فوق الاراک حمامة قمريا] [قد كنت بعد محمد خلفا لنا ❊ أوصى إليک بنا وكان وفيا] [فاليوم لا خلف نؤمل بعده ❊ هيهات نأمل بعده انسيا] قيل وبعث معاوية إلى دارمية الحجونية، فلما حضرت عنده قال لها: أتدرين لم بعثت إليک ؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله تعالى، قال: بعثت إليک لاسألک عن حبک لعلى وبغضک إلى، واليتيه وعاديتنى، قالت: اعفنى، قال: لا أعفيک، قالت: إذا أبيت فإنى أحببت عليا على عدله فى الرعية، وقسمته بالسوية، وبغضتک على تقدمک على من هو أولى منک بالامر وطلبک ما ليس لک بحق، ووالیت عليا على ما عقده له رسول الله من الولاية، وعلى حبه المساكين وتعظيمه لاهل الدين، وعاديتک على سفكک الدماء، وجورک فى القضاء وحكمک فى الهوى. وروى أنه قدمت عليه سودة بنت معمر الهمدانية شاكية من عامله بشر بن أرطأة وقد جار فيهم، فقالت: يا معاوية إن معاوية إن عزلته عنا شكرناک أو إلى الله شكوناک، فقال معاوية: والله لاحملنک إليه على قتب الشوس فينفذ فيک حكمه، فأطرقت رأسها ساعة ثم رفعت رأسها باكية حزينة وهى تنشد وتقول: [صلى الآله على جسم تضمنه ❊ قبر فأصبح فيه العدل مدفونا] [قد حالف الحق لا يبغى به بدلا ❊ فصار بالحق والايمان مقرونا]

ص: ٧٤

ثم قال: يا سودة من هذا الذى قلت فيه هذين البيتين ؟ قالت: هو والله زوج البتول فاطمة بنت الرسول، هو والله أمير المؤمنين على بن أبى طالب، اعلم يا معاوية أنى جئته مثل مجيئى لک شاكية إليه من رجل ولاه علينا وجار فينا، فصادفته قائما يريد الصلاة، فعلم حين رآنى أنى شاكية، فأقبل على بوجه طلق ورحمة ورفق، وقال لى: ألک حاجة ؟ فقلت: نعم يا مولاى. فأخبرته، فبكى رحمة لى، ثم قال: أللهم إنک تعلم أنى لم آمره بظلم، ثم أخرج من جيبه قطعة جلد وكتب فيها (بسم الله الرحمن الرحيم، قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين) (١) فإذا قرأت كتابى هذا فاحفظ ما عندک وما بين يديک من عملک حتى يأتى من بقبضه منک والسلام. ثم دفع إلى الكتاب وانصرف عنا معزولا، فقال معاوية: اكتبوا لها ما تريد واصرفوها مكرمة غير شاكية. ورثاه أبو الأسود الدؤلى وقيل لغيره بهذه الابيات: [ألا يا عين ويحک فاسعدينا ❊ ألا فابكى أمير المؤمنينا] [وابكى خير من ركب المطايا ❊ وفارسها ومن

ركب السفينا] [ومن لبس النعال ومن حداها * ومن قرأ المثانى والمبينا] [ومن صام الهجير وقام ليلا * وناجى الله رب العالمينا] [إماما صادقا برا تقيا * فقيها قد حوى علما ودينا] [شجاعا أشوسا بطلا هماما * ومقداما لآساد العرينا] [زكيا سيدا قرما هزبرا * حميا أروعا بطلا بطينا] [مضى بعد النبى فدته نفسى * أبو حسن وخير الصالحينا] [إذا استقبلت وجه أبى حسين * رأيت البدر راع الناظرينا] (هامش ص ٧۴) (١) سورة الاعراف، الآية: ٨٥. *

ص: ٧۵

[وكنا قبل مقتله بخير * نرى المولى رسول الله فينا] [يقيم الدين لا يرتاب فيه * ويقضى بالفرائض مستبينا] [فلا والله لا أنسى عليا * وحسن صلاته فى الراكعينا] [فلا يفرح معاوية بن حرب * فلا قرت عيون الشامتينا] [وقل للشامتين بنا رويدا * سيلقى الشامتون كما لقينا] [أفى الشهر الحرام فجعتمونا * بخير الخلق طرا أجمعينا] [كأن الناس مذ فقدوا عليا * نعام جال فى بلد سنينا] [فلو إنا سألنا المال فيه * بذلنا المال فيه والبنينا] [فلا يفرح معاوية بن حرب * فإن بقية الخلفاء فينا] قيل ومن خواص تربته (ع) إسقاط عذاب القبر، وترک محاسبة منكر ونكير. وعن أبى عبد الله (ع) أنه قال: بين قبره والكوفة دار السلام محشر أرواح المؤمنين، وكأنى بأناس منهم على منابر من نور يتنعمون إلى يوم القيامة. وروى أنه (ع) خرج يوما إلى ظهر الغرى، وإذا برجال ومعهم جنازة، فسلموا عليه، فرد عليهم السلام، ثم قال لهم: من أين أقبلتم ؟ فقالوا: من اليمن، فقال: لمن هذه الجنازة ؟، فقال أحدهم: هذى جنازة والدى، وقد أوصانى أن أدفنه هنا، فقلنا: لماذا يا أبتاه وهو مكان شاسع ؟ فقال: إنه سيدفن بهذه الارض رجل يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر، ولا سبيل على هذه الارض لاجل من يقبر فيها، فقال (ع): أنا والله ذلک الرجل، فدفنوه وانصرفوا. ولله در من قال: [إذا مت فادفنى مجاور حيدر * أبا شبر أكرم به وشبير] [فتى لا يخاف النار من كان جاره * ولا يختشى من منكر ونكير]

ص: ٧۶

[جوار على فادفنونى فإنه * أميرى ومن حر الجحيم مجيرى] [أأظمأ وهو العذب فى كل مورد * وأظلم بين الناس وهو خفيرى] [فعار على حامى الحمى وهو فى الحمى * إذا ضل فى البيدا عقال بعيد] وعن الرضا (ع) قال: إن لكل إمام عهدا فى عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة فى زيارتهم وتصديقا لما رغبوا فيه كانوا أئمتهم وشفعائهم يوم القيامة. وعن الصادق (ع) أنه قال: من زار إماما مفترض الطاعة وصلى عند قبره أربع ركعات، كتب الله له حجة مبرورة وعمرة، ومن زار واحدا منا كان كمن زار رسول الله. وعنه أيضا أنه قال: من زار أمير المؤمنين ماشيا كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين. وقال (ع) وقد سأله ابنه الحسن يا أبت ما لمن زار قبرک بعد موتک ؟ قال: يا بنى من أتانى زائرا بعد موتى فله الجنة، ومن أتى أخاک زائرا فله الجنة، ومن أتاک زائرا بعد موتک فله الجنة. قال رسول الله (ص) للحسين: يا بنى تزوركم بعد موتكم

طائفة من أمتى يريدون بذلک برى وصلتى، فإذا كان يوم القيامة زرتها فى مواقفها وأخذت بأعضادها وأدخلتها الجنة، ثم قال لعلى (ع): لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها، وزواركم هم المخصوصون بشفاعتى يوم القيامة، فابشر وبشر محبيک، فإن لهم فى الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأن حثالة طائفة من الناس يعيرون زوار قبوركم كما تعير الزانية بزناها فى آخر الزمان، أولئک شرار أمتى يوم القيامة. وروى صفوان الجمال قال: كنت عند مولاى جعفر بن محمد الصادق، وكنا نسير إلى نجف الكوفة، فلما بلغنا إلى هذا المكان المعروف بالاكمة، قال لى: أنخ الناقة، فأنختها، فقام واغتسل، واحتفى، وتضرع، وقال لى:

ص: ٧٧

افعل كما فعلت، ثم قال لى: قصر خطاک فإن لک بكل خطوة مائة ألف حسنة، وتمحى عنک مائة ألف سيئة، وترفع لک مائة ألف درجة ويكتب لک ثواب كل شهيد وصديق مات أو قتل فى سبيل الله. ثم مشى ومشيت خلفه وعلينا السكينة والوقار، ونحن نسبح الله ونقدسه ونهلله، إلى أن بلغنا الاكمة، فوقف، فنظر يمنة ويسرة وخط بعكازه خطا وقال لى: اطلب فطلبت، وإذا أنا بأثر قبر فى الخط الذى خطه، فأرسل دموعه وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قال: السلام عليک أيها الوصى البر التقى، السلام عليک أيها النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون وعنه مسؤولون، السلام عليک أيها الصديق الشهيد، السلام عليک أيها الصديق الزكى، السلام عليک أيها الوصى، وصى رسول رب العالمين، السلام عليک يا خيرة الله من الخلق أجمعين، أشهد أنک حبيب الله وخاصته وخالصته، السلام عليک يا ولى الله، وموضع سره، وعيبة علمه، وخازن وحيه. ثم أنه (ع) انكب على القبر وبكى بكاء شديدا وقال: بأبى أنت وأمى يا أمير المؤمنين، بأبى أنت وأمى يا حجة الخصام، بأبى أنت وأمى يا باب الله والمقام، بأبى أنت وأمى يا نور الله التمام، أشهد أنک قد بلغت عن الله عزوجل ورسوله (ص) ما حملت، ورعيت وحفظت ما استودعت، وحللت ما حلل الله وحرمت ما حرم الله، وأقمت أحكام الله، ولم تتعد حدود الله، وعبدت الله مخلصا حتى أتاک اليقين، صلى الله عليک وعلى الائمة من ولدک. وصلى ركعتين عند رأسه الشريف، ثم قال لى: يا صفوان، من زار أمير المؤمنين (ع) بهذه الزيارة من قرب أو بعد، وصلى مثل هذه الصلاة، رجع إلى أهله مغفورا ذنبه، مشكورا سعيه، وكتب له ثواب من زاره من الملائكة وغيرهم.

ص: ٧٨

ثم رجع (ع) مقهقرا وهو يقول: يا جداه، يا طيباه، يا طاهراه، لا جعله الله آخر العهد منى لزيارتک، ورزقنى العود إليک وإلى المقام فى حرمک، والسكون مع الابرار من ولدک الصالحين، والسلام عليک وعلى الملائكة المحدقين بک ورحمة الله وبركاته. فقلت: يا سيدى أتأذن لى أن أعلم الناس ؟ قال: نعم فأعطانى دراهم فأصلحت بها القبر، فكان ما هو الآن معروفا عند شيعته، وقد كان مختفيا لوصية سبقت منه لعلمه بما [فى] قلوب المنافقين

والمارقين، حتى قيل ان صبيحة دفنه أخرجوا أربعة ثوابيت، فبعثوا بواحد إلى بيت الله الحرام، وواحد إلى المدينة، وواحد إلى بيت المقدس، وأدخلوا بيته واحدا. وروى ان سبب ظهوره أن هارون الرشيد خرج يوما للصيد والقنص فى ظاهر الكوفة، فرأى ظبيا كثيرا، فأرسل عليهم الصقور والكلاب، فالتجأت الظبا بالاكمة، فوقفت عنها الصقور والكلاب. وكان يفعل ذلک مرارا كثيرة، فأخبر هارون عن تلک الاكمة أخبره رجل من بنى أسد عن آبائه أن فيها قبر أمير المؤمنين (ع) فبنى عليه قبة، ولعل ذلک بعد اندراسه من العمارة الاولى لهجرانه خوفا من الاعداء. يقول الصادق (ع) من ترک زيارة أمير المؤمنين خوفا من أحد لم ينظر الله إليه، ألا تزورون من تزوره الملائكة. ولله در من قال من الرجى: [قد قلت للبرق الذى شق الدجا ❊ فكان زنجيا هناک يجذع] [يا برق إن جئت الغرى فقل له ❊ أتراک تعلم من بأرضک مودع] [فيک ابن عمران الكليم وبعده ❊ عيسى يقفيه وأحمد يتبع] [بل فيک نور الله جل جلاله ❊ لذوى البصائر يستشف ويلمع] [فيک الامام المرتضى فيک الوصى ❊ المجتبى فيک البطين الانزع] [هذا ضمير العالم الموجود من ❊ عدم وسر وجوده المستودع] [هذى الامامة لا يقوم بحملها ❊ حلقاء ها بطة وأطلس أرفع]

[تأبى الجبال الشم عن تقليدها ❊ وتضج تيهاء وتشفق برقع] [هذا هو النور الذى عذباته ❊ كانت بغرة آدم تتطلع] [ما العالم العلوى إلا تربة ❊ كانت لجثته الشريفة موضع] وروى أن محمد بن الحنفية بكى حتى أنحل جسمه وتغير لونه، وكان يسمى سادس البكائين. قيل دخل يوما دمشق، فسمع رجلا يقول: هذا ابن أبى تراب، فأسند ظهره إلى جدار محراب جامع دمشق، ثم قال: اخسئوا ذرية النفاق، وحشوة النيران، وحطب جهنم، عن البدر الزاهر، والنجم الثاقب، واللسان النافذ، وشهاب المؤمنين، والصراط المستقيم (من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت، وكان أمر الله مفعولا) (١) أتدرون أى عقبة تقتحمون ؟ أخو رسول الله تستهدفون ؟ ويعسوب الدين تلمزون ؟ فبأى سبيل رشاد بعد ذلک تسلكون ؟ وأى حرف بعد ذلک تدفعون ؟ هيهات برز لله بالسيف، وفاز بالخضل، واستولى على الغاية، وأحرز الحظ، وانحسرت دونه الابصار، وانقطعت دونه الرقاب، وقرع الذروة العلياء، وكسرت والله من الامة التبعة، وفات الطلب، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد، اقلوا عليهم لا أبالكم من اللوم، وسدوا المكان الذى أبى يسد ثلمة أخيه رسول الله إن سفعوا وشقيق لنبيه إذ حصلوا، وبدين هارون من موسى إذ مثلوا، وذى قربى كبيرها إذ امتحنوا، ومصلى القبلتين إذ انحرفوا، والشهود له بالايمان إذ كفروا، والمدعو للخير إذ نكلوا، والمندوب لعهد المشركين إذ نكثوا، والخليفة على المهاجرين إذ جزعوا، والمستودع للاسرار ساعة الوداع إذ حجبوا. [هذى المكارم لا تعبان من لبن ❊ شيبا بماء فعادا بعد أبوالا] وانى يبعد من كل علا وسنى، فبأى آلاء أمير المؤمنين تختبرون ؟ وعن

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٧. (❊)

ص: ٨٠

أمر من حديثه تأثرون، وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. وفى هذا القدر كفاية إن شاء الله تعالى للمنصف، وغاية كمد للمتعسف، وغرض المحزون لبث الشجون، وإذراف المدامع من العيون على ما صدر بأمير المؤمنين (ع) من الكفرة الملاعين والمنافقين، تشتيت من البال وتعاقب المحن والاشجان والبلبال، وتراكم سحائب الهموم، وتفاقم المصائب والغموم، ملتمسا منكم أيها الاخوان والجماعات من المؤمنين والمؤمنات الابتهال إلى الله تعالى العالم بالخفيات، والتضرع إليه بكشف ما منيت به من البليات وأن يفرج عنى وعن المؤمنين والمؤمنات مما حظيت من الكربات، وأن يكف بمنه عنى بأس الباغين، والعفو عما أجريته فى كل حين، وأن يحشرنا وإياكم مع الائمة فى زمرتهم، وأن يثيبنا على محبتهم، إنه على ما يشاء قدير، وبالاجابة جدير، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

ص: ٨١

وفاة الامام الحسن بن على " عليهما السلام " تأليف المرحوم الشيخ على نجل محمد آل سيف الخطى

ص: ٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب كل شئ ووارثه، وخالق العالم ماضيه وحادثه، والصلاة والسلام على محمد معدن الرسالة، وفلك الفضل والجلالة، وعلى آله خير البرية، المبتلين فى أموالهم وأنفسهم، ولن تبعد من الحق بلية، صلاة دائمة بدوام الدهور والايام. وبعد فإنى إن شاء الله تعالى مورد فى هذه الاوراق نبذة يسيرة مما يتعلق بالاخبار التى وردت فى أمر الحسن (ع) مما يتعلق بحال خلافته، وصلحة لمعاوية، وما يتعلق بوفاته وبعض أحواله المناسبة لذلک، طلبا للثواب الجزيل، من الاله الجليل، وهو حسبى ونعم الوكيل. روى أن أمير المؤمنين (ع) لما ضرب ليلة تسعة عشر من شهر رمضان، وقد كانت وصيته تقدمت لابنه الحسن (ع) وجعله إماما بعده، ونصبه علما للناس بعده، فمما أوصى به للحسن (ع) ما روى عن الحسن، قال: لما حضرت أبى الوفاة أقبل يوصى، فقال: هذا ما أوصى به على بن أبى طالب أخو محمد رسول الله. أول وصيتى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله وخيرته، اختاره لعلمه، وارتضاه لبريته، وان الله باعث من فى القبور، ثم إنى أوصيک يا حسن وكفى بک وصيا بما أوصانى به النبى، فإذا

كان ذلک یا بنی، فالزم بیتک، وابک علی خطیئتک، ولا تکن الدنیا أکبر همک، وأوصیک یا بنی بالصلاة عند وقتها، والزکاة فی أهلها عند محلها، والصمت عند الشبهة، والاقتصاد والعدل فی الغضب والرضی، وحسن الجوار، وإکرام الضیف، ورحمة المجهود وأهل البلاء، وصلة الرحم، وحب المساکین ومجالستهم، والتواضع، فإنه من أفضل العبادة، وقصر الامل، وذکر الموت، والزهد فی الدنیا فإنک، رهین موت، وغرض بلاء، وطریح سقم، وأوصیک بخشیة الله فی سرک وعلانیتک، وأنهاک عن التسرع بالقول والفعل، فإذا عرض علیک شئ من أمر الدنیا فابدأ به، وإذا عرض علیک شئ من أمر الآخرة فتأنی حتی تصیب رشدک، وإیاک ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء، فإن قرین السوء یعیر جلیسه، وکن یا بنی لله عاملا، وعن الخنا زاجرا، وبالمعروف آمرا، وعن المنکر ناهیا، وآخی الاخوان فی الله وحب الصالح لصلاحه، ودار الفاسق فی دینک، وابغضه بقلبک، وزایله بأعمالک، لئلا تکون مثله، وإیاک والجلوس فی الطرقات، ودع المماراة، ومجاراة من لا عقل له ولا علم، واقصد یا بنی فی معیشتک، واقصد فی عبادتک، وعلیک فیها بالامر الدائم الذی تطیقه، والزم الصمت تسلم، وقد لنفسک تغنم، وتعلم الخیر تعلم، وکن لله ذاکرا علی کل حال، وارحم من أهلک الصغیر، ووقر الکبیر، ولا تأکل طعاما حتی تتصدق منه قبل أکله، وعلیک بالصوم فإنه زکاة البدن، وجنة لاهله من النار، وجاهد نفسک، واحذر جلیسک، واجتنب عدوک، وعلیک بمجالس الذکر، وأکثر من الدعاء، فإنی لم آلک نصحا، وهذا فراق بینی وبینک. وأوصیک بأخیک محمد، فإنه ابن أبیک وتعلم حبی له، وأما أخوک الحسین (ع) فلا أزیدک الوصاة به، والله خلیفتی علیکم، وإیاه أسأل أن یصلحکم ویکف الطغاة البغاة عنکم، والصبر الصبر حتی ینزل الامر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلی العظیم.

ثم التفت إلی أولاده الذین من غیر فاطمة وأمرهم باتباع أخویهم الحسن والحسین (ع)، وأن لا یخالفوا له أمرا، وقال: علیکم بتقوی الله ربکم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جمیعا، فانی سمعت أبا القاسم یقول: إن إصلاح ذات البین أفضل من عامة الصلاة والصیام. انظروا إلی ذوی أرحامکم یهون الله علیکم الحساب، والله الله فی جیرانکم، فإنها وصیة نبیکم، ما زال یوصینی بهم حتی ظننت أنه سیورثهم، الله الله فی القرآن، فلا یسبقکم بالعمل به غیرکم، الله الله فی الصلاة، فإنها عمود دینکم، الله الله فی بیت ربکم، لا تخلوا منه ما بقیتم، فإنه ان یترک لم تناظروا، الله الله فی صیام شهر رمضان، فإن صیامه جنة لاهله من النار، الله الله فی الجهاد بأموالکم وأنفسکم، الله الله فی الزکاة، فإنها تطفئ غضب الرب، الله الله فی ذریة نبیکم، فلا یظلموا بین أظهرکم، الله الله فی الفقراء والمساکین، فاشرکوهم فی معایشکم، الله الله فی ما ملکت أیمانکم، ولا تخافن فی الله لومة لائم، یکفیکم من أرادکم وبغی علیکم، وقولوا للناس حسنا کما أمرکم الله، ولا تترکوا الامر بالمعروف والنهی عن المنکر، فیتولی الامر شرارکم، ثم تدعون فلا یستجاب لکم. وعلیکم بالتواصل والتبادل، وإیاکم والتدابر والتقاطع والتفرق (وتعاونوا علی البر والتقوی ولا تعاونوا علی الاثم والعدوان واتقوا الله إن الله شدید العقاب) (۱). حفظکم الله من أهل بیت، وحفظ فیکم نبیکم، استودعکم الله

واقرأ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته. ثم التفت الى الحسن والحسين (ع) وقال: أوصيكما بتقوى الله، ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شئ منها ذوى عنكما، وقولا الحق واعملا به، وارحما اليتيم والضائع، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصما، وللمظلوم ناصرا، واعملا بما فى الكتاب، ولا تأخذكما فى الله لومة لائم.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢. (*)

ثم نظر إلى محمد بن الحنفية وقال له: هل حفظت ما أوصيت به أخويک ؟ قال: نعم، (قال): انى أوصيک بمثله، وأوصيک بتوقير أخويک لعظم حقهما عليک، ولا توثق أمرا دونهما. ثم قال (ع) أوصيكما به فإنه شقيقكما وابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما يحبه، ثم قال للحسن (ع): أمرنى رسول الله (ص) أن أوصى إليک وأدفع إليک كتبى وسلاحى، كما أوصى إلى ودفع كتبه وسلاحه، وأمرنى أن آمرک إذا حضرک الموت أن تدفعها لاخيک الحسين (ع). ثم أقبل على الحسين (ع) وقال له: أمرک رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنک هذا، ثم أومى بيده إلى على بن الحسين (ع) وقال له: أمرک رسول الله (ص) أن تدفعها إلى ابنک محمد واقرأه منى ومن رسول الله السلام، ثم استودعكم الله وهو خليفتى عليكم، ولم يزل ينطق بلا إله إلا الله حتى قبض صلوات الله وسلامه عليه، فقام الحسن والحسين (ع) فى جهازه، وغسله الحسن (ع) وكفنه فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وكبر عليه سبع تكبيرات، وحمل إلى ظهر الغرى، ودفن هناک صلوات الله عليه. [صلى الاله على جسم تضمنه * قبر فأصبح فيه العدل مدفونا] [قد حالف الحق لا يبغى به بدلا * فصار بالحق والايمان مقرونا] ثم رجع الحسن والحسين (ع) وأخوتهما من دفنه، وقعد فى بيته ولم يخرج ذلک اليوم، ثم خرج عبد الله بن العباس بن عبد المطلب إلى الناس، فقال، إن أمير المؤمنين (ع) قد توفى وانتقل إلى جوار الله وقد ترک بعده خلفا، فإن أحببتم خرج إليكم وإن كرهتم فلا أحد، على أحد فبكى الناس وضجوا بالبكاء والنحيب، فقالوا: بل يخرج إلينا، فخرج إليهم الحسن وعليه ثياب سود وهو يبكى لفقد أبيه، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبى فصلى عليه، ثم قال: أيها الناس اتقوا الله فانا أمراءكم وساداتكم وأهل البيت الذين قال الله

فيهم: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (١) أيها الناس لقد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الاولون ولا يلحقه الآخرون، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيفديه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته

فيكنفه جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد توفى فى هذه الليلة التى عرج فيها بعيسى ابن مريم، والتى توفى فيها يوشع بن نون، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة دينار فضلت من عطاياه، أراد أن يبتاع بها خادما لاهله. ثم خنقته العبرة وبكى وبكى الناس معه، ثم قال: أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن على ابن عم محمد رسول الله، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن الداعى إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت الذين قال الله تعالى فى حقهم: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) والذى افترض الله مودتهم فى كتابه إذ يقول: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) (٢) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت. فلما انتهى إلى هذا الموضع قام عبد الله بن العباس بين يديه وقال: أيها الناس هذا الحسن بن على بن أبى طالب ابن إمامكم وابن بنت نبيكم فبايعوه. فاستجابوا لبيعته وقالوا: ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة علينا. فبايعه الناس، ونزل عن المنبر وجلس مجلس أبيه أمير المؤمنين (ع)، وذلک فى يوم الجمعة يوم الحادى والعشرون من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فأتت إليه حبابة الوالبية، ولقد كانت أتت أباه عليا (ع) فى رحبة المسجد وقالت: يا

---

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٣٣. (٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣. (*)

أمير المؤمنين ما دلالة الامامة رحمک الله ؟ فقال: آتينى بتلک الحصاة، وأشار بيده إلى حصاة هناک، قالت: فأتيت بها، فطبع فيها بخاتمه وقال: يا حبابة إن ادعى مدع للخلافة بعدى وقدر أن يفعل كما فعلت فاعلمى أنه محق مفترض الطاعة، والامام بعدى لا يعزب عنه شئ يريد، قالت: فانصرفت، فلما قبض أمير المؤمنين (ع) أتيت إلى الحسن (ع) وهو جالس فى مجلس أبيه والناس حوله يسألونه، فلما رآنى قال لى: يا حبابة قلت: نعم يا مولاى قال: هاتى ما معک فأعطيته الحصاة، فطبع فيها بخاتمه كما طبع أمير المؤمنين، قالت: ثم أتيت الحسين وهو فى مسجد النبى، فقرب ورحب وقال لى: أتريدين دلالة الامامة ؟ فقلت: نعم يا سيدى، فقال: هاتى ما معک، فناولته الحصاة فطبع فيها كما طبع أبوه وأخوه، ثم قالت: أتيت على بن الحسين بعد قتل أبيه وقد بلغ بى الكبر وأنا أعد مائة وثلاثة عشر سنة، فرأيته ساجدا وراكعا مشغولا بالعبادة، فآيست من الدلالة، فأومى إلى بالسبابة فعاد إلى شبابى، فقلت يا سيدى كم مضى من الدنيا وكم بقى، فقال: يا حبابة أما ما مضى فنعم، وأما ما بقى فلا، ثم قال: هاتى ما معک فأعطيته الحصاة، فطبع فيها، ثم أتيت أبا جعفر محمد الباقر فطبع فيها، ثم أتيت أبا عبد الله الصادق، فطبع فيها، ثم أتيت أبا الحسن موسى بن جعفر فطبع فيها، وعاشت حبابة بعد ذلک تسعة أشهر ثم توفيت رحمة الله عليها، وأوصت أن تدفن معها تلک الحصاة، فدفنت معها. ثم ان الحسن أمر الامراء ورتب العمال وولى عبد الله بن العباس البصرة، وكتب إلى سائر العمال بالمبايعة له، فبايعه سائر العمال الذين كانوا تحت إمرة أمير المؤمنين، وهى الحجاز والعراق وفارس

واليمن، وكتب إلى معاوية بن أبى سفيان كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله الحسن بن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان. أما بعد فإن الله بعث محمدا رحمة للعالمين، فأظهر به

ص: ٨٩

الحق، وقمع به الشرک، وأعز به العرب، وشرف به قريش خاصة، فقال (وإنه لذكر لک ولقومک فسوف تسألون) (١)، فلما توفاه الله تعالى تنازعت العرب الامر بعده، فقالت قريش: نحن عشيرته وأوليائه فلا تنازعونا سلطاننا، فعرفت لها العرب ذلک وجاحدتنا قريش ما عرفته لنا العرب، فهاهنا ما أنصفتنا قريش، فمضوا على ما مضوا عليه، ولا غرو إلا منازعتک إيانا هذا الامر بغير حق فى الدنيا معروف، ولا أثر فى الاسلام محمود، فلله الموعد نسأل أن لا يؤتينا فى هذه الدنيا شيئا ينقصنا عنده فى الآخرة. إن عليا لما توفاه الله تعالى ولانى الامر بعده، فاتق الله يا معاوية، وانظر لامة محمد ما تحقن به دماؤها وتصلح به أمرها، وبايع كما بايع أولو الفضل والدين والسلام. وبعث بالكتاب مع الحارث بن سويد التيمى تيم الرباب، وجندب الاسدى، فقدما على معاوية ودفعا له كتاب الحسن (ع)، ودعياه إلى البيعة فلم يجبهما، وأظهر الشماتة بموت أمير المؤمنين (ع)، وكتب إلى الحسن كتابا فيه رد جوابه: أما بعد فقد فهمت ما ذكرت به رسول الله وهو أحق الاولين والآخرين بالفضل كله، وذكرت تنازع المسلمين الامر بعده بتهمة أبى بكر وعمر وأبى عبيدة وصلحاء المهاجرين، فكرهت لک ذلک، إن الامة لما تنازعت الامر بعد نبيها رأت قريشا أحقها به: فرأت قريش والانصار وذو الفضل من المسلمين أن يولوا من قريش أعلمها وأخشاها له وأقواها على الامر، فاختاروا أبا بكر، ولم يألوا ولو علموا مكان أبى بكر رجل غير أبى بكر يقوم مقامه ما عدلوا بالامر إلى أبى بكر، والحال الآن بينى وبينک على ما كانوا عليه، فلو علمت أنک أضبط لامر الرعية، وأحوط على هذه الامة، وأحسن سياسة، وأكيد للعدو، وأقوى على جمع الفى منى، سلمت إليک الامر بعد أبيک [الذى] سعى على عثمان

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ۴۴. (*)

ص: ٩٠

حتى قتل مظلوما، فطالبه الله بدمه، ومن يطلبه الله فلا يفوته، ثم ابتز الامة أمرها وخالف جماعتها فخالفه نظراؤه من أهل السابقة والجهاد والقدم فى الاسلام، فادعى أنهم نكثوا بيعته، فقاتلهم حتى سفكت الدماء واستحلت الحرم، أقبل علينا لا يدعى علينا بيعة، ولكنه يريد أن يملكنا اغترارا، فحاربنا وحاربناه، ثم صارت الحرب إلى أن اختار رجلا واخترنا رجلا ليحكما بما يصلح عليه الامر وتقوم به الجماعة والالفة، وأخذنا عليهما ميثاقا وعليه وعلينا

مثله على الرضى بما يحكما، فأمضى الحكمان عليه الحكم بما علمت وخلعاه، فوالله ما رضى بالحكم ولا صبر له، فكيف تدعونى لامر إنما تطلبه بحق أبيک وقد خرج منه، فانظر لنفسک ودينک والسلام. وقال للحارث وجندب ارجعا، فليس بينى وبينه إلا السيف. فرجعا للحسن ودفعا إليه الكتاب وأخبراه بما قال معاوية، وما أضمره من الشماتة بموت أمير المؤمنين (ع)، فكتب إليه الحسن كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسن بن على بن أبى طالب أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبى سفيان، سلام عليک، فإنى أحمد الله تعالى إليک الذى لا إله إلا هو. أما بعد فإن الله جل جلاله بعث محمدا رحمة للعالمين، وكافة إلى الخلق أجمعين، لينذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، فبلغ رسالات الله، وأقام بأمر الله، حتى توفاه الله غير مقصور ولا وان، بعد أن أظهر الله به الحق، وقمع به الشرک، فلما توفى تنازعت العرب سلطانه فادعت قريش سلطانه، فسلمت لهم العرب ذلک، وجاحدتنا قريش حقوقنا، واستولوا على ظلمنا، ولنا الحجة الظاهرة عليهم، والسلطان المبين، فالموعد الله وهو نعم المولى ونعم النصير، ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا وسلطان نبينا، وإن كانوا ذوى سابقة فى الاسلام، فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يبيد، وأن يجد المنافقون والاحزاب فى ذلک مغمزا يثلبونه بنا، ويكون بذلک لهم سببا إلى ما أرادوا من إفساده، فاليوم فليتعجب المتعجب من

توثبک على يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفعل فى الدين معروف، ولا أثر فى الاسلام محمود، وأنت ابن حزب من الاحزاب وأعداء قريش لرسول الله ولكتابه، والله تعالى حسيبک، فسترد وتعلم لمن عقبى الدار، وبالله لتلقين ربک عن قليل ثم ليجزينک بما قدمت يداک (وما ربک بظلام للعبيد) (١)، إن عليا لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض ويوم يبعث حيا ولانى أمر المسلمين من بعده، فأسأل الله أن لا يؤتينا فى هذه الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا عنده فى الآخرة مما عنده من كرامته، وإنما حملنى إلى الكتاب إليک الاعذار فيما بينى وبينک وبين الله تعالى فى أمرک، ولک فى ذلک إن فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين، فدع التمادى فى الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس ممن تبعنى، فإنک تعلم أنى أحق بهذا الامر منک عند الله وكل أواب حفيظ ومن له قلب منيب، ودع البغى واحقن دماء المسلمين، فوالله مالک خير فى أن تلقى الله بدمائهم أكثر مما تلاقيه به، وادخل فى الاسلام والطاعة، ولا تنازع الامر أهله ومن هو أحق به منک، ليطفئ الله النائرة بذلک، ويجمع الكلمة، ويصلح ذات البين، وإن أنت أبيت إلا التمادى فى غيک سرت إليک بالمسلمين، وحاكمتک حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، وبلغنى أنک شمت بما لم يشمت به ذووا الحجى، وإنما مثلک فى ذلک كما قال الاول: [فإنا ومن قد مات منا لكالذى ❊ يروح فيمسى فى المبيت ليغتدى] [فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى ❊ تجهز لاخرى مثلها فكان قد] ثم أرسل الكتاب إليه مع جندب الازدى، فقدم به على معاوية، فقرأه وكتب جوابه: أما بعد فقد وصل كتابک وفهمت ما ذكرت فيه، ولقد علمت بما حدث، فلم أفرح ولم آيس، وإن عليا أباک لكما قال أعشى بن تغلبة:

(١) سورة فصلت، الآية: ۴۶. (*)

ص: ۹۲

[فأنت الجواد وأنت الذى * إذا ما القلوب ملان الصدورا] [جدير بطعنة يوم اللقى * يضرجن منها النساء النحورا] [وما من بد من خليج البحار * فيعلو الاكام ويعلو الجسورا] [بأجود منه بما عنده * فيعطى الالوف ويوفى النذورا] قال جندب لما أتيت الحسن بكتاب معاوية، قلت له ما أرى الرجل إلا سائرا إليک فابدأه بالمسير حتى تقاتله فى أرضه وبلده، فأما أن تقول إنه ينقاد لک لا والله حتى يرى منا يوما أعظم من يوم صفين، فقال: أفعل إن شاء الله تعالى، ثم أن معاوية دس رجلا من حمير إلى الكوفة، ورجلا من القين إلى البصرة ليكتبا له بالاخبار ويفسدا على الحسن، فعرف ذلک الحسن، فأمر باستخراج الحميرى من عند حجام بالكوفة وأمر بضرب عنقه، وكتب إلى البصرة كتابا إلى عبد الله ابن العباس، وكان عامله عليها، وأمره باستخراج الرجل القينى وقتله، فاستخرجه عبد الله بن العباس من بنى سليم وقتله، وكتب الحسن إلى معاوية: أما بعد فإنک دسست الرجال للاحتيال والاغتيال، وأرصدت العيون كأنک تحب اللقاء وما أوشک ذلک، فتوقعه إن شاء الله تعالى، وبلغنى أنک شمت بما لم يشمت به ذووا الحجى إلى آخر الكلام المتقدم ذكره. وكتب عبد الله بن العباس: أما بعد، ودسک أخا بنى القين تلتمس من غفلات قريش مثل ما ظفرت به من يمانيتک لكما، قال أمية بن أبى الصلت: [لعمرک إنى والخزاعى طارقا * كنعجة غاز حتفها بتحفر] [أثارت عليها شفرة بكراعها * فظلت به من آخر الليل يتحر] [شمت بقوم من صديقک أهلكوا * أصابهم يوم من الدهر أصفر]

ص: ۹۳

فأجابه معاوية بما لا حاجة إلى ذكره. ثم إن معاوية كتب إلى عماله من جميع النواحى: من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ومن قبله من المسلمين، سلام عليكم، فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو. أما بعد، فالحمد لله الذى كفاكم مؤنة عدوكم، وقتل خليفتكم، إن الله بلطفه أتاح لعلى بن أبى طالب رجلا من عباده فاغتاله وترک أصحابه متفرقين مختلفين، فجاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الامان لانفسهم وعشائرهم، فاقبلوا إلى حين يأتيكم كتابى بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله وبلغتم الامل، وأهلک الله أهل البغى والعدوان، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ثم كتب إلى زياد وكان عامل على (ع) بفارس، فضبطها ضبطا حسنا، فلما قتل على بقى زياد فى عمله، فأقره الحسن على فارس، فخاف منه معاوية، فكتب إليه: من أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان إلى زياد بن عبيد، أما بعد، فإنک عبد كفرت النعمة، ولقد كان الشكر أولى بک من الكفر، وظننت أنه لا ينالک سلطانى، هيهات ما كل ذى لب يصيب رشده، بالامس عبد واليوم أمير، حطة ما ارتقاها مثلک يابن سمية، فإذا أتاک كتابى فخذ لى البيعة على [من] معک وأسرع الاجابة، فإنک إن تفعل فدمک حقنت ونفسک تداركت، وإلا

اختطفتک بأهون سعی، ورددتک إلی حیث کنت والسلام. فلما وصل الکتاب إلی زیاد اغتاظ غیظا شدیدا وجمع الناس فصعد المنبر وقال: عجبا لابن آکلة الاکباد، یتهددنی وبینی وبینه ابن بنت رسول الله فی مائة ألف من المهاجرین والانصار، والله لو أذن لی فیه لرأیته الکواکب نهارا، ولاوسعته ماء الخردل، الیوم الکلام والجمع غدا. ثم کتب لمعاویة: أما بعد فقد وصل کتابک وفهمت ما فیه، فرأیتک

ص: ۹۴

کالغریق یغطشه الموج، فیتعلق بأرجل الضفادع، فاجتهد جهدک، فلست أنزل إلا علی حیث تکره، ولا اجتهد إلا فی ما یسؤک، وستعلم أینا الخاضع لصاحبه الطالب إلیه والسلام. فلما ورد کتاب زیاد علی معاویة غمه وأحزنه، وبعث إلی المغیرة بن شعبة وخلا به، وقال له: یا مغیرة إن زیاد قد أقام لنا بفارس یکش لنا کشیش الافاعی، وهو رجل ثاقب الرأی ماضی العزیمة، وقد کنت أخشی منه إذا کان صاحبه وأخشی ممالاته حسنا، فما الحیلة فی إصلاح رأیه ؟، فقال المغیرة: إن زیاد یحب الشرف والذکر وصعود المنابر، فلو لاطفت له المسألة وألفت له القول لکان أمیل إلیک، فاکتب إلیه کتابا وأنا الرسول، فکتب: من معاویة بن أبی سفیان إلی زیاد بن أبی سفیان، أما بعد، فإنک قطعت رحمک، ووصلت عدوک، وحملک سوء ظنک بی علی أن قطت رحمی، ووصلت خصمی، وعققت قرابتی، حتی کأنک لست أخی، ولیس صخر بن حرب أباک وأبی، وقد رأیت أن أعطف علیک ولا أؤاخذک بسوء فعلک، واعلم انک لو خضت البحر فی طاعة بنی هاشم ما ازددت منهم إلابعدا، فإن بنی عبدشمس أبغض إلی بنی هاشم من الشفرة إلی الثور الصریع، فارجع إلی أصلک واتصل بقومک، فقد أصبحت ضال النسب، فإن أحببت إجابتی فثق بقولی، وإن کرهت إجابتی ففعل جمیل لا إلی ولا علی والسلام. فرحل المغیرة بالکتاب حتی دخل علی زیاد، فدفع إلیه الکتاب، فجعل یتأمله ویضحک فلما فرغ من قراءته قال: حسبک یا مغیرة أنی أطلعک علی ما فی ضمیری، إنی صاحب رؤیة فی نفسی، فلا تعجل علی ولا تبدأنی بشئ حتی أبدأک به، ثم غلبت علیه الشقاوة وحب الجاه والرئاسة، فصعد المنبر بعد ثلاثة أیام، ثم قال: أیها الناس ادفعوا البلاء ما اندفع عنکم، وارغبوا فی دوام العافیة لکم،

ص: ۹۵

فقد نظرت فی أمور المسلمین، فوجدت أحمد العاقبتین العافیة، وساء فعل فی أموورکم ما تحمدون عاقبته. ثم نزل عن المنبر، وکتب إلی معاویة کتابا: أما بعد، فقد وصل کتابک وفهمت ما فیه، والحمد لله الذی عرفک الحق وردک إلی الصلة، ولکنک إن کنت کتبت عقدا صحیحا ونیة حسنة، لا غدر ولا مکیدة، فازرع فی قلبی مودة وقبولا. فأعطاه معاویة جمیع ما سأله، وکتب إلیه جمیع ما وثق به، واستخلفه مراغما لرسول الله حیث قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فنکث زیاد بیعة الحسن وأطاع معاویة بن أبی سفیان، ثم اجتمعت العساکر إلی معاویة من کل جانب ومکان، فتکاملت عنده ستون ألفا، فسار بهم إلی العراق، واستخلف الضحاک بن قیس الفهری علی الشام، والحسن مقیم

بالكوفة لم يشخص، فكتب له عبد الله ابن العباس من البصرة: أما بعد فإن المسلمين ولوک أمورهم بعد علی، فشمر للحرب، وجاهد عدوک، وقارب أصحابک، واشتر من الضنين دينه بما لم يثلم لک دينا، وفضل أهل البويتات والشرف تصطلح به عشائرهم، حتی يكون الناس جماعة، فإن بعض ما تكره الناس إذا كانت عواقبه تؤدی إلی ظهور الحق، وعز الدين خير مما تحبه الناس، إذا كانت عواقبه تؤدی إلی ظهور الجور، وذل المؤمنين، وعز الفاجرين، واقتد بما جاء عن أئمة العدل، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الخداع إلا فی الحرب، فإن الحرب خدعة، ولک فی ذلک سعة إن كنت مجمعا علی الحرب ما لم تبطل حقا، واعلم أن عليا أباک رغب الناس إلی معاوية، لانه واسی بينهم فی الفئ، وساوی بينهم فی القسمة والعطاء فنفل عليهم، واعلم أنک تحارب من حارب الله ورسوله فی ابتداء الاسلام حتی ظهر أمر الله، فلما وحد الرب ومحق الشرک وعز الدين أظهروا الايمان، وقرؤوا القرآن مستهزئين بآياته، وقاموا إلی الصلاة كسالی، وأدوا الفرائض وهم كارهون، فلما رأوا أنه لا يعز فی الدين إلا الاتقياء الابرار، توسموا بسماء

الصالحين الاخيار، ليظن المسلمون بهم خيرا، فما زالوا بذلک حتی أشركوهم فی أماناتهم، فجاهدهم ولا ترض دنية ولا خسفا، فإن عليا لم يجب إلی الحكومة حتی غلب أمره فأجاب، وإنهم يعلمون أنه أولی بالامر إن حكموا بالعدل، فلما حكم بالهوی رجع إلی ماكان عليه حتی أتاه أجله، فجاهد أعداء الله ورسوله حتی يحول الموت دونک والسلام. فلما وصل كتاب ابن عباس للحسن وقرأه، قال: لقد نصح ابن عباس فيما يراه، ولكن هيهات أن أخالف سنة سنها رسول الله وأمير المؤمنين بعدهما طلبا لالتماس دنيا، فإن فی الحق سعة عن الباطل، ثم أن الحسن لما بلغه توجه معاوية إلی العراق وأنه قد بلغ جسر منبج، تحرک وبعث حجر بن عدی، فأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير، ونادی مناديه الصلاة جامعة، فأقبل الناس يجتمعون من كل جانب ومكان، وقال الحسن: إذا اجتمعت جملة الناس فاعلمنی، فجاء سعيد بن قيس الهمدانی وقال له: أخرج، فخرج الحسن فصعد المنبر فحمد الله وأثنی عليه وذكر النبی فصلی عليه، ثم قال: أما بعد فإن الله كتب الجهاد علی خلقه وسماه كرها، وقال لاهل الجهاد من المؤمنين (اصبروا فإن الله مع الصابرين) (۱) فلستم تنالون ما تحبون إلا بالصبر علی ما تكرهون، وقد بلغنی أن معاوية رأس المنافقين وابن عدو الله ورسوله بلغه أنا أزمعنا علی المسير فتحرک لذلک، وأنه بلغ جسر منبج، فاخرجوا رحمكم الله إلی معسكركم بالنخيلة، حتی ننظر ونری وترون. قال وانه فی كلامه ليتخوف خذلان الناس عنه لما يعلم ما فی قلوبهم من الميل إلی الدنيا واتباع الهوی، قال: فسكتوا، فما تكلم أحد منهم ولا أجابوه بحرف واحد، فلما رأی ذلک عدی بن حاتم الطائی قام وقال: أنا ابن حاتم يا سبحان الله ما أقبح هذا المقام، ألا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم، أين

---

(۱) سورة الانفال، الآية: ۴۶. (*)

خطباء ربيعة ومضر الذين ألسنتهم كالمخاريق، فإذا جد الجد فيراوغون كالثعالب ؟ أما تخافون مقت الله ؟ أما تخشون عيبها ولا عارها ؟ ثم استقبل الحسن بوجهه وقال: أصاب الله بک المراشد، وجنبک المكاره، ووفقک لما تحب وترضى، يابن رسول الله قد سمعنا مقالتک إلى أمرک، وسمعنا لک فيما قلت وما رأيت، فهذا وجهى إلى معسكرى ولا أرجع إلى منزلى، فمن أحب أن يواتينى فليواف معى. ثم مضى لوجهه وخرج من المسجد ودابته بالباب، فركبها ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه من الزاد، وبفرسه وبلامة حربه، فألحقه غلامه بذلک، فكان عدى بن حاتم أول الناس معسكرا، وقام قيس بن سعد بن عبادة الانصارى ومغفل بن قيس الرياحى، وزياد بن خصفة التيمى، فأنبوا القوم ولا موهم على التثاقل، وحرضوهم على الخروج إلى الجهاد، وكلموا الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم فى الاجابة والقبول، وقال لهم الحسن: صدقتم، ما زلت أعرفكم بحسن النية، والوفاء، والقبول، والنصية، والمودة الصحيحة، فجزاكم الله خيرا، ثم نزل وأمر إخوته بالتجهز فتهيؤا، وخرج الناس إلى معسكرهم، ونشطوا بعد تكاسلهم، وخرج الحسن والحسين وإخوته إلى المعسكر، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره أن يحث الناس على الخروج. فجعل المغيرة يحثهم ويخرجهم حتى تكامل العسكر، وكان غالب من معه من أخلاط الناس بعضهم خوارج محكمة يؤثرون معاوية على كل حال، وبعضهم أصحاب فتن وطمع فى الغنائم، وبعضهم شكاک، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين، وليس معه من شيعة أبيه إلا فرقة قليلة، بعض من الانصار وبعض من همدان وإخوته وأهل بيته. فسار الحسن فى عسكر عظيم وعدة حسنة، حتى نزل دير عبد الرحمن، فأقام فيه ثلاثة أيام، حتى اجتمع الناس، ثم دعى عبيدالله بن العباس، فقال

له: يا ابن العم إنى أبعث معک إثنا عشر ألفا من فرسان العرب وقراء المصر، كل رجل منهم يرد الكتيبة، فسربهم وألن لهم جانبک، وابسط لهم وجهک، وافرش لهم جناحک، وادنهم من مجلسک، فإنهم بقية ثقاة أمير المؤمنين، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفلوجة، ثم تصير بمسكن، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية، فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيک، فإنى على أثرک وشيک، وليكن خبرک عندى كل يوم، وشاور هذين فى أمورک كلها، يعنى قيس بن عبادة وسعد بن قيس الهمدانى، فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلک، فإن فعل فقاتله، فإن أصبت فقيس بن سعد على الناس، وإن أصيب قيس بن سعد فسعد بن قيس على الناس، فسار عبيد الله بن العباس بالجيش حتى أتوا شينور، حتى خرج إلى شاهى، ثم لزم الفرات والفلوجة حتى اتى إلى مسكن، وأخذ الحسن فى مسيره ببقية من الناس على حمام عمر، حتى أتى دير كعب، ثم ديار بكر، فنزل ساباط دون القنطرة، ولما وصل إلى الحبونية قرية من قرى مسكن بجيشه، حتى نزل بأزاء معاوية، فلما كان من الغد توجه بخيله إليهم، فخرج إليهم عبيد الله بن العباس بمن معه، فضربهم حتى ردهم إلى مصافهم، فلما عرف معاوية أن لا مطمع له فى التوجه إلى العراق وهم من دونه، أرسل إلى عبيد الله بن العباس، فقال له: إن الحسن قد أرسلنى فى الصلح وهو مسلم الامر إلى، فإن دخلت الآن فى

طاعتى أعطيک ألف ألف دينار اعجل لک نصفها الآن، والنصف الآخر إذا دخلت الكوفة، أو الشام، فأقبل عبيدالله بن العباس ليلا، فدخل فى عسكر معاوية، فوفى له معاوية بما وعده، وأعطاه الدراهم التى ضمنها، وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله ليصلى بهم صلاة الصبح فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه، فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة، ثم فتشوا عن خبر عبيد الله فوجدوه قد لحق بمعاوية، فكتب قيس بن سعد إلى الحسن يخبره بخبر عبيد الله وما فعل من لحوقه لمعاوية، وقام قيس بن سعد خطيبا فيهم فثبطهم، ثم ذكر عبيدالله بن العباس فنال منه، وقال:

ص: ٩٩

ألا تعجبون من ابن عم رسول الله كيف اتبع هواه وغرته دنياه، فترک بيعة الحسن ابن بنت رسول الله وخير الخلق بعدهم، ودخل فى حزب هذا الطاغى المنافق، أيها الناس لا يحملنكم ما فعل على الشک فى الحق والوقوع فى الباطل، فإن الدنيا لها طالب، والاخرى لها طالب، فنسأل الله تعالى بمنه أن يجعلنا وإياكم من الطالبين لما عند الله من الكرامة، والآخرة خير وأبقى. ثم أمرهم بالصبر والنهوض على العدو، فأجابوه بالطاعة، وقالوا له: انهض بنا إلى عدونا على اسم الله تعالى، فنزل ونهض بهم، فخرج لهم بسر بن أرطأة، فصاحوا: يا أهل العراق ويحكم هذا أميركم عندنا، وإمامكم الحسن قد دخل فى طاعتنا فعلام تقتلون أنفسكم، فقال قيس بن سعد لاصحابه اختاروا إحدى اثنتين إما أن تقاتلوا بلا إمام وإما أن تبايعوا بيعة ضلال، فخرجوا وضربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم. فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويعده ويمنيه، فكتب إليه قيس والله لا تلقانى أبدا إلا بينى وبينک الرمح والسيف، فكتب إليه معاوية لما يئس منه: أما بعد فإنک يهودى ابن يهودى تشقى نفسک وتقتلها فيما ليس لک، فإن ظهر أحب الفريقين إليک نبذک وعزلک، وإن ظهر أبغضهم إليک نكل بک وقتلک، وقد كان أبوک أوتر غير قوسه، ورمى غير غرضه، فأكثر الحز وأخطأ المفصل، فقتله قومه، وأدركه يومه فمات بحوران طريدا غريبا والسلام. فكتب إليه قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه: أما بعد، فإنک وثن ابن وثن، دخلت فى الاسلام كرها، فأقمت فيه فرقا، وخرجت منه طوعا، ولم يجعل الله لک فيه نصيبا، لم يقدم إسلامک، ولم يحدث نفاقک، ولم تزل حربا لله ولرسوله، وحزبا من أحزاب المشركين، وعدوا لله ولنبيه والمؤمنين من عباده، وذكرت أبى، فلعمرى ما أوتر إلا قوسه،

ص: ١٠٠

ولا رمى إلا غرضه، فشغب عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه، وزعمت أنى يهودى ابن يهودى، وعلمت وعلم الناس أنى وأبى أعداء الدين الذى دخلت فيه، وأنصار الدين الذى خرجت منه وصرنا إليه والسلام. فلما قرأه معاوية أغاظه وأراد إجابته، فقال عمرو بن العاص: مهلا فإنک إن كتبته أجابک بأشد من هذا، وإن تركته دخل فى ما يدخل فيه الناس، فأمسک عنه، ثم كتب معاوية إلى الحسن (ع) كتبا متعددة يطلب منه الصلح وأن يجعل الامر له، وشرط له شروطا كثيرة، ثم أرسل إليه كتب الاشراف من أهل الكوفة ورؤساء القبائل يعدونه بالنصر والغدر بالحسن

وتسليمه و أهل بيته إلى معاوية. ودس معاوية إلى عمرو بن حريث، والاشعث بن قيس، وإلى حجر بن الحر، وشبث بن ربعى دسيسا، وأفرد كل واحد بعين من عيونه، إنک إن قتلت الحسن بن على بن أبى طالب فلک مائة ألف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتى، فبلغ الحسن ذلک، فاستلام ولبس درعا وكفرها، وكان يحترز ولا يتقدم بهم فى الصلاة إلا كذلک، فرماه أحدهم فى الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من الدرع المستور، ثم قدم إلى الحسن خبر عامله زياد، أنه استماله معاوية، واستخلص بيعته وبيعة فارس، فعلم الحسن (ع) أن أصحابه خذلوه وكرهوا مقامه فيهم، فقام خطيبا صبح ليلة نزوله ساباط، ليمتحن أصحابه و يختبر أحوالهم وطاعتهم، ليميز أوليائه من أعدائه، ويكون على بصيرة من أصحابه فى لقاء معاوية، فأمر أن ينادى الصلاة جامعة فاجتمعوا، فصعد المنبر، فخاطبهم وقال: الحمد لله كما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق، وائتمنه على الوحى، أما بعد، فوالله إنى لارجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه، وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت حاملا على أمرئ ضغينة، ولا مريدا

له بسوء ولا غائلة، وإنما تكرهون فى الجماعة خير مما تحبون فى الفرقة، وإنى ناظر لكم خير من نظركم لانفسكم، فلا تخالفوا على أمرى، ولا تردوا على رأيى، غفر الله لكم و أرشدنى وإياكم لما فيه من المحبة والرضى. قال: وكان غالب من معه من جنده محكمة وأصحاب فتن، فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال ؟ قالوا: نظن أنه يريد أن يصالح معاوية ويسلم إليه الامر، فقالوا: كفر والله الرجل، فشدوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الازدى فانتزع مطرفه عن عاتقه، فبقى واقفا متقلدا سيفا بغير رداء، ثم دعى بفرسه فركبه، وأحدق به أخوته وخاصته وشيعته، ومنعوا عنه من أراده، ودعى من معه ربيعة وهمدان فطافوا به ومنعوه، فسار ومعه شوب من شيعته، فلما مر فى مكان مظلم بساباط، بدر إليه رجل من بنى أسد اسمه الجراح بن سنان لعنه الله، فأخذ بلجام فرسه وبيده مغول، فقال: الله أكبر أشركت يا حسن كما أشرک أبوک من قبل، فطعنه فى فخذه فشقه حتى بلغ العظم، فاعتنقه الحسن وخرا جميعا إلى الارض فأكب عليه رجل من شيعة الحسن يقال له زيد بن حفصة التيمى فرضخ رأسه بحجر، وخضخضه عمارة ابن ظبيان (١) بخنجر فمات الجراح من ساعته لا رحمه الله تعالى، وقتل شخص ملعون كان يساعده، وحمل الحسن على سريره إلى المدائن، فبقى فى المدائن أياما كثيرة لمعالجة جرحه. وأرسل إلى طبيب نصرانى يعالجه، فلما برئ جرحه، أخرج كيسا فيه خمسمائة دينار وصبها بين يديه وقال له: يا أخا النصارى خذها ونحن نعتذر إليک لانا على طريق وقد نهب أعداء الله فسطاطنا، فضحک النصرانى وقال له: يا ابن رسول الله أتدرى منذ كم أتوقع قدومكم ؟ منذ فتح سعد بن أبى

---

(١) فى رواية أخرى ظبيان بن عمارة. (*)

وقاص المدائن وأخذت العرب الجزائر، وقع فی یدی کتابا بالسریانیة من بعض کتب تلامذة المسیح، وفیه لولده: أن العام الفلانی یأتی بلدکم هذه أبناء رسول الله المبعوث فی آخر الزمان، وبالاکبر منهم جراحة، وهو مطلوب من الاعداء فإذا لقیته یا بنی فاقرأه منی السلام وقل لهما لا ینسیانی من الشفاعة عند الله تعالی وعند جدهما رسول الله یوم القیامة، فما برحت أحسب اللیالی والایام حتی کانت ساعتی تلک، فقلت: إن کان الکتاب صادقا الساعة یشرف ابنا رسول الله، فما أتممت کلامی إلا والمختار یدعونی ویقول لی: یقول لک عمی إنه قد نزل بنا أبناء رسول الله وبالاکبر منهما جراحة، فقلت: الله أکبر هذا هو الحق، فکل ما أعطیتنیه یا مولای هدیة منی إلیک فاقبلها منی بحق جدک رسول الله، وإنکم أولیاء الله وخلفائه، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له، وأن محمدا رسول الله وأنتم خلفاؤه فی أرضه، فلا تنسانی من الشفاعة، فقبلها الحسن وقال أنت شمعون المدعو ببطرس الاکبر، رزقک الله عشرین ولدا ذکرا. قال: نعم، قال: ثم دخلت علیه أم کلثوم فرأته مریضا، فبکت وقالت: یا اخی بأبی أنت وأمی أخبرنی ما أنت عازم علیه، وقد علمت أهل الکوفة وغدرهم ومکرهم وخذلانهم لک، فقال (ع): أسیر إلی الحجاز وفارس والیمن واستمد بالعساکر، فقالت: أما فارس فقد ذهب بها زیاد واستخلفها لمعاویة، وأما الحجاز والیمن فإنهم یرون رأی عثمان، فإن وفوا لک بلسانهم فهم أغدر بقلوبهم، فأدرکته رقة فبکی، فسمع الحسین وأخوه محمد بن الحنیفة بکاه فأتیاه حافین متقلدین بسیوفهما، فقال له الحسین (ع): مالک تبکی لا أبکی الله لک عینا أتبکی من غدر أهل الکوفة بک ؟ والله إنهم أهل غدر ونفاق، ثم قال: یا قنبر علی بسیفی ودرعی، فوحق تربة جدی وأبی لئن أمرتنی لا شربت بارد الماء، ولا توسدت وسادا حتی أفنی أهل الکوفة، أو ألاقی حمامی ذون ذلک، فما علی المرء المسلم من غضاضة إذا قتل فی سبیل الله. ثم قال له محمد بن الحنفیة بمثل ذلک فتجلی عنه بعض ما یجده، وقال: إن لله أمرا هو بالغه ربنا یفعل ما یشاء ویرید، ربنا تبارک وتعالی کل یوم

هو فی شأن. ولما وصل خبر طعن الحسن ونهبه إلی معاویة سر سرورا عظیما، وأشاع ذلک فی عسکره وعسکر قیس الذی هم لمرابطته لیزعزع قلوبهم ویرهبهم، وجعل أصحاب الحسن الذین مع قیس یتسللون إلی معاویة، فکتب قیس بذلک للحسن، فخطب الناس ووبخهم وقال: خالفتم أبی حتی حکم وهو کاره، ثم دعاکم إلی قتال أهل الشام بعد التحکیم فأبیتم، حتی صار إلی کرامة الله عز وجل، ثم بایعتمونی علی أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، وقد بلغنی خبر وهو أن أهل الشرف منکم أتوا معاویة فبایعوه، فحسبی منکم لا تغرونی فی دینی ونفسی. وأما قیس فلم یلتفت إلی کلام معاویة وقال: لا أفارق هذا المکان حتی یأذن لی الحسن بالانصراف، فقال عمرو بن العاص لمعاویة: ألا إن أردت منهم الصلح وتسلیم الامر فاطلب منه ذلک، لانی أری أنهم قد اختلفت کلمتهم وذهبت

نارهم، فكتب معاوية إلى الحسن كتابا يقول فيه: أما بعد، فإن الله يفعل فى عباده ما يشاء (لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب) (١)، وإنى أرى لک يا حسن أن تدخل فى طاعتى ولک الامر من بعدى، ولک فى بيت مال العراق من مال بالغ ما بلغ تحمله إلى حيث شئت، ولک خراج أى كور أردت فى العراق معونة لک على نفقتک يجبيها أمينک ويحملها إليک فى كل سنة، ولک أن تستولى بالاشياء، ولا تقضى دونک الامور، ولا تعصى فى أمر أردت، أعاننا الله وإياک على طاعته إنه سميع مجيب، واحذر يا حسن أن تكون منيتک على أيدى رعاع الناس، فأبوک من قبلک الاسد الباسل، وقد أفسدوا عليه أمره، فأيس من أن يجد فينا عزة، وإن أنت أعرضت عما أنت عليه وبايعتنى، وفيت لک بما وعدت، وأجريت لک ما

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٤١. (*)

اشترطت، وأكون فى ذلک كما قال قيس بن تغلبة: [وإن أحد أسدى إليک أمانة * فاوف بها تدعى إذا مت وافيا] [ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى * ولا تجفه إن كان فى المال فانيا] ثم الخلافة لک من بعدى فأنت أولى الناس بها والسلام. وأرسل له الكتاب مع رجلين من بنى عبد شمس أحدهما عبد الرحمن بن سمرة، والآخر عبد الله بن عامر، فقدما على الحسن (ع)، وعرضا عليه الكتاب، ورغباه فى الامر، وهونا عليه الخطب، فلما رأى الحسن خذلان أصحابه وتفرقهم عنه واستحلالهم دمه ونهبهم فسطاطه وماله، وكتاباتهم لمعاوية فى استحثاثهم فى المسير إلى الكوفة ليسلموا له الحسن وإخوته، ورأى أنه لم يبق معه إلا فرقة قليلة من أهل بيته وخاصته وشيعته وشيعة أبيه، لا يقومون بقتال أهل الشام والعراق، أشفق على نفسه وعياله وشيعته، فأذعن لصلح معاوية وتسليم الامر إليه، وأشرط على الرجلين شروطا كثيرة، وأرسل معهما عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وكانت أمه هند بنت أبى سفيان أخت معاوية [وكان] يستوثق منه، فقدما على معاوية فرضى بذلک كله، وقال للرجلين المذكورين: اذهبا واضمنا له بكل ما شرط واعطياه عنى العهود والمواثيق، وكتب الحسن (ع) بيده كتاب الصلح: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن معاوية بن أبى سفيان، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين، على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين الصالحين، وليس لمعاوية بن أبى سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده، بل يكون الامر بعده شورى بين المسلمين، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا فى أرض الله فى شامهم، وعراقهم، ويمنهم، وحجازهم، وعلى أن لا يتعرض لسب على، ولا لاحد من أشياعه وأتباعه، وعلى أن أصحاب على وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم، ونساءهم، وأولادهم، وعلى معاوية بن أبى سفيان بذلک عهد الله

وميثاقه وما أخذ الله على أحد من خلقه بما أعطاه الله من نفسه بالوفاء، وعلى أن لا يبتغى للحسن، ولا لاخيه الحسين، ولا لاحد من أهل بيت رسول الله غائلة سرا ولا جهرا، ولا يخيف أحدا منهم فى أفق من الآفاق، شهد الله عليه وكفى بالله شهيدا، ويشهد به فلان وفلان والسلام. وسمى معاوية ذلک العام عام الجماعة، لاجتماع الناس عليه، ثم دفع الكتاب إلى رسولى معاوية فسار به، ثم أراد معاوية التوجه إلى العراق فمنعه قيس بن سعد أشد المنع، وقال: لا أدعک تسير حتى تأتينى من الحسن كتابا يدل على خروجى عنک، فكتب معاوية إلى الحسن كتابا يقول فيه: لقد أديت الامانة وبذلت النصيحة، فجزاک الله خيرا، فإذا قدم عليک كتابى هذا، فائت بعسكرک إلى الكوفة، فإنى سائر لها والسلام. ثم سار الحسن (ع) من المدائن مع شيعته الذين بقوا معه ودخل الكوفة، ورجع قيس بن سعد بن عبادة إلى الكوفة وعسكره، ثم أتى معاوية بعسكره إلى الكوفة وضرب فسطاطه بالنخيلة قبل دخوله الكوفة، فخرج أشراف أهل الكوفة وأمراؤها يتلقونه، فقام خطيبا فيهم وخطب خطبة طويلة لم ينقلها الرواة تامة، وجاءت مقطعة، ولنذكر ما انتهى إلينا منها. قال الشعبى أن معاوية قال فى خطبته بالنخيلة: أيها الناس ما اختلف أمر أمة بعد نبيها إلا وظهر أهل باطلها على أهل حقها. ثم انتبه وندم وقال: إلا هذه الامة فإنها وإنها، ثم قال ألا وإن كل شئ أعطيته الحسن، وكل شرط شرطته له فهو تحت قدمى لا أفى له منه بشئ، ثم قال: يا أهل الكوفة والله ما قاتلتكم، لا لتصلوا، ولا لتصوموا، ولا لتزكوا، ولا لتحجوا، وإنكم لتفعلون ذلک، وإنما قاتلتكم لاتأمر عليكم، فأعطانى الله ذلک وأنتم كارهون. قال وكان عبد الله بن شريک إذا حدث بذلک يقول: هذا والله هو التهتک

فى الدين، قال: ثم أن معاوية قوض من النخيلة ودخل الكوفة ودخل الجامع، فأذن للناس بالحضور، فاجتمع الناس، فصعد المنبر وخطب خطبة طويلة أكثر فيها من الافتخار والتكبر، ثم قال للحسن: قم يا حسن واصعد المنبر وأخبر الناس بما جرى بينى وبينک من الصلح، فقام الحسن (ع) وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر النبى فصلى عليه، ثم قال: إن أكيس الكيس التقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإنكم لو طلبتم ما بين جابلقا إلى جابرصا رجلا جده رسول الله لم تجدوا غيرى وغير أخى الحسين، وقد علمتم أن الله تعالى هداكم بجدى رسول الله، وأنقذكم من الضلالة، ورفعكم من الجهالة، وأعزكم بعد الذلة، وكثركم بعد القلة، وأن معاوية نازعنى حقا هو لى دونه، فنظرت إصلاح الامة وقطع الفتنة، وإن كنتم بايعتمونى على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، فرأيت أن أصالح معاوية وأضع الحرب بينى وبينه، ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها، ولم أرد بذلک إلا إصلاحكم (وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين) (١). ثم نزل عن المنبر وحضر يوما المسجد وفيه معاوية وعمرو بن العاص وجماعة من بنى أمية، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: لو أمرت الحسن يخطب على المنبر بمجمع من الناس، فربما يحصل له حصر فيكون أنقص لحظه بين الناس، فقال: نعم، فقال معاوية: قم يا حسن واخطب الناس، فامتنع الحسن، فناشده الله، فقام الحسن، فصعد المنبر، ثم قال: الحمد لله الذى علا فى توحده، وتفرد فى ربوبيته، يؤتى الملک من يشاء، وينزع الملک

ممن يشاء، والحمد لله الذى أكرم بنا موضعكم، وأخرج من الشرک أولكم، وحقن دماء آخركم، فبلاؤنا عندكم قديما، وحديثنا أحسن حديثا، إن شكرتم أو كفرتم. ثم قال: أيها الناس إن رب على كان أعلم بعلى

---

(١) سورة الانبياء، الآية: ١١١. (*)

حين قبضه إليه، لقد اختصه الله بفضل لم تعدوا بمثله ولم تجدوا مثل سابقته، فهيهات هيهات، طالما قلبتم له الامر حتى أعلاه الله عليكم، وهو صاحبكم فى بدر وأخواتها، جرعكم رتقا، وسقاكم علقا، وأذل رقابكم، وأشرقكم بريقكم، فلستم بملومين على بغضه، وأيم الله لا ترى أمة محمد خفضا ما دامت ساداتهم وقادتهم بنى أمية، ولقد وجه الله إليكم فتنة لم تصدروا عنها حتى تهلكوا، لطاعتكم طواغيتكم وانضوائكم، فعند الله احتسب ما مضى وما ينتظر من حسن رعيتكم وحتف حكمكم. ثم قال: يا أهل الكوفة، فارقكم بالامس سهم من مرامى الله صائب على أعداء الله، نكال على فجار قريش، لم يزل آخذا بحناجرها، جاثما على أنفاسها، ليس بالملومة فى أمر الله، ولا بالسروقة فى مال الله، ولا بالفروقة فى حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه، دعاه فأجابه، وقاده فاتبعه، لا تأخذه فى الله لومة لائم، صلوات الله عليه ورحمته يوم قبض ويوم يبعث حيا. فأراد معاوية أن يخجله ويقطع عليه كلامه، فقال: يا حسن حدثنا بنعت الرطب كيف يكون، فقال: نعم يا معاوية إن الرطب أولا تلقحه الشمال، وتخرجه الجنوب، وتنضجه الشمس، ويصبغه القمر، وتنفحه الريح، والليل يبرده، والبرودة تحليه وتطيبه، ثم استمر فى كلامه وقال: أيها الناس أنا ابن مروة والصفا، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن على المرتضى، أنا ابن من على الجبال الرواسى علا، أنا ابن من كسى محاسن وجهه الحيا، أنا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء، أنا ابن عديمات العيوب، أنا ابن نقيات الجيوب، أنا ابن أزكى الورى طرا، وكفانى بهذا فخرا. ثم أن معاوية أمر المؤذن أن يؤذن ويقطع عليه كلامه، فلما قال المؤذن

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قال الحسن: يا معاوية محمد أبى أم أبوک، فإن قلت إنه ليس بأبى فقد كفرت، وإن قلت أنه أبى فقد أقررت بحقنا، وأنت تغصبنا ما هو لنا ولا ترد علينا حقنا ؟ فقال له معاوية: يا حسن أنا خير منک، فقال (ع): ولم ذلک ؟ فقال: إن الناس أجمعوا على ولم يجمعوا عليک، فقال (ع): هيهات هيهات، إن هذا لشر علوت به يابن هند، ألم تعلم أن المجمعين عليک رجلان مطيع ومكره، فالطائع لک عاص لله، والمكروه معذور عند الله، وحاشا الله أن أقول أنا خير منک، لانک لا خير فيک، وإن الله تعالى قد برأنى من الرذائل كما برأک

من الفضائل، فهل لک أب کأبی تبایعنی به، أو لک قدیم کقدیمی تسامینی به، فهل تقول نعم یا معاویة، أو تقول لا ؟ فقال: بل اقول نعم وهی لک تصدیق، فتعجب الحاضرون من ذلک ومن کلام الحسن، وأدرکت معاویة الندامة وقال: أصاب متثبت أو کاد، وأخطأ عجل أو کاد، ماذا أردت من خطبة الحسن، ثم أن معاویة صعد المنبر فخطب خطبة طویلة وذکر علیا ونال منه، فقام له الحسین ویده فی قائم سیفه، فأخذه الحسن بیده وقال: أیها الذاکر علیا أنا الحسن وأبی علی، وأنت معاویة وأبوک صخر، وأمی فاطمة وأمک هند، وجدی رسول الله وجدک عتبة، وجدتی خدیجة وجدتک قتیلة، فلعن الله أخملنا ذکرا وألامنا حسبا وأشرفا، قدیما وحدیثا، وأقدمنا کفرا ونفاقا. فقالت طوائف من أهل المسجد: آمین. قال الفضل بن الحسن البصری راوی هذا الحدیث: آمین، وقال یحیی بن معین، آمین، وأنا أقول: آمین، وقال علی بن الحسین الاصبهانی: آمین، وقال عبد الحمید بن أبی الحدید: آمین، قلت ویقول مؤلف هذا الکتاب: آمین، ورحم الله عبدا قال: آمین. ثم خرج الحسن وأخوه الحسین من المسجد، فدخل علیه وجوه الشیعة وأکابر أصحاب أمیر المؤمنین یلومونه علی الصلح ویبکون إلیه جزعا مما فعله،

فروی أنه دخل علیه سفیان بن أبی اللیل النهدی، قال سفیان: فأتیت إلیه وعنده رهط من شیعته وهو جالس بفناء داره، فقلت له: السلام علیک یا مذل المؤمنین، فقال، وعلیک السلام یا سفیان انزل، فنزلت وعقلت راحلتی، ثم أتیت وجلست إلی جانبه، فقال لی، کیف قلت یا سفیان ؟ قال: قلت السلام علیک یا مذل المؤمنین، فقال: ما جری هذا منک إلینا ؟ قلت: أنت والله بأبی وامی أذللت رقابنا حیث أعطیت هذا الطاغیة البیعة وسلمت له الامر ومعک مائة الف کلهم یموتون دونک، فقد جمع الله علیک أمر الناس، فقال لی: یا سفیان إنا أهل بیت إذا علمنا الحق تمسکنا به، وإنی سمعت علیا یقول: لن تنقضی اللیالی والایام حتی یجتمع أمر هذه الامة علی رجل واسع السرة، ضخم البلعوم، یأکل ولا یشبع، لا ینظر الله إلیه ولا یموت حتی لا یکون له فی السماء عاذر ولا فی الارض ناصر، وإنه لمعاویة، وقد عرفت أن الله بالغ أمره، ثم أمر المؤذن أن یؤذن، فقمنا علی حالب یحلب ناقة، فتناول الحسن الاناء وشرب قائما. ثم سقانی، وخرج وخرجنا إلی المسجد، فقال: ما جاء بک یا سفیان ؟ قلت: حبکم والذی بعث محمد بالحق نبیا بالهدی ودین الحق، قال: ابشر یا سفیان، فإنی سمعت رسول الله یقول: یرد علی الحوض أهل بیتی ومن تبعهم من أمتی کهاتین، أحدهما تفضل علی الاخری، ابشر یا سفیان فإن الدنیا تسع البر والفاجر، حتی یبعث الله إمام الحق من آل محمد، ولما وصل خبر الصلح إلی حجر بن عدی رضی الله عنه، اغتم غما شدیدا وأنشأ بهذه الابیات یقول: [أتانی فریق العار من آل مسکن ❊ بأن إمام الحق أضحی مسالما] [فما زلت مدنیفا له بکآبة ❊ أراعی نجوما خاشع الطرف واجما] [فراجعت نفسی ثم قلت لها اصبری ❊ فإن إمامی کان بالامر عالما] [فبلغه عنی أننی کنت شیعة ❊ له وعلی أعدائه کنت ناقما] [أطاعنهم بالرمح فی رهج الوغی ❊ وأعلوا بسیفی هامهم والجماجما] [ونحن لمن سالمت سلم ومن یکن ❊ عدوک نقرعه العداوة راغما]

قال: ثم أتى الحسن ودخل بيته ودخل معه المسيب بن نجبة وعبيدة بن عمر الكندى، فقال المسيب بن نجبة للحسن: ما ينقضى عجبى منک، بايعت معاوية ومعک أربعون ألفا، ولم تأخذ لنفسک وثيقة وعهدا، أعطاک أمرا فيما بينک وبينه. ثم قال: ما سمعت أما والله ما أراد بها غيرک، فقال الحسن: فما ترى ؟ قال: أن ترجع لما كنت عليه، فقد نقض ما كان بينک وبينه، ثم قال: يا مسيب لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر على اللقاء، ولا أثبت عند الحرب منى، ولكن أردت إصلاحكم وكف بعضكم عن بعض فارضوا بقضاء الله وقدره حتى يستريح بر ويستراح من فاجر، ودخل عبيدة بن عمر الكندى على الحسن، وكان قد ضرب على وجهه ضربة وهو مع قيس بن سعد، فقال له الحسن: ماذا أرى بوجهک ؟ فقال: أصبت مع قيس بن سعد بن عبادة، فالتفت حجر بن عدى رضى الله عنه إلى الحسن وقال: لوددت أنک مت قبل هذا ولم يكن ما كان، إنا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبوا، فتغير وجه الحسن (ع) وغمز الحسين (ع) حجرا فسكت حجر. فقال الحسن: يا حجر ليس كل الناس تحب ما تحب، ولا رأيهم رأيک، ولا فعلت ما فعلت إلا اتقاء عليک، والله كل يوم هو فى شأن، يا حجر إن رسول الله (ص) رفع له ملک بنى أمية، فنظر إليهم يعلون منبره واحدا بعد واحد، فشق عليه ذلک، فأنزل الله فى ذلک قرآنا، قال: (وما جعلنا الرؤيا التى أريناک إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن) (۱). وسمعت أبى على بن أبى طالب يقول: سيلى أمر هذه الامة رجل واسع البلعوم كبير البطن، فسألته من هو ؟ فقال: معاوية، وقال: إن القرآن نطق بملک بنى أمية ومدتهم قال الله تعالى: (ليلة القدر خير من ألف شهر) (۲) ❊ (هامش ص ۱۱۰) (۱) سورة الاسراء، الآية: ۶۰. (۲) سورة القدر، الآية: ۳. ❊

ولما وقع الصلح بين الحسن ومعاوية انعزل قيس بن سعد بن عبادة ومن معه، وكان معه أربعة ألاف فارس، فأبى أن يبايع، فألزمه معاوية على البيعة وأكرهه على ذلک، فجاء قيس بن سعد إلى الحسن وقال له: يا ابن رسول الله أنا فى حل من بيعتک ؟ قال: نعم، فانصرف قيس وبايع، وكان قيس رجلا طويلا إذا ركب الفرس المشرف رجلاه تخطان فى الارض وما فى وجهه طاقة شعر، وكان يسمى خصى الانصار لقلة شعره، فلما أرادوا إدخاله على معاوية للبيعة قال: إنى حلفت لا ألقاه إلا وبينى وبينه الرمح والسيف، فأمر معاوية بإحضار رمح وسيف ليبر يمينه، ودخل على معاوية، فوضع له كرسى وجلس معاوية على سريره والحسن (ع) معه، فقال له، أتبايع يا قيس ؟ قال: نعم، فوضع يده على فخذه ولم يمدها إلى معاوية، فأكب معاوية على قيس بن سعد بن عبادة حتى مسح يده على يده، ولم يرفع قيس إليه يده. ثم أن الحسن (ع) أقام فى الكوفة أياما، ثم تجهز للشخوص إلى المدينة فدخل عليه المسيب بن نجية وظبيان بن عمارة لوداعه، فقال الحسن: الحمد لله الغالب على أمره، لو اجتمع الخلق جميعا على أن لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا، فقال أخوه الحسين (ع) للمسيب: لقد كنت كارها لما كان طيب النفس على سبيل أبى حتى أعزم على أخى فأطعنه، فكأنما يجذ أنفى بالمواسى، ولكنه الامام وتجب علينا طاعته، قال المسيب: إنه والله ما يكبر علينا

هذا الامر إلا أن تضاموا وتقصوا وأما نحن فإنهم يطلبون مودتنا بكل ما قدروا عليه، فقال الحسين (ع): يا مسيب إنا نعلم أنک تحبنا، فقال الحسن (ع): سمعت ابى يقول: سمعت رسول الله يقول: من أحب قوما كان معهم، فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع عن المسير فقال: ليس إلى ذلک من سبيل، فلما كان من الغد خرج (ع) بأهله وإخوته وأولاده وجميع من يليه من أهل بيته، وخرج سائرا، فلما صار بدير هند، نظر إلى الكوفة وقال: [وما عن قلا فارقت دار معاشرى * هم المانعونى حوزتى وذمارى]

ص: ١١٢

[ولكنه ما حم لا بد واقع * وما هذه الدنيا بدار قرارى] فكأنى بلسان حال تلک المنازل حيث عظم عليها لفراقه الخطب النازل وساورها الخطب الهائل القيم الدائم، فاشتمل عليه الغم المتراكم لفراق تلک الاخلاق المسكية العطرة، والشمائل الزكية النضرة، والاستيحاش من الانس بالتهجد فى الاسحار والاشراق بالعلوم، والاذكار بالليل والنهار، وفقد أياديهم المقلدة أعناق الزمان بالفضل والاحسان، تبكيهم من قلب ذائب بايد، وطرف ساجم غير جامد، ويبدى الشكاية والحنين، ويدعوهم من قلب حزين، وينشد ويقول بما قال بعض ذوى العقول: [لقد كنت أبكى والديار أنيسة * وما ضغنت للطاعنين قفول] [فكيف وقد شط المزار وروعت * فريق التدانى فرقة ورحيل] [إذا غبتم عن ربع حلة بابل * فلا سبحت للسحب فيه ذيول] [ولا هب معتل النسيم ولا سرى * بليل على تلک الربوع بليل] [وما النفع فيها وهى غير أواهل * ومعهدها ممن عهدت محيل] [تنكر منها عرفها فاهيلها * غريب وفيها الاجنبى اهيل] [نقاضى النوى منى فما لظلاله * مقيل ولا مما جناه مقيل] [فحسبى إن شطت بكم غربة النوى * علاج يحول لا يكاد يحول] [لعل الصبا إن شطت الدار أو نأى * مثالكم أو عز منک مثيل] [تمر بنا فى الليل وهنا عسى بها * يداوى عليل أو يبل غليل] [أروم بمعتل الصبا بروء علتى * وأعجب ما يشفى العليل غليل] [فليس بمجد فيک وجدى ولا البكا * مفيدى ولا الصبر الجميل جميل] [فإن خف حزن الثاكلات لسلوة * فحزنى على مر الدهور ثقيل] ثم سار الحسن حتى دخل المدينة، فأقام بها ملازما بيته، كاظما غيظه، مسلما لله أمره، ثم توجه إلى بيت الله الحرام، وساق معه المحامل، وحج

ص: ١١٣

بيت الله ماشيا لم يركب قط، وقد فعل ذلک عشرين سنة. وروى الكلينى مرسلا عن أبى أسامة، عن أبى عبد الله الصادق (ع) قال: خرج الحسن إلى مكة، فلما كان فى بعض الطريق ورمت قدماه من المشى، فقال له بعض مواليه: لو ركبت يا سيدى لسكن هذا الورم، قال: كلا إذا أتينا هذا المنزل، فإنه سيستقبلک غلام معه دهنا، فاشتر منه ولا تماكسه، فقال له مولاه: بأبى أنت وأمى ما قدامنا منزل فيه أحد يبيع هذا الدواء، قال: بلى فإنه أمامک دون المنزل، فساروا أميالا، فإذا هم بالغلام، فقال الحسن لمولاه: دونک الرجل خذ منه الدهن وأعطه الثمن، فقال له، الاسود: يا

غلام لمن أردت هذا الدهن ؟ فقال: للحسن بن على، فقال: انطلق بى إليه، فانطلق به وأدخله عليه، فقال: بأبى أنت وأمى لم أعلم أنک محتاج إلى هذا الدهن ولست آخذا له ثمنا، إنما أنا مولاک، ولكن ادع الله تعالى أن يرزقنى ولدا ذكرا يحبكم أهل البيت، فإنى خلفت أهلى تمخض: فقال (ع): انطلق إلى منزلک فقد وهب الله لک ذكرا سويا وهو من شيعتنا، ثم سار (ع) من ذلک المنزل، وكان معه رجل من ولد الزبير يتوالاه ويقر بإمامته، فنزلوا منزلا تحت نخل يابس، ففرش للحسن تحت نخلة والزبيرى تحت نخلة أخرى، فقال الزبيرى: لو كان فى هذه النخلة رطب لاكلنا منه، فقال الحسن: وإنک لتشتهى الرطب ؟ فقال الزبيرى: نعم، فرفع يده إلى السماء ودعى الله سبحانه وتعالى بكلام لم أفهمه، فاخضرت النخلة وصارت إلى حالها وحملت رطبا، فقال الجمال الذى أكتروا منه: سحر والله، فقال الحسن: يا ويلک ليس هذا سحر، ولكنها دعوة ابن بنت نبى مستجابة، فصعدوا وصرموا ما كان فى النخلة وكفاهم وساروا إلى مكة ودخلوها، وكان معاوية قد أمر على الحاج تلک السنة عمرو بن العاص، فلقى عمرو بن العاص الحسن فى الطواف، فقال له عمرو: يا حسن زعمت أن الدين لا يقوم إلا بک وبأبيک، فقد رأيت [كيف] أقامه معاوية، فجعله راسيا بعد ميله، وبينا بعد خفائه،

أفرضى الله بقتل عثمان، أو من الحق أن تطوف بالبيت كما يطوف الجمل بالطحن، عليک ثياب كغرقى البيض وأبوک قاتل عثمان، والله إنه لالم للشعث وأسهل للوعث أن يوردک معاوية حياض أبيک. فقال الحسن: إن لاهل النار علامات يعرفون بها، المحادة لاولياء الله، والموالاة لاعداء الله، والله إنک لتعلم أن عليا لم يرتاب فى الدين، ولا شک فى الله طرفة عين قط، وأيم الله لتنتهين يا ابن أم عمرو أو لانفذن فى حضينتک بنوافد أشد من القعضبية، فإياک والتهجم على، فانى لست ممن عرفت بضعيف الغيرة ولا هش المساسة ولا مرى المآكلة، وإنى من قريش كواسطة القلادة، يعرف حسبى ونسبى، ولا ادعى لغير أبى، وأنت ممن تعلم وتعلم الناس، تحاكمت فيک رجال من قريش، فغلب عليک جزارها ألثما حسبا وأدناها لوما، فإياک عنى، فإنک رجس ونحن أهل بيت الطهارة، أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا، فانصرف عمرو حزينا كئيبا يرعد خوفا، فقال له بعض من كان معه من أصحابه: مالک يا عمرو رعدت وفحمت ؟ فقال له: ذكرت يا ويلكم بكلامه شجاعة أبيه على بن أبى طالب، فلم أملک على نفسى، فأنشد يقول: [أما حسن يا ابن الذى كان قلبه * إذا سار سار الموت حيث يسير] [وهل يلد الريبال إلا نظيره * وذا حسن شبه له ونظير] [ولكنه لو يوزن الحلم والحجى * بأمر لقالوا يذبل وتبير] ثم أن معاوية لا زال بعد الاستقرار بالامر يتجبر فى ملكه ويفتک بشيعة أمير المؤمنين، ثم انه استلحق بزياد، وأشاع بإخوته مراغمة لرسول الله، حيث قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر، ثم توصل إلى حجر بن عدى الزاهد العابد، فقتله رحمة الله عليه مع أصحابه، لانه عرض عليه البراءة من على بن أبى طالب فأبى فقتله. وروى أن حجرا دخل على على عند حضور وفاته، فالتفت إليه أمير المؤمنين، فقال له: كيف لى بک يا حجر إذا دعيت إلى سبى والبراءة

منى، فقال: لا والله يا أمير المؤمنين، بل اسمح بنفسى دونک، فقال له: وفقت لكل خير يا حجر. وكان الحسن البصرى يقول: أربع خصال فى معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت عليه موبقة عظيمة: انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء، حتى ابتزها أمرها من غير مشاورة مشير، ولا طاعة أهل الدين، وفيهم بقايا الصحابة وأهل الدين والرأى، وإعادته زياد وقد قال رسول الله: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وتوليته ابنه يزيد رقاب المسلمين وهو سكير خمير، يلبس الحرير، ويلعب بالطنابير، وقتله حجر بن عدى وأصحابه، ثم ولى العراق زياد وسلطه على شيعة على، فما زال زياد يتتبع شيعة على قتلا ونهبا وغيلة وحبسا وتمثيلا بهم بأنواع العذاب، ثم نادى منادى زياد بالكوفة: إنى ممهلكم ثلاثة أيام، ثم أعرض عليكم البراءة من على بن أبى طالب، فمن أبى ضربت عنقه وقتلت ذويه وأصحابه وأخذت ماله، فأصبحت الشيعة بالكوفة تضج من الحزن والتجأوا إلى الله تعالى، فابتلى الله زياد بقرحة فى حلقه فهلک فى اليوم الثانى، وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار. ثم إنه لما تم الامر لمعاوية عشر سنين، عزم أن يجعل ابنه يزيد ولى عهده، فنظر فى نفسه فرأى أن أثقل الناس عليه مؤنة الحسن بن على وسعد بن أبى وقاص الزهرى. أما الحسن فلن تعدل الناس عنه إلى يزيد، لانه إبن بنت رسول الله. وأما سعد فإنه من الصحابة أحد الستة أصحاب الشورى، فتوصل إلى هلاكهما بكل وجه حتى يخلو له الامر عن منازع ينازعه فى ذلک، فأرسل إلى سعد رجلا فدس إليه سما فمات، ثم عزم على هلاک الحسن بن على فأرسل إلى الاشعث بن قيس وهو قبل ذلک من حزب على، فولاه أذر بيجان، فاقتطع من فئ مال المسلمين مالا وهرب به إلى معاوية وبقى عنده، فاستشاره معاوية فى هلاک الحسن، فقال له: الرأى عندى أن ترسل إلى ابنتى جعدة فإنها تحت الحسن وتعطيها مالا جزيلا، وتعدها أن تزوجها من ابنک يزيد،

وتأمرها أن تسم الحسن. فقال معاوية: نعم الرأى، وليكن أنت الرسول إليها، فقال: لا بل يكون الرسول غيرى، لانى إذا سرت إليها يستوحش الحسن من ذلک، فربما فات المراد، فاستدعى معاوية رجلا من بطانته وخاصته، ودفع إليه مائة ألف درهم، وكتب معه كتابا إلى جعدة بنت الاشعث، وأوعدها بالعطاء الجزيل، وأن يزوجها من ابنه يزيد إذا قتلت الحسن. فسار الرجل ونزل فى بعض بيوت المدينة، وأرسل إلى جعدة سرا، فأتت إليه، فدفع لها المال والكتاب الذى من عند معاوية، فسرت الملعونة بذلک سرورا عظيما، وكانت على رأى أبيها من بغض على بن أبى طالب، وعلمت أن أباها هو الذى أشار على معاوية بذلک، فما زالت الملعونة تتربص به الغرة وتنتهز فيه الفرصة والغفلة، حتى كانت ليلة من الليالى قدم إلى منزله، وكان صائما فى يوم صائف شديد الحر، فقدمت إليه طعاما فيه لبن ممزوج بعسل قد ألقت فيه سما، فلما شربه أحس بالسم، فالتفت إلى جعدة وقال لها: قتلتنى يا عدوة الله قتلک الله، وأيم الله لا تصيبين منى خلفا، ولقد غرک وسخر بک فالله مخزيه ومخزيک. ثم أنه (ع) لزم البيت وألزم نفسه الصبر وسلم لله الامر، فاشتد الامر عليه، فبقى طوال ليلته فأكب عليه ولده عبد الله وقال له: يا أبت هل رأيت شيئا فقد أغممتنا ؟ فقال: يا بنى هى والله نفسى التى لم أصب بمثلها، ثم قال: افرشوا لى فى صحن الدار واخرجونى لعلى أنظر فى ملكوت

السماوات، ففرش له فی صحن الدار وأخرج فراشه، فدخل علیه أخوه الحسین فرآه متغیرا وجهه مائلا بدنه إلی الخضرة، فقال له الحسین: بأبی أنت وأمی ما بک فقال له: یا أخی صح حدیث جدی رسول الله فی وفیک، فقال له: ما حدثک به جدک وماذا سمعت منه ؟ فبکی الحسن ومد یده إلی أخیه الحسین واعتنقا طویلا وبکیا بکاء شدیدا، ثم قال: أخبرنی رسول الله أنه قال: مررت لیلة المعراج علی منازل أهل الایمان وبروضات الجنان، فرأیت قصرین عالیین متجاورین

علی صفة واحدة، لکن أحدهما من الزبرجد الاخضر، والثانی من الیاقوت الاحمر، فاستحسنتهما وشاقنی حسنهما، فقلت: یا أخی جبرائیل لمن هذان القصران ؟ فقال، أحدهما لولدک الحسن، والآخر لولدک الحسین، فقلت: یا أخی لم لا یکونان علی لون واحد ؟ فسکت جبرائیل ولم یرد جوابا، فقلت: لم لا تتکلم ؟ فقال: حیاء منک یا محمد، فقلت: بالله علیک إلا ما أخبرتنی، فقال: أما خضرة قصر الحسن، فإنه یسم ویخضر لونه عند موته، وأما حمرة قصر الحسین، فإنه یقتل ویذبح ویخضب شیبه من بدنه، فعند ذلک بکیا وضج الناس بالبکاء والنحیب. وحدث عمر بن إسحاق، قال: دخلت أنا ورجل علی الحسن نعوده، فقال: یا فلان سلنی ؟ فقال: لا والله لا أسألک حتی یعافیک الله ثم نسألک، ثم انه دخل إلی الخلاء، ثم خرج إلینا، فقال: سلنی قبل أن لا تسألنی، قال: بل یعافیک الله، وأسألک، ثم انه قال: لقد رمیت قطعة من کبدی، وانی قد سقیت السم مرارا فلم اسق مثل هذه المرة، ثم دخلت علیه من الغد وهو یجود بنفسه والحسین عند رأسه، فقال: یا أخی من تتهم ؟ فقال: وما ذا ترید منه ؟ فقال: لاقتله، فقال: إن یکن، الذی أظنه فالله أشد نقمة منک وأشد تنکیلا، وإن لم یکن فما أحب أن یؤخذ بی برئ، ثم أن الحسین بکی لما رأی من حال أخیه، فقال له الحسن: أتبکی یا أبا عبد الله وأنا الذی یؤتی إلی بالسم فأقضی به، ولکن لا یوم کیومک، یزدلف إلیک ثلاثون ألف رجل یدعون أنهم من أمة جدک فیقتلونک، ویقتلون بنیک وذریتک، ویسبون حریمک، ویسیرون برأسک هدیة إلی أطراف البلاد، فاصبر یا أبا عبد الله، فأنت شهید هذه الامة، فعلیک بتقوی الله، والصبر والتسلیم لامره، والتفویض له، لتنال الاجر الذی وعدنا به، فقال له الحسین (ع) ستجدنی إن شاء الله صابرا راضیا مسلما له الامر، وأهون علی ما نزل بی أنه بعین الله، فقال له الحسن: وفقت لکل خیر یا أبا عبد الله. ثم أن الحسن (ع) قام فی مرضه أربعین یوما، ثم أنه لما تحقق دنو

أجله، دعی بالحسین ونصبه علما للناس، ودفع إلیه کتب رسول الله (ص) وسلاحه، وکتب أمیر المؤمنین (ع) وسلاحه، وأوصاه بجمیع ما أوصی به أمیر المؤمنین، ثم قال له: یا أخی إنی مفارقک ولا حق بربی عزوجل، وقد سقیت السم ورمیت بکبدی فی الطشت، وإنی لعارف بمن سقانی السم ومن أین دهیت، وأنا أخاصمه عند الله، فبحقی

عليک لا تهرق فی أمری مل ء محجمة دما، فإذا قضيت نحبی، فغمضنی، وغسلنی، وكفنی، واحملنی على سريری إلى قبر جدی رسول الله، لاجدد به عهدا وميثاقا، ثم ردنی إلى قبر جدتی فاطمة بنت أسد، وادفنی هناک، وستعلم يا ابن أمی أن القوم يظنون أنكم تريدون دفنی عند جدی، فيجدون فی منعک، فبالله أقسم عليک لا تهرق فی أمری مل ء محجمة دما. ثم أوصاه بجميع أهله وأولاده، وما كان أوصى به أمير المؤمنين حين استخلفه وأهله، ودل شيعته على إمامته ونصبه لهم علما من بعده، ثم التفت إلى أولاده وإخوته وأمرهم باتباع الحسين، وأن لا يخالفوا له أمرا. ثم أنه لما حضره الموت وكان الحسين (ع) عنده جعل يجود بنفسه، فقال له أخوه الحسين يعزيه: يا أخی ما هذا الجزع ؟ إنک ترد على رسول الله وعلى على وهما أبواک، وعلى خديجة وفاطمة وهما أماک، وعلى القاسم والطاهر وهما خالاک، وعلى حمزة وجعفر وهما عماک، فقال له الحسن (ع): إنی أدخل فی أمر لم أدخل فی مثله، وأرى خلقا من خلق الله لم أر مثلهم قط. فبكى الحسين. ثم أن الحسن قال أستودعكم الله، والله خليفتی عليكم، ثم أنه غمض عينيه ومد يديه ورجليه، ثم قضى نحبه وهو يحمد الله ويقول: لا إله إلا الله، فضج الناس ضجة عظيمة، وصار كيوم مات رسول الله، وخرج أولاده وإخوته يبكون وينوحون، وأمثل بنو هاشم رجالا ونساء يبكون عليه ويدعون بالويل والثبور وعظائم الامور.

ص: ١١٩

ثم أن الحسين قام فی جهاز أخيه الحسن، وأمر عبد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر أن يناولاه الماء، فغسله، وحنطه، وكفنه، كما أمره، وصلى عليه فی جملة أهل بيته وشيعته. ثم إن والی المدينة سعيد بن العاص أتی وصلى على الحسن، وأمر الناس بالصلاة عليه. ثم أنهم حملوه على سريره إلى قبر رسول الله ليجددوا عهدا. ثم أنه أتی مروان بن الحكم وخرج شاكا فی سلاحه، ومعه بنو أمية شاكين فی السلاح، وهم لا يشكون أنهم يريدون دفن الحسن عند جده رسول الله، فتجمعوا ولبسوا السلاح، فلما توجه الحسين إلى قبر جده أقبلوا فی جمعهم، ولحقتهم عائشة على بغل وهی تقول: ما لی ولكم يا بنی هاشم، أتريدون أن تدفنوا فی بيتی من لا أحب. وجعل مروان بن الحكم يقول: يا رب هيجا هی خير من دعة أيدفن عثمان فی أقصى المدينة، ويدفن الحسن عند جده رسول الله ؟ والله لا يكون ذلک أبدا وأنا أحمل السيف، وكادت تقع بينهم فتنة عظيمة بين بنی أمية، فبادر ابن عباس إلى مروان بن الحكم وقال له: ارجع من حيث جئت، فإنا لا نريد دفنه عند رسول الله، لكن جئنا لنجدد به عهدا وميثاقا عند جده، ثم نرده إلى قبر جدته فاطمة بنت أسد وندفنه هناک لوصية تقدمت منه، ولو كان أوصى بدفنه عند جده لعلمت أنک أقصر باعا عن ردنا عن ذلک، ولكنه أعلم بالله ورسله وبحرمة قبره أن يطرقه هدم كما طرق ذلک غيره ودخل بيته بغير أذنه. ثم أقبل على عائشة وقال لها: واسوأتاه لک، يوما على جمل ويوما على بغل، تريدين أن تطفئی نور الله وتقاتلين مع أعداء الله، ارجعی فقد كفيتی ما تخافين وبلغتی ما تحبين، والله منتصر لاهل هذا البيت ولو بعد حين.

[ویوم الحسن الهادی علی بغلک أسرعت * تجملت تبغلت وان عشت تفیلت] [وفی بیت رسول الله بالظلم تحکمت * لک التسع من الثمن وبالکل تصرفت] وقال: لو لا عهد الحسن إلی بحقن الدماء وأن لا أهرق فی أمره مل ء محجمة دما، لعلمتم کیف تأخذ السیوف مأخذها منکم، فلقد نقضتم العهد الذی بیننا وبینکم، وأبطلتم ما اشترطنا علیکم لانفسنا وشیعتنا. ثم أنهم ألقوا السلاح وساروا بالحسن إلی البقیع، فجاء مروان بن الحکم بعد کف الفتنة ودخل تحت سریر الحسن وحمل جنازته، فقال له الحسین (ع): أتحمل الیوم سریره وبالامس کنت تجرعه الغیظ ؟ فقال مروان: کنت أفعل ذلک بمن یوازن حلمه الجبال. ثم أنهم أوصلوا الحسن (ع) إلی البقیع، ونزل الحسین القبر ومعه عبد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر، وألحده الحسین ودفنه وخرج من قبره باکیا حزینا، وهو یقول هذه الابیات: [یا قبر سیدنا المجن سماحة * صلی علیک الله یا قبر] [ما ضر قبر أنت ساکنه * أن لا یحل بربعه القطر] ورجع الحسین (ع) إلی منزله وجلس فی معزی أخیه الحسن (ع)، وأقبل الناس من کل جانب ومکان یعزونه، وبکته نساء أهل بیته ونساء بنی هاشم، وخرجت أم کلثوم، وکانت أکبر أخواتها تجر ذیلها متجللة بطرف ردائها، وهی تنشد وتقول: أخی حزنی علیک الیوم باق * ویومی فی التحس مثل أمسی] [أخی والله لا أنساک حتی * أوسد فی الثری وأحل رمسی] [عدمت تصبری فذعنت عنی * فأصبح ثاکلا عبری وأمسی] [یذکرنی طلوع الشمس صنوی * وأذکره بکل غروب شمس]

[ولو لا کثرة الباکین حولی * علی إخوانهم لقتلت نفسی] [ولا یبکون مثل أخی ولکن * أسلی النفس عنه بالتأسی] ثم أقبلت زینب بنت علی (ع) وشهقت شهقة کادت روحها أن تخرج منها، وبکت بکاء شدیدا حتی غشی علیها، فلما أفاقت من غشوتها بکت وقالت: [أخی إن کنت قد أبکیت عینی * فقد أضحکتنی زمنا طویلا] [بکیتک فی نساء معولات * وکنت أحق من یبدی العویلا] [دفعت بک الخطوب وأنت حی * فمن ذا یدفع الخطب الجلیلا] [إذا قبح البکاء علی قتیل * رأیت بکاءک الحسن الجمیلا] وفی رثاء الحسن یقول سلیمان بن قبة وکان محبا له: [یا کذب الله من نعی حسنا * لیس لتکذیب نعیه ثمن] [کنت خلیلی وکنت خالصتی * لکل حی من أهله سکن] [أجول فی الدار لا أراک وفی * الدار أناس جوارهم غبن] [أبدلتهم منک لیت أنهم * أضحوا وبینی وبینهم عدن] ثم أن محمد بن الحنفیة کان غائبا یوم وفاة أخیه الحسن (ع) فقدم فی الیوم الثالث من وفاته، فسمع بموت أخیه الحسن، فبکی بکاء شدیدا، ثم أتی للحسین (ع) وهو فی المعزی، فلما رأی الحسین لم یتمالک فی البکاء حتی غشی علیه زمنا طویلا، فلما أفاق من غشوته قال: بأبی أنت وأمی یا ابن رسول الله، لئن سررتنی بحیاتک فقد أحزنتنی بفقدک، فنعم الکفن کفنا تضمن جسدک، ونعم القبر قبرا ضم جسمک، وکیف لا تکون کذلک وأنت ابن مأوی التقی، وخامس أهل العبا، ابن خیر الاوصیاء، وابن سیدة النساء، محلک من الشرف وسطا، وتقدمت فیه فرطا، فلئن کانت نفوسا غیر طیبة بفراقک، فإنها

غير شاكية فى الخير لک، صلوات الله وسلامه عليک يوم تموت ويوم تبعث حيا. ثم بكى بكاء شديدا وأنشأ يقول: [سأبكيک ما دامت عيونى فإن تفض * فحسبک منى ما تجن الجوانح] [لئن حسنت فيک المراثى ووصفها * فقد حسنت من قبل فيک المدائح] [كأن لم يمت حى سواک ولم تقم * على أحد إلا عليک النوائح] [فما أنا من رزء وإن جل جازع * ولا بسرور بعد موتک فارح] قال أبو الحسن المدائنى: ووصل نعى الحسن من المدينة إلى البصرة فى يومين وليلتين، فقال الجارود بن أبى سبرة: [إذا كان شرا سار يوما وليلة * وإن كان خيرا جرد السير أربعا] [إذا ما بريد الشر أقبل نحونا * بإحدى الدواهى الربد سار وأسرعا] وكان أول من نعى الحسن (ع) بالبصرة عبد الله بن أبى سلمة، نعاه لزياد، فخرج الحكم بن أبى العاص الثقفى فنعاه، فبكى الناس وأبو بكرة يومئذ مريض، فسمع الضجة، فقال: ما هذا ؟ فقالت امرأته منسية بنت سجام الثقفية: مات الحسن والحمد لله الذى أراح الناس منه، فقال لها أبو بكرة: اسكتى ويحک فقد أراحه من شر كثير، وفقد الناس بموته خير كثير. يرحم الله حسنا. وفى بعض الاخبار أن عبد الله بن العباس كان يوم موت الحسن (ع) بدمشق، فلما وصل نعى الحسن إلى دمشق أقبل معاوية إلى ابن عباس، فقال له معاوية: لا يحزنک الله ولا يسؤک، ثم جرى بينه وبينه كلام أغلظ فيه ابن عباس لمعاوية، فقال له: يا معاوية أصبحت سيد قومک، فقال: أما والحسين حى فلا، فكان ابن عباس يقول: إن أول ذل دخل على العرب موت الحسن،

ويحق لى أن أتمثل بهذه الابيات [يا حى قومى فاندبين * بسحرة شجو النوائح] [المعولات الخامشات * وجوه حرات صحائح] [فكان سيل دموعها * الانضاب تخضب بالذبائح] [يبكين سادات أماجد * كأنهم المصابح] [شم بطارقة خضار * مة مسامح] [المشترون الحمد بالاموال * إن الحمد آنح] [والجامزون بلجمهم * أبدا إذا ما صاح صايح] [ذكرتنى سبط الرسول * وكان مذ رهن المنافح] [عنا شديدات الامور * إذا ينوب لهن فادح] [يا سبط لا والله لا أنسا * ک ما ضر اللقائح] [لمناخ أضياف وأيتام * وأرملة تلامح] [ولما ينوب الدهر فى * حرب لحرب فهو لافح] [إن يجنحن إلى العزا قلب * فقلبى غير جانح] [فلابكينک دائما * حتى أوسد فى الصفائح] [إن البكاء هو الشفا * من الجوى بين الجوانح] وكانت وفاة الحسن (ع) فى شهر صفر لليلتين بقيتا منه، وقيل لليال خلت منه، سنة خمسين من الهجرة. وقال الشهيد رحمه الله فى الدروس: قبض الحسن عام الخميس سابع شهر صفر. ومثله قال الكفعمى رحمة الله عليه وهو المشهور فى زماننا هذا والمعول عليه. وفى رواية المدائنى أنها فى شهر ربيع الاول لليال خلت منه.

ص: ۱۲۴

وكان عمره يوم مات سبع وأربعين سنة وأشهر، أقام منها مع جده رسول الله (ص) سبع سنين، أو ثمان سنين من الهجرة، وقام بالامر بعد أبيه على بن أبى طالب (ع) وله سبع وثلاثون سنة. وأقام فى خلافته ستة أشهر وثلاثة أيام، وصالح معاوية بن أبى سفيان إحدى وأربعين، وانما صالحه وهاونه خيفة على نفسه وأهل بيته وشيعته، لان جماعة من رؤساء الصحابة كاتبوا معاوية وضمنوا له تسليم الحسن (ع)، ولم يكن فيهم من يأمن غائلته، إلا فرقة قليلة من أهل بيته وشيعته، لا تقوم بقتال أهل الشام. وبعث إليه معاوية فى الصلح وصالحه على شروط كثيرة منها: أن يترك السب عن على (ع)، وأن يؤمن شيعته ولا يتعرض لاحد، فأجابه معاوية إلى ذلک وكتب كتاب الصلح. ثم خرج الحسن إلى المدينة وأقام بها عشر سنين، حتى دس إليه معاوية سما على يد زوجته جعدة بنت الاشعث، فانتقل إلى رضوان الله تعالى، فوفى معاوية لها بالمال الذى ضمنه لها وهو مائة ألف درهم، وطلبت منه أن يزوجها من يزيد فأبى، وقال: أخاف أن تفعلى بابنى كما فعلت بالحسن، فخلف عليها بعد الحسن رجل من آل طلحة فأولدها، وكان إذا وقع بينه وبين بطون قريش كلام عيروه وقالوا له: يا ابن مسمة الازواج، وابتلاها الله بجنون ونقص فى عقلها إلى أن ماتت لا رحمها الله.

ص: ۱۲۵

فى نسبه ووصفه (ع) وأما ذكر نسبه ووصفه فقد قال محمد بن طلحة الشامى: حصل للحسن والحسين ما لم يحصل لغيرهما، فإنهما سبطا النبى وريحانتاه، وسيدا شباب أهل الجنة، فجدهما النبى، وأبوهما على، وأمهما الطهر البتول فاطمة بنت الرسول. [نسب كأن عليه من شمس الضحى نورا * ومن فلق الصباح عمود] وقال الشيخ على بن عيسى الاربلى فى هذا المقام. إن نسبه هو النسب الذى تضال عنده الانساب، وشرفه الذى سجل بصحته الاثر والكتاب، فهو وأخوه دوحتا النبوة التى طابت فرعا وأصلا، وشعبتا الفتوة التى سمت رفعة ونبلا، وانسانا عينى السيادة والفخار، وسليلى الشرف الذى أظهر الخيلا فى مضر ونزار، وقد اكتنفها العز والشرف، ولازمهما السؤدد، فما له عنهما منصرف، وأحاط بهما المجد من طرفيهما، وتصورا من الجلالة فكادت تقطر من عطفيهما، وتكونا من الاريحية فهى تلوح من شمائلهما، وتبدو كما يبدو النهار على مخائلهما، بدءا الامثال والاضراب، فأين الضريب والمماثل، وترفعا فى أوج الفتوة عن العديل والمساجل، وفاقا فى طيب الاعراق، فطهارة الاخلاق رتبة الاواخر والاوائل، فعلت سماء

ص: ۱۲۶

فضلهما عن اللمس، حتى قيل وأين الثريا من يد المتناول بسبب يتصل من قبل أمهما بمحمد بلا فصل، أبيهما على يجتمع فى عبد المطلب، فاعجب لطيب فرع وزكى أصل. [أنتم ذووا النسب القصير وطولكم * ناد على الكبراء

والاشراف] [والخمر إن قيل بنت العنب اكتفت * بأب عن الالقاب والاوصاف] وأما صفته فانه كان أيضا مشوبا بحمرة، دقيق المشربة، حسن الوجه والمضحک، ربع من الرجال إلى الطول أقرب، كان أشبه برسول الله ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه [برسول الله] ما بين الصدر إلى قدمين.

ص: ١٢٧

فى عدد أولاده (ع) وأما عدد أولاده فقد قال كمال الدين المفيد رحمه الله خمسة عشر ذكر وأنثى، زيد بن الحسن وأخته أم الحسن وأم الحسين أمهما أم بشر بنت أبى مسعود بن عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية، والحسن بن الحسن أمه خولة بنت منظور الفزارية، وعمرو وأخواه القاسم وعبد الله بن الحسن أمهم أم ولد، وعبد الرحمن بن الحسن أمه أم ولد، والحسين بن الحسن الملقب بالاثرم وأخوه طلحة بن الحسن وأختهما فاطمة بنت الحسن أمهم أم إسحاق بن طلحة بن عبد الله التيمى، وأم عبد الله وفاطمة الصغرى وأم سلمة ورقية بنات الحسن، فهن لامهات شتى. فأما عبد الرحمن، فإنه خرج مع عمه الحسين إلى الحج وتوفى بالابواء وهو محرم، والحسين بن الحسن المعروف بالاثرم كان له فضل وعبادة ولا بقية له، وطلحة بن الحسن كان جوادا كثير العطاء والصدقات، وأما عمرو بن الحسن فكان مع الحسين بكربلاء واستشهد، وعبد الله بن الحسن كان مع عمه الحسين وكان صغيرا لم يراهق ابن إحدى عشر سنة، فلما فنى أنصار الحسين (ع) وعزم على لقاء الاعداء بنفسه أتى مودعا لنسائه، فسمع عبد الله، وداع عمه الحسين والوصية به، فلما خرج الحسين من الخيمة لحقه عبد الله فصاح الحسين بالنساء أمسكنه، فخرجن النساء ليردونه، فقال: اتركونى فوالله لا أفارق عمى أو أموت دونه، فانفلت من أيدى النساء ولحق عمه، فرأى

ص: ١٢٨

عبد الله مرة بن فضيل الازدى وهو هاو إلى الحسين بسيفه، فنادى يا ابن الزانية أتقتل عمى ؟ فالتفت إليه مرة وضربه بسيفه فاتقاها الغلام بيده فأطنها إلى الساعد، فصاح عبد الله: يا عماه أدركنى، فحل عليه الحسين كما يحل الصقر على فريسته، فأتاه وقتل مرة، ثم وقف (ع) على الغلام وهو يحفص برجليه، فقال: عزيز على عمک أن تدعوه فلا يجيبک، أو يجيبک فلا ينفعک، صوت كثر والله واتره وقل ناصره، ولكن هون على ما نزل بى أنه بعين الله. وأما القاسم بن الحسن، فإنه كان مع عمه الحسين بكربلاء، فلما رأى تفانى أصحاب الحسين وأهل بيته، أتى إلى عمه واستأذنه فى البراز، فلم يأذن له، فقال له: يا ابن الاخ أنت العلامة من أخى، وأريد أن تبقى لاتسلى بک، فلم يأذن له فى البراز، فجلس حزينا كئيبا من حر قلبه، فذكر أن أباه الحسن قد ربط له عوذة فى عضده وقال له: يا ولدى إذا وقع عليک أمر شديد وهم عظيم فعليک بحل العوذة وقراءتها والعمل بما تراه مكتوبا فيها، فقال القاسم لنفسه إنى مذ كنت إلى الآن لم يصيبنى مثل هذا الهم والغم الذى أنا فيه، فأقبل إلى العوذة وفكها من عضده وقرأها، وإذا فيها: يا ولدى يا قاسم أوصيک إذا رأيت عمک الحسين بكربلاء وقد أحاطت به الاعداء، فلا تبخل عليه بروحک، وكلما نهاک عن

البراز عاوده لتحظى بالسعادة الابدية. فلما وقف القاسم على العوذة أتى إلى عمه الحسين وعرض عليه ما فيها، فبكى الحسين بكاء شديدا وتنفس الصعداء وأن كمدا، فقال له: يا ابن الاخ هذه وصية لک من أبيک وعندى وصية أخرى منه لک ولا بد من إنفاذها. فجاء الحسين (ع) وأخذ بيد القاسم وأدخله الخيمة وطلب عونا وعباسا، وقال لام القاسم: أليس للقاسم ثياب جدد ؟ قالت: لا، فقال لاخته زينب:

ص: ١٢٩

ناولينى الصندوق الفلانى، فأتت به، ففتحه وأخرج منه قباء الحسن وعمامته وألبسهما القاسم ومسک بيد ابنته المسماة للقاسم وعقد له عليها وأفرد له خيمة وخرج عنهما، فعاد القاسم ينظر إلى ابنة عمه ويبكى إلى ان سمع الاعداء ينادون: هل من مبارز ؟ فرمى بيد زوجته وأراد الخروج فجذبت ذيله ومانعته عن الخروج وهى تقول: ما الذى تريده ؟ فقال: أريد ملاقاة الاعداء، فلزمت ذيله، فقال لها: خلى ذيلى فإن عرسنا أخرناه إلى الآخرة، فبكت لذلک بكاء شديدا وانفجع أهل البيت بالبكاء والنحيب، ثم قالت له: يا قاسم أنت تقول عرسنا أخرناه للآخرة وفى الآخرة بأى شئ أعرفک، قال: فمسک القاسم يده وضرب بها على ردنه فقطعها وقال: اعرفينى بهذه الردن المقطوعة، قال: فانفجع أهل البيت بالبكاء والنحيب لفعل القاسم وبكوا ونادوا بالويل والثبور وعظائم الامور. ثم أن القاسم ركب جواده وخرج للبراز، فلما رآه الحسين قال له: يا ولدى أتمشى برجلک إلى الموت ؟ فقال: نعم يا عم وكيف لا أمشى برجلى إلى الموت وأنت بين الاعداء وحيدا فريدا لم تجد محاميا ولا معينا، روحى لروحک الفدا، ونفسى لنفسک الوقا. فعند ذلک برز القاسم إلى الميدان، ولم يزل يجاهد أعداء الله حتى غلب عليه العطش، فرجع إلى عمه الحسين وقال: العطش العطش يا عماه، أدركنى بشربة من الماء فصبره الحسين وقال له: ما أسرع ما تلقى جدک رسول الله فيسقيک شربة لا تظمأ بعدها أبدا، ثم أعطاه خاتمه فمصه، فصار له ماء منه، فارتوى وانقلب إلى الميدان، فلم يزل يقاتل وقد جعل همته على صاحب لواء عمر بن سعد، فاحتاطوا به من كل جانب ومكان بالنبل، فضربه شيبة بن سعد الشامى بالرمح فى ظهره أخرجه من صدره، فوقع القاسم يخور فى دمه ونادى: يا عماه أدركنى، فجاء إليه الحسين وقتل قاتله وحمله إلى الخيمة ووضعه فيها، ففتح القاسم عينيه فرأى عمه الحسين قد احتضنه وهو

ص: ١٣٠

يبكى ويقول: قتل الله قاتلک يا بنى وأصلاه نار جهنم، يعز على عمک أن تدعوه وأنت مقتول. ثم أن الحسين (ع) ألقاه على أهل بيته وبكى أهل البيت وابنة عمه تبكى بكاء شديدا. أما الحسن بن الحسن (ع) فإنه كان مع عمه الحسين بكربلاء، فجاهد معه جهاد الاسد الباسل، وبالغ معه على احتمال الخطب النازل، حتى أثخن بالجراح، وبقى ملقى لم يكن به حراک إلى أن قتل عمه الحسين، وأتى أعداء الله للتجهيز على الجرحى، فوجدوا الحسن بن الحسن ملقى بين القتلى وبه نفس، فأرادوا أن يجهزوا عليه، فعرفه أسماء بن خارجة وكان بينه وبينه خولة، فمنعهم عنه، وقال:

والله لا أدعكم تجهزون على ابن خولة أبدا. وكانت أم الحسن بن الحسن خولة الفزارية أمها مليكة أخت أسماء بن خارجة، فقال عمر بن سعد: اتركوه لابى حسن ابن أخته، فترک، فأخذه أسماء بن خارجة وحمله إلى منزله، فبقى يعالج جراحاته حتى برئ ورجع إلى المدينة. وكان الحسن بن الحسن جليلا، فاضلا، ورعا، عالما، وكان يلى صدقات رسول الله (ص) بإجازة على بن الحسين زين العابدين (ع). وله مع الحجاج خبر رواه الزبير بن بكار، قال: وكان الحسن بن الحسن والى على صدقات رسول الله فى عصره، فساير الحجاج يوما وكان إذ ذاک أمير المدينة، فقال له الحجاج: ادخل عمربن على فى صدقات رسول الله، فإنه عمک وبقية أهلک، فقال الحسن: لا أفعل ولا غير شرطا على، ولا أدخل فيه من لا يدخله، فانه جعل الولاية لنسل فاطمة خاصة، فقال الحجاج: إذا أنا أدخله، فقال الحسن بن الحسن، تنكص عنه، فصبر حتى غفل الحجاج عنه

ص: ١٣١

ثم خرج من وقته ذلک، وتوجه إلى عبد الملک بن مروان، حتى قدم عليه فى الشام، فوقف ببابه يطلب الاذن، فمر به يحيى ابن أم الحكم، فلما رآه يحيى مال إليه وسلم عليه، وسأله عن قدومه، فأخبره وقال: إنى سأنفعک عند عبد الملک، فلما دخل على عبد الملک قال له: لقد أسرع إليک الشيب يا أبا محمد، فقال يحيى بن أم الحكم ما يمنعه يا أمير شيبه أمانى أهل العراق لقدوم الركب عليه يمنونه الخلافة، فأقبل إليه الحسن بن الحسن وقال له: بئس الرفد رفدک، ليس الامر كما قلت، ولكنا أهل بيت يسرع إلينا الشيب وعبد الملک يسمع، فأقبل إليه عبد الملک وقال: هلم لما جئت له، فأخبره بقول – الحجاج، فقال: ليس ذلک له، أكتب إليه كتابا لا يتجاوزه، فكتب إليه، ووصل الحسن بصلة فأحسن صلته. فلما خرج من عنده لحقه يحيى بن أم الحكم، فعاتبه الحسن بن الحسن (ع) على سوء محضره، فقال له: هذا الذى وعدتنى من رفدک ؟ فقال له يحيى: أيها عليک والله لا يزال يهابک، ولولا هيبتک ما قضى لک حاجة، والله ما أراد بذلک رفدک. وروى أن الحسن بن الحسن خطب إلى عمه الحسين إحدى ابنتيه، فقال له الحسين: اختر أيهما شئت، فاستحى الحسن ولم يرد جوابا، فقال له الحسين، يا بنى إنى اخترت لک ابنتى فاطمة فهى أكثر شبها بأمى فاطمة بنت محمد، فزوجه بها، وقبض الحسن بن الحسن وله خمس وثلاثون سنة، ولما مات رحمه الله ضربت فاطمة بنت الحسين فسطاطا تقرأ عنده القرآن، وكانت تصوم النهار وتقوم الليل، وكانت تشبه الحور العين لجمالها. فلما كان رأس السنة، قالت لمواليها: إذ أظلم الليل قوضوا هذا الفسطاط، فلما أظلم الليل سمعت قائلا يقول: هل وجدوا من فقدوا ؟ فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا، فمضى الحسن بن الحسن ولم يدع الامامة، ولا ادعاها له مدع.

ص: ١٣٢

وأما زيد بن الحسن، فإنه كان مع عمه الحسين بكربلاء، وكان صغيرا لم يراهق ولم يقاتل، وأخذ أسيرا مع الاسارى، وسير به مع على بن الحسين وباقى الحرم والاطفال إلى الشام، وأدخلوا على يزيد فى أسوأ حال ومقام.

روى أنه كان ذات يوم جالسا بين يدى يزيد بن معاوية، وكان ولده خالدا جالسا معه، فقال يزيد لزيد بن الحسن (ع) أتصارع ابنى خالدا ؟ فقال: لا ولكن اعطه سكينا واعطنى سكينا وأقاتله: فقال يزيد بن معاوية: شنشنة أعرفها من أخزم، هل تلد الحية إلا حية ؟ يريد أن يقتل ابنى بمحضرى. ثم أن زيد رجع إلى المدينة مع على بن الحسين وحرم الحسين وأقام بها، وكان زيد جليل القدر، كريم الطبع، طلق النفس، كثير البر، وكان يتولى صدقات رسول الله (ص)، ومدحه الشعراء وقصده الناس من الآفاق لطلب فضله، وأسن زيد حتى بلغ تسعين سنة، وذكر أرباب السير أنه لما ولى سليمان بن عبد الملک كتب إلى عامله فى المدينة: أما بعد إذا جاءک كتابى فاعزل زيد بن الحسن عن صدقات رسول الله وادفعها إلى فلان رجل من قومه، وأعنه على ما استعانک عليه. فعزله عامل سليمان. فلما تخلف عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله بالمدينة: أما بعد فإن زيد بن الحسن شريف بنى هاشم وذو سنهم، فإذا جاءک كتابى هذا فارده إلى عمله وأعنه على ما استعانک عليه، وفى زيد يقول محمد بن بشر الخزرجى هذه الابيات. [إذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة ❊ نفى جدبها واخضر بالنبت عودها] [وزيد ربيع الناس فى كل شتوة ❊ إذا اختلفت أبراقها ورعودها] [حمولا لاشتات الديات كأنه ❊ سراج الدجى قد قارنته سعودها]

ومات زيد بن الحسن (ع) وله تسعون سنة، ورثاه جملة من الشعراء وذكروا مآثره وفضله، وكان ممن رثاه قدامة بن موسى الجهنى حيث يقول: [فإن يک زيد غالت الارض شخصه ❊ فقد بان معروف هناک وجود] [وإن يک أمسى رهن رمس فقد ثوى ❊ به وهو محمود الفعال رشيد] [سريع إلى المعتز يعلم أنه ❊ سيطلب بالمعروف ثم يعود] [وليس بقوال وقد حط رحله ❊ لملتمس المعروف أين تريد] [إذا قصر الوغد الدنى بما به ❊ إلى المجد آباء له وجدود] [مباذيل للمولى محاشيد للقرى ❊ وفى الروع عند النائبات اسود] [إذا انتحل المجد الطريف نما به ❊ له إرث مجد لا يرام تليد] [إذا مات منهم سيد قام سيد ❊ كريم يبنى مجدهم ويشيد] ومات زيد بن الحسن ولم يدع الامامة ولا ادعاها له مدع.

فى ازواجه (ع) واما أزواج الحسن فقد تزوج نساء كثيرة جدا. قال أبو جعفر محمد بن حبيب الكوفى: لقد تزوج الحسن وطلق حتى خفت أن يشب عداوة، وجلس يوما أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) وقال: أيها الناس إن ابنى الحسن مطلاق فلا تزوجوه. فقال بعض: ما يمنعنا من تزويجه وهو ابن رسول الله وابن أمير المؤمنين، والله لو أراد كل يوم منا جارية ما عددنا ذلک إلا شرفا. فممن تزوج أم إسحاق بن طلحة بن عبد الله التميمى، فولدت له الحسن بن الحسن (ع) الملقب بالاثرم، وطلحة وأخته فاطمة، وتزوج أم بشر بن أبى مسعود الانصارى، فولدت له زيد بن الحسن واختيه أم الحسن وأم الحسين. وتزوج أمرأة من كلب، وامرأة من بنات عمرو بن إبراهيم المنقرى، وأمرأة

من ثقيف، فولدت له عمر، وتزوج امرأة من بنى علقمة بن زرارة وتزوج امرأة من شيبان بن الهمام، فقال بعض الناس إنها ترى رأى الخوارج، فقال (ع): أكره أن أضم إلى نحرى جمرة من جمر جهنم، وخطب (ع) من رجل ابنته، فقال الرجل: إنى مزوجک ابنتى وأعلم انک مطلاق، ولكن أنت

ص: ١٣۶

خير الناس نسبا وأرفعهم جدا وأبا. وتزوج هند بنت سهيل بن عمر وكانت عند عبد الله بن عامر بن كريز فطلقها، فكتب معاوية إلى أبى هريرة أن يخطبها إلى يزيد ابنه فلقيه الحسن وقال له: ما عندک ؟ فأخبره فقال (ع) له: اذكرنى لها، فأتاها أبو هريرة وأخبرها بالخبر، فقالت: إنى أختار الحسن بن على، فتزوجت الحسن، فقدم عبد الله بن عامر زوجها الاول إلى المدينة، فقال للحسن: ان لى عند هند وديعة، فدخل إليها والحسن معه، فخرجت حتى جلست بين يدى عبد الله بن عامر، فرق لها رقة عظيمة، فقال الحسن: الا أنزل لک عنها فأنكما لا تجدا محللا خيرا منى ؟ قال: لا، فقال عبد الله: هاتى وديعتى، فأخرجت له هند سفطين فيهما جواهر، ففتحهما وأخذ من أحدهما قبضة وترک الباقى. وكانت قبل عند عبد الرحمن بن غياث بن أسد، فكانت تقول: سيدهم جميعا الحسن بن على، وأسخاهم ابن عامر، وأحبهم إلى قلبى عبد الرحمن بن غياث. قال المدائنى: وتزوج الحسن بن على حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر، وكان المنذر بن الزبير يهواها، فخطبها فلم تقبل، فأبلغ الحسن عنها شيئا فطلقها، وخطبها المنذر فأبت وقالت شهرنى، فخطبها عاصم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فتزوجها، فبلغه عنها شيئا فطلقها، وخطبها المنذر بن الزبير فأبت أن تتزوجه، فقيل لها تزوجيه، فقالت: والله لا أفعل شهرنى مرتين، والله لا يرانى فى منزله. وكان الحسن بن على بن أبى طالب (ع) إذا عزم على اطلاق امرأة جلس لها وقال لها: يسرک أن أهب لک كذا وكذا ؟ فتقول لا أو نعم، فإذا قام عنها أرسل إليها بالطلاق. وعن ابن غفلة قال: كانت عائشة الخثعمية عند الحسن بن على، فلما

ص: ١٣٧

أصيب على وبويع للحسن بالخلافة، قالت: ليهنک الخلافة، فقال لها: يقتل على بن طالب وتظهرين الشماتة، اذهبى فأنت طالق ثلاثا، فتلفعت بساحتها وخرجت إلى منزلها، فلما انقضت عدتها بعث إليها بقية صداقها عشرة آلاف درهم، فقالت: متاع قليل من حبيب مفارق، فلما بلغه قولها رق لها وبكى وقال: لولا أنى سمعت من جدى رسول الله يقول: أيما رجل طلق امرأة قبل الاقرار وثلاث مبهمة لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره، وتزوج جعدة بنت الاشعث لعنها الله التى سقته السم. قال المدائنى: ولقد أحصيت زوجات الحسن بن على فكن سبعين غير ما نكح لامهات الاولاد.

فی صفات الحسن (ع) وأما صفات الحسن فی الجود والحلم الراسخ الذی یتعجب له کل موجود فهو بحر الکرم الذی لا یعرف قراره، ونور العلم الذی أضاء مناره، وغرة وجه الحکم الذی لا تدرس آثاره. وقد روی أن فاطمة الزهراء (ع) [قدمت] بالحسن والحسین علی أبیها رسول الله فی مرضه وقالت: یا رسول الله هذان ابنای فورثهما فقال (ص): أما الحسن فله جودی وحلمی، وأما الحسین فله هیبتی وسؤددی. فلعمری لقد ظهرت آثار تلک الوارثة وجری ماء النبوة فی مغرسهما فما أکرم تلک الحراثة، أما هیبة الحسین (ع) وشجاعته فهی التی تذل لها الابطال الشوس. وتقع لها خاضعة متی ذکرت النفوس، فهو سید أهل المروة والاباء، ولا غرو فجده محمد المصطفی وعلی المرتضی کان له أبا وأما. وأما جود الحسن وعلمه فهما لا ینتهیان إلی حد ولا یحدان برسم ولا حد قد بلغ فیها النهایة وجاوز فیها الغایة، ولقد قاسم ربه ثلاث مرات حتی أنه کان یعطی من ماله نعلا ویمسک نعلا وما استأثر لنفسه دون فقراء المدینة أصلا. وروی أنه سمع رجلا یسأل الله أن یرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف إلی منزله وبعث بها إلیه، وأتاه رجل وسأله حاجة فقال له: حق سؤالک یعظم علی

ومعرفتی بما یجب لک یکبر لدی، ویدی یعجز عن نیلک بما أنت أهله والکثیر فی جنب الله قلیل، فإن قبلت المیسور ورفعت عنا مؤنة الاحتفال والاهتمام بما أتکلفه من واجبک فعلت ؟ فقال: یا ابن رسول الله أقبل القلیل وأشکر العطیة وأعذر علی المنع، فدعی الحسن بوکیله یحاسبه علی نفقاته حتی اسنقصاها فقال (ع) له: هات الفاضل، فأحضر خمسین الف درهم فقال له الحسن بن علی: فبما فعلت بالمائة دینار ؟ قال: ها هی عندی فقال: هاتها، فدفع الدارهم والدنانیر إلی الرجل وقال: هات من یحمله لک، فأتی الرجل بحمالین فدفع الحسن رداءه لکرا الحمالین فقال له مواليه: والله ما بقی عندنا درهما واحدا فقال (ع): إنی أرجو أن یکون لی عند الله الاجر العظیم. وحکایات جوده (ع) تضیق بها الارقام وتکل عن سطرها الاقلام، وأما حلمه فکفاک ما نطقت به ألسن أعدائه المظهرین له الشنآن، والمعلنین له بالبغض والعدوان، فقال مروان بن الحکم لما حمل جنازته قال له الحسین: أتحمل الیوم سریره وبالامس کنت تجرعه الغیظ ؟ فقال مروان بن الحکم: کنت أفعل ذلک بمن یوازن حلمه الجبال. وروی أنه دخل رجل من أهل الشام المدینة فرأی رجلا راکبا علی بغلة حسنة قال: فلم أر أحسن منه وجها، فمال قلبی إلیه فسألت عنه فقیل لی هذا الحسن بن علی بن أبی طالب، فامتلا قلبی علیه غیظا وحنقا وبغضا وحسدا علی أن یکون لعلی بن أبی طالب ابن مثل هذا الغلام، فقمت إلیه وقلت له: أنت ابن علی بن أبی طالب ؟ قال: نعم فقلت: ابن من ومن وجعلت أشتمه وأنال منه ومن أبیه وهو ساکت لم یرد جوابا، فاستحیت منه فلما انقضی کلامی ضحک وقال: أحسبک غریبا شامیا ؟ قلت: نعم قال: هلم معی إلی منزلی إن احتجت إلی منزل أنزلناک أو إلی مال رفدناک أو إلی حاجة عاوناک، فاستحیت منه وعجبت من کرم أخلاقه وانصرف وقد کنت أحبه ما لا أحب أحدا غیره وبالجملة فکرم أخلاقه لطیب أصله وأعراقه، فلعمری فهو ثمرة شجرة النبوة

ص: ۱۴۱

والحائز قصبات السبق بين الامومة والابوة، ولله در الشاعر حيث يقول: [فما بلغت كف امرء متطاول ❊ بها المجد إلا والذى نلت أطول] [ولا خبر المثنون فى الحال مدحة ❊ ولا أطنبوا إلا وما فيک أفضل] فهيهات أن يلحق وصفه سوابق الانكار وأنى يبلغ كنه مجده وقد كلت عن إدراک فضله البصائر والابصار. أما حديث أصله فواصفه كواصف شمس النهار و [أما] كرم أخلاقه وفضله فقد بلغت الاشتهار، وأما حلمه فتدل عنه الجبال الرواسى، وأما علمه فترد دونه الابصار وهى خواسى، فأنى يبلغ من وصفه الغاية ويطلب من تعداد مناقبه النهاية والاقتصار فيما حصل إن شاء الله كفاية. فصلوات الله عليه وعلى جده وأبيه وأمه وأخيه والائمة المعصومين من ذرية أخيه وصلاة دائمة تدوم بدوام الايام متعاقبة لا تنقضى حتى القيام. وهذا آخر ما انتهى إلينا من كلام المؤلف على التمام والكمال ونستغفر الله المنان عن الزيادة والنقصان والسهو والنسيان إنه غفور منان والحمد لله حمده وصلى الله على من لا نبى بعده محمد وآله الطيبين الطاهرين.

ص: ۱۴۳

فى زيارته (ع) السلام عليک يا ابن رسول الله، السلام عليک يا صفى الله، السلام عليک يا حبيب الله، السلام عليک يا ابن صفى الله، السلام عليكم يا حجج الله، السلام عليک يا نور الله فى أرضه وبلاده، السلام عليک يا صراط الله فى عباده، السلام عليک أيها الطاهر الزكى، السلام عليک أيها التقى النقى، السلام عليک يا أبا محمد الزكى ورحمة الله وبركاته، أشهد أنک من دعائم الدين وأركان المسلمين ومعقل المؤمنين، وأشهد أنک حجة الله على الخلق أجمعين، لعن الله أمة قتلتک، ولعن الله أمة ظلمتک، ولعن الله أمة دفعتک عن مقامک وأزالتک عن مراتبک التى رتبک الله بها، ولعن الله أمة جحدتک وتركتک واستبدلت الجبت والطاغوت، أللهم العنهم جميعا وعذبهم عذابا أليما وأصلهم نارا وقودها الناس والحجارة، أللهم صل على الحسن والحسين ابنى بنت نبيک صلاة زاكية نامية، أللهم صل عليهما وآلهما فهما سبطى رسولک وسليله وحبيبه وريحانتا قلبه وثمرتا فؤاده وإماما أمته وحافظا شريعته وكهفا شيعته ولسانا حجته وهاديا خلقک وناصرا دينک وخازنا وحيک وشريكا كتابک وسيدا شباب أهل الحنة وغصنا شجرة النبوة، أللهم إنهما ولدا فى حجر نبيک وحملهما على عاتقه وضمهما كفيه وساءهما موته وقد ناغاهما أمين وحيک وآنسهما وأشبع جوعهما أللهم هما ما تزفرا زفرة إلا توجع لهما نبيک المصطفى وأسرعت لهما سيدة

ص: ۱۴۴

النساء واحتضنهما صدر وصی نبیک ووليک المرتضی وقد ضمهما العبا وطهرهما الدعاء وقد بکت لهما السماء دما، أللهم صل عليهما صلاة شريفة تملا الارض و أقطارها وابلغهما عنی تحية وسلاما ومغفرة ورضوانا انک ذو الفضل والمن الجسيم، والسلام عليک يا مولای وابن مولای ورحمة الله وبرکاته، السلام عليکم يا أهل التقی، السلام عليکم يا حجج الله علی أهل الوری، السلام عليکم أيها القوام فی البرية بالقسط، السلام عليکم يا أهل الصفوة، السلام عليکم يا أهل النجوی، أشهد انکم بلغتم ونصحتم وصبرتم فی ذات الله وکذبتم وأسئ إليکم فعفوتم، وأشهد أنکم أئمة الهدی الراشدون طاعتکم مفترضة، وأن أقوالکم الصدق وأنکم دعائم الدين وأرکان الارض، لم تزالوا بعين الله أنجبکم من أصلاب طاهرة ونقلکم من أرحام المطهرات، لم تدنسکم الجاهلية الجهلاء ولم تشرک فيکم الاهواء، وطبتم وطاب حيکم وميتکم من بکم علينا ديان يوم الدين فجعلکم فی بيوت أذن الله أن ترفع ويذکر فيها اسمه ومن علينا بموالاتکم معترفين تصديقنا إياکم، وهذا مقام من أسرف وأخطأ واستکان واعترف بما جنا ورجا بمقامه الخاص وأن يستنقذه بکم من منقذ الهلکی من الردی، فکونوا إلی شفعاء فقد وفدت إليکم إذا زاغت عنکم أهل الدنيا واتخذوا آيات الله هزوا واستکبروا عنها، يا من هو مذکور لا يسهو، ودائم لا يلهو، ومحيط بکل شئ لک المن علی فيما وفقتنی وعرفتنی ما ثبتنی عليه إذ صد عنه عبادک وجحدوا معرفتهم واستخفوا بحقهم ومالوا إلی سواهم، فکانت المنة لک ومنک علی مع أقوام خصصتهم بما خصصتنی به فلک الحمد إذا کنت عنک فی مقامی هذا مذکورا مکتوبا، ولا تحرمنی ما رجوت، ولا تجبهنی فيما دعوت، والسلام عليکم ورحمة الله وبرکاته وأستودعکم الله ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاکتبنا مع الشاهدين. ثم تصلی رکعتين وتسبح تسبيح الزهراء ثم تقول السلام عليک يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليک يا وارث نوح نبی

الله، السلام عليک يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليک يا وارث موسی کليم الله، السلام عليک يا وارث عيسی روح الله، السلام عليک يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليک يا وارث أمير المؤمنين، السلام عليک يا ابن محمد المصطفی، السلام عليک يا ابن علی المرتضی، السلام عليک يا ابن فاطمة الزهراء، السلام عليک يا ابن خديجة الکبری، السلام عليک يا أخا الحسين الشهيد بطف کربلاء، السلام عليک يا شبر، السلام عليک يا شبير، السلام عليک يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور، أشهد أنک قد أقمت الصلاة وآتيت الزکاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنکر وأطعت الله حتی أتاک اليقين، فلعن الله أمة قتلتک ولعن الله أمة ظلمتک، ولعن الله أمة سمعت بذلک ورضيت به، يا مولای يا أبا محمد الحسن الزکی أشهد الله وأشهد ملائکته وأنبياءه ورسله، أنی بکم مؤمن، وبإيابکم موقن، وبشرائع دينی وخواتيم عملی، صلوات الله عليکم وعلی أرواحکم وعلی أجسادکم وعلی شاهدکم وغائبکم وظاهرکم وباطنکم، بأبی أنت وأمی يا ابن رسول الله يا أبا محمد الحسن لقد عظمت رزيتک ومصيبتک علينا وعلی أهل السماوات والارض فلعن الله أمة أسرجت وألجمت وتهيأت لقتالک يا مولای وقتال أخيک الحسين، ولعن الله جعدة بنت الاشعث ولعن الله الاشعث ولعن الله معاوية وعبيد الله بن زياد ولعن الله من قصدکم بأذيته وبلغ أمنيته فيکم لعنا وبيلا. قصدتکم بقلبی زائرا ووجهت إليکم سلامی ودعائی مذ عجزت عن بلوغ مشاهدکم ولعلمی أنه يبلغکم دعائی

وسلامی، فسلامه وأشرف تحیاته توصلکم فأسأل الله تعالی بالشأن الذی لکم عنده، وبالمحل الذی لکم عنده أن یجعلنی معکم فی الدنیا والآخرة. (ثم تقول): أللهم العن معاویة وزیاد ویزید بن معاویة وعبید الله بن زیاد وآل سفیان وآل مروان، (ثم تقول): أللهم العن الاشعث وجعدة بنت الاشعث (مائة مرة)، (ثم تقول): أللهم صل علی محمد وآل محمد (مائة مرة)، (ثم تسجد وتقول): أللهم لک الحمد حمد الشاکرین علی مصابهم

ص: ۱۴۶

الحمد لله علی عظیم رزیتی، أللهم ارزقنی شفاعة نبیک وأولاد نبیک یوم الورد المورود، وثبت لی قدم صدق عندهم، صلوات الله علیهم أجمعین: ثم ترفع رأسک وتدعو بما أحببت والحمد لله رب العالمین.

ص: ۱۴۷

وفاة الامام السجاد علی بن الحسین " علیهما السلام " تألیف العلامة الشیخ علی آل الشیخ سلیمان البلادی البحرانی

ص: ۱۴۹

بسم الله الرحمن الرحیم بعد الحمد لله الذی خص محمدا وآله الکرام صفوته من الانام علیهم أفضل الصلاة وأکمل السلام بالمصائب العظام والرزایا الجسام صلاة وسلاما دائمین إلی یوم القیام. فیقول: فقیر ربه الغنی السبحانی حسین بن العالم المقدس الشیخ علی آل المبرور الشیخ سلیمان البلادی البحرانی عفی الله تعالی عنهم وعن أرحامهم والمؤمنین والمؤمنات وحشرهم فی زمرة ساداتهم الهداة علیهم أکمل الصلوات: إنی عازم بعون الله تعالی علی جمع نبذة جلیلة فی هذه الاوراق القلیلة مما یتعلق بالامام الهمام خدین العلل والاسقام وقرین المصائب العظام زین العابدین. وسید الساجدین علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب (ع) ملا الخافقین، وقد سمیت هذا المختصر (مثیر الوجد والانین علی الامام زین العابدین) فأقول: ومن الله الکریم أستمد التوفیق لبلوغ المأمول هو الامام الزاهد العابد زین المنابر والمساجد علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف السادة الاشراف – إلی آخر ذلک النسب الشریف الغنی عن التعریف، وأمه شاه زنان بنت یزدجرد، وقیل شهربانو، وقیل شهربانویه بنت کسری وقیل: اسمها غزالة إلی

غير ذلک مما ورد من أسمائها. وكان أمير المؤمنين (ع) ولى حريث بن جابر الحنفى جانبا من المشرق، فبعث إليه ببنتى يزدجرد بن شهريار بن كسرى، فنحل ابنه الحسين شاهزنان منها، فأولدها زين العابدين ونحل الاخرى محمد بن أبى بكر، فولدت له القاسم فهما ابنا خالة. روى عنه (ع) أنه كان يقول أنا ابن الخيرتين يعنى جده محمدا (ص) وعليا (ع) وكسرى فهو ابن خيرة العرب والعجم، ولم يقل ذلک للبذخ والفخر ولكن بيانا للواقع وكأنه نظر إلى قول جده رسول الله (ص): إن لله من عباده خيرتين فخيرته من العرب القريش، ومن العجم فارس، ولقد أحسن من قال من أهل الكمال: [وأن وليدا بين كسرى وهاشم * لاكرم من نيطت عليه التمائم] وكان مولده (ع) بالمدينة سنة ثمان وثلاثين من الهجرة فبقى مع جده أمير المؤمنين سنتين، ومع عمه الحسن اثنتى عشر سنة، ومع أبيه ثلاثا وعشرين سنة، وبعد أبيه أربعا وثلاثين سنة وقيل أربعين سنة، وفى هذه المدة ما تهنى (ع) بعد قتل أبيه وذريه وما جرى عليه بهنى منام ولا لذيذ شراب وطعام، كان إذا وضع خادمه بين يديه الطعام وقال له: كل سيدى يقول: آكل أم أشرب وقد قتل ابن رسول الله جائعا عطشانا. [لا يذبح الكبش حتى يرو من ظمأ * ويقتل ابن رسول الله ظمآنا] حدث مولى له (ع) أنه برز يوما إلى الصحراء قال: فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة، فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه، وأحصيت عليه ألف مرة وهو يقول: لا إله إلا الله حقا حقا، لا إله إلا الله تعبدا ورقا، لا إله إلا الله إيمانا وتصديقا وصدقا، ثم رفع رأسه من سجوده وان وجهه ولحيته قد غمرا بالدموع، فقلت له: يا سيدى ما آن لحزنک أن ينقضى ولبكائک أن

يقل ؟ فقال لى: ويحک إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبيا وابن نبى له إثنا عشر ابنا، فغيب الله واحدا منهم فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء، وابنه حى فى دار الدنيا، وأنا رأيت أبى وسبعة عشر من أهل بيتى مقتولين، فكيف ينقضى حزنى ويقل بكائى ؟. [لقد تحمل من ارزائها محنا * لم يحتملها نبى أو وصى نبى] وكنيته (ع) أبو محمد، وأبو الحسن، وأبو بكر والاول أشهرها، وألقابه كثيرة منها زين العابدين. كان (ع) ليلة فى محرابه قائما يصلى فتمثل له الشيطان فى صورة ثعبان ليشغله عن عبادته فلم يلتفت إليه، فجاء إلى ابهام رجله فالتقمها فلم يلتفت إليه، فألمه فلم يقطع صلاته، فلما فرغ منها وقد كشف الله له أنه شيطان فسبه ولطمه وقال: اخسأ يا ملعون، فذهب موليا عنه وقام (ع) إلى تمام ورده فسمع صوتا لا يرى قائله: أنت زين العابدين ثلاثا. وقال ابن عباس: قال رسول الله: إذا كان يوم القيامة ينادى مناد: أين زين العابدين ؟ فكأنى أنظر إلى ولدى على بن الحسين يخطو بين الصفوف، ومنها أنه سيد العابدين. روى أيضا أن إبليس تصور له (ع) وهو قائم يصلى فى صورة أفعى له عشرة رؤوس محدد الانياب، طلع عليه من جوف الارض من محل سجوده ثم تطاول فى محرابه، فلم يفزعه ذلک ولم يكسر طرفه إليه، فانقض على رؤوس أصابعه يكدمها بأنيابه وينفخ عليه من نار جوفه وهو لا يكسر طرفه إليه ولا يحول قدميه، لم يبرح إبليس حتى انقض عليه شهاب محرق من السماء، فلما أحس به صرخ وقام إلى جانب

الامام (ع) فی صورته الاولی ثم قال: یا علی أنت سید العابدین کما سمیت وأنا إبلیس، والله لقد رأیت عبادة النبیین من عهد أبیک آدم إلیک فما رأیت مثلک ولا مثل عبادتک ثم ترکه وولی وهو فی صلاته لا یشغله کلامه.

ص: ۱۵۲

ومنها السجاد، قال ابنه الباقر (ع): إن أبی علی بن الحسین ما ذکر لله نعمة علیه إلا سجد، ولا دفع الله تعالی عنه سوءا یخشاه أو کید کائد إلا سجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد، ولا وفق لاصلاح بین اثنین إلا سجد، وکان أثر السجود فی جمیع مواضع سجوده فسمی السجاد لذلک. ومنها ذو الثفنات. قال أیضا ابنه الباقر: کان لابی فی موضع سجوده آثار ناتئة، أی مرتفعة، وکان (ع) یقطعها فی السنة مرتین فی کل مرة خمس ثفنات فسمی ذو الثفنات لذلک، إلی غیر ذلک من ألقابه الشریفة، فهو سلام الله علیه کما قال ابنه الباقر (ع) فیه: کان أبی یصلی فی الیوم واللیلة ألف رکعة، وکانت الریح تمیله کالسنبلة وقد بلغ من العبادة ما لم یبلغه أحد، وقد اصفر لونه من السهر، ورمدت عیناه من البکاء، ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود، وورمت ساقاه من القیام، وفی هذا ما یدل علی أنه (ع) أفضل الانام بعد جده وآبائه صفوة الله السلام علیهم جمیعا أفضل الصلاة والسلام. وأما مناقبه المنیفة فهی کثیرة لا قدرة لکاتب ولا لعد حاسب علی ذکر بعضها، فلنأتی بنزر قلیل منها وأحببت نقل کلام لامام علماء أهل السنة الفحول، محمد بن طلحة الشامی الشافعی قاله فی الباب المعقود لذکره (ع) فی کتابه مطالب السؤول وهذا لفظه: هذا زین العابدین قدوة الزاهدین وسید المتقین وإمام المؤمنین، سمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله، وسمته تثبت مقام قربه من الله زلفا، وثفناته تسجل بکثرة صلواته وتهجده، وإعراضه عن متاع الدنیا ینطق بزهده فیما درت له أخلاق التقوی فتفوقها وأشرقت له أنوار التأیید فاهتدی بها، وألفته أوراد العبادة فأنس بصحبتها، وحالفته وظائف الطاعة فتحلی بحلیتها، طالما اتخذ اللیل مطیة رکبها لقطع طرق الآخرة وظمأ الهواجر دلیلا استرشد فی مسافة المسافرة، وله من الخوارق والکرامات ما شوهد بالاعین الباصرة وثبت بالآثار المتواترة وشهد له بأنه من ملوک الآخرة. انتهی کلامه.

ص: ۱۵۳

فمن مناقبه التی لا تعد ومعاجزه التی لاتحد ما روی عن أبی جعفر الباقر (ع) أنه قال: لما قتل الحسین بن علی أرسل محمد بن الحنفیة إلی علی بن الحسین وخلا به ثم قال: یا ابن أخی قد علمت أن رسول الله کان جعل الوصیة والامامة من بعده لعلی بن أبی طالب، ثم من بعده إلی الحسن، ثم من بعده إلی الحسین، وقد قتل أبوک صلی الله علیه ولم یوص وأنا عمک وصنو أبیک من فی سنی وقدمتی أحق بها منک فی حداثتک، فلا تنازعنی الوصیة والامامة ولا تخالفنی، فقال له علی بن الحسین: اتق الله ولا تدعی ما لیس لک بحق، إنی أعظک أن تکون من الجاهلین، یا عم إن أبی صلوات الله علیه أوصی إلی. قبل أن یتوجه إلی العراق، وعهد إلی فی ذلک قبل أن یستشهد بساعة، وهذا سلاح رسول الله (ص) عندی فلا تعرض لها فإنی أخاف علیک تنقص العمر وتشتت الحال، وان الله

تبارک وتعالی آلی أن لا یجعل الامامة والوصیة إلا فی عقب الحسین (ع)، فإن أردت أن تعلم ذلک فانطلق بنا إلی الحجر الاسود حتی نتحاکم إلیه ونسأله عن ذلک. قال الباقر (ع): وکان الکلام بینهما وهما یومئذ بمکة، فانطلقا حتی أتیا الحجر الاسود فقال علی بن الحسین لمحمد: ابدأ فابتهل إلی الله تعالی وأسأله أن ینطق لک الحجر ثم سله، فابتهل محمد فی الدعاء وسأل الله تعالی ثم دعا الحجر فلم یجبه، فقال علی بن الحسین: أما أنک یا عم لو کنت إماما ووصیا لاجابک فقال له محمد (رض): فادع أنت یا ابن أخی، فدعا الله علی بن الحسین بما أراد ثم قال: أسألک بالذی جعل فیک میثاق الانبیاء ومیثاق الاوصیاء ومیثاق الناس أجمعین لما أخبرتنا بلسان عربی مبین من الوصی والامام بعد الحسین بن علی ؟ قال: فتحرک الحجر حتی کاد أن یزول من موضعه، ثم انطقه الله بلسان عربی مبین فقال: أللهم إن الوصیة والامامة بعد الحسین بن علی إلی علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب، وابن فاطمة بنت رسول الله صلی الله علیهم أجمعین فانصرف محمد وهو یتولی علی بن الحسین وقیل: ان محمد بن الحنیفة إنما فعل ذلک لازالة الشکوک فی ذلک.

یقول المؤلف: وهذا هو الحق الصحیح لان محمد هذا رضی الله عنه من أجل العارفین بمراتب الامامة وأنها لغیره لا له، وأقوی شاهد علی هذا حب أبیه أمیر المؤمنین له وتوصیة أخویه الحسنین به، وکذلک أخواه الحسنان (ع)، فلو کان فی علمهم المکتوم أنه یکون فیه میل عن الحق وانحراف لاظهروا ذلک کما فعلوه مع من ظهر منه الخلاف. ومن مناقبه الفاخرة الدالة علی أنه من سادات الاوصیاء وهم العترة الطاهرة أنوار الولایة وأعلام الهدایة الذین من تمسک بهم فاز ونجا، ومن تخلف عنهم غرق وهوی ما روی عن ثابت النباتی قال: کنت حاجا وجماعة من عباد البصرة مثل أیوب السجستانی، وصالح المروی، وعتبة الغلام، وحبیب الفارسی ومالک بن دینار فلما دخلنا مکة رأینا الماء ضیقا وقد اشتد بالناس العطش لقلة الغیث، ففزع إلینا أهل مکة والحجاج یسألونا أن نستسقی لهم، فأتینا الکعبة وطفنا بها ثم سألنا الله تعالی خاضعین متضرعین بها فمنعنا الاجابة، فبینما نحن کذلک إذ نحن بفتی قد أقبل قد أکربته أحزانه وأقلقته أشجانه فطاف بالکعبة أشواطا [ثم] أقبل علینا فقال: یا مالک بن دینار ویا ثابت الغباتی ویا أیوب السجستانی ویا صالح المروی ویا عتبة الغلام ویا حبیب الفارسی ویا سعید ویا عمر ویا صالح الاعمی ویا رابعة ویا سعدانة ویا جعفر بن سلیمان، فقلنا: لبیک وسعدیک یا فتی، فقال: أما فیکم أحد یجیبه الرحمن ؟ فقلنا یا فتی علینا الدعاء وعلیه الاجابة، فقال: ابعدوا عن الکعبة، فلو کان فیکم أحد یجیبه لاجابة، ثم أتی الکعبة فخر ساجدا فسمعته یقول فی سجوده: سیدی بحبک لی إلا سقیتهم الغیث، قال: فما استتم کلامه حتی آتاهم الغیث کأفواه القرب، فقلت: یا فتی من أین علمت أنه یحبک قال: لو لم یحبنی لم یستزرنی فلما استزارنی علمت أنه یحبنی، فسألته بحبه لی فأجابنی ثم تولی عنی وأنشأ یقول: [من عرف الرب فلم تغنه ❊ معرفة الرب فذاک الشقی]

[ما ضر ذا الطاعة ما ناله * فى طاعة الله وما ذا لقى] [ما يصنع العبد بغير التقى * العز كل العز للمتقى] فقلت يا أهل مكة من هذا الفتى ؟ قالوا: هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب. ومنها أنه لما حج هشام بن الحكم فى حياة أبيه دخل إلى الطواف وجهد أن يستلم الحجر الاسود، فلم يصل إليه لكثرة زحام الناس عليه، فنصب له منبر إلى جانب زمزم فى الحطيم، فجلس عليه ينظر إلى الناس وحوله جماعة من أهل الشام، فبينما هم كذلک إذ أقبل على بن الحسين زين العابدين (ع) يريد الطواف، فلما انتهى إلى الحجر الاسود تنحى عنه الناس حتى أتى الحجر فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذى هابه الناس هذه المهابة فتنحوا عنه يمينا وشمالا فقال هشام: لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضرا فقال للشامى: أنا أعرفه فقال: من هو يا أبا فراس ؟ فقال: [هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم] [هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى النقى الطاهر العلم] [ينمى إلى ذروة العز التى قصرت * عن نيلها عرب الاسلام والعجم] [إذا رأته قريش قال قائلها * إلى مكارم هذا ينتهى الكرم] [يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم] [يغضى حياء ويغضى من مهابته * ولا يكلم إلا حين يبتسم] [فى كفه خيزران ريحه عبق * فى كف أورع فى عرنينه شمم] [ينشق نور الهدى من نور غرته * كالشمس ينجاب عن اشراقها الظلم] [مشتقة من رسول الله نبعته * طابت عناصره والخيم والشيم] [هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا] [الله شرفه قدرا وعظمه * جرى بذلک له فى لوحه القلم] [وليس قولک من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم]

[كلتا يديه غياث عم نفعهما * يستو كفان ولا يعدوهما العدم] [سهل الخليقة لا تخشى بوادره * يزينه اثنان حسن الخلق والكرم] [حمال أثقال أقوام إذا فدحوا * حلو الشمائل يحلو عنده نعم] [لا يخلف الوعد ميمون نقيبته * رحب الذراع أريب حين يعتزم] [عم البرية بالاحسان وانقشعت * عنه الغباوة والاملاق والعدم] [من معشر حبهم دين وبغضهم * كفر وقربهم أمن ومعتصم] [إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل من خير أهل الارض قيل لهم] [لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وإن كرموا] [هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت * والاسد أسد الشرى والبأس محتدم] [لا ينقص السر بسطا من أكفهم * سيان ذلک إن أثروا وإن عدموا] [مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * فى كل بدء ومختوم به الكلم] [أى الخلائق ليست فى رقابهم * لاولوية هذا أوله نعم] [من يعرف الله يعرف أولوية ذا * فالدين من بيت هذا ناله الامم] قال: فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب ثم أخذ الفرزدق وحبسه ما بين مكة والمدينة، وبلغ على بن الحسين امتداحه له فبعث إليه بعشرة آلاف درهم فردها وقال: والله ما مدحته إلا لله تعالى لا للعطاء فقال: قد عرف الله لک ذلک، ولكنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده فقبلها منه. ومنها ما روى عن إبراهيم بن أدهم وفتح الموصلى قال كل واحد منهما: كنت أسيح فى البادية مع القافلة، فعرضت لى حاجة فتنحيت عن القافلة فإذا أنا بصبى يمشى فقلت: سبحان الله بادية بيداء وصبى يمشى، فدنوت منه وسلمت عليه فرد

على السلام فقلت له: إلى أين ؟ قال: أريد بيت ربى، فقلت: حبيبى إنک صغير السن ليس عليک فرض ولا سنة، فقال: يا شيخ ما رأيت من هو أصغر منى مات فقلت: أين الزاد والراحلة ؟ فقال: نعم الزاد التقوى، زادى تقواى وراحلتى رجلاى وقصدى مولاى، فقلت: ما أرى شيئا

من الطعام معک ؟ قال: يا شيخ هل يستحسن أن يدعوک [انسان] إلى دعوة فتحمل من بيتک الطعام ؟ قلت: لا قال: الذى دعانى إلى بيته هو الذى يطعمنى ويسقينى فقلت: ارفع رجلک حتى تدرک فقال: على الجهاد وعليه الابلاغ أما سمعت قوله: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين) (١). قال: فبينا نحن كذلک إذ أقبل شاب حسن الوجه عليه ثياب بيض فعانق الصبى وسلم عليه، فأقبلت على الشاب وقلت له: أسألک بالذى أحسن خلقک من هذا الصبى ؟ فقال: أما تعرفه هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب فتركت الشاب وأقبلت على الصبى وقلت له: أسألک بحق آبائک من هذا الشاب ؟ فقال: أما تعرفه هذا أخى الخضر (ع) يأتينا كل يوم فيسلم علينا، فقلت له أسألک بحق آبائک لما أخبرتنى بما تجوز المفاوز بلا زاد ؟ فقال: بلى أجوز بزاد وزادى فيها أربعة أشياء قلت: وما هى ؟ قال: أرى الدنيا كلها بحذافيرها مملكة الله، وأرى الخلق كلهم عبيد الله وإمائه وعياله، وأرى الارزاق والاسباب بيد الله، وأرى قضاء الله نافذا فى كل أمر فقلت: نعم الزاد زادک يا زين العابدين وأنت تجوز بها مفاوز الآخرة فكيف مفاوز الدنيا. ومنها ما روى عن الصادق (ع) أنه قال: التصقت يد رجل وامرأة على الحجر فى الطواف، فجهد كل واحد أن ينزع يده فلم يقدرا فقال الناس: اقطعوهما قال فبينما هما كذلک إذ دخل على بن الحسين فأفرجوا له فلما عرف أمرهما تقدم (ع) ووضع يده عليهما فانحلا. ومنها ما روى عن الباقر (ع) أنه قال: كان عبد الملک بن مروان يطوف بالبيت وعلى بن الحسين يطوف بين يديه ولا يلتفت إليه، ولم يكن عبد الملک يعرفه بوجهه فقال: من هذا الذى يطوف بين أيدينا ولا يلتفت إلينا ؟ فقيل له ؟

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ۶۹. (*)

هذا على بن الحسين فجلس مكانه فقال: ردوه الى، فردوه فقال: يا على بن الحسين إنى لست قاتل أبيک فما يمنعک من المصير إلينا ؟ فقال: إن قاتل أبى أفسد على نفسه بما فعل دنياه وأفسد عليه أبى آخرته، فإن أحببت أن تكون كهو فكن فقال: كلا ولكن صل إلينا لتنال من دنيانا فجلس زين العابدين (ع) وبسط ردائه وقال: أللهم أره حرمة

أوليائک عندک، فإذا ردائه مملوا درا يكاد شعاعها يخطف الابصار فقال لهم: من ستكون هذه حرمته عند ربه كيف يحتاج إلى دنياكم ثم قال: أللهم خذها فما لى فيها حاجة، ومن هذا بعض مقاماته الكريمة ومناقبه الفاخرة المنبئة أنه من ملوک الدنيا وسلاطين الآخرة كيف تغل يداه إلى عنقه، وتوضع جامعة الاسر على صدره، ويطاف به بعماته وأخواته على ظهور الجمال وهن حواسر بعد ذلک العز والجلال. [تتصفح البلدان صورة سبيها ❊ أشكال بارزة بذل المثل] [تسود من ضرب السياط متونها ❊ ووجوهها بلظى الهواجز تصطلى] فكلما نظر سلام الله عليه إليهن وهن على ذلک الحال فى غاية الاسر والاذلال يزداد بكاءه ويعلو شجاه. [ويصيح واذلاه أين عشيرتى ❊ وسرات قومى أين أهل ودادى] [أين الكماة وأين جدى حيدر ❊ مردى القروم وصارع الآساد] فيا بنفسى كم كابد سلام الله عليه من مصائب عظيمة، وتحمل من رزايا جسيمة تندل لبعضها شامخات الجبال، وتشيب لقليلها رؤوس الاطفال. [لقد تحمل من أرزائها محنا ❊ لم يحتملها نبى أو وصى نبى] بعينيه رأى والده الحسين سيد الشهداء وإمام السعداء جثة بلا رأس، منخمد الانفاس، عار على وجه الرمضاء، مقطع الاعضاء ومن حوله أهل بيته الابرار وأصحابه الاخيار.

[صرعى على الترب لا شئ يسترهم ❊ إلا السنابک أو سافى الاعاصير] [ومن صنيع المواضى ألبسوا حللا ❊ مثل العقيق على أجساد من نور] وأعظم المصائب التى قاساها والنوائب التى عاناها هجوم تلک العتاة الانذال عليه وعلى تلک الحرم والاطفال وسط الحجال وكأنى به فى تلک الحال مغشى عليه لما لقيه من عظائم الاهوال والمرض المبيد والسقم الشديد. قال بعض من شهد تلک الاحوال العضال: رأيت امرأة جليلة واقفة بباب الخيمة والنار تشتعل من جوانبها وهى تارة تنظر يمنة ويسرة، وأخرى تنظر إلى السماء وتصفق بيديها، وتارة تدخل فى تلک الخيمة وتخرج فأسرعت إليها وقلت: يا هذه ما وقوفک هاهنا والنار تشتعل من جوانبک، وهذه النسوة قد فررن وتفرقن، ولم لا تلحقى بهن وما شأنک ؟ فبكت وقالت: يا شيخ إن لنا عليلا فى الخيمة وهو لا يتمكن من الجلوس والنهوض، فكيف أفارقه وقد أحاطت به النار فأحرقوا الخيم بعد أن نهبوا ما فيها، وسلبوا الفاطميات بحيث لم يبق لهن ما يستترن به. [إن أنس لا أنسى افتجاع نساه إذ ❊ هجمت خيولهم على الفسطاط] [أخرجن منه والهات تشتكى ❊ بعد انتهاک الستر ضرب سياط] [ما حال بنت محمد لو شاهدت ❊ بمتونهن علائم الاسواط] قال الشيخ حسن بن سليمان بن محمد بن الحسن الشويكى فى مقتله نقلا من الجزء العاشر من كتاب المنن لعبد الوهاب الشعرانى قال: وعبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب قتل مع الحسين فى الطف، وابناه سعد وعقيل كانا معه وماتا من شدة العطش ومن الدهشة والذعر بعد شهادة الحسين لما هجم القوم على المخيم للسلب، وأمهما خديجة ابنة على بن أبى طالب توفيت بالكوفة. وقال أيضا فى مقتله: ومن بنات على رقية الكبرى، وكانت عند مسلم بن عقيل فولدت له عبد الله بن مسلم ومحمد بن مسلم الذين قتلا يوم

الطف مع الحسين ومسلم قتل بالكوفة وكان رسوله، وولدت رقية على تكة من مسلم ولها من العمر سبع سنين وهى التى سحقت يوم الطف بعد شهادة الحسين لما هجم القوم على المخيم للسلب. وفى بعض المقاتل أن أحمد بن الحسن المجتبى قتل مع الحسين وله من العمر ستة عشر سنة وله أختان من أمه أم الحسن وأم الحسين سحقتا يوم الطف بعد شهادة الحسين (ع) لما هجم القوم على المخيم لسلب أمهم أم بشر بنت مسعود الانصارى وقيل الخزرجى. [وثواكل يشجى الغيور حنينها ❊ لو كان ما بين العدات غيور] [حرم لاحمد قد هتكن ستورها ❊ فهتكن من حرم الاله ستور] [كم حرة لما أحاط بها العدى ❊ هربت تخف العدو وهى وقور] ثم أمر ابن سعد لعنه الله بأن تحمل النساء على الاقتاب بلا وطأ وحجاب، فقدمت النياق إلى حرم رسول الله (ص) وقد أحاط القوم بهن وقيل لهن: تعالين واركبن فقد أمر ابن سعد بالرحيل، فلما نظرت زينب إلى ذلک نادت وقالت: سود الله وجهک يا ابن سعد فى الدنيا والآخرة، تأمر هؤلاء القوم بأن يركبونا ونحن ودائع رسول الله، فقل لهم يتباعدون عنا يركب بعضنا بعضا قال: فتنحوا عنهن فتقدمت زينب ومعها أم كلثوم وجعلت تنادى كل واحدة من النساء باسمها وتركبها على المحمل حتى لم يبق أحد سوى زينب، فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا سوى زين العابدين (ع) وهو مريض، فأتت إليه وقالت: قم يا ابن أخى واركب الناقة فقال: يا عمتاه اركبى أنت ودعينى وهؤلاء القوم، فرجعت إلى ناقتها لانها لم تقدر على مخالفة الامام، فالتفتت يمينا وشمالا فلم تر إلا أجسادا على الرمال ورؤوسا على الاسنة بأيدى الرجال، فصرخت وقالت: واغربتاه وا أخاه وا حسيناه وا عباساه وا رجالاه وا ضيعتاه بعدک يا أبا عبد الله، قال الروای: فلما رأتهم على هذه الحالة ذكرت خروجهم من الحجاز وما كانوا عليه من العزة والرفعة والعظمة والجلالة، فبكيت على حالهم وما جرى عليهم.

[فبنفسى ربائب الخدر أضحت ❊ للعدى مكسبا عقيب حماها] [قد أماط العداة عنها رداها ❊ وكستها سياطهم ما كساها] [أين عنها حماتها ليروها ❊ باكيات وهل يفيد بكاها] قال الروای: فلما نظر زين العابدين (ع) إلى ذلک لم يتمالک على نفسه دون أن قام وهو يرتعش من الضعف، فأخذ عصاة يتوكأ عليها وأتى إلى عمته وثنى ركبته وقال، اركبى فلقد كسرت قلبى وزدت كربى، فأخذ ليركبها فارتعش من الضعف وسقط على الارض، فلما رآه الشمر لعنه الله أتى إليه وبيده سوط فضربه وهو ينادى: وا جداه وا محمداه وا علياه وا حسناه وا حسيناه، فبكت زينب وقالت: ويلک يا شمر رفقا بيتيم النبوة وسليل الرسالة وحليف التقى وتاج الخلافة، فلم تزل تقول كذا حتى نحته عنه قال: وإذا بجارية سوداء مسنة قد أقبلت إلى زينب فأركبتها فسألت عنها فقالوا: هذه فضة جارية فاطمة الزهراء (ع). [لم أنس زينب بعد الخدر حاسرة ❊ تبدى النياحة ألحانا فألحانا] [مسجورة القلب إلا أن دمعها ❊ كالمعصرات تصب الدمع عقيانا] قال: ثم أركبوا الامام (ع) على بعير أعجف فلم يتمالک الركوب من شدة الضعف، فأخبروا ابن سعد فقال: قيدوا رجليه من تحت بطن الناقة، ففعلوا ذلک وساروا بهم على تلک الحالة ورؤوس الشهداء معليات على

أطراف الرماح، وجسومهم عوار على البطاح ومن بين الرؤوس رأس سيد الشهداء وإمام السعداء. [وشيبته مخضوبة بدمائه ❊ يراوحها غادى النسيم ورائحة] فعز على محمد سيد المرسلين، وعلى على أمير المؤمنين، وعلى فاطمة سيدة نساء العالمين، وعلى الحسن الزكى الامين، وعلى الشهيد الغريب الحسين، بل وعلى جميع النبيين والاوصياء المرضيين والملائكة المقربين

وجميع المؤمنين، أن ينظروا لتلك الخفرات الهاشميات على تلك الحالات المفضعات. [حر قلبى لهن إذ صرن أسرى ❊ حاسرات من بعد صون خباها] [صاديات غرثى وأعناقها فى ❊ السير ملوية لحامى حماها] [إن تباكين مالهن رحيم ❊ أو تنادين لا يجاب نداها] [والعليل السجاد فى الاسر يبرا ❊ لسباها وذلها وعناها] [ورؤوس الهدى على السمر لاحت ❊ فاق ضوء البدور لمع سناها] قال الروای: ومروا بهن قصدا وعنادا على مصارع الشهداء فألقين بأنفسهن من على ظهور المطا على تلك الجثث المرملة بالدماء، وصاحت العقيلة زينب نادبة جدها محمد المصطفى يا جداه يا رسول الله صلى عليک مليک السماء، هذا حسينک بالعراء مذبوح من القفا مهشم الاعضاء. [حبيبک يا رسول الله أضحى ❊ تكفنه الشمائل والجنوب] يالها مصيبة عظيمة وفادحة جسيمة تواقع تلك الحرم والاطفال على تلك الاجساد المرملة بالدماء على حر الرمال، صار لهن من الرنة والبكاء والحزن والشجى ما أجرى الدموع من عيون الاعداء، فبينا هن متكابين على تلك الاجساد الملقاة على الوهاد وإذا بمنادى ذوى الالحاد [ينادى] هلمن واركبن على ظهور النياق فليس إلا الفراق وهو يقول: [ذهب المانعون عنكم فقوموا ❊ واخلعوا العز والبسوا الاذلالا] فهتفت زينب ببكاء وحنين: أخى حسين عمادى حسين كفيلى حسين. [أحمى الضائعات بعدک ضعنا ❊ فى يد النائبات حسرى بوادى] [أو ما تنظر الفواطم بالاسر ❊ وستر الوجوه منها الايادى] [ثكلا ما ترى لها من كفيل ❊ حسرا بين عصبة الالحاد]

أخى حسين لو خيرت بين المقام عندک أو الرحيل لاخترت المقام ولو تأكلنى سباع البر. [أحمى الضائعات ضاع فؤادى ❊ بين أمرين رحلتى ونزولى] [إن أردنا المقام عاجلنا الاقوام ❊ بالضرب حرصا على التعجيل] [أو سروا فالسرى يشتت شملى ❊ بين طفل وأيم وثكول] فلم يمهلوهن بل أركبوهن على تلك الحالة العظيمة، فلما صارت الحوراء زينب على ظهر ذلک البعير ونادى سائق الظعن بالمسير، أشارت لكافلها بدمع غزير وقلب كسير. [أحجاب صونى فى أمان الله ❊ عز على مسرانا وجسمک مودع] [ودعتک الكافى وقد سدت على ❊ مذاهب الآراء ما بک أصنع] [وسروا بها والعين ترعاه وإن ❊ حجبت أقام فؤادها يتطلع] فلم يزالوا مجدين المسير بهن إلى الكوفة وهن بدموع مذروفة وقلوب ملهوفة إلى أن وصلوا إليها. روى مرسلا عن مسلم الجصاص قال: دعانى ابن زياد (لع)

لاصلاح دار الامارة بالكوفة فبينا أنا أجصص الابواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان يعمل معنا فقلت: مالى أرى الكوفة تعج بأهلها ؟ قال: الساعة أتوا برأس خارجى خرج على يزيد، فقلت: من هذا الخارجى ؟ فقال: الحسين بن على قال: فتركت الخادم حتى خرج ولطمت على وجهى حتى خشيت على عينى أن تذهبا، وغسلت يدى من الجص وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناس، فبينا أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ قد أقبلت نحو أربعين بشقة تحمل على أربعين جملا فيها الحرم والاطفال، وإذا بعلى بن الحسين على بعير وطاء وأوداجه

تشخب دما وهو مع ذلک يبکى ويقول: [يا أمة السوء لا سقيا لربكم * يا أمة لم تراعى جدنا فينا] [لو أننا ورسول الله يجمعنا * يوم القيامة ما كنتم تقولونا] [تسيرونا على الاقتاب عارية * كأننا لم نشيد فيكم دينا] [تصفقون علينا كفكم فرحا * وأنتم فى فجاج الارض تسبونا] [أليس جدى رسول الله ويلكم * أهدى البرية من سبل المضلينا] قال: وصار أهل الكوفة يناولون الاطفال الذين على المحامل بعض الخبز والاوز والتمر، فصاحت بهم أم كلثوم، يا أهل الكوفة إن الصدقة علينا حرام، وصارت تأخذ ذلک من أيدى الاطفال وأفواههم وترمى به إلى الارض، قال: كل ذلک والناس يبکون على ما أصابهم. [وأعظم ما يشجي ويودع فى الحشا * حرارة وجد دونها لذعة الجمر] [تصدق أعداها عليها شماتة * بما نالها بالخبز والجوز والتمر] ثم أن أم كلثوم أطلعت رأسها من المحمل وقالت: صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم وتبكينا نساءكم فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء. فبينا هى تخاطبهن إذا بصيحة قد ارتفعت وإذا هم قد أتوا بالرؤوس يتقدمهم رأس الحسين، وهو رأس أزهرى قمرى أشبه الخلق برسول الله، ولحيته كسواد السبج قد اتصل بها الخضاب، ووجهه دائرة قمر طالع والريح تلعب بها يمينا وشمالا، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها، وأومت إليه بحرقة قلب وهى تقول: [يا هلالا لما استتم كمالا * فاله خسفه فأبدى غروبا] [ما توهمت يا شقيق فؤادى * كان هذا مقدرا مکتوبا] [يا أخى فاطم الصغيرة كلمها * فقد كاد قلبها أن يذوبا] [يا أخى قلبک الشفيق علينا * ما له قد قسى وصار صليبا] [يا أخى لو ترى عليا لدى الاسر * مع اليتيم لا يطيق وجوبا]

[وكلما أوجعوه بالضرب نادا * ک بوجد يفيض دمعا سكوبا] [يا أخى ضمه إليک وقربه * وسكن فؤاده المرعوبا] [ما أذل اليتيم حين ينادى * بأبيه فلا يراه مجيبا] ثم بعد أن صار عليهن ما صار من المصائب العظيمة والاهوال التى تندک لبعضها شامخات الجبال، سيما ما وقع عليهن من الاهانة والاذلال فى مجلس ذلک الطاغى نسل الارذال، سيرهن ذلک الطاغى اللعين ابن زياد للشام هدية للطاغى يزيد رأس الفجور والفساد، فلم تزل تلک الخفرات

الطاهرات وزين العابدين يسرى بهن على تلک الحالة الفظيعة من قرية إلى قرية، ومن سوق إلى سوق، ومن لعين إلى لعين. [سوافر بين الشامتين وجوهها * تستر عن نظارها بالمعاصم] [ومن بلدة تسبى إلى شر بلدة * ومن ظالم تهدى إلى شر ظالم] حتى وصلوا بهن للشام ذات المصائب العظام. قال شيخنا الكفعمى (رض): فى أول يوم من صفر أدخل رأس الحسين إلى دمشق الشام، وهو عيد عند بنى أمية، وهو يوم تتجدد فيه الاحزان ولله در القائل: [كانت مآتم بالعراق تعدها * أمية بالشام من أعيادها] عن كامل البهائى: أوقفوا أهل البيت (ع) على باب الشام ثلاثة أيام حتى يزينوا البلد، فزينوها بكل حلى وزينة ومرآة كانت فيها، فصارت بحيث لم تر عين مثلها، ثم استقبلهم من أهل الشام زهاء خمسمائة ألف من الرجال والنساء مع الدفوف، وخرج أمراء الناس مع الطبول والصنوج والبواقات، وكان فيهم ألوف من الرجال والشبان والنسوان يرقصون ويضربون بالدفوف والصنج والطنبور، وقد تزين جميع أهل الشام بأنواع الثياب والكحل والخضاب، وكان خارج البلد من كثرة الخلائق كعرصة المحشر يموج بعضها فى بعض، فلما

ارتفع النهار أدخلوا الرؤوس البلد ومن ورائها الحرم والاسارى من أهل البيت. قال سهل بن سعد: رأيت الرؤوس على الرماح يتقدمهم رأس العباس بن على نظرت إليه كأنه يضحک ورأس الامام (ع) كان وراء الرؤوس أمام المخدرات، وللرأس الشريف مهابة عظيمة ويشرق منه النور بلحية مدورة قد خالطها الشيب وقد خضبت بالوسمة، أدعج العينين، أزج الحاجبين، واضح الجبين، أقنى الانف، متبسما إلى السماء، شاخصا ببصره إلى نحو الافق والريح تلعب بلحيته. قال الراوى: أدخلوا الرؤوس والسبايا من باب جيرون، وكان يزيد لعنه الله فى منظرة على جيرون، لما وقع طرفه على الرؤوس والسبايا أنشد: [لما بدت تلک الرؤوس وأشرقت * تلک الشموس على ربى جيرون] [لعب الغراب فقلت صح أولا تصح * فلقد قضيت من النبى ديونى] قال الباقر (ع): سألت أبى على بن الحسين (ع) عن كيفية دخولهم على يزيد لعنه الله، فقال: أوقفونا أولا على باب من أبواب القصر ثلاث ساعات فى طلب الاذن من يزيد، ثم أدخلوا عليه ونحن مربطون بحبل واحد مثل الاغنام، وكان الحبل فى عنقى وعنق عمتى زينب وأم كلثوم وباقى النساء والبنيات وكلما قصرنا عن المشى ضربونا حتى أدخلونا على يزيد لعنه الله. [فقل لسرايا شيبة الحمد مالكم * قعدتم وقد ساروا بنسوتكم حسرى] [وأعظم ما يشجى الغيور دخولها * إلى مجلس ما بارح اللهو والخمرا] [أقيمت لديه آه واذلة الهدى * وكل عن النظار تنضم بالاخرى] ولنعرض عن ذكر بعض ما جرى على آل الرسول وأولاد على والطهر البتول فى ذلک المجلس الخبيث من أولئک الفجرة النغول، إذ المصاب عظيم والرزء جسيم، وبعد أن فعل يزيد (لع) معهن ما فعل دعاهن وخيرهن بين المقام عنده أو الرجوع للمدينة فاختاروا الرجوع لها، وقد كان عليه اللعنة أوعد

زين العابدين بقضاء ثلاث حاجات، فلما عزموا على الرجوع قال عليه اللعنة للامام (ع): اذكر حاجاتک الثلاث اللاتی وعدتک بقضائهن فقال (ع): الاولی: أن ترینی وجه سیدی ومولای وأبی الحسین فأتزود منه. والثانیة: أن ترد علینا ما أخذ منا. والثالثة: إن کنت عزمت علی قتلی أن توجه مع هؤلاء النسوة من یردهن إلی حرم جدهن. فقال علیه اللعنة: أما وجه أبیک فلن تراه أبدا، وأما قتلک فقد عفوت عنک، وأما النساء فلا یردهن إلی المدینة أحد غیرک، وأما ما أخذ منکم فأنا أعوعضکم عنه أضعاف قیمته فقال (ع): أما مالک فلا نریده وهو موفر علیک، وإنما طلبت ما أخذت منا لان فیه مغزل فاطمة (ع) ومقنعتها وقلادتها وقمیصها، فأمر برد ذلک فجهزوا وخرجوا من الشام فلما بلغوا العراق قالوا للدلیل: مربنا علی طریق کربلاء، فلما وصلوا إلی موضع المصرع وجدوا جابر بن عبد الله الانصاری رضی الله عنه مع جماعة من بنی هاشم وغیرهم قد وردوا إلی زیارة الحسین (ع) فتلاقوا فی وقت واحد وأخذوا بالبکاء والنحیب واللطم، وأقاموا العزاء واجتمع إلیهم نساء أهل السواد، فخرجت زینب فی الجمع وأهوت إلی جیبها فشقته ونادت بصوت حزین یقرح القلوب: وا أخاه وا حسیناه وا حبیب رسول الله وا ابن مکة ومنی وا ابن فاطمة الزهراء وا ابن علی المرتضی آه آه ثم آه [یا غریب الدیار صبری غریب * وقتیل الاعداء نومی قتیل] ووقعت مغشیا علیها فاجتمعن النساء إلیها ورششن الماء علیها حتی أفاقت کأنی بها تنادی بلسان الحال: [یا نازلین بکربلا هل عندکم * خبر بقتلانا وما أعلامها] [ما حال جثة میت فی أرضکم * بقیت ثلاثا لا یزال مقامها] [بالله واریتموها فی الثری * وهل استقرت فی اللحود رمامها]

فأقاموا هناک ثلاثة أیام ملازمین لاقامة المأتم وإجراء الدموع السواجم، ثم بعد ذلک أمر علی بن الحسین (ع) بشد الرحال فشدوها، فصاحت سکینة بالنساء لتودیع قبر أبیها فدرن حول القبر، فحضنت سکینة قبر أبیها وبکت بکاء شدیدا وحنت وأنشأت تقول: [ألا یا کربلا نودعک جسما * بلا کفن ولا غسل دفینا] [ألا یا کربلا نودعک روحا * لاحمد والوصی مع الامینا] وأنکبت أیضا فاطمة ابنة الحسین علی قبر أبیها وبکت بکاء شدیدا حتی غشی علیها. [أحسین بعدکم لا هنا عیش * ولا لذت مشارب] [ها نحن بعدک یا غریب * الدار أمسینا غرایب] [وعلی الشدائد یا شهید * الطف شدینا المصایب] فلما أرادوا الانفصال من کربلاء ذات المصائب والبلا وضع زین العابدین (ع) یده المبارکة علی ذلک القبر الشریف ففاض منه دم عبیط، فأشار إلی تلک الحرم والاطفال وقال مخاطبا لهن بلسان الحال ودموع عینیه فی انهمال: [خذوا لکم من دم الاحباب تحفتکم * وخاطبوا الجد هذی تحفة السفر] فأخذن من تلک الدماء الطاهرة وصبغن شعورهن الفاخرة ثم انفصلوا من کربلاء طالبین المدینة بقلوب حزینة ومدامع هتونة. قال بشر بن حذلم: فلما قربنا منها نزل علی بن الحسین (ع) فحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال: یا بشر رحم الله أباک لقد کان شاعرا فهل تقدر علی شئ منه ؟ فقلت: بلی یا ابن رسول الله إنی لشاعر فقال (ع): أدخل المدینة وانع أبا عبد الله قال بشر: فرکبت فرسی وررکضت حتی دخلت المدینة، فلما بلغت مسجد النبی (ص) رفعت صوتی بالبکاء فأنشأت أقول:

ص: ۱۶۹

[يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ❊ قتل الحسين فأدمعى مدرار] [الجسم منه بكربلاء مضرج ❊ والرأس منه على القناة يدار] قال: ثم قلت: هذا على بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه قال: فما بقيت فى المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن، مخمشة وجوههن، ضاربات خدودهن، يدعون بالويل والثبور، فلم أر باكيا أكثر من ذلک اليوم ولا يوما أمر على المسلمين منه. [الله أكبر مات الدين وانطمست ❊ أعلامه وهوى الايمان والرشد] [وقوضت خيم الاطهار من حرم ال ❊ مختار لما هوى من بينها العمد] قال: وسمعت جارية تنوح على الحسين (ع) وتقول: [نعى سيدى ناع نعاه فأوجعا ❊ وأمرضنى ناع نعاه فأفجعا] [أعينى جودا بالدموع واسكبا ❊ وجودا بدم بعد دمعكما معا] [على من دهى عرش الجليل فزعزعا ❊ فأصبح هذا الدين والمجد اجدعا] [على ابن نبى الله وابن وصيه ❊ وإن كان عنا شاحط الدار أشيعا] ثم قالت: أيها الناعى جددت حزننا بأبى عبد الله (ع) وخدشت منا قروحا لما تندمل فمن أنت يرحمک الله ؟ فقلت: أنا بشر بن حذلم، وجهنى مولاى على بن الحسين وهو نازل بموضع كذا وكذا مع عيال أبى عبد الله الحسين ونسائه قال: فتركونى وبادرونى، فضربت فرسى حتى رجعت إليهم فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسى وتخطيت رقاب الناس حتى قربت من الفسطاط، وكان على بن الحسين داخلا فخرج ومعه منديل يمسح به دموعه وخلفه خادم معه كرسى فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالک [نفسه] من البكاء، وارتفعت أصوات النساء بالبكاء وجئن النساء والجوارى والناس يعزونه من كل ناحية، فضجت تلک البقعة ضجة شديدة وصار وكأنه

ص: ۱۷۰

اليوم الذى مات فيه رسول الله (ص). [ألا لا تزين الدار إلا بأهلها ❊ على الدار من بعد الحسين سلام] فلم يزل سلام الله عليه مدة بقائه ملازما لبكائه مصاحبا لحزنه وأشجانه، ولم يكف أعداء الله وأعداء رسوله اولئک الطغاة اللئام ما صدر عليه وحل به من الفجائع العظام والرزايا الجسام والعلل والاسقام، بل لا زالوا يرصدونه بالمخاوف ويقصدونه بالمكاره إلى أن آل الامر إلى هشام بن عبد الملک، وقيل الوليد بن عبد الملک عليهم اللعنة، فدس إليه سما فى أشياء أعدها له فأكلها سلام الله عليه، فلما سرى السم فى بدنه الشريف وتيقن حلول أمر الله تعالى به وانقطاع أجله أقبل على ولده وخليفة الله من بعده أبى جعفر محمد الباقر (ع) وقال: يا بنى إن الوقت الذى وعدته قد قرب فأوصيک يا بنى فى نفسک خيرا، واصبر على الحق وإن كان مرا فإنه لتحدثنى نفسى بسرعة الموت لقوله تعالى: (أولم يروا إنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب) (۱)، يا بنى لا تصحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم فى طريق أبدا قال أبو جعفر (ع): فقلت: يا أبة جعلت فداک من هؤلاء الخمسة ؟ فقال لى: لا تصحبن فاسقا فإنه يعيبک ويبيعک بأكلة فما فوقها ثم لا ينالها، فقلت له: ومن الثانى ؟ فقال

(ع): لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بک ماله أحوج ما كنت إليه فقلت له: ومن الثالث ؟ فقال لى: لا تصحبن كذابا فإنه بمنزلة السراب يبعد منک القريب ويقرب منک البعيد، فقلت له: ومن الرابع ؟ فقال لى: لا تصحبن أحمقا فإنه يريد أن ينفعک فيضرک، فقلت: يا أبة ومن الخامس ؟ فقال لى: لا تصحبن قاطع رحم فإنى وجدته ملعونا فى كتاب الله تعالى فى ثلاثة مواضع، ثم قال (ع): يا بنى إذا أنا مت فغسلنى فإن الامام لا يغسله إلا إمام مثله، واعلم أن أخاک عبد الله سيدعو الناس إلى نفسه ويدعى الامامة بعدى، فإذا دعاها فامنعه فإن أبى فدعه فإن عمره * (هامش ص ١٧٠) (١) سورة الرعد، الآية: ۴١. *

قصير، واعلم يا بنى أنى مفارقک عن قريب فإن الموت قد قرب وقد بلغ الوليد منى مراده. [فيا لامام محكم الذكر بعده * تداعت له أركانه والجوانب] [ويا لسقيم شفه السقم والبكا * ويا لنحيل انحلته المصائب] [ويا لفقيد قد أقامت مأتما * عليه المعالى فهى ثكلى نوادب] [فلا عجب بيت النبوة أن دجى * ومن أفقه بد الامامة غارب] [وماد قوام للعلى ومقوم * وجب سغام للفخار وغارب] قال محمد الباقر (ع) فضمنى أبى إلى صدره ثم قال: يا بنى أوصيک بما أوصانى به أبى حين حضرته الوفاة، وذكر (ع) أن من جملة ما أوصاه به أبوه أن قال: يا بنى إياک وظلم من لا يجد عليک ناصرا إلا الله ثم أغمى عليه ثلاثا، ثم فتح عينيه وقرأ (إذا وقعت الواقعة) (١) (وإنا فتحنا لک فتحا مبينا) (٢) وقال: الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء، فنعم أجر العاملين، ثم أشرق من وجهه الشريف نور ساطع يكاد يخطف الابصار، ثم نادى: يا أبا جعفر عجل، ففاضت نفسه الشريفة فلطم الباقر رأسه ورفع صوته بالبكاء وضج أهله وعياله وأهل المدينة ضجة واحدة كادت منها الارض ان تسيخ بأهلها، وقام الصراخ وعلا النحيب من كل جانب ومكان، ومادت السماوات وناحت الملائكة وهتفت الجن بالصراخ، ولم يرفع حجر ولا مدر إلا وجد تحته دم عبيط، وخرجت المخدرات من خدورها ناشرة لشعورها. [قضى ميتا بالسم روحى فداءه * وأهلى ومالى والبنون له فدا] [قضى بنجيع السم من كيد ظالم * تعدى على أهل النبوة والهدى] [سأبكيه بالدمع الهتون صبابة * وأهجر لذات الهنا مدة المدى] [فيا لک من رزء عظيم وفادح * أهد ذرى العلياء والمجد والندى] * (هامش ص ١٧١) (١) سورة الواقعة، الآية: ١. (٢) سورة الفتح، الآية: ١. *

ثم أخذ الباقر (ع) فى تغسيله كما أمره وأدرجه فى أكفانه ووضعه على سريره، فحمل على الاعناق بالوجد والاحتراق حتى أتى به إلى البقيع الاشرف ودفن هناک فى القبة التى فيها العباس بن عبد المطلب والحسن الزكى المنتجب، فيا له من مقام سمى الشهب. [قضى السجاد مظلوما بسم * فما طيب الكرى لى من مباح] [قضى السجاد فالصدقات سرا * تقيم عليه مأدبة النياح] [قضى كنز الارامل واليتامى * وبحر الجود جف لدى الاجاح] [قضى

عين الحياة فأى عين * عقيب العين تبخل بالسفاح] [قضى قطب الوجود فكيف تبقى * بنا الافلاک دائمة السباح] [بكته الجامدات فلا عجيب * بأن يبكى بألسنة الفصاح] [وتبكيه الوقود وما عليها * وقد فقد المرجى من جناح] [ويبكيه السماح وغير بدع * إذا يبكى السماح على السماح] ولقد ورد أنه لما وضعه ابنه الباقر (ع) على المغتسل وجرده من ثيابه، رأى على ظهره أثر فسئل الباقر (ع) عن ذلک فقال: هذا مما كان يحمله على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين. وقيل: قال الباقر (ع): لما سئل عن ذلک وهو يبكى هذا أثر الجامعة التى وضعت على صدره، والغل الذى فى يديه، وكانت وفاته (ع) فى يوم السبت الثامن عشر من شهر المحرم، وقيل فى الثانى والعشرين منه، وقيل: فى الخامس والعشرين منه وهو المشهور. وأما السنة فقيل: سنة اثنتين وتسعين، وقيل: أربع وتسعين وقيل: خمس وتسعين، وعمره الشريف سبع وخمسون سنة كأبيه (ع)، وقيل: تسع وخمسون وأربعة أشهر وأيام، وقيل: أربع وخمسون وقيل: ثمان وخسمون وكان فى سنى إمامته ملک يزيد وملک معاوية بن يزيد وملک مروان وابنه عبد الملک، وتوفى فى ملک الوليد بن عبد الملک وقيل: فى ملک هشام بن عبد الملک وإنه هو الذى سمه

ص: ۱۷۳

(ألا لعنة الله على الظالمين) (۱) (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) (۲). وهذا ما رمت ذكره وأحببت نشره والحمد لله رب العالمين ونسأله تعالى المغفرة والرحمة لى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات إنه أرحم الراحمين وخير الغافرين، وأنا العبد المسكين الجانى حسين ابن العالم المقدس الشيخ على آل المرحوم الشيخ سليمان البلادى البحرانى ثم القديحى القطيفى وحق أن أقول بما قاله بعض أولى العقول: [حجر على عينى يمر بها الكرى * من بعد نازلة بعترة أحمد] [أقمار تم غالها خسف الردى * واغتالها بصروفه الزمن الردى] [شتى مصائبهم فبين مكابد * سما ومنحور وبين مصفد] ولقد أجاد آخر حيث يقول: عفى الله عن المؤمنين: [لا أضحک الله سن الدهر إن ضحكت * وآل أحمد مظلومون قد قهروا] [مشردون نفوا عن عقر دورهم * كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر] فإنا لله وإنا إليه راجعون وما ربک بغافل عما يعمل الظالمون. تمت هذه المختصرة على يد مؤلفها الاحقر باليوم الثامن من شهر عاشوراء سنة ۱۳۵۹ هـ * (هامش ص ۱۷۳) (۱) سورة هود، الآية: ۱۸. (۲) سورة الشعراء، الآية: ۲۲۷. *

ص: ۱۷۵

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين. هذه القصيدة الغراء فى رثاء الامام زين العابدين (ع) للفاضل الذكى الشيخ على ابن المرحوم الحاج حسن الجشى دام تأييده: [أتجزع من وحشة الاربع * وتبكى على طلل بلقع] [وقاسى على جيرة بالحمى * دعاها الحمام فلم ترجع] [وقفت بأربعها لا ترى * لسؤلک من أن تسله يعى] [فرحت من الوجد مستنطقا * لعجم المنازل والاربع] [وما العجم ناطقة أن تسل * فإن شئت تصبر أو فاجزع] [ودع عنک عتبا لدهر أسى * فليس عتابک بالمنجع] [وهل ذمة فيه ترعى وذا * ذمام بنى

المصطفى ما رعى] [وفوق أسهم بغى رمى ❊ بها أفضل السجد الركع] [إذا درع الصبر فى كربلا ❊ وقال لام الخطوب اصنعى] [فضاق الزمان بما أجلبت ❊ كما ضاق رحب الفضا الاوسع] [وكادت من الغيظ تقضى وما ❊ أباحت حمى صبره الامنع] [وحق علاك الذى لم يحط ❊ بمعناه خبرا سوى المبدع] [فهب أن ما نال منک العدى ❊ وإن عظم الخطب لم تدفع]

ص: ١٧٦

[تضيع تراث بنى أحمد ❊ وعزمک أمضى من اللمع] [وتغضى فديتک عن عصبة ❊ أبادت سراتک فى مصرع] [وأنت تراها برمضى الطفوف ❊ ضحايا على الترب لم ترفع] [وتتخذ النوح طول الحياة ❊ على فتية فى الثرى صرع] [يخالط زادک ماء العيون ❊ وتمزج ماءک بالادمع] [كستک المصائب ثوب الاسى ❊ وشمل النبوة لم يجمع] [وهل كيف تخلع ثوب الاسى ❊ إلى أن قضيت ولم ترفع] [وما صد عنک العدى ما أتوا ❊ وبالاسر فى الطف لم تقنع] [فأشخصت للشام من يثرب ❊ ولكن أبت حكمة المبدع] [وقد سهرت فى تدابيرها ❊ لازهاق نفسک فى المضجع] [كأن بقاک فذا عينها ❊ وقبل هلاکک لم تهجع] [وقد هجعت عند ما أدركت ❊ مناها بتدبيرها الاشنع] [وما خلت تغتال بالسم يا ❊ عليما بسر القضا المودع] [وما خلت قلبک قلب الوجود ❊ يقطع من سمها المنقع] [فقل للردى من لنا بعده ❊ تركت لذا الباس من مفزع] [عذرت إمام الهدى بعده ❊ وسر الحقيقة أن يجزع] [غداة رأى عند تغسيله ❊ جروحا من الاسر لم تنزع] [كأن القيود وغل اليدين ❊ وجامعة الاسر لم تنزع] [وحق الاسى لفقيد بكى ❊ له أسفا كل شئ يعى] [فلا عجبا إن بكته النياق ❊ وخنت إلى قبر الارفع] [فيا وفد أفدية المكرمات ❊ قنوطا فسعيک لم ينجع] [ويا طالبى الرشد بدر الهدى ❊ عراه الافول فلم يطلع] للخال المقدس الصالح الشيخ محمد صالح قدس سره فى تخميس ثلاثة أبيات: [تكلب بى دهرى وصار معاندى ❊ وأخلى ربوعى من طريف وتالد]

ص: ١٧٧

[وفاجعنى فى كل شهم وماجد ❊ فلست أبالى بعد فقدان والدى] [لما بى من فعل الزمان يكون] [بقتلک لا كهف إذا الخطب نابنى ❊ وبعدک لا أقوى على ما أصابنى] [ومن يرعنى قدما أراه أراعنى ❊ أبى قد سطا دهرى على وخاننى] [وما كان عهدى بالزمان يخون] [وددت بأنى كنت من قبل مهلكا ❊ ويا ذل حالى أن أراک وقومكا] [ضحايا ومن أملكه صار مملكا ❊ أبى كنت قبل اليوم لا أعرف البكا] [ولا سمحت لى بالدموع جفون] لبعضهم (رض) فى التخميس: [أنا ابن ولاة الامر فى كل موطن ❊ بنا أسس الايمان والدين قد بنى] [أبعد استلام الناس كعبة مسكنى ❊ أقاد ذليلا فى القيود كأننى] [من الزنج عبد غاب عنه نصيره] [يطوفون بى فى فدفد اثر فدفد ❊ رهين قيود دامى العنق واليد] [على ناقة عجفاء أهدى لملحد ❊ وجدى رسول الله فى كل مشهد] [وشيخى أمير

المؤمنين وزيره] للفاضل الذكى الشيخ على الجشى دام وجوده فى رجوع السجاد (ع) من الكوفة لدفن أبيه: [لم أنس لما عاد من أسر العدى ❊ سرا ليدفن جسم خير قتيل] [ورآه مطروحا وقد حفت به ❊ قوم تنحوا خيفة التنكيل] [ومذ استبانوا الحزن قالوا إننا ❊ جئنا لندفن سبط خير رسول] [لكن لرفع الجسم والتحريک لم ❊ نر كلنا من قدرة وسبيل] [فدعا بباربة هناک ولفه ❊ فيها بلا كفن ولا تغسيل] [رفع الجنازة والملائک من أسى ❊ أموه بالتكبير والتهليل]

[ولحمله جاء النبى وحيدر ❊ والمجتبى فى عبرة وعويل] وله عن لسان السجاد (ع) مخاطبا لابيه بعد دفنه: [يا راحلا ترک الدنيا برحلته ❊ ظلماء كالليل والاخرى اغتدت نورا] [فأنت كالشمس أفق فيه قد طلعت ❊ يضئ وما عنه غابت عاد ديجورا] [سهدا لم أزل ليلى عليک ولن ❊ أرى من الحزن مهما عشت مسرورا]

وفاة الامام محمد الباقر " عليه السلام " تأليف العلامة الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عصفور الدارزى البحرانى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى اختار لاوليائه دار بقائه، وامتحنهم فى دار دنياهم ببلائه، وحبب إليهم كمال لقائه، فسكنت أجسادهم فى هذه الدار، وعلق أرواحهم بدوح فنائه، فصبروا على مضضها بل أعدوها من عظيم نعمائه، والصلاة والسلام على أول مبتلى فى نفسه وعترته وأوليائه محمد وعترته المقابلين لهذه الرزايا بالحمد وكمال ثنائه. وبعد: فيقول أضعف الخلق علما وعملا فى آخرته ودنيائه سوى تمسكه بذيل محبته وولائه، الراجى لفيض إحسانه السبحانى حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدارازى البحرانى إنى لما رأيت الناس من الشيعة والمؤمنين غير عارفين بوفيات أئمتهم المعصومين (ع) لعدم اشتهارها بين آبائهم المتقدمين مع، ندبهم إلى إقامة العزاء والمراثى مدة الاعمار والسنين، وقد ألفت فيما سبق بعض وفاياتهم على الترتيب الواضح المبين، وأحببت أن أستدرک وفايات الباقين [منهم] محمد بن على باقر علوم الاولين والآخرين فألفت هذا الكتاب الموجز اللطيف وجعلته مشتملا على ثلاثة فصول حاوية للتنصيص عليه من آبائه الطاهرين، وعلى معجزاته الشاهدة بإمامته على اليقين، وعلى ذكر وفاته وما أصيب به من الكفرة الملاعين، فيكون الفصل الاول للاول والثانى للثانى

ص: ۱۸۲

والثالث للثالث وبالله أستعين وسميته بالمصاب الفاقر فى وفاة محمد بن على الباقر.

ص: ۱۸۳

الفصل الاول فى التنصيص عليه من النبى (ص) وآبائه الميامين سيما والده على بن الحسين (ع) وقد ولد يوم الجمعة غرة رجب سنة سبع وخمسين. كما فى كتاب مصباح الشيخ (ره) برواية جابر الجعفى، وروى أنه اليوم الثالث من شهر ذى الحجة وعليه الاكثر، واسمه محمد وكنيته أبو جعفر (ع) ولقبه باقر العلم، وأمه أم عبد الله بنت الحسين بن على (ع) وهو أول علوى تولد من الحسنين (ع)، وقد جاء فى حديث اللوح الذى رآه جابر (ره) عند فاطمة الزهراء (ع) المنصوص فيه عليهم وعلى آبائهم وأمهاتهم ومدتهم. وفى المناقب أن الباقر (ع) هاشمى من هاشميين، وعلوى من علويين، [و] فاطمى من فاطميين، لانه أول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين (ع)، وكانت أمه أصدق الناس لهجة، وأحسنهم بهجة وأبدلهم مهجة وفى دعوات الراوندى (ره) عن أبى جعفر (ع) قال: كانت أمى قاعدة عند جدار فتصدع الجدار وسمعنا هدة شديدة، فقالت بيدها: لا وحق المصطفى ما أذن الله تعالى لک أن تسقط، فبقى معلقا حتى جازته فتصدق أبى (ع) عنها بمائة دينار. وذكرها الصادق (ع) يوما، فقال: كانت صديقة لم

ص: ۱۸۴

يدرک فى آل الحسن (ع) مثلها، وعمره (ع) سبع وخمسون سنة عمر أبيه (ع) وجده (ع)، وأقام مع جده الحسين (ع) ثلاث سنين أو أربع سنين، ومع أبيه على بن الحسين (ع) أربعا وثلاثين وعشرة أشهر، وبعد أبيه تسعة عشرة سنة. وروى ثمانية عشر سنة وذلک أيام إمامته (ع)، وكان فى سنين إمامته الملک للوليد بن عبد الملک وسليمان بن عبد الملک وعمر بن عبد العزيز ويزيد ابن عبد الملک وهشام أخيه وإبراهيم بن الوليد، وقبض (ع) فى أول ملک إبراهيم، وسيأتى يوم وفاته المختار منها فى الفصل الثالث لانه (ع) قتل مسموما، وإنما اختلف فى سمه. وروى جابر بن يزيد الجعفى (ره) كما فى العلل لما سأله عمر بن شمر لم سمى الباقر باقرا ؟ قال: لانه بقر العلم بقرا، أى شقه شقا وأظهره إظهارا. ولقد حدثنى جابر بن عبد الله الانصارى (رض) أنه سمع رسول الله (ص) يقول: يا جابر إنک ستبقى حتى تلقى ولدى محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب (ع) المعروف بالباقر (ع)، فإذا لقيته فاقرأه منى السلام، فلقيه جابر بن عبد الله الانصارى فى بعض سكک المدينة، فقال: يا غلام من أنت ؟ فقال: أنا محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ع)، فقال له جابر: يا بنى أقبل، فأقبل ثم قال له: أدبر، فأدبر، فقال (رض):

شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله ورب الكعبة، ثم قال: يا بنى إن رسول الله (ص) يقرؤک السلام، فقال (ع): على رسول الله (ص) السلام، فقال له جابر: يا باقر يا باقر أنت الباقر، أنت الذى تبقر العلم بقرا. ثم كان يأتى إليه فيجلس بين يديه فيعلمه وربما غلط جابر فيما يحدث به عن رسول الله (ص) فيرد عليه الباقر (ع) ويذكره فيقبل ذلک منه ويرجع إلى قوله، وكان يقول: يا باقر يا باقر أشهد أنک أتيت الحكم صبيا. وفى الاختصاص عن أبان بن تغلب عن أبى عبد الله (ع) قال: إن جابر ابن عبد الله قال: آخر من بقى من أصحاب رسول الله (ص) وكان رجلا منقطعا

إلينا أهل البيت (ع)، فكان يقعد فى مجلس رسول الله (ص) متعجرا بعمامته وكان يقول: يا باقر يا باقر، وكان أهل المدينة يقولون: جابر هجر، فكان يقول: لا والله ما أهجر ولكنى سمعت رسول الله (ص) يقول: إنک ستدرک رجلا منى اسمه اسمى وشمائله شمائلى يبقر العلم بقرا، فذلک الذى دعانى إلى ما أقول. فبينما جابر ذات يوم يتردد فى طرق المدينة إذ مر محمد بن على (ع) فنظر إليه، فقال: يا غلام أقبل، فأقبل ثم قال: أدبر، فأدبر، فقال: شمائل رسول الله (ص)، والذى نفس جابر بيده ما اسمک يا غلام ؟ قال: محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (ع)، فقبل رأسه ثم قال: بأبى أنت وأمى إن رسول الله (ص) يقرؤک السلام، فقال (ع): وعلى رسول الله (ص) السلام، فرجع محمد بن على (ع) إلى أبيه وهو ذعر فأخبره، فقال: يا بنى قد فعلها جابر، قال: نعم قال يا بنى الزم بيتک، فكان يأتيه طرفى النهار وهو أخر من بقى من أصحاب رسول الله، فلم يلبث أن مضى على ابن الحسين (ع) فكان محمد بن على (ع) يأتيه على الكرامة لصحبة رسول الله (ص) قال: فجلس الباقر (ع) يحدثهم عن رسول الله (ص)، فقال أهل المدينة: ما رأينا قط أحدا أكذب من هذا يحدث عن من لم يره، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بل عبد الله فصدقوه وكان والله جابر يأتيه فيتعلم منه. وفى البشارة عن الصادق (ع) عن أبيه (ع) قال: دخلت على جابر بن عبد الله فسلمت عليه فرد على السلام وقال لى: من أنت ؟ وذلک بعد ما كف بصره فقلت: محمد بن على الباقر (ع)، فقال (ره) يا بنى ادن منى، فدنوت منه فقبل يدى ثم أهوى إلى رجلى فقبلهما فتنحيت عنه، ثم قال: يا بنى ادن منى فإن رسول الله (ص) يقرؤک السلام فقلت: وعلى رسول الله (ص) السلام ورحمة الله وبركاته، وكيف ذلک يا جابر ؟ ثم ذكر بقية الحديث الاول وهذا الحديث مخالفا لكثير من الاخبار الشاهدة بشهادة جابر له بقول رسول الله (ص) وبإقرائه السلام وهو مبصر، ولهذا شاهد علاماته وشمائله التى

أودعها إياه وهى لا تكون إلا مع الابصار، فلعله قد لقيه مرتين ويشهد لهذا ما فى كشف الغمة عن أبى الزبير محمد بن مسلم المكى أنه قال: كنا عند جابر ابن عبد الله فأتاه على بن الحسين (ع) ومعه ابنه محمد (ع) وهو صبى، فقال على (ع): قبل رأس عمک فدنا محمد (ع) من جابر فقبل رأسه، فقال جابر: من هذا ؟ وكان قد كف بصره، فقال

على (ع): هذا ابنى محمد فضمه جابر إليه، فقال: يا محمد يا محمد إن رسول الله (ص) يقرؤک السلام، فقالوا لجابر: كيف ذلک يا أبا عبد الله ؟ قال: كنت عند رسول الله (ص) والحسين (ع) فى حجره يلاعبه، فقال: يا جابر يولد لابنى هذا ابن يقال له على (ع) إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم على بن الحسين (ع) ويولد لعلى بن الحسين (ع) ابن يقال له محمد، يا جابر إن رأيته فاقرأه منى السلام واعلم أن بقاءک بعد رؤيته يسيرا فلم يعش بعد ذلک جابر إلا يسيرا: [أبا علما قد ذل للخلق كلهم * على دين من انهى إليه الرسالة] [وأبرز حكم الله بعد خفائه * وأوضح برهانا له والدلالة] [وبشر أصحاب النبى ببقائه * علوما أجنت لم تحل المقالة] [حوى من صفات المصطفى بعد اسمه * شمائله قد أورثته الجلالة] [وقد حسدته أمة السوء يا لها * أمية إذ نالت هناک السفالة] [فأردوه مسموما على غير جرمة * فآذوا رسول الله أهل الضلالة] [برئت إلى الله المهيمن منهم * فقد قابلوا علم النبى بالجهالة] [فكيف لنفسى لا تموت صبابة * وقد لقيت آل النبى النكالة] [وقتلا بسم مع قيود بسجنها * وهتک احترام اتبعوه نزالة] وفى التنصص عليه من أبيه (ع) بالامامة حين لقى حمامه فهى كثيرة جدا، فمنها خبر عثمان بن خالد كما فى كتاب النصوص والمعجزات قال: مرض على بن الحسين (ع) مرضه الذى توفى فيه، فجمع أولاده محمد والحسن وعبد الله وعمر وزيدا والحسين وأوصى إلى ابنه محمد (ع) وكناه الباقر وجعل أمرهم

إليه، وكان فيما أوعظ أن قال: يا بنى إن العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والعقل ترجمان العلم، واعلم أن العلم أبقى واللسان أكثر هذرا، واعلم يا بنى أن صلاح الدنيا بحذافيرها فى كلمتين: اصلاح شأن المعاش مل ء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل لان الانسان لا يتغافل إلا عن شئ عرفه فافطن له، واعلم أن الساعات تذهب عمرک وأنک لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى، فإياک والامل الطويل فكم من مؤمل أملا لا يبلغه، وجامع مالا لا يأكله، ومانع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه أو من حق منعه أصابه حراما وورثه عدوا فاحتمل اصره وباء بوزره وورد على ربه خسرانا، أسفا ذلک هو الخسران المبين. وفيه عن مالک بن أعين الجهنى قال: أوصى على بن الحسين (ع) ابنه محمد بن على (ع)، فقال: يا بنى إنى جعلتک خليفتى من بعدى لا يدعى أحد فيما بينى وبينک إلا قلده الله يوم القيامة طوقا من نار، فأحمد الله تعالى على ذلک واشكره، يا بنى اشكر لمن أنعم عليک وأنعم على من شكره فإنها لا تزول نعمة إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت، فكل من أنعم الله عليه بنعمة وجب عليه بها الشكر وتلا (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) (١). وفى خبر عبد الله بن عمر كما فى البصائر عن أبى جعفر (ع) قال لما حضرت على بن الحسين (ع) الوفاة قبل ذلک أخرج الصندوق فحمل بين أربعة، فلما توفى جاء أخوته يدعون فى الصندوق قالوا: اعطنا نصيبنا من الصندوق، فقال: والله ما لكم فيه شئ إنما دفعه إلى، وكان فى الصندوق سلاح رسول الله (ص) وكتبه. وفى خبر الزهرى كما فى النصوص والمعجزات قال: دخلت على على ابن الحسين (ع) فى المرض الذى توفى فيه إذ قدم إليه طبق فيه الخبز والهندباء (هامش) * (١) سورة إبراهيم، الآية: ٧. *

قلت: وما فضل الهندباء ؟ ما من ورقة من الهندباء إلا وعليها قطرة من الجنة فيها شفاء من كل داء، ثم رفع الطعام وأتى بالدهن، فقال: ادهن يا أبا عبد الله قالت: قد أدهنت قال: إنه هو البنفسج، قلت: وما فضل البنفسج على سائر الادهان قال: فضله على سائر الادهان كفضل الاسلام على سائر الاديان، ثم دخل عليه محمدا ابنه فحدثه بالسر فسمعته يقول: عليک بحسن الخلق فقلت: يابن رسول الله (ص) إن كان أمر الله مما لابد منه ووقع فى نفسى أنه (ع) قد نعى نفسه فإلى من نختلف بعدک ؟ فقال: يا أبا عبد الله إلى ابنى هذا، وأشار إلى ابنه محمد الباقر (ع)، فإنه وصيى ووارثى وعيبة علمى ومعدن الحكم وباقر العلم، ثم قال: (ع): سوف يختلف إليه خلاص شيعتى ويبقر العلم عليهم بقرا قال: ثم أرسل ابنه محمد (ع) فى حاجة له إلى السوق فلما جاء قلت: يابن رسول الله هلا أوصيت أكبر أولادک قال: يا أبا عبد الله ليست الامامة بالكبر والصغر هكذا عهد الينا رسول الله (ص) وهكذا وجدناه فى اللوح والصحيفة، قلت: يابن رسول الله فكم عهد إليكم نبيكم أن يكون الاوصياء من بعده ؟ قال: ووجدناه فى الصحيفة واللوح إثنا عشر أسامى مكتوبة بأسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم، ثم قال: يخرج من صلب ابنى محمد (ع) سبعة من الاولياء فيهم المهدى عجل الله فرجه. وكم مثل هذه الاخبار الدالة على النص على إمامته (ع) مما يضيق بها الاملاء، فلله دره من معدن علم وعمل ومحل عصمة من الخطايا والزلل ولهذا فوض الله إليه أحكامه وأوعز إليه حلاله وحرامه، فضاقت نفوس الحاسدين وأرادت إطفاء نوره، فسمت إليه وأهبطت مقامه وقصدت هدم تلک الدعامة للعداوة القديمة وما فيهم من القباحة والدمامة، فكأن رسول الله (ص) ما أولدهم ولم ينص عليهم بالولاية والامامة طلبوا بذلک فبذلوا فيه حطامه وأمكنهم الله من ذلک ليحبوهم الله بالشهادة ودار المقامة، فليت نفسى الفداء لهم قبل أن يلقوا من المنون حمامه.

شعر للمؤلف رحمه الله تعالى: [سأقضى حياتى بالكآبة والشجا ❊ على باقر العلم الذى ليس يوجد] [له شبه فى العالمين وقد حوى ❊ فنون علوم الله فهو الموحد] [فلولاه ما قامت لاحد راية ❊ ولا كان من بعد الوصيين مرشد] [فيا قاتل الله الغوى الذى سعى ❊ له بسموم فهو باغ ومخلد] [أيقتل نفس المصطفى ووصيه ❊ ونجل حسين وابنه ويشردوا] [ذرارى للزهراء وتيتيم شيعة ❊ توالوا بهم حتى أبيدوا وبددوا] [فذاک كتاب الله يبكى لفقدهم ❊ وهذا رسول الله حزنا يعدد] [وتلک محاريب المساجد قد خلت ❊ فلا عابد فيها ولا متهجد] [وتلک دروس العلم أمست دوارس ❊ فلا حكم فيها ولا حكم يمهد]

الفصل الثانى فى معاجزه التى بهرت العقول، ومكارم أخلاقه التى ورثها من الرسول وعلى فحل الفحول ومن آبائه الكرام حملة علم المعقول والمنقول، وبها أظهرت تلك الاحقاد والذحول للغل الكامن فى صدور أولئک النغول، وقد جرت مع خلفاء عصره عجائب لا تدركها العقول لانه (ع) قد بقر علم الرسول (ص) بقرا، فمنها ما وقع له فى حياة أبيه (ع) حيث قد شكت الشيعة لابيه (ع) من الظلم والقهر والتشريد والامر المهول على ما رواه فى عيون المعجزات مرفوعا إلى جابر قال: أفضيت الخلافة إلى بنى أمية فسفكوا فى أيامهم الدم الحرام، ولعنوا أمير المؤمنين (ع) على منابرهم ألف شهر، واغتالوا شيعته فى البلدان وقتلوهم واستأصلوا شأفتهم، ومالاهم على ذلک علماء السوء رغبة بحطام الدنيا، وصارت محنتهم على الشيعة لعن أمير المؤمنين (ع) فمن لم يلعنه قتلوه، فلما فشا ذلک فى الشيعة وكثر وطال واشتكت إلى زين العابدين (ع) وقالوا: يا ابن رسول الله حلؤنا عن البلدان بالقتل الذريع، وقد اعلنوا بلعن أمير المؤمنين (ع) فى البلدان وفى مسجد رسول الله (ص) على منبره ولا ينكر عليهم منكر ولا يعيرهم معير فإن أنكر واحد منا لعنوه وقالوا: هذا ترابى، ورفع إلى سلطانهم وكتب إليه أن هذا ترابى أو ذكر أبى تراب (ع) بخير فضرب وحبس وقتل، فلما سمع (ع) ذلک نظر إلى السماء وقال: سبحانک ما أعظم شأنک إنک أمهلت عبادک حتى ظنوا أنک

أهملتهم وهذا كله بعينک إذ لا يغلب قضاؤک ولا يرد محتوم أمرک فهو كيف شئت وأنى شئت لما أنت أعلم به منا، ثم دعا بابنه محمد بن على الباقر (ع)، فقال يا محمد، فقال البيک، فقال (ع): إذا كان غدا فاغد إلى مسجد رسول الله (ص) وحط الخيط الذى نزل به جبرائيل (ع) على رسول الله (ص) وحركه تحريكا لينا ولا تحركه تحريكا شديدا فيهلكوا جميعا. قال: جابر: فبقيت متعجبا من قوله لا أدرى ما أقول، فلما كان من الغد جئته وكان قد طال على ليلى حرصا لانظر ما يكون من أمر الخيط، فبينما أنا فى الباب إذ خرج (ع) فسلمت عليه فرد على السلام وقال لى: ما غدا بک يا جابر عنا ولم تكن تأتنا فى هذا الوقت ؟ فقلت لقول الامام (ع) بالامس خذ الخيط الذى أتى به جبرائيل (ع) وسر به إلى مسجد رسول الله (ص) وحركه تحريكا لينا ولا تحركه تحريكا شديدا فيهلک الناس جميعا، فقال الباقر (ع): والله لولا الوقت المعلوم والاجل المحتوم والقدر المقدور لخسفت بهذا الخلق المنكوس فى طرفه عين بل فى لحظة، ولكنا عباد مكرمون لا نسبقه بالقول ونحن بأمره عاملون. قال جابر: فقلت: يا سيدى ومولاى ولم تفعل هذا بهم ؟ قال: ما حضرت بالامس والشيعة تشكو إلى والدى (ع) ما يلقون من هؤلاء الانذال ؟ فقلت: يا سيدى ومولاى نعم، فقال (ع): إنه (ع) أمرنى أن أرعبهم لعلهم ينتهون، وكنت أحب أن تهلک طائفة منهم ليطهر الله البلاد ويريح العباد منهم. قال جابر: فقلت: سيدى كيف ترعبهم وهم أكثر من أن يحصى، فقال الباقر (ع): امض بنا إلى مسجد رسول الله (ص) لاريک قدرة من قدرة الله تعالى التى خصنا الله بها وما من به علينا من دون الناس، فقال جابر: فمضيت معه إلى المسجد فصلى ركعتين ثم وضع خده فى التراب وتكلم بكلام ثم رفع رأسه وأخرج من كمه خيطا دقيقا فاحت منه رائحة المسک، فكان فى المنظر أدق من سم الخياط ثم قال لى: يا جابر خذ إليک طرف الخيط وامض رويدا،

فمضيت، فقال (ع): قف يا جابر، فوقفت ثم حرک الخيط تحريکا خفيفا ما ظننت أنه حرکه من لينه ثم قال (ع): ناولنى طرف الخيط، فناولته إياه وقلت ما فعلت يا سيدى ؟ فقال (ع) ويحک اخرج وانظر ما حال الناس. قال جابر رضى الله عنه: فخرجت من المسجد فإذا الناس فى صيحة واحدة والصيحة من کل جانب، فإذا المدينة قد زلزلت زلزلة شديدة وأخذتهم الرجفة والهدمة، وقد خرجت أکثر دور المدينة وهلک منها خلق کثير تزيد على ألف رجل وامرأة دون الولدان والناس فى صياح وعويل وبکاء وهم يقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، خربت دار فلان وهلک أهلها ورأيت الناس فزعين إلى مسجد رسول الله (ص) وهم يقولون: هذه هدمة عظيمة وبعضهم يقول: قد کانت زلزلة وبعضهم يقول: کيف لا نخسف وقد ترکنا الامر بالمعروف والنهى عن المنکر وظهر فينا الفسق والفجور وظلم آل محمد (ص)، والله لينزلن بنا أشد من هذا أو نصلح من أنفسنا ما أفسدنا قال جابر (رض): فبقيت متحيرا أنظر إلى الناس حيارى يبکون، فأبکانى بکاؤهم وهم لا يدرون من أين أتوا، فانصرفت إلى الباقر (ع) وقد حف به الناس فى مسجد رسول الله (ص) وهم يقولون: يابن رسول الله ألا ترى إلى ما نزل بنا ؟ فادع الله تعالى لنا، فقال (ع): افزعوا إلى الصلاة والدعاء والصدقة، ثم أخذ بيدى وسار بى (ع)، فقال: ما حال الناس فقلت: لا تسأل يابن رسول الله، خربت الدور والمساکن وهلک الناس، ورأيتهم بحال رحمتهم فيه، فقال (ع) لا رحمهم الله تعالى أما أنه قد بقيت عليک بقية ولولا ذلک لم ترحم أعداءنا وأعداء أوليائنا ثم قال (ع) سحقا سحقا وبعدا بعدا للقوم الظالمين، والله لولا مخالفة والدى (ع) لزدت فى التحريک وأهلکتهم عن آخرهم وجعلت أعلاها أسفلها، فکان لا يبقى فيها دار ولا جدار فما أنزلنا وأولياءنا من أعدائنا هذه المنزلة غيرهم، ولکن أمرنى مولاى (ع) أن أحرکه تحريکا ساکنا ثم صعد (ع) المنارة فزلزلت المدينة زلزلة خفيفة وتهدمت دور، ثم تلا الباقر (ع) (ذلک جزيناهم

بما کفروا وهل نجازى إلا الکفور) (۱) وتلا أيضا (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) (۲) (فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) (۳). قال جابر (رض): فخرجت العواتق من خدورهن فى الزلزلة الثانية يبکين ويتضرعن مکشفات لا يلتفت إليهن أحد، فلما نظر الباقر (ع) إلى تحير العواتق رق لهن فوضع الخيط بکمه فسکنت الزلزلة، ثم نزل (ع) عن المنارة والناس لا يرونه وأخذ بيدى حتى خرجنا من المسجد فمررنا بحداد اجتمع الناس عند حانوته والحداد يقول: أما سمعتم الهمهمة فى الهدم ؟ فقال بعضهم: بل کانت همهمة کثيرة وقال قوم آخرون: والله کلام کثير إلا إنا لم نطلع على الکلام قال جابر (رض): فنظر إلى الباقر (ع) وتبسم وقال: يا جابر هذا لما طغوا وبغوا فقلت: يابن رسول الله ما هذا الخيط الذى فيه العجب، فقال (ع): بقية ما ترک آل موسى وآل عمران تحمله الملائکة ونزل به جبرائيل (ع)، ويحک يا جابر إنا من الله تعالى بمنزلة رفيعة فلولا نحن لم يخلق الله

سماء ولا ارضا ولا جنة ولا نارا ولا شمسا ولا قمرا ولا أنسا ولا جنا، ويحک يا جابر لا يقاس بنا أحد يا جابر بنا والله أنقذكم، وبنا والله أنعشكم، وبنا والله هداكم، ونحن والله دللناكم على ربكم فقفوا عند نهينا وأمرنا ولا تردوا علينا ما وردناه عليكم منا، فما فهمتموه فاحمدوا الله عليه، وما جهلتموه فردوه إلينا وقولوا: أئمتنا أعلم بما قالوا. قال جابر (رض): ثم استقبله أمير المدينة القيم بها من بنى أمية وقد نكب ونكبت حوله حريمه وهو ينادى معاشر الناس احضروا ابن رسول الله (ص) وتقربوا به إلى الله تعالى وتضرعوا إليه وأظهروا التوبة والانابة لعل الله يصرف

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٧. (٢) سورة هود، الآية: ٨٢. (٣) سورة النمل، الآية: ١٦. (*)

عنكم العذاب، قال جابر (رض): فلما بصر الامير بمحمد الباقر (ع) سارع نحوه وقال: يابن رسول الله أما ترى ما نزل بأمة محمد (ص) وقد هلكوا وفنوا ؟ ثم قال له: أين أبوک حتى نسأله أن يخرج إلى المسجد فنتقرب به إلى الله تعالى فيرجع عن أمة محمد (ص) البلاء ؟ فقال الباقر (ع): يفعل إن شاء الله تعالى، ولكن أصلحوا ما فسد من أنفسكم، وعليكم بالتوبة والتورع عما أنتم عليه فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. قال جابر: فأتينا زين العابدين (ع) بأجمعنا وهو يصلى فانتظرناه حتى انتقل من الصلاة فأقبل علينا ثم قال لابنه سرا: يا محمد كدت تهلک الناس جميعا، قال (ره): فقلت: والله يا سيدى ما شعرت بتحريكه حين حركه، فقال (ع): لو شعرت بتحريكه ما بقى نافخ نار، فما خبر الناس ؟ فأخبرناه، فقال (ع): ذلک مما استحلوا منا محارم الله تعالى وانتهكوا من حرمتنا، فقلت: يابن رسول الله إن سلطانهم بالباب قد سألنا أن نسألک أن تحضر المسجد حتى تحضر الناس إليک فيدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ويسألونه الاقالة، فتبسم (ع) ثم قال: (أولم تک تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) (١) قلت: يا سيدى ومولاى العجب أنهم لا يدرون من أين أتوا، فقال: أجل وتلا (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآيتنا يجحدون) (٢) هى والله يا جابر آياتنا، وهذه والله إحداها وهى مما وصف الله تعالى فى كتابه (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) (٣). ثم قال (ع): يا جابر ما ظنک بقوم أماتوا سنتنا وضيعوا عهدنا ووالوا

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥٠. (٢) سورة الاعراف، الآية: ٥١. (٣) سورة الانبياء، الآية: ١٨. (*)

أعدائنا وانتهكوا حرمتنا وظلموا حقنا وغصبوا إرثنا وأعانوا الظالمين علينا وأحيوا سنتهم وساروا بسيرة الفاسقين الكافرين فى فساد الدين وإطفاء نور الحق ؟ قال جابر: فقلت: الحمد لله الذى من علينا بمعرفتكم وعرفنى فضلكم وألهمنى طاعتكم ووفقنى لموالاة أوليائكم ومعاداة أعدائكم، فقال (ع): أتدرى ما المعرفة ؟ فاورد عليه الخبر بطوله. ولله در من قال: [لقد أظهر الله آياتهم * كما أظهر النور من شمسها] [وأحيا معالم دين الآله * وشيدها بعدما أسسها] [وقوم أعلامهم فى الورى * جهارا وقد كان فى نكسها] [فوالهفتاه لامام مضى * وأبقى مرائر فى نفسها] [أيقتل خير الورى جهرة * ويصبح ذى الدين فى نكسها] [أباقر علم النبى الذى * توالى الخلائق من أنسها] [ومن جنها فى قفار لها * كذاک الملائک فى قدسها] [فيا دمعتى فاسكتى دمها * ويا فرحتى فاذهبى امسها] [وعيد الانام فما مربى * ولا مالت النفس فى عرسها] [ودمعى مراق ونومى جفا * جفونى ولا ذاق من نعسها] وفى كتاب دلائل الامامة لمحمد بن جرير الطبرى رحمه الله تعالى بإسناده عن الصادق (ع) قال: حج هشام بن عبد الملک سنة من السنين، وكان قد حج فى تلک السنة محمد بن على الباقر وابنه جعفر صلوات الله عليهما، فقال جعفر ابن محمد (ع): الحمد لله الذى بعث محمدا بالحق نبيا وأكرمنا به فنحن صفوة الله تعالى من على خلقه وخيرته من عباده وخلفائه، فالسعيد من اتبعنا والشقى من عادانا وخالفنا قال: فأخبره مسلمة أخوه بما سمع فلم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة، فأنفذ بريدا إلى المدينة لاشخاصى

وإشخاص أبى (ع)، فأشخصنا فلما وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثة أيام ثم أذن لنا فى اليوم الرابع، فأدخلنا عليه وإذا هو قد قعد على سرير الملک وجنده وخاصته وقوف على أرجلهم متسلحون وقد نصب الغرض وأشياخ قومه يرمون، فلما دخلنا وأبى (ع) أمامى وأنا خلفه فنادى أبى وقال: ارم مع أشياخ قومک الغرض، فقال له أبى (ع): قد كبرت عن الرمى فهل رأيت أن تعفينى ؟ فقال: وحق من أعزنا بدينه ونبيه محمد (ص) لا أعفيک، ثم أومى إلى شيخ من بنى أمية وقال: أعطه قوسک، فتناول أبى (ع) عند ذلک قوس الشيخ ثم تناول منه سهما فوضعه فى كبد القوس، ثم انتزع السهم ورمى الغرض فنصبه فيه، ثم رمى الثانية فشق فوافق سهمه إلى نصله، ثم تابع الرمى حتى شق تسعة أسهم بعضا فى جوف بعض وهشام يضطرب فى مجلسه فلم يتمالک أن قال: أجدت يا أبا جعفر وأنت أرمى العرب والعجم، زعمت أنک كبرت عن الرمى ثم أدركته ندامة على ما قال، وكان هشام لم يكن أجل قبل أبى (ع) ولا بعده فى خلافته فهم به وأطرق إلى الارض إطراقه يتروى فيه، وأنا وأبى (ع) واقفان حذاه موجهان نحوه، فلما طال وقوفنا غضب أبى (ع) وهم به وكان أبى (ع) إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب فى وجهه. فلما نظر هشام من أبى ذلک قال له: إلى إلى يا محمد فصعد أبى السرير وأنا اتبعه، فلما دنا من هشام قام إليه واعتنقه وأقعده عن يمينه، واعتنقنى وأقعدنى عن يمين أبى (ع)، ثم أقبل على أبى بوجهه، فقال له: يا محمد لا تزال العرب تسودها قريش ما دام فيها مثلک، فلله درک من علمک هذا الرمى وفى كم تعلمته ؟ فقال أبى: قد علمت أن أهل المدينة يتعاطونه فتعاطيته أيام حداثتى، فلما أراد أمير المؤمنين ذلک منى عدت إليه، فقال: ما رأيت مثل هذا الرمى

منذ عقلت، وظننت أن احدا فی الارض یرمی هذا الرمی أیرمی ابنک جعفر (ع) مثل هذا الرمی ؟ فقال (ع): نحن نتوارث فی تمام الدین کما قال الله تعالی (الیوم أکملت لکم دینکم وأتممت علیکم نعمتی ورضیت لکم

الاسلام دینا) (۱) والارض لا تخلوا ممن یکمل هذه الامور التی یقصر عنها غیرنا. فلما سمع هشام ذلک من أبی (ع) انقلبت عینه الیمنی واحولت واحمر وجهه، وکان ذلک علامة غضبه إذا غضب، ثم أطرق هنیة، ثم رفع رأسه، فقال لابی (ع): ألسنا بنی عبد مناف نسبنا ونسبکم واحد ؟ فقال أبی: نحن کذلک، ولکن الله جل ثناؤه اختصنا من مکنون سره وخالص علمه بما لا یخص به أحدا غیرنا، فقال: ألیس الله جل ثناؤه بعث محمدا (ص) من شجرة عبد مناف إلی الناس کافة أبیضها وأسودها وأحمرها ؟ من أین ورثتم ما لیس لغیرکم ورسول الله (ص) مبعوث إلی الناس کافة وذلک قول الله تعالی (ولله میراث السموات والارض) (۲) الآیة، فمن أین ورثتم هذا العلم ولیس بعد محمد (ص) نبی ولا أنتم أنبیاء ؟ فقال (ع): عن قوله تعالی لنبیه: (لا تحرک به لسانک لتعجل به) (۳) لم یحرک به لسانه لغیرنا، أمره الله أن یخصنا به من دون غیرنا، فلذلک کان یناجی أخاه علیا (ع) من دون أصحابه، فأنزل الله تعالی بذلک قرآنا فی قوله تعالی (وتعیها اذن واعیة) (۴)، فقال رسول الله (ص) لعلی (ع) من دون أصحابه: سألت الله عزوجل أن یجعلها أذنک یا علی، فلذلک قال علی (ع) بالکوفة: علمنی رسول الله (ص) ألف باب من العلم ففتح لی من کل باب ألف باب خصه رسول الله (ص) من مکنون سره بما لم یخص به أحدا من قومه حتی صار إلینا فورثناه من دون أهلنا. فقال هشام: إن علیا (ع) کان یدعی علم الغیب والله تعالی لم یطلع علی

---

(۱) سورة المائدة، الآیة: ۳. (۲) سورة الحدید، الآیة: ۱۰. (۳) سورة القیامة، الآیة: ۱۶. (۴) سورة الحاقة، الآیة: ۱۲. (*)

غیبه أحدا، فکیف ادعی ذلک ؟ فقال أبی (ع): إن الله جل ذکره أنزل علی نبیه کتابا بین فیه ما کان وما یکون إلی یوم القیامة (ونزلنا علیک الکتاب تبیانا لکل شئ وهدی ورحمة وبشری للمسلمین) (۱) وفی قوله تعالی (ما فرطنا فی الکتاب من شئ) (۲) وأوحی الله تعالی إلی نبیه (ص) أن لا یبقی فی غیبه وعلمه وسره ومکنون علمه شیئا إلا یناجی به علیا (ع)، فأمره أن یؤلف (۳) القرآن من بعده ویتولی غسله وتکفینه وتحنیطه من دون قومه وقال لاصحابه: حرام علی أصحابی وأهلی أن ینظروا إلی عورتی غیر أخی علی (ع) فإنه منی وأنا منه، له ما لی وعلیه ما

على، وهو قاضى دينى ومنجز عداتى ووعدى. ثم قال لاصحابه: إن على بن أبى طالب (ع) يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت أنا على تنزيله، ولم يكن عند احد تأويل القرآن بكماله وتمامه إلا عند على (ع) ولذلک قال رسول الله: أقضاكم على (ع) أى هو قاضيكم، وقال عمر: لولا على (ع) لهلک عمر، يشهد له عمر ويجحد غيره. فأطرق هشام طويلا ثم رفع رأسه فقال: سل حاجتک فقال: خلفت عيالى وأهلى مستوحشين لخروجى، فقال قد آنس الله وحشتهم برجوعک إليهم ولا تقم، سرمن يومک إليهم، فاعتنقه أبى (ع) ودعا له، وفعلت أنا كفعل أبى (ع)، ثم نهض ونهضت معه وخرجنا إلى بابه، وإذا ميدان ببابه وفى آخر الميدان أناس قعود وعدد كثير فقال أبى: من هؤلاء ؟ فقيل: هؤلاء القسيسون والرهبان وهذا عالم لهم يقعد لهم فى كل سنة مرة يوما واحدا يستفتونه فيفتيهم، فلف أبى (ع) عند ذلک نفسه بفاضل ردائه ففعلت أنا كفعل أبى، فأقبل نحوه وقعد وقعدت وراءه ورفع الخبر إلى هشام، فأمر بعض غلمانه أن يحضر الموضع فينظر ما يصنع أبى (ع)، فأقبل وأقبل عدد من المسلمين فأحاطوا بنا ❊ (هامش ص ١٩٩) (١) سورة النحل، الآية: ٨٩. (٢) سورة الانعام، الآية: ٣٨. (٣) يؤلف: يجمع. ❊

وأقبل عالم النصارى قد شد حاجبيه بخرقة صفراء حتى توسطنا، فقام إليه جمع من القسيسين والرهبان مسلمين عليه فجاؤوا به إلى صدر المجلس فقعد فيه وأحاط به أصحابه وأبى (ع) و أنا بينهم، فأدار نظره فقال لابى: أمنا أم من هذه الامة المرحومة ؟ فقال (ع): من هذه الامة المرحومة فقال: من اين أنت أمن علمائها أم من جهالها ؟ فقال أبى (ع): لست من جهالها، فاضطرب اضطرابا شديدا فقال لابى: أسألک ؟ فقال أبى: أسأل فقال: من أين ادعيتم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يحدثون ولا يبولون ؟ وما الدليل على ذلک من شاهد لا يجهل ؟ فقال أبى (ع): الجنين فى بطن أمه يأكل ولا يحدث. قال: فاضطرب النصرانى اضطرابا شديدا، فقال: هلا زعمت أنک لست من علمائها ؟ فقال أبى (ع): ولست من جهالها وأصحاب هشام يسمعون ذلک، فقال لابى: أسألک مسألة أخرى فقال أبى (ع): اسأل فقال لابى: من أين ادعيتم أن فاكهة الجنة غضة طرية موجودة غير معدومة عند أهل الجنة ؟ وما الدليل عليه من شاهد لا يجهل ؟. فقال أبى (ع): دليل ما ندعيه أن السراج أبدا يكون غضا طريا موجودا غير معدوم عند أهل الدنيا لا ينقطع ابدا، فاضطرب اضطرابا شديدا ثم قال، هلا زعمت أنک لست من علمائها ؟ فقال أبى ولست من جهالها. فقال اسألک مسألة فقال: اسأل فقال: أخبرنى عن ساعة لا من ساعات الليل ولا من ساعات النهار فقال له أبى (ع): هى الساعة التى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يهدأ فيها المبتلى ويرقد فيها الساهر ويفيق المغمى عليه، جعلها الله فى الدنيا دليلا للراغبين وفى الآخرة دليلا للعالمين، لها دلائل واضحة وحجة بالغة على الجاحدين المتكبرين الناكرين لها، قال: فصاح النصرانى صيحة عظيمة ثم قال: بقيت مسألة واحدة والله لاسألنک مسألة لا تهتدى إلى ردها أبدا فقال له:: سل ما شئت، فإنک حانث فى يمينک فقال اخبرنى عن مولودين ولدا فى يوم واحد وماتا فى يوم واحد عمر أحدهما خمسين

سنة والآخر عمره مائة وخمسين سنة. فقال له أبى (ع): ذلک عزير وعزيرة ولدا فى يوم واحد فلما بلغا مبلغ الرجال خمسة وعشرين سنة مر عزير على حماره وهو راكبه على بلد اسمها انطاكية وهى خاوية على عروشها فقال: أنى يحيى هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه على حماره بعينه وطعامه وشرابه لم يتغير، وعاد إلى داره وأخوه عزيرة وولده قد شاخوا وعزير شاب فى سن خمسة وعشرين سنة، فلم يزل يذكر أخاه وولده وهم يذكرون ما يذكره ويقولون: ما أعلمک بأمر قد مضت عليه السنين والشهور، وعزيرة يقول له وهو شيخ كبير ابن مائة وخمسة وعشرين سنة: ما رأيت شابا أعلم بما كان بينى وبين أخى عزير أيام شبابى منک، فمن أهل السماء أنت أم من أهل الارض ؟ فقال: يا عزيرة أنا عزير أخوک، قد سخط الله على بقول قلته بعد أن اصطفانى الله وهدانى، فأماتنى مائة سنة ثم بعثنى بعد ذلک لتزدادوا بذلک يقينا أن الله تعالى على كل شئ قدير، وهذا حمارى وطعامى وشرابى الذى خرجت به من عندكم أعاده الله تعالى كما كان، فعند ذلک أيقنوا فأعاشه الله بينهم خمسة وعشرين سنة ثم قبضه الله تعالى وأخاه فى يوم واحد. فنهض عالم النصارى عند ذلک قائما، وقام النصارى على أرجلهم فقال لهم عالمهم: جئتمونى بأعلم منى واقعدتموه معكم حتى هتكنى وفضحنى وأعلم المسلمين بأنه احاط بعلومنا وأن عنده ما ليس عندنا، والله لا كلمتكم من كلمة واحدة ولا قعدت لكم إن عشت بعد هذه فتفرقوا وأبى (ع) قاعد مكانه وأنا معه، ورفع ذلک إلى هشام فبعث الينا بالجائزة وأمرنا أن ننصرف إلى المدينة من ساعتنا ولا نجلس لان الناس ماجوا وخاضوا فيما دار بين أبى (ع) وعالم النصارى، فركبنا دوابنا منصرفين وقد سبقنا بريد إلى عامل مدينة مدين أن ابنى أبى تراب (ع) الساحرين محمد بن على وجعفر بن محمد (ع) الكذابين بل هو الكذاب، فيما يظهر أن من الاسلام وردا على فلما صرفتهما إلى المدينة مالا

على القسيسين والرهبان من كفار النصارى وتقربا إليهم بالنصرانية، فكرهت أن أنكل بهما لقرابتهما فإذا قرأت كتابى هذا فناد فى الناس برئت الذمة ممن يشاريهما أو يبايعهما أو يصافحهما أو يسلم عليهما فإنهما قد ارتدا عن الاسلام، ورأى أمير المؤمنين أن يقتلهما ودوابهما وغلمانهما ومن معهما أشر قتلة فورد البريد إلى مدينة مدين. فلما شارفنا مدين قدم أبى (ع) غلمانه ليرتادوا لنا منزلا ويشتروا لنا ولدوابنا طعاما وعلفا، فلما قرب غلماننا من باب المدينة أغلقوا الباب فى وجوههم وشتموهم وذكروا على بن أبى طالب (ع) ونالوا منه، وقالوا لا نزول لكم عندنا ولا بيع ولا شراء يا كفار يا مشركين يا مرتدين يا كذابين يا أشر الخلق أجمعين. فوقف غلماننا على الباب حتى انتهينا إليهم، فكلمهم أبى (ع) ولين لهم القول وقال لهم، اتقوا الله ولا تغلطوا فلسنا كما بلغكم ولا نحن كما يقولون فاسمعونا، وقال لهم: إن كنا كما قلتم فافتحوا لنا الباب وشارونا وبايعونا كما تشارون وتبايعون اليهود والنصارى فقالوا: إن هؤلاء يؤدون الجزية وانتم ما تؤدون الجزية فقال لهم أبى (ع): افتحوا لنا الباب وانزلونا وخذوا منا الجزية كما تأخذون منهم، فقالوا: لا نفتح لكم الباب ولا كرامة لكم حتى تموتوا على ظهور دوابكم جياعا أو تموت دوابكم تحتكم. فوعظهم أبى

فازدادوا عتوا ونفورا فثنى أبى (ع) رجله عن سرجه ثم قال لى: مكانک يا جعفر لا تبرح، ثم صعد (ع) الجبل المطل على مدينة مدين وهم ينظرون إليه ما يصنع، فلما صار فى أعلاه استقبل بوجهه المدينة ثم وضع اصبعه فى أذنيه ثم نادى بأعلى صوته (وإلى مدين أخاهم شعيبا - إلى قوله - بقية الله خير لكم) (١) فأمر الله ريحا سوداء مظلمة فهبت واحتملت صوت أبى (ع) وطرحته إلى اسماع الرجال * (هامش ص ٢٠٢) (١) سورة هود، الآيات: ٨۴ - ٨۶. *

والنساء والصبيان، فما بقى أحد منهم إلا صعدوا السطوح وأبى (ع): مشرف عليهم. فكان فيمن صعد شيخ من أهل مدين كبير السن، فنظر إلى أبى (ع) على الجبل فنادى بأعلى صوته: اتقوا الله يا أهل مدين، فإنه قد وقف الموقف الذى وقف فيه شعيب (ع) حين دعا على قومه، فإن أنتم لم تفتحوا له الباب ولم تنزلوه جاءكم من الله العذاب وإنى أخاف عليكم وقد أعذر من أنذر، ففزعوا وفتحوا الباب وأنزلونا. وكتب بجميع ذلک إلى هشام، فارتحلنا فى اليوم الثانى فكتب هشام إلى عامل مدين أن يحتال فى سم أبى (ع) فى طعام أو شراب فلم يتهيأ من ذلک له شئ: [بنى أمية لا قرت عيونكم * بما جنيتم على أبناء ياسين] [جحدتم لحقوق أوجبت لهم * بنص قرآنه فى آى تبيين] [حسدتموهم على ما خصهم ودعا * إلهم من ولاة الامر والدين] [اسقيتموهم سموما بعد مانهلت * فى دمهم عنوة بتر الملاعين] [أطفيتم لمصابيح الهدى فغدت * دياجى الكفر عمت كل مسكين] [يانسل مروان ماذا قد أباح لكم * دم الرسالة يانسل الملاعين] [أمليتم الارض من جارى دمائهم * وقد غدوا بين مأسور ومسجون] [فما هشامكم قد عف مذ ملكت * يمينه عنهم من بعد تمكين] [سعى لقتلهم حتى أبادهم * عن البسيط بتنكيل وتوهين] [يا باقر العلم قد جلت رزيتكم * على القلوب فما دمعى بمخزون] [وقد تنسى لهاتيک الخطوب وقد * دكت معالم دين الله فى حين] [الله يجبر كسرا قد أصابكم * بالقائم المرتجى بالنصر والعون] وفى كتاب كامل الزيارات عن أبى بصير (رض) عن أبى عبد الله الصادق (ع) قال: بعث هشام إلى أبى فأشخصه إلى الشام فلما دخل عليه قال له: يا أبا جعفر (ع) أنا بعثت إليک لاسألک عن مسألة لم يصلح أن يسألک عنها

غيرى، ولا ينبغى أن يعرف هذه المسألة إلا رجل واحد فقال أبى (ع): يسألنى أمير المؤمنين عما أحب فإن علمت أجبته وإن لم أعلم قلت لا أدرى، وكان الصدق أولى بى فقال له هشام: أخبرنى عن الليلة التى قتل فيها أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع) بما استدل الغائب عن المصر الذى قتل فيه على بن أبى طالب (ع) ؟ وما كانت العلامة فيه للناس ؟ وأخبرنى هل كانت لغيره فى قتله علامة ؟ فقال له أبى (ع): إنه لما كانت الليلة التى قتل فيها على (ع) لم يرفع فيها حجر عن وجه الارض إلا وجد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر، وكذلک كانت الليلة التى قتل فيها يوشع بن نون (ع)، وكذلک الليلة التى رفع فيها عيسى ابن مريم (ع)، وكذلک الليلة التى قتل الحسين بن على (ع)،

فتربد وجه هشام وامتعض لونه وهم أن يبطش بأبى (ع) فقال أبى: الواجب على الناس الطاعة لامامهم والصدق له بالنصيحة، وإن الذى دعانى إلى ما أجبت به أمير المؤمنين فيما سألنى عنه معرفتى بما يجب له من الطاعة فليحسن ظن أمير المؤمنين، فقال هشام: أعطنى عهد الله وميثاقه أن لا ترفع هذا الحديث ماحييت، فأعطاه أبى من ذلک ما أرضاه فقال هشام: انصرف إلى أهلک إذا شئت فخرج أبى متوجها من الشام إلى الحجاز. فأركب هشام بريدا وكتب معه إلى جميع عماله مابين دمشق إلى يثرب فأمرهم أن لا يأذنوا لابى فى شئ من مدائنهم ولا يبايعوه فى أسواقهم ولا يأذنوا له فى مخالطة أهل الشام حتى ينفذ إلى الحجاز، فلما انتهى إلى مدينة مدين ومعه حشمه وأتاه بعضهم فأخبره أن زادهم قد نفذ وانهم قد منعوا من السوق، وأن باب المدينة أغلق عليهم فقال (ع): فعلوها، آتونى بماء للوضوء، فجئ بماء فتوضأ منه ثم توكأ على غلام له ثم صعد الجبل حتى إذا صار فى ثنية الجبل استقبل القبلة فصلى ركعتين ثم قام وأشرف على المدينة ثم نادى بأعلى صوته وقال: (وإلى مدين أخاهم شعيبا – إلى قوله تعالى – بقية الله خير لكم) (١) ثم ❊ (هامش ص ٢٠٤) (١) سورة هود، الآية: ٨٤ – ٨٦. ❊

وضع يده على صدره ثم نادى بأعلى صوته أنا بقية الله أنا والله بقيته. قال: وكان فى أهل مدين شيخ كبير وقد بلغ السن به وأدبته التجارب، وقد قرأ الكتب وعرفه أهل مدين بالصلاح، فلما سمع النداء نادى وقال: اطرحونى، فحمل ووضع فى وسط المدينة فاجتمعوا إليه فقال لهم: ماهذا الذى سمعته من فوق الجبل ؟ قالوا: هذا رجل يطلب متاعا فمنعه السلطان من ذلک فحال بينه وبين منافعه، فقال الشيخ: أتطيعونى ؟ فقالوا: نعم فقال: إن قوم صالح إنما ولى عقر الناقة منهم رجل واحد وعذبوا جميعا على الرضى بفعله وهذا رجل قد قام مقام شعيب (ع) ونادى نداء شعيب فارفضوا السلطان وأطيعونى واخرجوا إليه بالسوق واقضوا حاجته وإلا والله لم آمن لكم الهلكة، قال: ففتحوا الباب وأخرجوا السوق إلى ابى (ع) فأخذنا حاجتنا ودخلوا مدينتهم. وكتب عامل هشام إليه بما فعلوه وبخبر الشيخ، فكتب هشام إلى عامله بحمل الشيخ إليه فحمل فمات فى الطريق رحمه الله تعالى. [والله ما عاد أتت بفعالهم ❊ كلا ولا فرعونها وثمود] [لم يجرموا مثل اجترام هشامهم ❊ ويزيدهم قد زادوهو جحود] [ما جاء فى دين الاله فويله ❊ قد هان عنه ما جنى نمرود] [يا ويلهم حسدا تمكن فيهم ❊ لريائه ما قدماه حسود] [قد أظهروا ساداتنا ما قد رأوا ❊ من منكر وعفت بذاک حدود] [موسى الكليم يفر من فرعونها ❊ لبلاد مدين فالتقاه سعود] [وهشام باقر علمهم ما لم ينج ❊ من طغيانه وبها عراه صعود] [فعليهم وعليه لعن دائم ❊ وعلى يزيد والطغاة يزيد] وفى كتاب المناقب بإسناده قال: لما أشخص أبى (ع) إلى دمشق سمع الناس يقولون: هذا من أولاد أبى تراب (ع)، فأسند ظهره إلى جدار مستقبلا القبلة ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى (ص) ثم قال اجتنبوا أهل الشقاق وذرية النفاق وحشو النار وحطب جهنم، عن البدر الزاهر والبحر الزاخر

والشهاب الثاقب على بن أبى طالب أمير المؤمنين (ع)، والصراط المستقيم (من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا) (١) ثم قال بكلامه: أبصنو رسول الله (ص) تستهزؤون ؟ أم بيعسوب الدين تلمزون ؟ وأى سبيل بعده تسلكون وأى حزب تدفعون ؟ هيهات هيهات برز والله بالسبق، وفاز بالخصل، واستولى على الغاية، وأحرز الخطاب فانحسرت عنه الابصار، وخضعت دونه الرقاب، وقرع ذروة العليا، فكذب من رام من نفسه السعى وقد أعياه الطلب، فأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقال: أقلوا أقلوا لا ابا لكم من اللومة أو سدوا مكان الذى سدوا، أولئک قوم إن بنوا أحسنوا، وإن عاهدوا وفوا، وإن عقدوا شدوا، فأنى يسد ثلمة أخ رسول الله (ص) إذ شفعوا، وشقيقه إذ نسبوا، ونديده إذ قبلوا، وذى قربى كبيرها إذ فتحوا، ومصلى القبلتين إذ انحرفوا، والمشهود له بالايمان إذ كفروا، والمدعو بمبيد المشركين إذ نكلوا، والخليفة على المهاد ليلة الحصار إذ جزعوا، ومستودع الاسرار ساعة الوداع، إلى آخر كلامه (ع). عن الخليل بن أحمد العروضى قال: حضرت مجلس الوليد بن يزيد بن عبد الملک بن مروان وقد اسحنفر فى سب على واثغنجر فى ثلبه إذ خرج عليه أعرابى على ناقة له وذفراها يسيلان لشدة السير دما، فما رآه الوليد فى منظرته قال: إأذنوا لهذا الاعرابى فإنى أراه قد قصدنا، فجاء الاعرابى فعقل ناقته بطرف زمامها ثم أذن له فدخل فأورده قصيدة لم يسمع مثلها قط جودة فلما انتهى إلى قوله: [ولما أن رأيت الدهر آلا * على ولح فى إضعاف حالى] [وفدت إليک أبغى حسن عقبى * أعيل بها خصاصات العيال] [وقائلة إلى من قد أراه * يؤم ومن يرجى للمعالى] * (هامش ص ٢٠٦) (١) سورة النساء، الآية: ٧۴. *

[فقلت إلى الوليد أؤم قصدا * وقاه الله من غير الليالى] [هو الليث الهصور شديد باس * هو السيف المجرد للقتال] [خليفة ربنا الداعى علينا * وذى المجد التليد أخ الكمال] قال: فقبل مدحته وأجزل عطيته وقال: اخا العرب قد قبلنا مدحتک وأجزلنا صلتک فاهج لنا أبى تراب (ع)، فوثب الاعرابى يتهافت قطعا ويزأر حنقا ويستمد شفقا وقال: والله إن الذى عنيته بالهجاء هو أحق بالمدح منک وأنت أولى بالهجاء منه، فقال له الجلساء: ترحک الله فقال: علام تترحونى ولا تبشرونى فما أبديت سلقا ولا قلت شططا ولا ذهبت غطا، علام إنكم فضلتم عليه من هو أولى بالفضل منه وهو على بن أبى طالب (ع) الذى تجلبب بالوقار، ونبذ الشنار، وعاف العمار، وقصد الانصاف، وأبدا الاوصاف، وحصن الاطراف، وتألف الاشراف، وزال الشكوک فى الله بشرح ما استودعه الرسول (ص) من مكنون العلم الذى شرفه وسلفه فى الجاهلية أكرم من سلفه لا تعرف المائدات فى الجاهلية إلا عندهم، ولا الفضل إلا فيهم صفة، اصطفاها الله تعالى واختارها فلا يغتر الجاهل بأنه قعد عن الخلافة بمثائرة من ثار عليها وجالد بها السلالة المارقة والاعوان الظالمين، قلتم ذلک كذلک إنما استحقها بالسوء، تالله ألكم حجة فى ذلک فهل سبق صاحبكم إلى المواضع الصعبة والمنازل الشعبة والمعارک المرة كما سبق إليها على (ع) الذى لم يكن بالعقبة ولا الهبعة ولا مضطغنا آل الله ولا منافقا كان يدرأ عن الاسلام كل أصبوحة، ويذب عنه كل أمسية، ويلج بنفسه فى الليل

الديجور المظلم المحلوک. مرصدا للعدو تارة ومذلا له تارة، ويتضكضک أخرى ويأرب لزبة آتية قيسية وان اور نار قذف نفسه فى لهوات وشيحة وعليه وزعقة ابن عمه الفضفاضة، وبيده خطية عليها سنان لهذم فبرز عمرو بن عبد ود القرم الاود والخصم الالد والفارس الاشد على فرس عنجوج كأنه يجر نحره بالخيلوج فضرب بها قوسه وقنع بها نفسه أو نسيتم عمر بن معدى كرب الزبيدى إذ أقبل يجر دلدال درعه مدلا بنفسه قد

ص: ٢٠٨

زحزح الناس عن أماكنهم ونهضهم عن مواضعهم ينادى اين المبارزون يمينا وشمالا فانقض عليه كاسود ونيق وكصيخورة منجنيق فوقصه وقض القطام بحجر الحمام واتى به إلى رسول الله (ص) كالبعير الشارد يقاد كرها وعينيه تدمع وأنفه يرمع وقلبه يجزع وكم له من يوم عصيب برز فيه إلى المشركين بنية صادقة وبرز غيره وقد كشف أميل أجم أعزل. وقال رسول الله (ص): ألا أنى أخبركم بخبر على (ع)، إنه منى بأوباش كالمراطة بين الغموص أو حجابة وفقامة ومقدم ومهدم حملت به شوها شوها أقصى مميلها فاتت به محصنا وكلهم اهون على على (ع) من سعدانة بغل افبهذا يستحق من سلبه إليه واخذ الخلافة وازالها عن الوارثة وصاحبها ينظر إلى فيئه وكأن الشبا مرعى تلبسه حتى إذا لعب بها فريق بعد فريق وخريق بعد خريق اقتصروا على ضراعة الوهز وكثرة الابز ولو ردوه إلى سمت الطريق والمرت البسيط والتامور العزيز الفوه قائما واضعا الاشياء فى مواضعها لكنهم انتهزوا الفرصة واقتحموا الغصة وباؤا بالحسرة قال: فأربد وجه الوليد وغص بريقه وشرق بعبرته كأنما فقئ فى عينيه المض الحاذق. فأشار عليه بعض جلسائه بالانصراف وهو يشک أنه مقتول فوجد بعض الاعراب الداخلين فقال له: هل لک أن تأخذ خلعتى الصفراء وآخذ خلعتک السوداء واجعل لک بعض الجائزة ؟ فقبل الرجل، فخرج الاعرابى فاستوى على راحلته وغاص فى بيدائه وتوغل فى صحرائه واعتقل الرجل الآخر فضربت عنقه، فجئ به إلى الوليد فقال: ما هذا بصاحبنا وانفذ الخيل السراع فى طلبه فالحقوه بعد لاى. فلما أحس بهم أدخل يده فى كنانته يخرج سهما فسهما يقتل به فارسا فارسا إلى أن قتل أربعين فارسا وانهزم الباقون، فجاؤوا إلى الوليد فأخبروه بذلک فأغمى عليه يوما وليلة، فقالوا: ما تجد ؟ فقال، أجد على قلبى غمة من فوت هذا الاعرابى ولله دره من أعرابى وناهيک به من مادح وممدوح، وقد بلغ

ص: ٢٠٩

الغاية القصوى وتسنم أوج الفصاحة التى تقصر عنها فصاحة المخلوقين، وهى دون فصاحة الخالق فى القرآن المبين ولو بلغت شموسها من أفتى ألسنتهم الناطقة وظهرت كواكب بلاغتهم من بروج أفئدتهم الصادقة، ولقد أظهر مسحة من مسحات والده الممدوح جلا بها ظلماته والشبهات من غير أن يحتاج ذلک الكلام من تبيين أو شروح وأبرز نبيل كنانته محجبات شجاعته فما ترى غير مقتول ومطروح: [ورثوا الشجاعة صاغرا عن كابر ❊ حتى انتهت للسيد الممدوح] [وإلى الرسول أجل خلق الله فى ❊ علم وآداب وكشف فدوح] [حسدتهم الايام حتى أمكنت ❊

منهم طغاة اراذل وجموع] [فغدت دماؤهم تسيل بمنصل * قد سله جد لهم بفتوح] [يا ويلهم لم يعرفوا لمقامهم * عند الاله أليس بالمشروح] [فى كتبه التوراة والانجيل * والفرقان قد بانت بآى وضوح] [نفسى الفداء لهم وما أحويه من * مال وولد والجدود وروحى] [فلاء جعلن الدهر مدة مدتى * حزنا وأجعل مهجتى فى روحى] وحيث أن فى معاجزه عجزى عن ذكر ما فيها لقصورى عن تبوئى أدنى مراتبها فلنشرع فى الفصل الثالث:

ص: ٢١١

الفصل الثالث المتضمن لوفاته (ع) وبيان الوقت الذى سلب فيه كمال حياته وهو الغاية والقصد فى تأليف هذا الكتاب والسبب الذى أوجب لاخماد أنفاسه وإلحاده تحت التراب، وأقوى سبب أجج عليه نيران العداوة ذات الالتهاب عداوة ابن عمه زيد بن الحسن ومخاصمته معه فى ميراث رسول الله (ص) عند أولئک النصاب، حتى هتک منه الحجاب وصار لقتله أعظم الاسباب. كما رواه أبو بصير (رض) عن أبى عبد الله الصادق (ع) قال: كان زيد بن الحسن يخاصم أبى (ع) فى ميراث رسول الله (ص) ويقول: أنا من ولد الحسن (ع) وأولى بذلک منک لانى من ولد الاكبر فقاسمنى ميراث رسول الله (ص) وادفعه إلى، فأبى أبى (ع)، فخاصمه إلى القاضى، وكان زيد يختلف معه إلى القاضى فبينما هم كذلک ذات يوم فى خصومتهم إذ قال زيد بن الحسن لزيد بن على بن الحسين (ع): اسكت يابن السندية فقال زيد بن على (ع): أف لخصومة تذكر فيها الامهات والله ما كلمتک الفصيح من رأسى أبدا حتى أموت وأنصرف إلى أبى (ع)، وقال أخى: إنى حلفت بيمين ثقة وعلمت أنک لا تكرهنى ولا تخيبنى، حلفت أن لا أكلم زيد بن الحسن ولا أخاصمه، وذكر ما صار بينهما فأعفاه أبى (ع) واغتنمها زيد بن الحسن وقال: يلى خصومتى محمد بن على (ع) فأعتبه وأوذيه فيعتدى على فعدا على أبى (ع)

ص: ٢١٢

فقال: بينى وبينک القاضى، فقال: انطلق بنا. فلما أخرجه قال أبى (ع) لزيد: يا زيد إن معک سكين قد أخفيتها، أرأيتک إن نطقت هذه السكينة التى تسترها منى فشهدت أنى أولى بالحق منک فتكف عنى ؟ قال: نعم وحلف له بذلک فقال أبى: أيتها السكين انطقى بأذن الله تعالى، فوثبت السكين من يد زيد بن الحسن على الارض فقالت: يا زيد أنت ظالم لمحمد ومحمد أحق بالارث منک وأولى، وإن لم تكف لالين قتلک، فخر زيد مغشيا عليه وأخذ أبى (ع) بيده وأقامه ثم قال: يا زيد إن أنطقت الصخرة التى نحن عليها تقبل ؟ قال: نعم، قال: فارتفعت الصخرة التى قاما عليها على زيد حتى كادت أن تغلق عليه، ولم تزحف مما يلى أبى (ع)، ثم قالت: أنت ظالم لمحمد ومحمد (ع) مظلوم منک وهو أولى بالامر منک فكف عنه وإلا توليت قتلک، فخر زيد مغشيا عليه، فأخذ أبى (ع) بيده وأقامه ثم قال: يا زيد أرايت إن نطقت هذه الشجرة تكف ؟ قال: نعم فدعا أبى (ع) الشجرة فأقبلت تخد الارض خدا حتى أظلتهم ثم قالت: يا زيد أنت ظالم لمحمد ومحمد (ع) أولى بالامر منک، فكف عنه وإلا قتلتک، فخر مغشيا عليه

فأخذ أبى (ع) بيده وانصرفت الشجرة إلى مكانها، فحلف زيد أن لا يتعرض لابى (ع) ولا يخاصمه. فانصرف وخرج زيد من يومه إلى عبد الملک بن مروان فدخل عليه وقال، أتيتک من عند ساحر كذاب لا يحل لک تركه، وقص عليه ما رأى، فكتب عبد الملک إلى عامل المدينة أن ابعث إلى محمد بن على (ع) مقيدا وقال لزيد أرأيتک إن وليتک قتله تقتله ؟ قال: نعم. فلما انتهى الكتاب إلى عامل المدينة أجاب عبد الملک بما هو حاصله: ليس كتابى خلافا لک يا أمير المؤمنين ولا رادا أمرک، ولكن رأيت أن أراجعک فى الكتاب نصيحة منى إليک وشفقة عليک، وأن الرجل الذى أردته ليس اليوم على وجه الارض اعف منه، ولا أزهد، ولا أورع منه وإنه فى محرابه فتجمع إليه الطير والسباع تعجبا من

صوته، وإن قراءته كشبه مزامير داود (ع) وإنه من أعلم الناس وأرقهم وأشدهم اجتهادا وعبادة، وكرهت لامير المؤمنين التعرض له فإن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. فلما ورد الكتاب على عبد الملک سر بما انتهى إليه من الوالى وعلم أنه قد نصحه، فدعا يزيد بن الحسن فأقرأه الكتاب فقال: أعطاه وارضاه فقال عبد الملک: فهل تعرف أمرا غير هذا ؟ قال: نعم عنده سلاح رسول الله (ص) وسيفه ودرعه وخاتمه وعصاه، وتركته، فاكتب إليه فيه فإن هو لم يبعث به وجدت إلى قتله سبيلا، فكتب عبد الملک إلى عامل المدينة أن أحمل إلى أبى جعفر (ع) ألف ألف درهم وليعطک ما عنده من ميراث رسول الله (ص). فأتى العامل منزل أبى جعفر (ع) فأقرأه الكتاب فقال: أجلنى أياما قال: نعم فهيأ أبى متاعا ثم حمله ودفعه إلى العامل، فبعث به إلى عبد الملک فسر سرورا عظيما، وأرسل إلى زيد بن الحسن فعرض عليه ذلک فقال: والله ما بعث إليک من متاع رسول الله (ص) قليلا ولا كثيرا فكتب عبد الملک إلى أبى (ع) إنک أخذت مالنا ولم ترسل إلينا بما طلبنا، فبعث أبى (ع) إليه: إنى قد بعثت إليک بما قد رأيت فإن شئت كان ما طلبت وإن شئت لم يكن، فصدقه عبد الملک وجميع أهل الشام وقال: هذا متاع رسول الله (ص) قد أتيت به ثم أخذ زيدا وقيده وبعث به وقال له: لولا أنى أريد أن لا أبتلى بدم أحد منكم لقتلتک، وكتب إلى أبى (ع): بعثت إليک بابن عمک فأحسن أدبه، واوصلک سرج هدية منى إليک، فلما أتى به قال أبى (ع): ويحک يا زيد ما أعظم ما تأتى وما يجرى على يديک، والله انى لاعرف الشجرة التى نحت منها ولكن هذا قدر، فويل لمن أجرى الله على يديه الشر. فأسرج له فركب أبى (ع) السرج فنزل أبى متورما وامر بأكفان له وكان فيه ثوب أحرم فيه وقال اجعلوه فى أكفانى وعاش (ع) ثلاثا ثم مضى لسبيله، وذلک السرج عند آل محمد (ص) معلق ثم أن زيد بن الحسن بقى بعد ذلک أياما.

فعرض له داء فما زال يتخبطه ويهذى ويترک الصلاة حتى مات. فهذه الرواية تدل على أن القاتل له عبد الملک بن مروان أنه سمه فى السرج الذى بعث به إليه معه فاظهره (ع) علمه بذلک حيث قال: إنى أعرف الشجرة التى منها السرج فكيف يخفى على ما جعل فيه من السم ولكن قد تحتم القدر بشهادتى على هذا، ولهذا قال (ع): السرج معلق عندهم لئلا يقربه أحد وليكن حاضرا يوم ينتقم من الكافر عند الرجعة على يد قائمنا عجل الله فرجه وسهل مخرجه، ومع ذلک فهو لا ينطبق على باقى الاخبار لتأخر وفاته عن عبد الملک بكثير فلعل الحديث كان فى لفظه هشام بن عبد الملک بأنه ممن بالغ فى قتله فلم يمكنه ذلک. فيا قاتل الله من سعى هذا المسعى وكان من العلويين فما أجرأهم على ارتكاب ما قصر عنه طغاة الامويين من هذا الداء الدفين، أيقتل باقر علوم الاولين والآخرين فى العلن على يد مثل زيد بن الحسن ويهتک به حجاب الله والسنن وتنهتک به حرمة الله إلى آخر الزمن فإنا لله وإنا إليه راجعون فعلى الدار السلام. [دار خلت من آل بيت محمد ❊ سحقا لها سحقا لها من دار] [أغرى الزمان بنى عمومتهم وقد ❊ زادوا على الفجار والكفار] [قد أمكنوا منهم طغاة أمية ❊ وتائج العباس فى الادوار] [ما مات منهم سيد حتفا به ❊ إلا بسم أو حداد شفار] [حسدوهم حسدا يزيد على الاذى ❊ أبداه إبليس الرجيم النارى] [يا عين سحى للدموع عليهم ❊ سحا وصبى الدم بالتزفار] [فلقد قضى قطب الشريعة من له ❊ فصل الخطاب ومعدن الاسرار] [الباقر العلم الرفيع وكاشف ❊ الاستار عن دين النبى المختار] [السيد السند الامام الفاضل ❊ الليث الهمام نتيجة الكرار] [بالسم كف من اللئام عداوة ❊ فأبكوه بالدمع الغزير الجارى] [فعليه صلى الله ماسح الحيا ❊ أو حن قمرى على الاشجار]

وفى رواية عنهم (ع): أن الباقر (ع) دخل على بعض بنى أمية فأراد قتله حيث أمر بذلک من طاغية زمانه، فقال له (ع): يا عبد الله لا تقتلنى فأكون مع الله عليک، يريد بذلک أنه ممن يشفع له عند الله تعالى فيشفعه فلم يقبل ذلک منه، فقال له الاموى: لست افعل هناک فسقاه سما فقتله. وفى رواية أخرى أن هشام بن عبد الملک ما زال يكاتب ابى جعفر (ع) محمد الباقر (ع) ويحتال فى قتله إلى أن سقاه السم. وفى رواية ابن أبى يعفور قال: سمعت أبى عبد الله (ع) يقول إن أبى (ع) قال ذات يوم: ما بقى من أجلى إلا خمس سنين، فحسبت فما زاد ولا نقص. ولله در بعض القائلين فى رثاه: [هلم بنا نبكى على باقر العلم ❊ سليل النبى المصطفى الصادق الامى] [على لذة العيش العفا بعد ما قضى ❊ شهيدا بلا ذنب أتاه ولا جرم] [له طول حزنى ما حييت وحرقتى ❊ ونوحى ولو أن البكا قد برى عظمى] [إماما قضى ظلما غريبا مبعدا ❊ عن الاهل والاوطان والولد بالسم] [لئن هجرت عينى له لذة الكرى ❊ فلا عجبا منى ولو همت فى همى] [سقاه على رغم الوفى السم خفية ❊ هشام ردى الاب والجد والام] [عليه من الرحمن لعن مؤبد ❊ بما سر من بغى وما سن من ظلم] وفى الروايات المشهورة بين علمائنا أن الذى سمه إبراهيم بن يزيد وهى فى رواية ابنه (ع): أنه لما حان حينه، وتيقن وفاته، وعزم إلى أن يصير إلى روح الله وريحانه، ويعرج إلى معارج فوزه وجنانه، واشتاق إلى اللقاء فى دار البقاء وعزم على مفارقة دار الفناء والشقاء، ودعاه داعى الحق من

الابوة والاجداد إلى ما هو خير وأبقى، وأوصى إلى ابنه أبى عبد الله جعفر الصادق (ع) بجميع ما يحتاج إليه الناس، وسلم إليه ما كان عنده من مواريث الانبياء وسلاح رسول الله (ص) قال الصادق (ع): كنت عند أبى (ع)

فى اليوم الذى قبض فيه، فأوصانى بأشياء فى غسله وكفنه وفى إدخاله قبره، قلت جعلت فداک والله يا أبتاه ما رأيتک منذ اشتكيت أحسن هيئة من اليوم، وما رأيت عليک من أثر الموت شيئا فقال (ع): يا بنى أما سمعت أبى على بن الحسين (ع) ينادى من وراء الجدار يا محمد تعال عجل. وفى رواية الحلى كما فى الكافى عن أبى عبد الله (ع) قال، كتب أبى (ع) فى وصيته أن أكفنه فى ثلاثة أثواب أحداها حبرة كان يصلى فيها يوم الجمعة وثوب آخر وقميص، فقلت: يا أبى لم تكتب هذا فى وصيتک ؟ فقال: أخاف أن يغلبک الناس فإن قالوا كفنه فى أربعة أو خمسة فلا تفعل، وعممنى بعمامة وليس تعد من الكفن إنما بعد ما يلف من الجسد. وفى رواية أخرى عن حماد بن عثمان عن أبى عبد الله (ع) قال: إن أبى (ع) قال لى ذات يوم فى مرضه: يا بنى ادخل أناسا من قريش من أهل المدينة حتى أشهدهم، قال: فأدخلت عليه أناسا منهم فقال: إذا أنا مت فغسلنى وكفنى وارفع قبرى أربع أصابع ورشه بماء، فلما خرجوا قلت: يا أبتاه لو أمرتنى بهذا صنعته من غير أن أدخل عليک قوما تشهدهم فقال: يا بنى أردت أن لا تنازع فى الامامة، بمعنى لا تختلف فيک الشيعة ولا تنازع لان من أوصى إليه السابق فى أموره الظاهرة فهو خليفته فى الامامة، ثم قضى نحبه ولقى ربه وكانت وفاته يوم الاثنين فقامت الواعية فى داره، وعلا البكاء والنحيب من بيوت الهاشميين ومن الهاشميات والعلويين والعلويات وهن مشققات الجيوب ناشرات الشعور خامشات الوجوه، وماجت الدنيا بأهلها وصار كاليوم الذى مات فيه رسول الله (ص)، وأقبل أبو عبد الله الصادق (ع) وخرج لابسا ثياب الحداد شاقا جيبه مقدما ومؤخرا، وعلى مثله تشق الجيوب وتقطع القلوب، ثم قام (ع) فى تهيئته فغسله كما أمره وحنطه بحنوطه. وأدرجه فى أكفانه وصلى عليه مع شيعته بعد أن صلى عليه الله تعالى ورسوله وأمير المؤمنين (ع) فى أوصيائه واوصياء الانبياء، وكان يوما هائلا على آل الرسول لانطماس المعقول

والمنقول. فما أحراه بإنشاده بما قاله القائم فى المقيد (ره) حيث وجد على قبره مكتوبا وإن كان مقامه أجل من ذلک مما يناسب هذه المسالک: [لا صوت الناعى بفقدک إنه ❊ يوم على آل النبى مشوم] [إن كنت قد غيبت فى جدث الثرى ❊ فالعدل والتوحيد فيک مقيم] وقد أحببت أن أزيد عليه فقلت: [إن كان قد واراک ترب بسيطها ❊ فمقامک العالى هناک عظيم] [قد كنت مدفونا بعالم قدسها ❊ لكنما أمر القضا محتوم] [ليثقل الارض البسيط بمضجع ❊ قد صرت فيه ومثل ذى معلوم] لولا ضرائحكم لشاخت أرضنا وتزلزلت آصالها وتخوم وفى كتاب الكافى عن أبى بصير (رض) قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: إن رجلا كان على ميل من المدينة فرأى فى منامه قائلا يقول

له: انطلق فصل على أبى جعفر (ع) فقد توفى. وفى رواية عن زرارة عن أبى جعفر (ع) قال: رأيت كأنى على رأس جبل والناس يصعدون إلى من كل جانب حتى إذا كثروا على تطاولت بهم إلى السماء، وجعل الناس يتساقطون عنى من كل جانب حتى لم يبق منهم أحد إلا عصابة يسيرة، ففعلت ذلک خمس مرات فى كل مرة تتساقط عنى الناس من كل جانب ومكان وتبقى تلک العصابة، فما مكث بعد ذلک إلا خمس ليال حتى مضى (ع) إلى رضوان الله تعالى. واختلف الاخبار فى يوم وفاته (ع) وكذلک المؤرخون فالمشهور بين علمائنا أنه فى السابع من ذى الحجة سنة ستة عشر ومائة من الهجرة، وفى رواية أنها فى سابع ربيع الاول. وفى رواية أنها فى سابع ربيع الثانى. ففى البصائر والخرائج والجرائح عن أبى عقبة عن جده عن هشام بن

سالم عن أبى عبد الله (ع) أنه قال: أتيت أبى (ع) فى الليلة التى قبض فيها وهو يناجى ربه، فأومى إلى بيده أن تأخر حتى فرغ من المناجاة ثم أتيته فقال، يا بنى إن هذه الليلة التى وعدت أن أقبض فيها، فمات فيها صلوات الله عليه. وفى رواية هشام بن سالم قال: لما كانت الليلة التى قبض فيها أبو جعفر (ع) قال: يا بنى هذه الليلة التى وعدتها وقد كان وضوءه (ع) قريبا، فقال: أريقوه، فظننا أنه يقول ذلک من الحمى فأرقناه، فإذا فيه فأرة ميتة وقال (ع) لابنه (ع) كما جاء عن الرضا (ع): إذا أنا مت فاحفروا لى وشقوا إلى شقا، فإن قيل لكم إن رسول الله (ص) لحد له فقد صدقوا فإنما فعل ذلک لانه كان بادنا. وهذا آخر ما وجدناه مسطورا من وفاة سيدنا وإمامنا العلم الزاهر والبحر الزاخر محمد بن على الباقر عليه وعلى آبائه الاطهار صلوات الله وسلامه عليهم مدة الدهور والاعصار على التمام والكمال، ونستغفر الله العظيم المنان عن الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان إنه غفور منان والحمد لله حق حمده آمين. [وما من كاتب إلا سيلقى ❊ غداة الحشر ما كتبت يداه] [فلا تكتب بكفک غير شئ ❊ يسرک فى القيامة أن تراه] [الخط يبقى ويبقى الحبر والقلم ❊ وكاتب الخط تحت الترب منعدم]

وفاة الامام جعفر الصادق " عليه السلام " تأليف العلامة الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عصفور الدارزى البحرانى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى ابتلى الصادق من أوليائه حيث أمر بالكون معهم إذ هم خيرة أصفيائه فكرههم دار الغرور وحببهم دار لقائه فاشتاقوا إلى لقائه وقرعوا أبواب رجائه وكرعوا مرارة أعدائه والصلاة والسلام على أفضل رسله وأنبيائه المبتلى فى نفسه. وبعد: فيقول أفقر خلق الله الراجى لطف ربه المجازى حسين بن محمد ابن أحمد بن إبراهيم البحرانى الدارزى (ره): إنى لما رأيت تقاعد الناس عن إقامة أعمدة التعزية ونشر مصائب الآل، وما أصيبوا به من خلفاء بنى أمية وبنى العباس لعدم تأليف وفياتهم فى هذه الاعصار، وعدم معلومية تلك الاوقات لخفائها وبعدها عن الاشتهار، وأحببت أن أؤلف لكل إمام وفاة على حسبما أتى فى الاخبار، وقد ألفنا بحمد الله بعضا منها فى سالف الاعصار، وكان مما هو خفى منها وفاة الامام بحر الحقائق ولسان الله الناطق فى الخلائق جعفر بن محمد الصادق (ع) لنحظى بجزيل الثواب من الملك الخالق، ونتوصل بها إلى مجاورتهم فى تلك القصور والحدائق وسميته (مفيض الدمع الرافق فى وفاة جعفر بن محمد الصادق (ع)) لنحظى بجزيل العطاء من المطعم الرازق، وبه أستعين إنه خير موفق ومعين ولنشرع فى المقصود الاول وبيان نسبه الشريف فنقول:

ص: ٢٢٢

أما نسبه أبا وأما: فإن أباه محمد الباقر (ع)، وأمه فروة بنت القاسم (ع) ابن محمد بن أبى بكر (رض)، وكان مولده بالمدينة سنة ثلاث وثمانين، وقد نص عليه من أبيه كما جاء فى الاخبار على فنون شتى. فروى أبو خالد أنه قال: قلت لعلى بن الحسين (ع): من الامام بعدک ؟ قال محمد: ابنى يبقر العلم بقرا ومن بعده ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق (ع)، قلت: وكيف صار اسمه ا لصادق وكلكم صادقون ؟ فقال: حدثنى أبى عن أبيه عن رسول الله (ص) قال: إذا ولد ابنى جعفر بن محمد بن على بن الحسين (ع) فسموه الصادق، فإن الخامس الذى من ولده اسمه جعفر يدعى الامامة اجتراء على الله وكذبا عليه، فهو عند الله جعفر الكذاب المفترى على الله، ثم بكى على بن الحسين (ع) وقال: كأنى بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولى الله والمغيب فى حفظ الله فكان كما ذكره (ع) وما أحراه بما قال الحميرى رحمه الله تعالى: [يا حجة الله الجليل ❊ وعينه وزعيم آله] [وابن الوصى المجتبى ❊ وشبيه أحمد فى كماله] [أنت بن بنت محمد ❊ حذوا خلقت على مثاله] [فضياء نورک نوره ❊ وظلال روحک فى ظلاله] [فيک الخلاص من الردى ❊ وبک الهداية من ظلاله] [أثنى ولست ببالغ ❊ عشر الفريدة من خصاله] [تبا لقوم عاندوا ❊ وصلوا بنار من وباله] [ويحا لهم ما عظموک ❊ وأنت مدحک فى مقاله] [سحقا لآل أمية ❊ وسقوا حميما من نكاله] [ولآل عباس الاولى ❊ سفكوا دم الهادى وآله] [صلى الآله عليک ما ❊ بزغت شموس من جلاله] وفى الاكمال عن حيان السراج قال: قال السيد اسماعيل بن محمد

ص: ٢٢٣

الحميرى (ره): كنت أقول بالغلو وأعتقد غيبة محمد بن الحنفية رضى الله عنه، وقد ضللت فى ذلک زمانا، فمن الله على بالصادق (ع) جعفر بن محمد (ع) وأنقذنى به من النار، وهدانى يه إلى سواء الصراط، فسألت بعدما صح عندى بالدلائل التى شاهدتها منه أنه حجة الله على خلقه وجميع أهل زمانه، وأنه الامام الذى فرض الله طاعته وأوجب الاقتداء به، فقلت له: يابن رسول الله قد روى لنا أخبار عن آبائک فى الغيبة وصحة كونها، فأخبرنى بمن تقع ؟ قال (ع): ستقع بالسادس من ولدى وهو الثانى عشر من الائمة الهداة بعد رسول الله (ص)، أولهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ع)، وآخرهم محمد بن الحسن المهدى القائم عجل الله فرجه بالحق، وهو بقية الله فى أرضه وصاحب الزمان، والله ليبقى غيبته ما بقى نوح (ع) فى قومه، ولم يخرج من الدينا حتى يظهر فيملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا قال السيد: فلما سمعت ذلک من مولاى الصادق (ع) ثبت إلى الله تعالى على يده: [فلما رأيت الناس فى الدين قد غووا ❊ تجعفرت باسم الله والله اكبر] [تجعفرت باسم الله والله اكبر ❊ وأيقنت أن الله يعفو ويغفر] [ودنت بدين غير ماكنت دينا ❊ به ونهانى سيد الناس جعفر] [فقلت فهبنى قد تهودت برهة ❊ وإلا فدينى دين من يتنصر] [وإنى إلى الرحمن من ذاک تائب ❊ وإنى قد أسلمت والله أكبر] [فلست بغال ما حييت وراجع ❊ إلى ما عليه كنت أخفى وأظهر] [ولا قائل حى برضوى محمد ❊ وإن عاب جهال مقامى فأكثروا] وساق أبياتا كثيرة إلى أن قال: [أيا راكبا نحو المدينة حسرة ❊ عذافرة يطوى بها كل سبسب] [إذا ماهداک الله شاهدت جعفرا ❊ فقل لولى الله وابن المهذب] [ألا يا أمين الله وابن أمينة ❊ أتوب إلى الرحمن ثم تأوبى] [إليک من الذنب الذى كنت مبطنا ❊ معاندة منى لنسل المطيب]

[ولكن روينا عن وصى محمد ❊ ولم يک فيما قاله بالمكذب] [بأن ولى الله يفقد لا يرى ❊ سنينا كفعل الخائف المترقب] [له غيبة لابد أن سيغيبها ❊ فصلى عليه الله من متغيب] [فيمكث حينا ثم يظهر أمره ❊ فيملا عدلا كل شرق ومغرب] [بذاک أدين الله سرا وجهرة ❊ ولست وإن عوتبت فيه بمعتب] وفى الخرائج أن الباقر (ع) دعا الكميت (رض) لما أراد أعداء الله أخذه وهلاكه، وكان الكميت متواريا فخرج فى ظلمة الليل هاربا وقد قعد له على كل طريق جماعة ليأخذوه إذا ما خرج خفية، فلما خرج الكميت إلى الفضاء وأراد أن يسلک طريقا جاء له أسد فمنعه أن يسلک منها فسلک جانبا آخر فمنعه منه أيضا وكان أشار إلى الكميت أن يسلک خلفه ومضى الاسد فى جانب الكميت إلى أن آمن وتخلص من الاعداء، وكذلک كان حال السيد إسماعيل الحميرى (ره) دعا له الصادق (ع) لما هرب من أبويه وقد حرشا السلطان عليه لنصبهما فدله سبع على طريق فنجا منهما. وفى المناقب عن داوود الرقى قال: لما بلغ السيد إسماعيل الحميرى أنه ذكر عند الصادق (ع) فقال الصادق (ع) إنه كافر فأتاه السيد اسماعيل فقال: يا سيدى أنا كافر مع شدة حبى لكم ومعاداتى الناس فيكم ؟ قال: وما ينفعک ذلک وأنت كافر بحجة الدهر والزمان، ثم أخذ بيده وادخله بيتا فإذا فى البيت قبر، فصلى ركعتين وضرب بيده القبر فصار القبر قطعا فخرج شخص من القبر ينفض التراب عن رأسه ولحيته، فقال له الصادق (ع): من أنت ؟ فقال أنا محمد بن على المسمى بابن الحنفية فقال له:

ومن أنا ؟ فقال: أنت جعفر بن محمد حجة الدهر والزمان فخرج السيد يقول: تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا وروى عن معتب مولى للصادق (ع) كما فى المناقب قال: كنت عند

ص: ٢٢٥

مولاى أبى عبد الله (ع) إذ قرع الباب رجل، فإذا هو زيد بن على (ع) بن الحسين (ع) فقال الصادق (ع) لجلسائه: ادخلوا هذا الرجل وردوا الباب، ولا تكلم أحد فلما دخل قام إليه (ع) واعتنقه طويلا يتساران ثم علا الكلام بينهما، فقال زيد (رض): دع عنک هذا يا جعفر، فوالله لئن لم تمد يدک أبايعک هذه يدى لتبايعنى لاتعبنک أو لاكلفنک ما لا تطيق، فقد تركت الجهاد وأخلدت إلى الخفض، وأرخيت الستر واحتويت على مال المشرق والمغرب، فقال الصادق: يرحمک الله يا عم ويغفر الله لک يا عم، وزيد يسمعه وهو يقول: إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب، ومضى وتكلم الناس فى ذلک فقال الصادق (ع): لا تقولوا فى عمى زيد إلا خيرا، رحم الله عمى زيدا فوالله لو ظفر لعفا ووفا. قال: فلما كان السحر قرع زيد الباب ففتح له الباب فدخل رضى الله عنه يشهق ويبكى ويقول: إرحمنى يا جعفر يرحمک الله، وارض عنى يا جعفر يرضى الله عنک، اغفر لى يا جعفر الله يغفر لک فقال الصادق (ع): غفر الله لک ورحمک ورضى عنک، فما الخبر يا عم ؟ فقال: إنى لما نمت رأيت رسول الله (ص) قد دخل على وعن يمينه الحسن (ع)، وعن شماله الحسين (ع)، وفاطمة (ع) خلفه، وعلى (ع) امامه، وبيده حربة تلتهب كأنها نار مضرمة، وهو يقول: يا زيد آذيت رسول الله فى جعفر والله لئن لم يترحم ويستغفر الله لک ويرضى عنک لارمينک بهذه الحربة ولاضعنها بين كتفيک ثم لاخرجنها من صدرک، فانتبهت فزعا مرعوبا فصرت إليک فارحمنى يرحمک الله، فقال: رضى الله عنک وغفر لک، أوصينى فإنک مقتول مصلوب محرق بالنار، فوصى زيد بعياله وأولاده وقضاء الدين عنه. وفى الكافى عن جابر عن الباقر (ع) قال: سئل عن القائم بالامر بعده فضرب بيده على أبى عبد الله (ع) فقال: هذا والله قائم آل محمد (ص) بعدى قال عنبسة فلما قبض أبو جعفر (ع) دخلت على أبى عبد الله (ع) فأخبرته بذلک

ص: ٢٢٦

فقال صدق جابر ثم قال: لعلكم ترون أن ليس كل إمام هو القائم بعد الامام الذى كان من قبله. وفى خبر عبد الاعلى عن أبى عبد الله (ع) قال: إن أبى استودعنى ما هناک فلما حضرته الوفاة قال: ادع لى شهودا فدعوت له أربعة من قريش فيهم نافع مولى عبد الله بن عمر، فقال: أكتب هذا ما أوصى به يعقوب بنيه: يا بنى (إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (١) وأوصى محمد ابن على (ع) إلى جعفر بن محمد (ع) وأمره أن يكفنه فى بردته التى كان يصلى فيها الجمعة، وأن يعممه بعمامة، وأن يربع قبره ويرفعه أربع أصابع، وأن يحل عنه أطماره عند دفنه ثم قال للشهود: انصرفوا يرحمكم الله، فقلت له: يا أبتاه ما كان فى هذا بأن تشهد عليه فقال: يا بنى كرهت أن تغلب وأن يقال أنه لم يوص إليه فأردت أن تكون لک الحجة. وفى رواية الكافى قال: نظر أبو جعفر إلى أبى عبد الله

(ع) يمشى فقال: ترى هذا من الذين قال الله فيهم (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) (٢): [يا صادق الوعد الذى ❊ صدق الآله بما قضا] [فلک المقام العافى ❊ السر المقدر والقضا] [قابلت مقدور الآله ❊ على المضاضة والقضا] [مما دهتک به أمية ❊ والعبابسة القضا] [بل أنت باب للعلوم ❊ وسيف ربى المنتضا] [وحجة البارى ومع ❊ تكف التصبر والرضا] [ليت النفوس فدتک من ❊ سوء المكاره إذ قضا] ❊ (هامش ص ٢٢٦) (١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢. (٢) سورة القصص، الآية: ٥. ❊

[وعليک صلى خالقى ❊ ما لاح نجم أو اضا] ولما قبض الله أباه إلى روح الجنان، وظهر وصيه بين الخاص والعام وبين الانس والجان، أظهرت عداوته بنو أمية والعدوان، وقابلوه بالتكذيب وضيقوا عليه الواسع الرحيب حيث كانت إمامته (ع) أربع وثلاثين سنة، وكان فى أيام إمامته بقية خلافة هشام وملک الوليد ويزيد بن الوليد بن عبد الملک الملقب بالناقص، وملک ابراهيم بن الوليد، وملک مروان بن محمد الحمار ثم صارت المسودة من أهل خراسان مع أبى مسلم سنة اثنين وثلاثين ومات فملک أبو العباس عبد الله بن محمد بن على عبد الله بن العباس الملقب بالسفاح أربع سنين وثمانية أشهر، ثم ملک أخوه عدو الله أبو جعفر المنصور إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا، وتوفى الصادق (ع) بعد عشر سنين من ملكه وهو ابن خمسة وسبعين سنة، فلا زالت هذه الامور من الامراء من بنى العمومة والاخوة ممن نازع أباه أمره حتى أنه لما احتضر أبو جعفر الباقر (ع) عند الوفاة دعا ابنه الصادق (ع) ليعهد إليه عهدا فقال أخوه زيد بن على: لو أمتثلت فى بمثالة الحسن والحسين (ع) لرجوت أن لا تكون أتيت منكرا فقال: يا أبا الحسن إن الآيات ليست بالمثال ولا العهود بالرسوم، وإنما هى أمور سابقة من حجة الله عزوجل. وفى كتاب النصوص عن محمد بن مسلم قال: كنت عند أبى جعفر (ع) محمد بن على الباقر (ع) إذ دخل ابنه جعفر وعلى رأسه ذؤابة وفى يده عصا يلعب بها، فأخذه الباقر (ع) وضمه إليه ضما شديدا ثم قال: بأبى وأمى لا تلهو ولا تلعب، ثم قال لى: يا محمد هذا إمامک بعدى فاقتد به واقتبس من علمه، والله إنه لهو الصادق الذى وصفه لنا رسول الله (ص)، وإن شيعته منصورون فى الدنيا والآخرة، وأعداءه ملعونون على لسان كل نبى، فضحک واحمر وجهه والتفت إلى وقال: سله، قلت: يابن رسول الله من أين الضحک ؟ فقال: يا أبا محمد العقل من القلب، والحزن من الكبد، والنفس

من الرية، والضحک من الطحال، فقمت وقبلت رأسه. وفى كتاب النصوص والمعجزات عن داوود بن كثير الرقى رضى الله عنه قال: كنا فى منزل أبى عبد الله الصادق (ع) ونحن نتذاكر فضائل الانبياء (ع)، فقال مجيبا لنا: والله ما خلق الله نبيا إلا وعلى (ع) أفضل منه، ثم خلع خاتمه ووضعه فى الارض وتكلم بشئ فانصدعت الارض وانفرجت بقدرة الله تعالى، فإذا نحن ببحر عجاج فى وسط سفينة خضراء من زبرجدة خضراء مكتوب عليها لا إله إلا الله محمدا

رسول الله عليا أمير المؤمنين (ع) ولى الله عليه سلام الله، بشر القائم فإنه القاتل لاعداء الله، يغيث المؤمنين وينصره الله عزوجل بالملائكة فى عدد نجوم السماء، ثم تكلم بكلام فصار ماء البحر وارتفع من السفينة فقال (ع) ادخلوها، فدخلونا القبة التى فى السفينة فإذا فيها أربعة كراسى من الجواهر، فجلس (ع) على واحد، وأجلسنى على واحد، وأجلس ابنيه موسى (ع) وإسماعيل (رض) كل واحد منهما على كرسى، ثم قال للسفينة: سيرى بقدرة الله تعالى، فسارت فى بحر عجاج بين جبل الدر والياقيت ثم ادخل يده فى البحر وأخرج درا وياقوتا وقال: يا داوود إن كنت تريد الدنيا فخذ حاجتک فقلت: يا مولاى لا حاجة لى فى الدنيا، فرمى به فى البحر، وأخرج (ع) مسكا وعنبرا فشمه وأشمنى وأشم موسى (ع) واسماعيل (رض)، ثم رمى به فى البحر، وسارت السفينة حتى انتهينا إلى جزيرة عظيمة فيما بين ذلک البحر فإذا فيها قباب من الدر الابيض مفروشة بالسندس والاستبرق عليها ستور الارجوان محفوفة بالملائكة، فلما نظر إلينا مذعنين له بالطاعة مقرين له بالولاية فقلت: يا مولاى لمن هذه القباب ؟ فقال (ع): للائمة من ذرية محمد (ص)، كلما قبض، إمام صار إلى هذا الموضع إلى الوقت المعلوم الذى ذكره الله تعالى. ثم قال (ع): قوموا بنا نسلم على أمير المؤمنين (ع)، فقام وقمنا، فوقفنا بباب إحدى القباب المزينة وهى أجلها وأعظمها وسلمنا على أمير

المؤمنين (ع) وهو قاعد فيها، ثم عدل إلى قبة أخرى وعدلنا معه فسلم وسلمنا على الحسن بن على (ع)، وعدلنا إلى قبة أخرى بأزائها فسلمنا على الحسين ابن على (ع)، ثم على على بن الحسين (ع)، ثم على محمد بن على (ع)، وكل واحد فى قبة مزينة مرفرفة، ثم عدل بنا إلى بيت فى الجزيرة وعدلنا معه، وإذا فيه قبة عظيمة من درة بيضاء مزينة بفنون الفرش والستور، وإذا فيها سرير من ذهب مرصع بأنواع الجواهر فقلت: يا مولاى لمن هذه القبة ؟ فقال: للقائم منا أهل البيت (ع) صاحب الزمان، ثم أومى بيده وتكلم بشئ وإذا نحن فوق الارض بالمدينة فى منزل الصادق (ع)، وأخرج خاتمه وختم الارض بيده فلم أرى فيها صدعا ولا فرجة، وحيث جرت على يده هذه العجائب، وأناخت دون بابه الركائب، وسدد إليه أبو جعفر المنصور سهام بلائه وبالغ فى قتله وإخماد نور علائه ورصد إليه المراصد والعيون من أعدائه وأوليائه. فمنها ما روى فى العيون عن الرضا (ع) عن أبيه قال أرسل الدوانيقى إلى جعفر الصادق (ع) فلما دخل جعفر بن محمد (ع) ونظر إليه من بعيد تحرک أبو جعفر من فراشه وقال: مرحبا بک يا أبا عبد الله ما أرسلنا إليک إلا رجاء أن نقضى دينک وننفى ذمامک، ثم سأله مسألة لطيفة عن بيته وقال: قد قضى الله حاجتک ودينک وأجزل لک عطيتک يا ربيع لا تمضين ثلاثة حتى يرجع جعفر إلى أهله، فلما خرج (ع) قال له الربيع: يا أبا عبد الله أرأيت السيف والنطع، إنما وضع ذلک إليک، فأى شئ رأيتک تحرک به شفتيک قال جعفر بن محمد (ع): نعم يا ربيع لما رأيت الشر فى وجهه قرأت حسبى الله الرب من المربوبين، حسبى الخالق من المخلوقين، حسبى الرازق من المرزوقين، حسبى الله رب العالمين، حسبى من هو حسبى، حسبى من لم يزل حسبى، حسبى الله الذى لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. وفى رواية الامالى قام أبو جعفر المنصور إلى أبى عبد الله (ع) وأمر بفرش، فطرحت له إلى جانبه فأجلسه عليها ثم قال: على بمحمد، على

بالمهدی، یقول ذلک مرارا قیل له: الساعة الساعة یأتی یا أمیر المؤمنین ما یجسه إلا أنه یتبخر، فما لبث أن وافاه وقد سبقت رائحته فاقبل المنصور علی جعفر (ع) وقال یا أبا عبد الله (ع) حدیث حدثنیه فی صلة الرحم اذکره لنا حتی یسمعه المهدی قال: نعم، حدثنی أبی (ع) عن أبیه (ع) عن جده (ع) عن علی (ع) قال: قال رسول الله (ص) إن الرجل لیصل رحمه وقد بقی من عمره ثلاث سنین فیصیرها الله ثلاثین سنة، وأن الرجل لیقطع رحمه وقد بقی من عمره ثلاثین سنة فیصیرها الله ثلاث سنین ثم تلا قوله: (یمحو الله ما یشاء ویثبت وعنده أم الکتاب) (۱) فقال: هذا حسن یا أبا عبد الله ولیس أیاه أردت. قال أبو عبد الله: نعم حدثنی أبی عن أبیه (ع) عن جده عن علی (ع) قال: قال رسول الله (ص): صلة الرحم تعمر الدیار وتزید فی الاعمار وإن کان أهلها کفار غیر أخیار قال: هذا حسن یا أبا عبد الله ولست إیاه أردت. قال أبو عبد الله (ع): نعم حدثنی أبی عن أبیه عن جده عن علی (ع) قال: قال رسول الله (ص): صلة الرحم تهون الحساب وتنفی میتة السوء، قال المنصور: نعم هذا أردت. وفی روایة أخری فی الامالی عن الحسن بن المفضل بن الربیع صاحب المنصور قال: لقیته بمکة قال: حدثنی أبی عن جدی الربیع قال: دعانی المنصور یوما فقال: یا ربیع أحضر جعفر بن محمد (ع) والله لاقتلنه، فوجهت إلیه (ع)، فلما وافی قلت له: یابن رسول الله إن کان لک وصیة أو عهد تعهده فافعل، فقال: استأذن لی علیه، فدخلت إلی المنصور فاعلمته موضعه فقال: أدخله فلما وقعت عین جعفر (ع) علی المنصور رأیته یحرک شفتیه بشئ لم أفهمه، ومضی فلما سلم علی المنصور نهض إلیه فاعتنقه وأجلسه إلی جانبه وقال له: ارفع حوائجک إلی نفسک، فأخرج له جعفر (ع) رقاعا لاقوام وسأله ❊ (هامش ص ۲۳۰) (۱) سورة الرعد، الآیة: ۳۹. ❊

فی آخرین فقضیت حوائجه، فقال المنصور: ارفع حوائجک لنفسک خاصة فقال له جعفر (ع): أن لا تدعنی حتی أجیئک فقال المنصور: مالی إلی ذلک من سبیل وأنت تزعم للناس أنک تعلم الغیب فقال جعفر (ع): من أنبأک بهذا ؟ فأومی المنصور إلی شیخ جالس بین یدیه فقال جعفر (ع) للشیخ أنت سمعتنی أقول هذا، قال: نعم فقال جعفر (ع) للمنصور: أیحلف هذا یا أمیر المؤمنین ؟ قال المنصور: احلف فلما بدأ الشیخ یحلف فی الیمین قال جعفر (ع) للمنصور: حدثنی أبی (ع) عن أبیه (ع) عن جده عن علی بن أبی طالب (ع): أن العبد إذا حلف بالیمین التی ینزه الله تعالی فیها وهو کاذب امتنع الله من عقوبته علیها فی عاجلته لما نزه الله عزوجل، ولکنی أنا أستحلفه فقال المنصور: ذلک لک فقال جعفر (ع) للشیخ: قل أبرأ إلی الله من حوله وقوته، وألجأ إلی حولی وقوتی إن لم یکن سمعتک تقول هذا فتلکأ الشیخ، فرفع المنصور عمودا فی یده وقال: والله لئن لم تحلف لاعلونک بهذا العمود فحلف الشیخ فما أتم الیمین حتی دلع لسانه کما یدلع الکلب لسانه ومات لوقته لا رحمه الله، ونهض جعفر (ع) قال الربیع فقال لی المنصور:

ویلک أکتمه عن الناس لا یفتنون به قال الربیع فأتیت جعفر (ع) فقلت له: یابن رسول الله إن المنصور کان هم بک بأمر عظیم، فلما وقعت عینک علیه زال ذلک عنه. قال (ع): یا ربیع إنی رأیت البارحة رسول الله (ص) فی المنام فقال لی: یا جعفر خفته ؟ قلت: نعم یا رسول الله، فقال لی: إذا وقعت عینک علیه فقل: بسم الله أستفتح، وبسم الله أستنجح وبمحمد (ص) أتوجه، اللهم ذلل لی صعوبته، وافلل لی عزمه، وسهل لی حزونته، واکفنی کل خزی، واکفنی أمره بلا حول ولا قوة إلا بک إنک علی کل شئ قدیر. وفی الامالی أیضا عن عبد الله بن سلیمان التمیمی قال: لما قتل محمد وإبراهیم إبنا عبد الله بن الحسن (ع) سار إلی المدینة رجل یقال له شیبة بن

غفال وقد ولاه المنصور علی أهلها، فلما قدمها وحضرت الجمعة صار إلی مسجد رسول الله (ص) فرقی المنبر فحمد الله تعالی وأثنی علیه ثم قال: أما بعد: فإن علی بن أبی طالب (ع) شق عصا المسلمین وحارب المؤمنین وأراد الامر لنفسه ومنعه من أهله، فحرمه الله علیه وأماته بغصته، وهؤلاء ولده یتبعون أثره فی الفساد وطلب الامر من غیر استحقاق منهم له، فهم فی نواحی الارض مقتولون وبالدماء مضرجون، قال: فعظم هذا الکلام علی الناس ولم یجسر منهم أحد أن ینطق بحرف، فقام إلیه رجل علیه ازار قومسی ثخین، فقال: ونحن نحمد الله ونصلی علی محمد خاتم النبیین وسید المرسلین وعلی رسل الله وأنبیائه أجمعین، أما ما قلت من خیر فنحن أهله، وما قلت من سوء فأنت وصاحبک أولی به، فاخسأ یابن من رکب غیر راحلته وأکل غیر زاده فارجع مأزورا مذموما مدحورا. ثم أنه (ع) أقبل علی الناس وقال: ألا أنبئکم بأخف الناس یوم القیامة میزانا وأبینهم خسرانا: هو من باع آخرته بدنیا غیره وهو هذا الفاسق، فأسکت الناس وخرج الوالی من المسجد لم ینطق بحرف کأنما ألقم حجرا، فسألت عن الرجل المتکلم فقیل لی: هذا جعفر بن محمد الصادق (ع). وفی الخرائج عن الرضا (ع) قال: جاء رجل إلی جعفر بن محمد (ع): فقال انج بنفسک فهذا فلان بن فلان قد وشا علیک عند المنصور وذکر أنک تأخذ البیعة لنفسک علی الناس لتخرج علیه، فتبسم (ع) وقال: یا عبد الله لا ترع فإن الله تعالی إذا أراد إظهار فضیلة کتمت أو حجة جحدت أثار علیها حاسدا باغیا حتی تشاهد فیحرکها حتی یبینها، اقعد معی حتی یأتینی الطلب فتمضی معی إلی هناک تشاهد ما یمضی من قدرة الله تعالی التی لا معزل عنها لمؤمن، فجاؤوا وقالوا: أجب أمیر المؤمنین، فخرج الصادق ودخل علی المنصور وقد امتلا المنصور علیه غیظا وحنقا، فقال له: أنت الذی تأخذ البیعة لنفسک علی المسلمین ترید أن تفرق بین جماعتهم وتسعی فی هلاکهم وتفسد

ذات بینهم ؟ فقال الصادق (ع): ما فعلت شیئا من هذا فقال المنصور: فهذا فلان یزعم أنک فعلت فقال (ع): إنه کاذب قال المنصور: إنی أحلفه فإن حلف کفیت بنفسی مؤنتک فقال الصادق (ع): إنه إذا حلف کاذبا باء بإثمی

وإثمه، فقال المنصور: حلف هذا الرجل على ما حكاه فقال الحاجب للرجل: قل والله الذى لا إله إلا هو وجعل يغلظ عليه اليمين. فقال الصادق (ع): لا تحلفه هكذا فإنى سمعت أبى (ع) يذكر عن آبائه (ع) عن جدى رسول الله (ص) أنه قال: إن من الناس من يحلف كاذبا فيعظم الله تعالى فى يمينه ويصفه بصفاته الحسنى فيأتى تعظيمه لله تعالى على إثم كذبه ويمينه فيتأخر عنه البلاء، ولكن دعنى أحلفه باليمين الذى حدثنى أبى (ع) عن آبائى (ع) عن رسول الله (ص): أنه لا يحلف بها حالف إلا باء بإثمه فى ساعته فقال المنصور: حلفه يا أبا عبد الله فقال الصادق للرجل: قل إن كنت كاذبا عليک فقد برئت من حول الله وقوته ولجأت إلى حولى وقوتى فقالها الرجل فقال الصادق (ع): أللهم إن كان كاذبا فأمته الساعة، فما استتم كلامه حتى سقط الرجل ميتا واحتمل ومضى إلى النار، وأقبل المنصور على الصادق وسأله عن حوائجه فقال (ع): ما لى إلا حاجة وهى أن أسرع إلى أهلى فإن قلوبهم متعلقة بى فقال: ذلک إليک فافعل ما بدا لک، فخرج من عنده مكرما قد تحير منه المنصور. فقال بعض منهم: هذا رجل فاجأه الموت وجعل الناس يخوضون أمر ذلک الميت وينظرون إليه، وإذا هو قد استوى جالسا على السرير والناس يخوضون فى أمره فمن ذام له وحامد إذ قعد على سريره وكشف الغطاء عن وجهه وقال: أيها الناس إنى لقيت ربى فتلقانى بالسخط واللعنة وأشد غضب زبانيته على على الذى كان منى إلى جعفر بن محمد الصادق (ع)، فاتقوا الله ولا تهلكوا فيه كما هلكت أنا، ثم أعاد كفنه على وجهه وعاد فى موته فرأوه لا حراک به وهو ميت فدفنوه.

ص: ٢٣٤

[فيا لک يا منصور لا فزت بالولا ❊ لجعفر قد آبت عليک الفوادح] [تسربلت سربالا من النار ضافيا ❊ فويلک قد طاحت عليک الطوائح] [وعما قليل تلق ما أنت قادم ❊ عليه وقد قامت عليک النوائح] [أتقتل من قد عظم الله قدره ❊ وجلله إذ يممته المدائح] [من النص والقرآن نصا منزلا ❊ من الله هاد للبرايا وواضح] [فوالهف نفسى إذ تغيب شخصه ❊ وقد مات مسموما فدته الجوانح] وفى كتاب طب الائمة عن الرضا (ع) عن موسى بن جعفر (ع) قال: لما طلب أبو الدوانيق أبى عبد الله (ع) وهم بقتله فأخذه صاحب المدينة ووجه به إليه، وكان أبو الدوانيق استعجله واستبطأ قدومه حرصا منه على قتله، فلما مثل بين يديه ضحک فى وجهه ثم رحب به وأجلسه عنده، وقال: يابن رسول الله والله قد وجهت إليک وأنا عازم على قتلک، ولقد نظرت إليک فالقى إلى محبة عليک، فوالله ما أجد أحدا من أهل بيتى أعز منک ولا آثر عندى، ولكن يا أبا عبد الله كلام بلغنا تهجنا فيه وتذكرنا بسوء فقال: يا أمير المؤمنين ما ذكرتک بسوء قط، فتبسم أيضا فقال: والله أنت عندى أصدق من جميع من سعى بک إلى، وهذا مجلسى بين يديک وخاتمى فانبسط ولا تخشنى فى جليل أمرک وصغيره فلست أردک عن شئ، ثم أمره بالانصراف وحباه وأعطاه، فأبى أن يقبل شيئا وقال: يا أمير المؤمنين أنا فى عناية وخير وغناء كثير، فإذا هممت ببرى فعليک بالمتخلفين من أهل بيتى فارفع عنهم القتل قال: قبلت يا أبا عبد الله فقد أمرت لهم بمائة ألف درهم تفرقها بينهم فقال: وصلت الرحم يا أمير المؤمنين. فلما خرج من عنده مشى بين يديه مشائخ من قريش وشبابهم من كل قبيلة وهو يمشى بينهم كسريان القمر ليلة تمامه وكماله، فقال عين أبو الدوانيق: يابن رسول الله لقد نظرت نظرا شافيا حين دخلت على أمير المؤمنين فما أنكرت منک شيئا غير أنى نظرتک وقد حركت شفتيک بشئ فما كان ذلک ؟ قال: إنى

ص: ۲۳۵

لما نظرت إليه قلت: يا من لا يضام ولا يرام وبه تواصل الارحام صل على محمد وآله واكفنى أمره بحولک وقوتک، والله ما زدت على ما سمعت منى قال: فرجع ذلک اللعين إلى أبى الدوانيق فأخبره بقوله فقال: والله ما استتم ما قاله حتى ذهب ما بصدرى. وفى كتاب المهج عن على بن يقطين عن محمد بن الربيع الحاجب قال: قعد المنصور يوما فى قصره فى القبة الخضراء وكانت قبل قتل محمد وإبراهيم تسمى الحمراء، وكان له يوما يقعد فيه ويسمى ذلک اليوم يوم الذبح، وكان قد أشخص جعفر (ع) بن محمد من المدينة، فلم يزل فى الحمراء نهاره كله حتى جاء الليل ومضى أكثره قال: ثم دعا أبى، فقال: يا ربيع أنت تعرف موضعک منى وإنى يكون لى الخبر ولا تظهر عليه أمهات الاولاد وتكون أنت المعالج له، فقال: قلت: يا أمير المؤمنين ذلک من فضل الله على وفضل أمير المؤمنين وما فوقى فى النصح غاية، قال: كذلک أنت سر الساعة إلى جعفر بن محمد الصادق (ع) وائتنى به على الحالة التى تجده عليها لا يغير شيئا منها، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن هذا والله هو العطب إن أتيت به على ما أراد من غضبه قتله وذهبت منى الآخرة، وإن لم آت به وداهنت فى قتله قتلنى وقتل نسلى وأخذ أموالى، فأنا أخير نفسى بين الدنيا والآخرة فمالت نفسى إلى الدنيا. قال محمد بن الربيع: فدعانى أبى وكنت أفظ ولده وأغلظهم قلبا فقال لى: امض إلى جعفر بن محمد الصادق بن على (ع)، فتسلل عليه حائطه ولا تفتح له بابا فيغير ما هو عليه، ولكن انزل عليه نزولا وائت به على الحال التى هو فيها فأتيته وقد ذهب الليل إلا أقله، فأمرت بنصب السلاليم وتسللت عليه الحائط فنزلت عليه فى داره فوجدته قائما يصلى وعليه قميص ومنديل قد اتزر به، فلما سلم من الصلاة قلت له: أجب الامير فقال: دعنى أدعو وألبس ثيابى قلت: ما لى إلى ذلک من سبيل قال: دعنى أدخل المغتسل فأتطهر قلت:

ص: ۲۳۶

وليس إلى ذلک من سبيل فلا تشغل نفسک، فإنى لا أدعک تغير شيئا فأخرجته حافيا فى قميص ومنديل وكان قد تجاوز الستين. فلما مضى بعض الطريق ضعف عن المشى فرحمته فقلت له: اركب فركب (ع) بغلا شاكريا كان معنا ثم سرنا إلى الربيع فسمعته وهو يقول: ويلک يا ربيع قد ابطأ الرجل، وجعل يحثه استحثاثا شديدا، فلما وقعت عين الربيع على جعفر (ع) وهو على تلک الحالة بكى وكان الربيع يتشيع فقال له جعفر بن محمد (ع): يا ربيع أنا أعلم بميلک إلينا فدعنى أصلى ركعتين وأدعو قال: شأنک وما تريد، فصلى ركعتين خففهما ثم دعا بدعاء لم أفهمه لانه دعاء طويل والمنصور فى ذلک كله يستحث الربيع. فلما فرغ من دعائه بطوله أخذ الربيع بذراعيه فأدخله على المنصور، فلما سار فى صحن الايوان وقف ثم حرک شفتيه بشئ لم أدر ما هو، ثم أدخلته بين يديه فلما نظر إليه قال: وأنت يا جعفر ما تدع حسدک وبغيک وإفسادک على أهل هذا البيت من بنى العباس وما يزيدک الله تعالى بذلک إلا شدة حسد ونكد ما تبلغ ما تقدره فقال له والله يا أمير المؤمنين ما فعلت شيئا من هذا، ولقد كنت فى ولاية بنى أمية

وأنت تعلم أنهم أعداؤنا وأعدى الخلق علينا وعليكم، وأنهم لا حق لهم فى هذا الامر فوالله ما بغيت عليهم ولا بلغهم عنى سوء مع جفائهم الذى كان بى، وكيف يا أمير المؤمنين أصنع الآن هذا وأنت ابن عمى وأمس الخلق رحما بى وأكثرهم عطاء وبرا فكيف أفعل هذا ؟ فأطرق المنصور رأسه ساعة وكان على يساره رقعة جرمقانية، وتحت لبدته سيف ذو فقار، وكان لا يفارقه إذا قعد فى القبة قال أبطلت واثمت، ثم رفع الوسادة فأخرج صرة كتب فرمى بها إليه وقال: هذه كتبک إلى أهل خراسان تدعوهم إلى نقض بيعتى وأن يبايعوک دونى فقال (ع): يا أمير المؤمنين ما فعلت ولا استحل ذلک ولا هو من مذهبى، وإنى لمن يعتقد طاعتک على كل حال، وقد بلغت من السن ما قد أضعفنى عن ذلک، ولو أردته فصيرنى فى بعض

سجونک حتى تأتينى منيتى وهى منى قريب. فقال: لا ولا كرامة، ثم أطرق وضرب يده على السيف، فسل منه مقدار شبر وأخذ بمقبضه فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب والله الرجل ثم رد السيف ثم قال: يا جعفر أما تستحى مع هذه الشيبة ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل، وتشق عصى المسلمين، وتريد أن تريق الدماء، وتطرح الفتنة بين الامة والاولياء. فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما فعلت ولا هذه كتبى ولا خطى ولا خاتمى فانتضى من السيف ذراعا، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مضى الرجل، وقلت فى نفسى: إن أمرنى فيه بأمر لاعصينه وما ظننت أنه يأمرنى أن آخذ السيف فأضرب به جعفرا فقلت: إن أمرنى ضربت عنق المنصور وإن أتى ذلک على وعلى ولدى وتبت إلى الله عزوجل مما كنت نويت أولا، فأقبل يعاتبه وهو يعتذر ثم انتضى السيف وأطرق ساعة، ثم رفع رأسه وقال: أظنک صادقا يا ربيع هات العيبة من موضع كذا، فأتيته بها فقال: ادخل يدک فيها وأخرجها مملوءة غالية ووضعها فى لحيته، ففعلت ذلک وكانت لحيته (ع) بيضاء فاسودت، وقال لى: أركبه دابتى التى كنت أركبها، وأعطه عشرة آلاف درهم وشيعه إلى منزله مكرما، وخيره إذا أتيت به المنزل بين المقام عندنا فنكرمه أو الانصراف إلى مدينة جده رسول الله (ص). فخرجنا من عنده وأنا مسرور فرح بسلامة جعفر (ع) وهو معتجب مما أراد المنصور وما صار إليه من أمره، فلما صرنا فى الصحن قلت له: يا بن رسول الله إنى لاعجب مما عهد إلى هذا اللعين من شأنک وما جعلک الله إليه من كفايته ودفاعه، ولا عجب من أمر الله عز وجل وقد سمعتک تدعو عقيب الركعتين بدعاء لم أدر ما هو، فقال لى: أما الاول فدعاء الكرب والشدائد، لم أدع به على أحد قبل، يومئذ جعلته عوضا عن دعاء كثير أدعو به إذا قضيت صلاتى، وهذه الليلة لم أترک أن أدعو بما كنت أدعو به، وأما الذى حركت به شفتاى هو دعاء رسول الله (ص) يوم الاحزاب ثم ذكر الدعاء ثم قال: ولو لا

الخوف من أمير المؤمنين لدفعت هذا المال، ولكنک طلبت منى أرضا بالمدينة وأعطيتنى بها عشرة آلاف درهم أو دينار فلم أبعک إياها وقد وهبتها لک. قلت: يا بن رسول الله إنما رغبتى فى الدعاء الاول والثانى فإذا فعلت هذا فهو البر، ولا حاجة الآن فى الارض فقال (ع): إنا أهل البيت لا نرجع فى معروفنا، نحن ننسخک الدعاء ونسلم إليک الارض فقال: سرمعى إلى المنزل، فسرت معه، وكتب لى بعهدة الارض وأملى على دعاء رسول الله (ص) والدعاء الذى هو بعد الركعتين، فقلت: يابن رسول الله لقد أكثر المنصور استحثاته واستعجاله إياى، وأنت تدعو بهذا الدعاء الطويل متمهلا كأن لم تخشه قال: فقال لى: نعم، قد كنت أدعو به بعد الفجر ولا بد منه، وأما الركعتان فهما صلاة الغداة خففتهما ودعوت بذلک الدعاء بعدهما، فقلت له: أما خفت المنصور وقد أعد لک ما أعد ؟ قال: خيفة الله أعظم من خيفته، وكان الله فى صدرى أعظم. قال الربيع: كان فيما قد رأيت من المنصور ومن غضبه وحنقه على جعفر (ع) ومن الجلالة له فى ساعة ما لم أظنه يكون فى بشر، فلما وجدت منه خلوة وطابت نفسه قلت: يا أمير المؤمنين رأيت منک عجبا قال: ما هو ؟ قلت: يا أمير المؤمنين رأيت غضبک على جعفر (ع) غضبا شديدا لم أرک غضبته على أحد قط، ولا على عبد الله بن الحسن (رض) ولا غيره من كل الناس، حتى بلغ منک الامر أن تقتله بالسيف وحتى أنک أخرجت من سيفک شبرا ثم أغمدته ثم عاتبته، ثم أخرجت منه ذراع ثم أغمدته ثم عاتبته، ثم أخرجته كله إلا شيئا يسيرا فلم أشک فى قتلک إياه، ثم انجلى ذلک كله حتى أمرتنى فسودت لحيته بالغالية التى لا يتغلف منها إلا أولا يتغلف منها ولدک المهدى، ولا من وليته عهدک ولا عمومتک، وأجزته وحملته وأمرتنى بتشييعه مكرما. فقال: ويحک يا ربيع ليس هو مما ينبغى أن تحدث به وستره أولى، ولا

أحب أن يبلغ أولاد فاطمة فيفتخرون ويتباهون بذلک علينا، لكن لا أكتمک شيئا انظر من فى الدار فأخرجهم قال: فنحيت كل من فى الدار، ثم قال لى: ارجع ولا تبق أحدا ثم قال: ليس إلا أنت وأنا، والله لئن سمعت ما ألقيته عليک من أحد لاقتلنک وولدک وأهلهم أجمعين ولاخذن مالک قال: قلت: يا أمير المؤمنين أعيذک بالله. قال: يا ربيع قد كنت مصرا على قتل جعفر (ع) ولا اسمع له قولا ولا أقبل له عذرا، وكان أمره ممن لا يخرج على بسيف أغلظ عندى وأهم على من أمر عبد الله بن الحسن (رض)، وقد كنت أعلم هذا منه ومن أبائه (ع) على عهد بنى أمية، فلما هممت به فى المرة الاولى تمثل لى رسول الله (ص) حائل بينى وبينه باسط، كفيه حاسر عن ذراعيه، قد عبس وقطب فى وجهى فأمسكت، ثم هممت به فى المرة الثانية وانتضيت من السيف أكثر من المرة الاولى وإذا برسول الله (ص) قد قرب منى ودنا دنوا شديدا وهم لى أن فعلت لفعل (ص) فأمسكت، ثم تجاسرت وقلت هذا بعض أفعال الرؤيا ثم انتضيت السيف ثالثة فمثل لى رسول الله (ص) باسط ذراعيه مشمر عنهما واحمر وجهه وعبس وقطب حتى كاد أن يضع يده على، فخفت والله لو فعلت (ص)، وكان من أمرى ما رأيت وهؤلاء من بنى فاطمة (ع) لا يجهل حقهم إلا جاهل لا حظ له فى الشريعة فإياک أن يسمع منک أحد. قال محمد بن الربيع فما حدثنى به أبى حتى مات المنصور، وما حدثت به أنا حتى مات المهدى وموسى وهارون. ولله در الشاعر حيث يقول: [فلله خطب قبل وقع حلوله ❊

بكته السماء دما وغار به البحر] [وزلزلت الارض حزنا وأعولت ❊ ملائكة التسبيح وامتنع القطر] [وكيف لا تبكى العيون لوقعه ❊ وقد هدم الدين الحنيفى والامر] [وعطلت الاحكام بعد عميدها ❊ ولم يک للاسلام من بعده نصر]

ص: ۲۴۰

[ألا لعن الله الرجيم ومن سعى ❊ لمنصور عباس ومن دأبه الغدر] [فنفسى تفديه وأهلى وجيرتى ❊ وما أستطيع الآن والمال والذخر] [رزيته أحيت رزية كربلا ❊ وقد شابه اليوم المشوم له العشر] [ألا لعن الله المهيمن عصبة ❊ لقد جن فى أرواحها الغدر والكفر] وفى كتاب الدلائل للحميرى (ره) عن زرارة بن مسلم (ره) مولى خالد بن عبد الله القسرى، قال: إن المنصور قال لحاجبه: إذا دخل على جعفر بن محمد (ع) فاقتله قبل أن يصل إلى، فدخل أبو عبد الله (ع) وجلس، فأرسل إلى الحاجب فنظر إليه فوجده قاعدا. قال: ثم قال: عد مكانک. قال: فأقبل يضرب يدا على يد فلما قام أبو عبد الله (ع) وخرج دعا حاجبه وقال: بأى شئ أمرتک ؟ فقال: والله ما رأيته حين دخل ولا حين خرج إلا عندک وهو قاعد. وعن عبد الله بن أبى ليلى قال: كنت بالربذة مع المنصور وقد كان وجه إلى أبى عبد الله (ع) فأتى به وبعث إلى المنصور فدعانى، فلما انتهيت إلى الباب قال: عجلوا به إلى قتلنى الله إن لم أقتله، سقا الله الارض من دمى إن لم أسق الارض من دمه، فسألت الحاجب من يعنى قال: يعنى جعفر بن محمد الصادق (ع)، فإذا قد أتى به ومعه عدة جلاوزة، فلما انتهى إلى الباب قبل أن يرفع الستر رأيته (ع) قد حرک شفتيه عند رفع الستر، فلما بصربه المنصور قال: مرحبا يابن رسول الله، مرحبا بک يا بن العم، فما زال يرفعه حتى أجلسه على وسادته ودعا بالطعام فرفعت رأسى وأقبلت أنظر إليه فقال: يا داوود اقض حوائجه وأمره بالانصراف، فلما خرج قال: قد عرفت موالاتى لک وما قد بليت به فى دخولى عليهم، وسمعت كلام الرجل وما كان يقول، فلما صرت إلى الباب رأيتک قد تململت شفتاک وما أشک إلا أنه شئ قلته فعلمنيه أقوله إذا أنا دخلت عليه قال: نعم قال: ما شاء الله لا يأتى الخير إلا من عند الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا هو، ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله.

ص: ۲۴۱

وفى كتاب مشارق الانوار روى أن المنصور لما أراد قتل الصادق (ع) دعا قوما من الاعاجم لا يعرفون الاسلام ولا يفهمون ولا يعقلون، فخلع عليهم الديباج والوشى وحمل إليهم الاموال ثم استدعاهم وكانوا مائة رجل، فقال للترجمان: قل لهم: إن للملک عدوا يدخل عليه الليلة فاقتلوه إذا دخل عليه، قال: فأخذوا أسلحتهم ممتثلين لامره فاستدعى جعفرا (ع) وأمره أن يدخل عليه وحده، ثم قال للترجمان: قل لهم هذا عدوى فقطعوه، فلما دخل (ع) ونظروا إليه تعاووا كعوى الكلاب ورموا أسلحتهم وكتفوا أيديهم إلى ظهورهم وخروا له سجدا ومرغوا وجوههم على التراب، فلما رأى المنصور ذلک خاف على نفسه وقال: ما جاء بک ؟ قال (ع) أرسلت إلى فأجبتک وما جئتک إلا مغتسلا متحنطا فقال المنصور: معاذ الله أن يكون ما تزعم ارجع راشدا، فرجع جعفر (ع) والقوم على وجوههم سجدا

فقال المنصور للترجمان: قل لهم لم لا قتلتم عدو الملک فقالوا: نقتل ولينا والذى يلقانا كل يوم ويدبر أمورنا كما يدبر الرجل ولده ولا نعرف لنا وليا سواه، فخاف المنصور من قولهم وسرحهم تحت الليل ثم قتله بعد ذلک بالسم. وفى رواية عن عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه قال، حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة وقال للربيع: ابعث إلى جعفر بن محمد (ع) واتنا به متعبا قتلنى الله إن لم أقتله، فتغافل الربيع عنه لينساه فأعاد ذكره الربيع وقال: ابعث من يأتينى به قتلنى الله إن لم أقتله، فتغافل الربيع عنه فأرسل إلى الربيع رسالة قبيحة أغلظ فيها عليه بما لا دافع له إلا الله تعالى من القتل، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله ثم أن الربيع أحضر جعفرا (ع) فلما دخل جعفر (ع) أوعده وتهدده بالقتل وقال: أى عدو الله اتخذک أهل العراق إماما يبعثون إليک زكاة أموالهم وتلحد فى سلطانى وتبتغى لى الغوائل، فوالله لاقتلنک ولا مانع لى من ذلک، فقال (ع): يا أمير المؤمنين إن سليمان (ع) أعطى فشكر، وإن أيوب (ع) ابتلى فصبر، وإن يوسف (ع) ظلم فغفر، وأنت من

ذلک السنخ، فلما سمع المنصور ذلک قال: وأنت يا أبا عبد الله عندى أبر للسماحة وأسلم للنجاحة القابل للغاية، جزاک الله من ذى رحم أفضل ما جزى ذوى الارحام عن أرحامهم، ثم تناوله بيده فأجلسه على فراشه ثم أمر بطيب فطيب به لحية جعفر (ع) وقال له: قم فى حفظ الله تعالى وكفايته، فخرج (ع) فقال المنصور للربيع: الحق جعفر (ع) بالكسوة والجائزة، فلحقه بهما وقال له: يا جعفر ما قلت حين دخلت وما قلت حين خرجت. قال (ع) قلت: أللهم احرسنى بعينک التى لا تنام، واكنفنى بركنک الذى لا يرام، ففعل الله تعالى بى ما رأيت وهكذا دأبه صلوات الله عليه مع المنصور فى جميع الاوقات والشهور لا زال يغتنم فيه الفرص ويوقعه فى المحذور والغصص، وقد طلبه مرارا وعزم على قتله سرا وجهارا، وحيث لم يحتم المقدور صرف الله تعالى عنه ذلک البلاء والشرور فلما أحب الله تعالى شهادته وحضر وقته وأحب لقائه أغار عليه المنصور، فدس إليه سما نقيعا فى عنب ورمان فأكله سلام الله عليه فجعل يجود بنفسه وقد اخضر لونه وصار يتقيأ كبده قطعا قطعا حتى قضى نحبه ولقى ربه شهيدا مظلوما، فلما مات (ع) تزعزعت المدينة بسكانها، وخرجت المخدرات من خدورها وأوطانها ناشرات للشعور هاتكات للستور شاقات للجيوب خامشات للوجوه لاطمات للخدود خادشات للنواصى والعيون، كل تنادى: وا إماماه، وا جعفراه، وا سيداه، وخرج المساكين والايتام ينادون: وا ضيعتاه وا محنتاه وا قلة ناصراه. وبكاه ابنه موسى الكاظم (ع) قائلا يا أبتاه من [لنا] بعدک وا طول حزناه وا حسرتاه من بعدک يا أبتاه وا انقطاع ظهراه، وقد نص على ابنه موسى بن جعفر وأسر إليه تلک الوصاية وأظهرها وأشهد عليها جملة من الاوصياء والاعداء، وقد مر ذكرها سابقا فقام موسى (ع) فى جهاز أبيه (ع) فغسله وحنطه كما أمره وكفنه وعيناه تهملان دموعا وحمل جنازته (ع) إلى البقيع ودفنه جوار أبيه وعمه (ع).

وقد روى أنه لما حملت جنازته ورفع سريره رثاه ابن هريرة الشاعر فى تلك الحال فانشأ يقول: [أقول وقد راحوا به يحملونه ❊ على كاهل من حامليه وعاتق] [أتدرون من ذاتحملون على الثرى ❊ ثبير ثوى من رأس علياء شاهق] [غداة حثا الحاثون فوق ظريحه ❊ ترابا وأولى كان فوق المرافق] [فيا صادق بن الصادقين ألية ❊ بآبائک الاطهار حلفة صادق] [فحق بكم ذوالعرش أقسم فى الورى ❊ فقال تعالى الله رب المشارق] [نجوم هى اثنا عشر قد كن سبقا ❊ إلى الناس فى علم من الناس سابق] [ولا عجبا لو أنزلوک إلى الثرى ❊ فلولاک فيها لم تكن فى الحقائق] [وساخت بأهليها ولم تک ساعة ❊ بسالمة من حل تلک البوائق] [سأبكيک مادامت عيونى فى الثرى ❊ إلى يوم حشرى عند ربى وخالقى] [ألا لعن الله الذين تبوأوا ❊ مقاما منكم لا سيما ابن الدوانق] [أتقتل ياشر البرية جعفرا ❊ ومن قال فيه خالقى خير صادق] [وتترک هذا الدين من غير واليا ❊ وصامته أضحى به غير ناطق] [سألبس أثواب الضنا مدة البقا ❊ وأهجر صفو العيش غير مرافق] [وكيف تلذ العين غمضا وقد جرى ❊ على خير خلق الله شمس المشارق] [فيا نكبة ما مثلها قط نكبة ❊ لقد عطلت تلک السما بعد طارق] [صلاة إله العرش مثل سلامه ❊ وتسليمه ماذر نور المشارق] وهذا آخر ما أردنا رسمه من الاخبار فى وفاته، وإلا فما ورد فيه من المعاجز والفضائل والبراهين والدلائل ما لا يأتى عليها أقلام الانام، ولو كانت الانام كلها كتابا والبحار مدادا والاشجار كلها أقلاما وساعدتها العوالم إسعادا لما بلغوا مقدار قطرة من تلک السجال، ونسأل الله المتعال أن يجعله فى محل القبول فندرک به المقصود والمأمول والمجاورة معهم فى تلک المحال والشرب من كأس أميرهم فى وقت ذلک الزلزال، وصلى الله على محمد وآله خير نبى وأكرم آل وسلم تسليما كثيرا مباركا.

ص: ٢٤٥

وفاة الامام موسى الكاظم " عليه السلام " تأليف العلامة الشيخ حسين بن الشيخ أحمد بن عصفور الدارزى البحرانى

ص: ٢٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى ابتلى أوليائه بأرجاس الناس من حيث أذهب عنهم الرجس وطهرهم من إلباس فحسدوهم على مراتبهم التى رتبهم الله فيها حتى أخمدوا منهم تلک الانفاس، والصلاة والسلام من الله ومن ملائكته المطهرين وأنبيائه المرسلين إلى يوم حشر الناس من الارماس وبعد: فيقول فقير الله الكريم المجازى حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدرازى (ره) إنى لما رأيت إعراض الناس عن إقامة المآتم والمراثى على من سوى الحسين (ع) من الائمة، مع مشاركتهم له فى المصائب الجمة ونيل مراتب الشهادة والانتقال إلى منازل [الآخرة]، سيما مولانا مجمع المكارم وحجة العالم على جميع المعالم موسى بن جعفر الكاظم (ع)، فإنه ممن ابتلى بأهل زمانه وقد أوقدوا نار الحروب وأداروا رحى المصائب والكروب على أهل البيت (ع)، فدارت عليه أقداح سمومها وألجموه

فی سجون همومها وغمومها، حیث قد ابتلی بطواغیت بنی العباس فصادفت أیامه من ملوکهم أربعة قد أذهبوا بدین الله وجعلوا أعلامه فی غایة الانتکاس، فلا زال مسجونا کأثقال الاغلال وقابلوه بالتکذیب ونسبوه إلی الکفر والضلال فاشتدت البلیة وتراکمت سحب الثقة فانتزعت الارواح وأثخنوهم بالقتل والجراح، فأحببت أن اؤلف کتابا صغیرا اجمع فیه ما وصل إلی من أخباره المتضمنة ما جری علیه من أعدائه الطغاة من الولادة إلی حین الوفاة، وأقدم فی ذلک بعض أحواله والنص علیه من آبائه (ع) وبعض من

فضائله الدالة علی کرمه وإجلاله فاصلا لبعض الروایات ببعض المراثی من الابیات، راجیا من الله الاستعانة علی هذه الخدمة مدة الحیاة لینفعنی الله بذلک یوم الجزاء بعد الممات وسمیته: لهیب الاحزان الضارم فی وفاة موسی بن جعفر الکاظم، وهذا أوان الشروع فی المقصود ونسأل الکریم أن ینفعنا به إنه أهل الکرم والجود. روی فی العیون بإسناده عن زید بن سلیط الزیدی قال: لقینا أبا عبد الله جعفر الصادق (ع) فی الطریق قاصدا إلی مکة ونحن جماعة، فقلت له: بأبی أنت وأمی أنتم الائمة المطهرون والموت لا یتعری منه أحد فأحدث إلی شیئا ألقیه إلی ما یخلفنی فقال لی: نعم هؤلاء ولدی وهذا سیدهم - وأشار إلی ابنه موسی الکاظم - ففیه العلم والحکمة والفهم والسخاء والمعرفة فیما یحتاج إلیه الناس فیما اختلفوا فیه من أمر دینهم، وفیه حسن الخلق وحسن الجوار وهو باب من أبواب الله عزوجل، وفیه أخری وهی خیر من هذا کله فقلت له: ما هی بأبی أنت وأمی ؟ فقال: یخرج الله تعالی منه غوث هذه الامة وغیاثها وعلمها ونورها وفهمها وحکمها وخیر مولود وخیر ناشئ، یحقن الله تعالی به الدماء، ویصلح به ذات البین، ویلم به الشعث، ویشعب به الصدع، ویکسو به العاری، ویشبع به الجائع، ویؤمن به الخائف، وینزل به القطر، ویأتم به العباد، خیر کهل وخیر ناشئ، یبشر به عشیرته قبل أوان حلمه، قوله حکم وصمته علم یبین للناس ما یختلفون فیه، قال: فقال: بأبی أنت أیکون له ولد بعده ؟ قال: نعم ثم قطع الکلام. قال زید: ثم لقیت أبا الحسن موسی بن جعفر (ع) بعد فقلت له: بأبی أنت وأمی إنی أرید أن تخبرنی بمثلما أخبرنی به أبوک قال، فقال: کان أبی فی زمان لیس هذا مثله، قال زید: فقلت: من لا یرضی منک بهذا فعلیه لعنة الله فضحک (ع) ثم قال: یا أبا عمارة إنی خرجت من منزلی إلی أولادی، ثم أشرکتهم مع علی الرضا ابنی وأفردته بوصیتی فی الباطن، ولقد رأیت رسول الله

فی المنام وأمیر المؤمنین (ع) ومعه خاتم وسیف وعصا وکتاب وعمامة فقلت له: ما هذا ؟ فقال: أما العمامة فسلطان الله، وأما السیف فعزة الله تعالی، وأما الکتاب فنور الله عزوجل، وأما العصا فقوة الله عزوجل، وأما الخاتم فجامع هذه الامور. ثم قال رسول الله (ص): والامر یخرج إلی علی (ع) قال: ثم قال: یا زید إنها ودیعة الله عندک، فلا تخبر بها إلا عاقلا أو عبدا امتحن الله قلبه للایمان، أو صادقا فلا تکفر نعم الله تعالی، وإن سئلت عن الشهادة فأدها،

فإن الله تعالى يقول: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) (١) وقال عزوجل (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) (٢) فقلت: والله لا أفعل هذا أبدا، قال، ثم قال (ع): ثم وضعه لى رسول الله (ص) فقال: على ابنک الذى ينظر بنور الله ويسمع ويفهم وينطق بحكمته ويصيب فلا يخطئ ويعلم ولا يجهل ملئ حكما وعلما، وما أقل مقامک معه إنما هو شئ كان ولم تكن، فإذا رجعت من سفرک فاصلح أمرک وأفرغ مما أردت فإنک منتقل عنه ومجاور غيره، فاجمع ولدک وأشهد الله عليهم جميعا وكفى بالله شهيدا، ثم قال يا زيد: إنى أوخذ فى هذه السنة، وعلى ابنى سمى على بن أبى طالب (ع)، وسمى على بن الحسين (ع)، أعطى فهم الاول وعلمه ونصره ووردە، وليس له أن يتكلم إلا بعد هارون بأربع سنين، فإذا مضت أربع سنين فاسأله عما شئت يجبک إن شاء الله. وروى الصدوق (ره) فى الاكمال بإسناده إلى إبراهيم الكرخى قال: دخلت على أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) وجلست عنده إذ دخل أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم (ع) وهو غلام، فقمت إليه فقبلته وجلست فقال لى أبو عبد الله: يا إبراهيم أما أنه صاحبک من بعدى، أما ليهلكن فيه قوم ويسعد آخرون، فلعن الله قاتله وضاعف اللعن على روحه والعذاب، أما ❊ (هامش)) (١) سورة النساء، الآية: ٥٨. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٠. (❊)

ليخرجن من صلبه خير أهل الارض فى زمانه، سمى جده ووارث علمه وأحكامه وفضائله، معدن الامامة ورأس الحكمة، يقتله جبار بنى العباس بعده بعد عجائب طريفة حسدا له، ولكن الله بالغ أمره ولو كره المشركون، يخرج الله تعالى من صلبه تمام اثنى عشر مهديا اختصهم الله تعالى بكراماته وأحلهم دار قدسه، المقر بالثانى عشر منهم كالشاهر سيفه بين يدى رسول الله يذب عنه، فدخل رجل من موالى بنى أمية فانقطع الكلام فعدت إلى أبى عبد الله (ع) أحد عشر مرة أريد أن يستتم الكلام فلم أقدر على ذلک فلما كان قابل السنة الثانية دخلت عليه وهو جالس فقال: يا إبراهيم المفرج للكرب عن شيعته بعد ضنک شديد وبلاء طويل وجزع وخوف فطوبى لمن أدرک ذلک الزمان حسبک يا إبراهيم فما رجعت بشئ أسر من هذا لقلبى ولا أقر لعينى. وفى رواية زرارة بن أعين قال: دخلت على أبى عبد الله (ع) وقدامه مرقد مغطى فقال لى: يا زرارة آتنى بداود الرقى وحمران وأبى بصير، ودخل عليه المفضل بن عمر فخرجت فأحضرت ما أمرنى بإحضاره، ولم يزل الناس يدخلون واحدا أثر واحد حتى حضرنا فى البيت ثلاثون نفرا فلما حشد المجلس قال: يا داود اكشف لى عن وجه إسماعيل (رض) فكشف عن وجهه فقال أبو عبد الله (ع): حى هو أم ميت ؟ فقال: يا مولاى هو ميت، فجعل يعرض ذلک على رجل رجل حتى أتى على آخر من بالمجلس وكل يقول: هو ميت يا مولاى فقال (ع): اللهم اشهد، ثم أمر (ع) بغسله وحنوطه وأدرجه فى أثوابه فلما فرغ قال للمفضل: احسر عن وجهه فحسر عن وجهه وقال للجماعة أحى هو أم ميت ؟ فقالوا له: ميت فقال: اللهم اشهد فإنه سيرتاب المبطلون يريدون اطفاء نور الله بأفواههم، ثم أومى لى موسى (ع) والله متم نوره ولو كره المشركون ثم حثوا عليه التراب، ثم أعاد علينا القول وقال: الميت المكفن المحنط المدفون فى هذا اللحد من هو ؟ فقلنا: ابنک اسماعيل فقال (ع): اللهم اشهد، ثم أخذ بيد موسى (ع) وقال: هذا هو الحق والحق معه ومنه إلى أن يرث الله الارض ومن عليها الحديث

ص: ۲۵۱

ولله در من قال: [فلله خطب هائل ما أجله * على الدين من بعد النبى محمد] [مصاب دهى الاسلام إذا وقع البلا * بموسى حليف المجد خير موسد] [لقد هدموا دين الآله بما جرى * عليه فيا لله من شر معتدى] [لقد غاب عن ذا الخلق أشم غيبة * عقيب أبيه الصادق المتهجد] [وظل الهدى والرشد فى الخلق منكرا * وأصبح دين الله فى بطن ملحد] [فيا قاتل الله الرشيد ومن مضى * إلى جعفر المنصور أخبث ملحد] [لقد أزهقوا روح النبى وعطلوا * لقلب على مع بتولة أحمد] [يؤمهم لعن من الله دائم * وأوقعهم فى حر نار موقد] ولما استتم النص عليه من أبيه (ع) وأكده غاية التأكيد سعت به الوشاة إلى ذلک الرجيم العنيد أبى جعفر المنصور، وأضمر له العداوة والشرور، وبالغ فى إطفاء ذلک النور، ثم من بعده ولده المهدى إلى أن مضت عشر سنين وعشرة أشهر وأيام، ثم من بعده ولده الهادى سنة وخمسة عشر يوما، ثم هارون الرشيد ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وسبعة عشر يوما، لكنه (ع) لم يكن فى أيام خلافة الرشيد إلا خمسة عشر سنة، ولقد حبسه الرشيد مرارا وأغرى بقتله سرا وجهارا، فلم يزل يلقيه فى سجونه مرة بعد أخرى ويغرى به من لا دين له لقتله سرا. وفى كتاب الاختصاص مسندا إلى محمد بن الزبرقان الدامغانى قال أبو الحسن موسى بن جعفر (ع): لما أمر هارون الرشيد بحملى، دخلت فسلمت عليه فلم يرد على السلام، فرأيته مغضبا فرمى إلى بطومار وقال لى: اقرأه فإذا فيه كلام قد علم الله عزوجل براءتى منه، وفيه أن موسى بن جعفر (ع) يجئ إليه الخراج من الآفاق من غلاة الشيعة ممن يقول بإمامته يدينون الله تعالى بذلک، ويزعمون أنه فرض عليهم أن يرث الله الارض ومن عليها، ويزعمون أنه من لم يذهب إليه بالعشر، ولم يصل بإمامتهم ويحج بإذنهم ويجاهد بأمرهم

ص: ۲۵۲

ويحمل الغنيمة إليهم ويفضلهم على جميع الخلق ويفرض طاعتهم مثل طاعة الله تعالى ورسوله (ص) فهو كافر، حلل الله ماله ودمه وفيه كلام شناعة مثل استحلال الفروج بأمره (ع) ولو بدرهم، والبراءة من السلف ويلعنونهم فى صلاتهم ويزعمون أنه من لم يتبرأ منهم فقد بانت منه امرأته، ومن أخر الوقت للوقت فلا صلاة له لقول الله عزوجل فقد (أضاعوا الصلاة) (۱) الآية، ويزعمون أن غيا واد فى جهنم والكتاب طويل وأنا قائم بين يديه اقرأه وهو ساكت فرفع رأسه وقال: إنک اكتفيت بما قرأت فتكلم بحجتک فقلت: يا أمير المؤمنين والذى بعث محمدا (ص) بالنبوة ما حمل إلى أحد درهما ولا دينارا من طريق الخراج، لكنا معاشر آل أبى طالب نقبل الهدية التى أحلها الله تعالى لنبيه (ص) لقوله: لو أهدى إلى كراع لقبلت، ولو دعيت على ذراع لاجبت، وقد علم أمير المؤمنين ضيق ما نحن فيه وكثرة عدونا وما منعنا السلف من الخمس الذى نطق لنا به الكتاب فضاق بنا الامر، وقد حرمت علينا الصدقة وعوضنا الله تعالى عنها الخمس، فاضطررنا إلى قبول الهدية وكل ذلک مما علمته يا أمير، فلما تم كلامى سكت ثم قلت: إن رأى

أمير المؤمنين أن يأذن لابن عمه فى حديث عن آبائه (ع) عن رسول الله (ص) فكأنه اغتنمها فقال: مأذون لک هاته فقلت: حدثنى أبى (ع) عن آبائى (ع) يرفعونه إلى رسول الله أن يد الرحيم إذا مست رحما تحركت واضطربت، فإن تناولنى يدک فأشار بيده إلى ثم قال، ادن منى، فدنوت منه فصافحنى وجذبنى إلى نفسه مليا ثم فارقنى، فدمعت عيناه وقال: اجلس يا موسى فليس عليک بأس، صدقت وصدق آبائک وصدق جدک النبى (ص)، لقد تحرک دمى واضطربت عروقى واعلم أنک لحمى ودمى، وأن الذى حدثتنى به صحيح، وإنى أريد أن أن أسألک عن مسألة فإن أجبتنى علمت

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥٩. (*)

أنک صدقتنى وخليت عنک ووصلتک ولم أصدق ما قيل فيک ؟ فقلت: ما كان علمه عندى أجبتک فيه، فقال: لم لا تنهون شيعتكم عن قولهم لكم: يا ابن رسول الله وأنتم ولد على وفاطمة إنما هى وعاء والولد ينسب إلى الاب لا إلى الام ؟ فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفينى من هذه المسألة، فقال: لست أفعل أو تجيب فقلت: أنا فى أمانک أن لا يصيبنى من آفة السلطان شئ فقال: لک الامان فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: (ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلک نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى) (١) (ع) فمن أبو عيسى ؟ فقال: ليس له أب، إنما خلق من كلام الله وروح القدس، فقلت: إنما ألحق عيسى بذرارى الانبياء بمريم (ع)، ونحن ألحقنا بذرارى الانبياء بفاطمة (ع) لا من قبل على (ع) فقال: أحسنت يا موسى زدنى من مثله فقلت: اجتمعت الامة برها وفاجرها أن حديث النجرانى حين دعاه النبى للمباهلة لم يكن فى الكساء إلا هو وعلى وفاطمة والحسن والحسين (ع)، فقال الله تبارک وتعالى: (فمن حاجک فيه من بعد ما جاءک من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل) (٢) فكان تأويل ابنائنا الحسن والحسين ونسائنا فاطمة، وأنفسنا على بن أبى طالب، ثم قال: أحسنت ثم قال: أخبرنى عن قولک ليس لابن العم مع ولد الصلب ميراث، فقلت: اسألک بحق الله وحق رسوله يا أمير المؤمنين أن تعفينى من هذه المسألة وكشفها وهى عند العلماء مستورة، فقال: إنک ضمنت لى أن تجيب فيما اسألک ولست أعفيک فقلت له: جدد لى الامان ثانية، فقال: قد آمنتک.

---

(١) سورة الانعام، الآيتين: ٨۴، ٨۵. (٢) سورة آل عمران، الآية: ۶١. (*)

فقلت: ان النبى (ص) لم يورث من قدر على الهجرة ولم يهاجر، وأن عمى العباس قد قدر على الهجرة ولم يهاجر، وإنما كان فى الاسارى مع النبى (ص) وجحد أن يكون له الفداء فأنزل الله على النبى (ص) يخبره بدفين له من ذهب، فبعث عليا (ع) فأخرجه من عند أم الفضل وأخبر العباس بما أخبر به جبرائيل عن الله تعالى، فأذن لعلى فأعطاه علامة الذى دفن فيه، فقال العباس عند ذلک: يا ابن أخى ما فاتنى منک أكثر فأشهد أنک رسول الله رب العالمين، فلما أحضر على الذهب، قال العباس: أفقرتنى يا ابن اخى، فأنزل الله تعالى: (إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم) (۱)، وقوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا) (۲) ثم قال تعالى: (وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر) (۳)، فرأيته قد اغتم. ثم قال: أخبرنى من أين قلتم أن الانسان يدخله الفساد من قبل الاماء حال الخمس الذى لا يدفع إلى أهله، فقلت: أخبرک يا أمير المؤمنين بشرط أن لا تكشف هذا الباب لاحد مادمت حيا، وعن قريب يفرق الله بيننا وبين من ظلمنا وهذه مسألة لم يسأل بها أحد من السلاطين غير أمير المؤمنين، قال: ولا تيم ولا عدى ولا احد من بنى أمية ولا أحد من آبائنا ؟ قلت: ما سئلت ولا سئل جدى أبو جعفر (ع) عنها قال، فإن بلغنى منک أو من أحد أهل بيتک كشف ما أخبرتنى به رجعت عما آمنتک منه، فقلت: لک على ذلک، فقال: أحببت أن تكتب لى كلاما موجزا له أصول وفروع يفهم تفسيره، ويكون عن سماعک من أبى عبد الله (ع)، فقلت: نعم وعلى عينى يا أمير المؤمنين قال: فإذا فرغت فأرفع حوائجک، فقام ووكل بى من يحفظنى وبعث إلى فى كل يوم بمائدة فكتبت:

---

(۱) سورة الانفال، الآية: ۷۰. (۲، ۳) سورة الانفال، الآية: ۷۲. (*)

بسم الله الرحمن الرحيم: أمور الدنيا أمران أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الامة على الضرورة التى يضطرون إليها والاخبار المجتمع عليها المعروض عليها كل شبهة والمستنبط منها كل حاجة وحادثة، وأمر يحمل الشک فيه والانكار وسبيل استيضاح أهل الحجة عليه، فما ثبت لمنتحليه من كتاب مجمع على تأويله أو سنة عن النبى (ص) لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله ضاق على من استوضح تلک الحجة ردها ووجب عليه قبولها والاقرار والديانة بها، وما لم يثبت لمنتحليه به حجة من كتاب مجمع على تأويله وسنة عن النبى لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله وسع الامة خاصها وعامها الشک فيه والانكار له فى ذلک فهذان الامران من أمر التوحيد فما دونه إلى ارش الخدش فما دونه، فهذا الذى يعرض عليه أمر الدين فما ثبت لک برهانه اصطفيته وما غمض عنک ضوؤه

نفيته، ولا قوة إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل. وأخبرت الموكل بى أنى قد فرغت من حاجته، فأخبره فخرج وعرضت عليه الكتاب، فقال: أحسنت يا موسى هو كلام جامع موجز، فارفع حوائجک يا موسى فقلت: يا أمير المؤمنين أول حاجتى أن تأذن لى بالانصراف إلى أهلى فإنى تركتهم باكين آيسين منى ومن أن يرونى ابدا فقال: مأذون لک اردد، فقلت: على عيال كثيرة وأعيننا بعد الله ممدودة إلى فضل أمير المؤمنين ودعائه، فأمر لى بمائة ألف درهم وكسوة وحملنى وردنى إلى أهلى مكرما. ولله در من قال: [تبا لدنيا غدرت ساداتها ❊ ورمتهم لبلائها وشتاتها] [ووفت لابناء اللئام بما رأوا ❊ من حادثات بلائها بهداتها] [حجبوا جهارا عن تراثهم وقد ❊ نالوا العناء بها وخلف عداتها] [صبرا على مضض الزمان وما بدا ❊ من جوره إذ حل فى ساحاتها] [أيقاد موسى خاضعا متذللا ❊ لرشيدها ويكف عن نحلاتها]

[ويرى بأنواع القيود مكبلا ❊ ولا يحتظى بصلاتها وصلاتها] [فكأنه من كابل أهدى إلى ❊ شر الطغاة وشر نسل بغاتها] [ويصد عن حكم الاله ولم يكن ❊ من ناصر يحميه بين عداتها] [والهف نفسى والتلهف لم يزد ❊ نفسى شفاء غليلها وهنائها] [فلا ألبسن عليهم ثوب الضنا ❊ ولاخلعن لباس طيب حياتها] وفى العيون بإسناده إلى موسى بن جعفر (ع) قال: لما دخلت على الرشيد سلمت عليه فرد على السلام ثم قال: يا موسى بن جعفر خليفتين يجبى إليهما الخراج، فقلت: يا أمير المؤمنين، أعيذک بالله أن تبوأ بأثمى واثمک وتقبل الباطل من أعدائنا. فقد علمت أنه كذب علينا منذ قبض رسول الله (ص)، وإنى أسألک بقرابتک من رسول الله (ص) أن تأذن إلى أحدثک بحديث أخبرنى به عن آبائه (ع) عن جدى رسول الله (ص). قال: هات فقلت: إن رسول الله قال: إن يد الرحيم إذا مست رحما تحرک دمه واضطربت عروقه، فناولنى يدک فقال: ادن منى فدنوت منه فأخذ بيدى ثم جذبنى إلى نفسه وعانقنى طويلا ثم تركنى وقال: اجلس فليس عليک بأس، فنظرت إليه وإذا هو قد دمعت عيناه فرجعت إلى نفسى فقال: صدقت يا موسى وصدق جدک رسول الله (ص) لقد تحرک دمى واضطربت عروقى حتى غلبت على الرقة وفاضت عيناى، وأنا أسألک عن مسألة تختلج فى صدرى منذ حين لم أسأل عنها أحدا، فإن أنت أجبتنى عنها خليت عنک، ثم ذكر مثل الحديث السابق مع اختلاف يسير. وفى العيون أيضا بإسناده عن سفيان بن بزال قال: كنت يوما على رأس المأمون فقال: أتدرون من علمنى التشيع ؟ فقال القوم جميعا: لا والله ما نعلم، فقال: علمنى الرشيد، فقيل له: وكيف ذلک وان الرشيد كان يقتل أهل هذا البيت (ع) ؟ فقال: كان يقتلهم على الملک لان الملک عقيم، ولقد حججت معه سنة فلما صار إلى المدينة تقدم إلى حجابه وقال: لا يدخل على

أحد من أهل المدينة ومكة وسائر المهاجرين والانصار وبنى هاشم وسائر بطون قريش إلا نسب نفسه، فكان الرجل إذا دخل عليه قال: أنا فلان ابن فلان حتى ينتهى إلى جده من هاشم قريش أو مهاجرى أو أنصارى، فيصله من المال بخمسة آلاف درهم وما فوقها وما دونها إلى ما فوق مقامه على قدر شرفه وهجرة آبائه فبينما أنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيع فقال: يا أمير المؤمنين إن بالباب رجل يزعم أنه موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب، فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه والامين والمؤتمن، وسائر القواد فقال: احفظوا على أنفسكم ثم قال لصاحب الاذن ائذن له ولا ينزل إلا على بساطى، فبينما أنا كذلک إذ دخل علينا شيخ قد أنهكته العبادة كأنه شن بال وقد أكل السجود وجهه وأنفه، فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان راكبه فصاح الرشيد: لا تنزل إلا على بساطى، فمنعه الحجاب عن الترجل فنظرنا إليه بأجمعنا بالاجلال والاعظام فما زال يسير على حماره حتى صار على البساط والحجاب محدقون به، فلما نزل قام الرشيد فاستقبله إلى آخر البساط فقبل وجهه وعينيه وأخذ بيده وصيره إلى صدر المجلس وجلس معه وجعل يقبل بوجهه عليه ويسأله عن أحواله، ثم قال: يا أبا الحسن كم عليک من العيال ؟ قال (ع): يزيدون على الخمسمائة قال: أولاد كلهم ؟ فقال: لا أكثرهم موالى وحشم، وأما الولد فلى نيف وثلاثون الذكران كذا والنسوان كذا، قال: فلم لا تزوج النسوان من بنى عمومتهم وأكفائهم ؟ فقال اليد تقصر عن ذلک قال: فما حال الضيعة ؟ قال: تعطى فى وقت وتمنع فى آخر، قال: فهل عليک دين ؟ قال: نعم قال: نحوكم ؟ قال (ع): نحو من عشرة آلاف دينار فقال الرشيد: يا ابن العم أنا أعطيک من المال ما تزوج به الذكران والاناث وتقضى الدين وتعمر الضياع، فقال (ع): وصلت يا ابن العم وشكر الله لک هذه النية الجميلة والرحم ماسة والقرابة راسخة والنسب واحد، والعباس عم النبى وصنو أبيه وعم على بن أبى طالب وصنو أبيه، وما أبعدک الله من أن تفعل ذلک وقد بسط يدک وأكرم عنصرک وأعلا مجدک، فقال: أفعل ذلک إن شاء الله تعالى يا أبا الحسن

كرامة لک فقال: يا أمير المؤمنين إن الله عزوجل قد فرض على ولاة أمره أن يفتشوا عن فقراء الامة، فيقضون عن الغارمين، ويؤدون عن المعيل، ويكسون العارى ويحسنون إلى العانى، وأنت أولى من يفعل ذلک قال: أفعل يا أبا الحسن، ثم قام فقام الرشيد لقيامه وقبل عينيه ووجهه ثم أقبل على وعلى الامين فقال: يا عبد الله ويا محمد ويا إبراهيم امشوا بين يدى ابن عمكم موسى وسيدكم خذوا بركابه وسووا عليه ثيابه وشيعوه إلى منزله. فأقبل على أبو الحسن (ع) سرا بينى وبينه وبشرنى بالخلافة فقال لى: إذا ملكت فأحسن إلى فى ابنى، ثم انصرف وكنت أجرأ ولد أبى عليه فلما خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذى عظمته وأكرمته وأجللته وجلست دونه ثم أمرتنا بأخذ الركاب له ؟ فقال هذا إمام الناس وحجة الله على جميع خلقه وخليفته فى عباده، فقلت: يا أمير المؤمنين أو ليست هذه الصفات لک وفيک كلها ؟ فقال: أنا إمام الجماعة فى الظاهر وفى الغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق، والله إنه لاحق بمقام رسول الله (ص) منى ومن جميع الخلق، والله لو نازعتنى أنت فى هذا الامر لاخذت الذى فيه عيناک فإن الملک عقيم. فلما أراد الرحيل من المدينة أمر بصرة فيها مائتا دينار ثم أقبل على الفضل ابن الربيع وقال له: إذهب بهذه الصرة إلى موسى بن جعفر وقل له: يقول لک أمير المؤمنين: نحن فى ضيقة وسيأتيک الغنى بعد

هذا الوقت، فقمت فى صدره وقلت: يا أمير المؤمنين تعطى أبناء المهاجرين والانصار وسائر قريش وبنى هاشم ومن لا يعرف حسبه ونسبه خمسة آلاف دينار وما دونها، وتعطى موسى بن جعفر وقد عظمته وجللته مائتى دينار أخس عطية أعطيتها أحدا من الناس ؟ فقال لى: اسكت لا أم لک، فإنى لو أعطيته الذى ظمنه له ما كنت آمنه أن يضرب وجهى غدا بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، الفقر لهذا ولاهل بيته أحسن لى ولكم من أبسط أيديهم وأعينهم لنا، فلما نظر ذلک مخارق المغنى دخله من ذلک غيظ فقال للرشيد: يا أمير المؤمنين قد دخلت المدينة وأكثر أهلها يطلبون منى وإن خرجت ولم أقسم فيهم شيئا لم يتبين لهم فضل

أمير المؤمنين على ومنزلتى عنده فأمر له بعشرة آلاف دينار فقال: يا أمير المؤمنين إن لاهل المدينة على دين وأحتاج أن أقضيه، فأمر له بعشرة آلاف دينار أخرى فقال: يا أمير المؤمنين بناتى أريد أن أزوجهم وأنا محتاج لزواجهم، فأمر له بعشرة آلاف دينار أخرى فقال: لا بد من غلة تعطينها ترد على وعلى عيالى وأزواجهم، فأمر له بأقطاع ما تبلغ غلته فى السنة عشرة آلاف دينار وأن يعجل له ذلک كله، ثم قام مخارق من فوره وقصد موسى بن جعفر (ع) وقال له: إنى وقفت على ما عاملک به هذا الملعون وما أمر لک به فاحتلت عليه وأخذت منه صلة ثلاثون ألف دينار واقطاع وهبها إلى، وما أخذتها إلا لک وأشهد لک بهذه الاقطاع وقد حملت المال إليک يا سيدى. فقال (ع): بارک الله لک فى مالک وأحسن جزاک، وما كنت لآخذ منها درهما واحدا ولا من هذه الاقطاع وقد قبلت صلتک، فانصرف راشدا ولا تراجعنى فى ذلک فقبل يده وانصرف. ولله در من قال: [فيا عجبا من دهر سوء أباد من ❊ له الامر فى العليا فأخمد نارها] [وطالت بها أعناق كل مرنم ❊ وشب عليهم نارها وشنارها] [وأبعد عن مالهم وتراثهم ❊ ومكن منها بعد ذاک شرارها] [فوالهف نفسى مثل موسى يقوده ❊ دعى بغى قد تسنم عارها] [فيا قاتل الله الرشيد ونسله ❊ وأسكنه فى ذى الجحيم قرارها] وفى العيون عن إبراهيم بن هاشم قال: سمعت رجلا من أصحابنا يقول: لما حبس الرشيد موسى بن جعفر (ع) أجن عليه الليل فخاف ناحية هارون أن يقتله فجدد موسى (ع) ظهوره واستقبل القبلة وصلى لله عزوجل أربع ركعات، ثم دعا بهذه الدعوات قائلا: يا سيدى نجنى من حبس هارون وخلصنى من يده يا مخلص الشجر من بين رمل وطين وماء، ومخلص اللبن من بين فرث ودم، ويا مخلص الولد من بين مشيمة ورحم، ويا مخلص النار من

بين الحديد والحجر، ويا مخلص الروح من بين الاحشاء والامعاء خلصنى من هذا الرجل. قال: فلما دعا موسى بهذا الدعاء أتى هارون رجل أسود وبيده سيف مسلول وهو نائم فوقف عليه وهو يقول: يا عدو الله أطلق موسى بن جعفر (ع) من الحبس والحديد وإلا ضربت عاليک بهذا السيف، فخاف هارون من هيبته ثم دعا الحاجب

وقال له: إذهب إلى السجن واطلق موسى، فخرج الحاجب وطرق باب دار السجان فأجابه السجان وقال: من ؟ فقال: رسول الخليفة يقول لک اطلق موسى بن جعفر (ع)، فصاح السجان: يا موسى إن الخليفة يدعوک، فقام موسى فزعا وهو يقول: ما يدعونى فى هذا الليل إلا لشر فى نفسه، فقام حزينا مغموما آيسا من الحياة فجاء إلى هارون وهو (ع) ترتعد فرائصه، فسلم على هارون فرد عليه السلام ثم قال له هارون: يا موسى هل دعوت الله تعالى فى هذه الليلة ؟ فقال: نعم قال: وما هو ؟ فقال (ع): جددت طهورى وصليت لله أربع ركعات ورفعت طرفى إلى السماء وقلت: يا سيدى خلصنى من يد هارون وشره، وذكر له ما كان من دعائه، فقال هارون: قد استجاب الله تعالى دعاءک، يا حاجب اطلق عنه، ثم دعا بخلعة وخلع عليه ثيابا وحمله على فرس وأكرمه وصيره نديما لنفسه، ثم قال هارون: هات الكلمات فعلمه وأطلق عنه وسلمه إلى الحاجب ليسلمه (ع) ويكون معه إلى الدار، وصار موسى بن جعفر كريما شريفا عند هارون الرشيد وكان يدخل عليه فى كل خميس إلى أن حبسه الثالثة فلم يطلقه حتى سلمه إلى السندى لعنه الله فقتله بالسم. ولله در الشاعر حيث يقول: [لحى الله هارون الرشيد وزاده ❊ نكالا وأصلاه شواظ جهنم] [يرى المعجزات الواضحات فلم ❊ يدع مكائده يوما لموسى المعظم] [وما زال يسقيه مرارة كيده ❊ إلى أن سقاه كأس سم بمطعم] [فراح إلى دار الجنان منعما ❊ فوالهف نفسى للامام المكرم] [أمن بعد موسى يستلذ ذووا الحجا ❊ ويلهو بطيب العيش من كل منعم]

وفى العيون عن ابن عياش قال: حدثنا الثوبانى قال: كانت لابى الحسن موسى بن جعفر (ع) بضع عشر سنة فى كل يوم منها سجدة بعد بياض الشمس إلى وقت الزوال، وكان هارون يصعد سطحا يشرف منه على الحبس الذى فيه موسى بن جعفر، وكان يرى موسى بن جعفر ساجدا فقال للربيع: مالک يا ربيع أما ترى الثوب الذى أراه فى ذلک الموضع ؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما هو ثوب بل هو موسى بن جعفر له كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال، فقال هارون: هذا من رهبان بنى هاشم فقلت: فما لک ضيقت عليه فى الحبس فقال: هيهات لا بد من ذلک. وفى الكتاب المذكور أيضا عن عبد الله القزوينى قال: دخلت على الفضل بن الربيع وهو جالس على السطح، فقال لى: ادن منى فدنوت منه حتى حاذيته فقال لى: أشرف إلى البيت فى الدار فأشرفت من على السطح فقال لى: ما ترى فى البيت ؟ فقلت: أرى ثوبا مطروحا فقال لى: انظر حسنا فتأملت فقلت رجلا ساجدا فقال لى: تعرفه ؟ قلت: لا فقال لى: هذا مولاک فقلت: ومن هو مولاى ؟ فقال: تتجهل على ؟ فقلت: لا اتجهل عليک، ولكن لا اعرف لى مولى إلا أبا الحسن موسى بن جعفر وانى افتقدته الليل والنهار فلم أجده فى وقت من الاوقات، فقال: هاهو فى الحبس عندى ولا أراه إلا على الحال الذى تراه فيه يصلى الفجر فيعقب ساعة فى دبر صلاته إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة فلم يزل ساجدا حتى تزول الشمس، وقد جعل من يترصد له الزوال فلا يدرى متى يقول له الغلام قد زالت الشمس فيبتدئ فى الصلاة من قبل أن يحدث، فاعلم أنه لم ينم فى سجوده فلم يزل ساجدا إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس صلى المغرب من غير أن يحدث حدثا فلم يزل فى صلاته وتعقيبه إلى أن يصلى العتمة، فيفطر على شوى

يؤتى به إليه ثم يجدد الوضوء ويقوم فلم يزل يصلى فى جوف الليل إلى أن يطلع الفجر، فلست أدرى متى يقول الغلام أن الفجر قد طلع إذ وثب (ع)

لصلاة الفجر فهذا دأبه مذ حول إلى، فقلت: اتق الله لا تحدث فى أمره حديثا يكون فيه زوال النعم وقد تعلم أنه لم يفعل أحد بهم سوءا إلا تكون نعمته زائلة، فقال: قد أرسلوا إلى غير مرة يأمرونى بقتله فلم أجبهم إلى ما سألونى. فلما كان بعد ذلک حول إلى الفضل بن يحيى البرمكى فحبس عنده أياما، فكان الفضل بن الربيع يبعث إليه فى كل يوم مائدة حتى مضى ثلاثة أيام بلياليها، فلما كانت الليلة الرابعة قدمت إليه مائدة الفضل بن يحيى فرفع يده إلى السماء وقال: يا رب إنک تعلم لو أكلت قبل هذا اليوم كنت قد أعنت على نفسى، فأكل فمرض (ع)، فلما كان من الغد جاءه الطبيب فعرض عليه فرأى خضرة فى بطنه وفى راحتيه، كان السم الذى سم به قد اجتمع فى ذلک الموضع فانصرف الطبيب إليهم وقال: والله هو أعلم بما فعلتم به، فلما كان بعد يوم قبض (ع). هكذا جاء فى هذه الرواية والمشهور أنه قد سم فى حبس السندى بن شاهک، وأن هارون الرشيد قد عرض قبل ذلک قتله على جميع أرباب دولته وسعى به إلى من جاحد للصانع فلم يتمكن من ذلک، فاغتم لذلک غما شديدا إلى أن دنا منه أجله وانقضت أيامه وأحكم الرشيد تدبيره وحيله وقد بلغ به العناد إلى أن يخجله فى المجلس كما روى عن على بن يقطين (رض) قال: إن الرشيد استدعى رجلا ليبطل به ما أمر ابى الحسن موسى بن جعفر، فلما حضرت المائدة وجعلوا يأكلون تناول موسى (ع) رغيفا من الخبز فطيره ذلک اللعاب من بين يديه واستفز هارون الفرح والضحک لذلک، فغضب أبو الحسن موسى ورفع رأسه إلى صورة أسد موضوعة على بعض الستور فقال: يا أسد الله كل عدو الله قال: فوثبت تلک الصورة كأعظم ما يكون من السباع فافترست ذلک المغرم اللعاب، فخر هارون مع ندمائه على وجوههم مغشيا عليهم وطارت عقولهم خوفا من هول ما رأوا، فلما أفاقوا من غشوتهم قال هارون لابى الحسن (ع): سألتک بحقى عليک إلا ما سألت الصورة أن ترد الرجل فقال (ع): إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعت من حبال القوم وعصيهم فإن

هذه الصورة ترد ما ابتلعته من هذا الرجل، فكانت ذلک أعمل الاشياء فى إفادته نفسه (ع). وفى خبر عن عمر بن واقد، قال: إن هارون لما ضاق صدره مما كان يظهر له من فضل موسى بن جعفر (ع)، وما كان يبلغه من قول الشيعة بإمامته واختلافهم بالليل والنهار خشية منه على نفسه وملكه، ففكر فى نفسه أن يقتله بالسم، ثم دعا برطب فأكل منه ثم أحضر صينية فوضع فيها عشرين رطبة وأخذ سلكا ففركه بالسم وأدخله فى سم الخياط وأخذ رطبة من ذلک الرطب وأقبل يردد ذلک السم فيها واستكثر منه ثم ردها فى ذلک الرطب، وقال للخادم: احمل هذه الصينية إلى موسى بن جعفر وقل له إن أمير المؤمنين قد أكل من هذا الرطب وتنغص لک وهو يقسم عليک إلا ما أكلتها عن

آخرها لانى اخترتها بيدى، فلا تتركه يبقى منه شيئا ولا تطعم منه أحدا، فأتاه به الخادم وأبلغه الرسالة وقال: آتنى بخلال: فناوله خلالا وقام بازائه وهو يأكل (ع) من ذلک الرطب وكان للرشيد كلبة تعز عليه فجذبت نفسها وخرجت وكان فيها سلاسل من ذهب وجوهر، فجاءت عند موسى بن جعفر (ع) فبادر بالخلال إلى الرطبة المسمومة فرمى بها إلى الكلبة فأكلتها فلم تلبث أن ضربت برجلها الارض وتقطعت قطعة قطعة، واستوفى (ع) باقى الرطب وحمل الغلام الصينية وأتى بها الرشيد فقال الرشيد: قد أكل الرطب عن آخره ؟ قال: نعم فقال: كيف رأيته حين أكله ؟ قال: ما أنكرت منه شيئا يا أمير المؤمنين، ثم أورد عليه خبر الكلبة وأنها قد تهرأت وماتت، فقلق الرشيد قلقا شديدا ثم وقف على الكلبة فوجدها متهرتة بالسم، فأحضر الخادم ودعا له بسيف ونطع وقال له تصدقنى عن خبر الرطب والكلبة وإلا قتلتک فقال: يا أمير المؤمنين إنى حملت الرطب إليه وبلغته رسالتک وقمت بازائه فطلب منى خلالا فدفعته إليه فأقبل يغرز رطبة بعد رطبة ويأكلها حتى جاءت الكلبة فغرز الخلال فى رطبة من ذلک الرطب ورمى بها للكلبة فأكلتها فما لبثت أن تهرأت وأكل هو باقى الرطب فكان الامر كما كان، فما ترى يا أمير المؤمنين ؟ فقال: ما ربحنا من موسى إلا أنه أطعمناه جيد

الرطب وضيعنا سمنا وقتلنا كلبتنا فما فى موسى حيلة. قال: ثم ان سيدنا موسى بن جعفر (ع) دعا بالمسيب وذلک قبل وفاته بثلاثة أيام وكان موكلا به فقال: يا مسيب فقال: لبيک يا سيدى، قال: إنى ظاعن فى هذه الليلة إلى المدينة مدينة جدى رسول الله لاعهد إلى ابنى على بن موسى الرضا بما عهد إلى أبى جعفر واجعله وصيى وخليفتى وأمره بأمرى، فقال المسيب: كيف تأمرنى يا مولاى أن افتح لک الابواب وأقفالها مغلقة والحرس على الابواب ؟ فقال (ع): يا مسيب أضعف يقينک فى الله تعالى وفينا ؟ قلت: لا يا سيدى قال: قم، قلت يا سيدى ادع الله أن يثبتنى فقال (ع): اللهم ثبته، ثم قال: أعوذ بالله عزوجل وباسمه العظيم الاعظم الذى دعا به آصف بن برخيا (ع) حتى جاء بسرير بلقيس فوضعه بين يدى سليمان قبل ارتداد طرفه إليه اجمع بينى وبين ابنى فى المدينة. قال المسيب (ره) سمعته يدعو ففقدته من مصلاه فلم أزل قائما على قدمى حتى رأيته قد عاد إلى مكانه وأعاد الحديد إلى رجله فخررت ساجدا لله وشكرا على ما أنعم الله به على من معرفته، فقال لى: ارفع رأسک يا مسيب واعلم أنى راحل إلى الله تعالى فى ثالث هذا اليوم قال: فبكيت فقال (ع) تبكى فإن عليا ابنى إمامک من بعدى فاستمسک بولايته فإنک لن تضل ما لزمته فقلت: الحمد لله. ثم ان سيدى دعانى ليلة اليوم الثالث فقال لى: إنى على ما عرفتک من الرحيل إلى الله تعالى فإذا دعوت بشربة من الماء، فشربتها ورأيتنى قد انتفخت وارتفع بطنى واخضر لونى واحمر وتلون ألوانا فخبر الطاغية بوفاتى، وإذا رأيت هذا الحدث فإياک أن تظهر عليه أحدا إلا بعد وفاتى، قال المسيب بن زهير: فلم أزل أرقب وعده (ع) حتى دعا بالشربة فشربها ثم دعانى فقال: يا مسيب إن هذا الرجل اللعين السندى بن شاهک لعنه الله سيزعم أنه تولى غسلى ودفنى، هيهات هيهات لا يكون ذلک أبدا، فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فألحدنى فيها ولا ترفعوا قبرى فوق أربع أصابع مفرجات، ولا تأخذوا من

ص: ۲۶۵

تربتی شیئا فتتبرکوا به، فإن کل تربة لنا محرمة إلا تربة جدی الحسین (ع) فإن الله عزوجل جعلها شفاء لشیعتنا وأولیائنا، ثم رأیت شخصا أشبه الخلق به جالسا إلی جانبه وکان عهدی بسیدی الرضا (ع) وهو قائم، فأردت سؤاله فصاح بی سیدی موسی (ع)، ألیس نهیتک یا مسیب ؟ فلم أزل صابرا حتی مضی وغابت الشمس ثم إنی أتیت بالخبر إلی الرشید فوافانی السندی بن شاهک، فوالله لقد رأیتهم وهم یظنون بأنهم یغسلونه ولا تصل أیدیهم إلیه ویظنون أنهم یحنطونه ویکفنونه وأراهم لا یصنعون به شیئا، ورأیت ذلک الشخص یتولی غسله وتحنیطه وتکفینه وهو یظهر المعاونة لهم وهم لا یعرفونه، فلما فرغ من تجهیزه قال ذلک الشخص: یا مسیب مهما شککت فیه فلا تشک فی فإنی إمامک ومولاک وحجة الله تعالی علیک بعد أبی، یا مسیب مثلی مثل یوسف الصدیق (ع)، ومثلهم مثل اخوته حین دخلوا فعرفهم وهم له منکرون، ثم حمل حتی دفن فی مقابر قریش وأمر برفع قبره أکثر مما أمر به (ع) ثم رفعوا بعد ذلک قبره وبنوا علیه. ولله در من قال: [فیا ضیعة الاسلام بعد ولیه ❊ وقیم دین الله موسی بن جعفر] [أیقتل مسموما بحبس بن شاهک ❊ ویرمی به سجن رجس ومفتری] [ویحجب عن تنفیذ أحکام جده ❊ ویعزل عن أعلی مکان ومنبر] [فیا قلب ذب وجدا لعظم مصابه ❊ وطلق لذیذ النوم یا طرف محجری] [فما رزؤه إلا کرزء ابن فاطم ❊ حسین سلیل المرتضی الطر حیدر] [فمن لعلوم الله من بعد فقده ❊ یثبت بها فی العالمین بمصدر] [ومن للدعا والورد فی سحرالدجا ❊ ومن لمحاریب الصلاة بمحضر] [ومن لکتاب الله تال وموضح ❊ لتفسیره آه له من مفسر] [علوج بنی العباس إن قر طرفکم ❊ بدنیاکم من أن تقر بمحشر] [عمدتم إلی بدر لکم متألق ❊ فأطفیتموه ویلکم شر معشر]

ص: ۲۶۶

[ستجزون فی یوم الجزاء جهنما ❊ تذیب الحشا منکم غداة التسعر] وفی روایة کما فی العیون عمن یقبل قوله من الثقاة قال: قال لی رأیت بعض من یقرون بفضل موسی بن جعفر (ع) من أهل هذا البیت: فما رأیت مثله قط فی نسکه وفضله قال: قلت: ومن هو وکیف رأیته ؟ قال: تجمعنا أیام السندی بن شاهک ونحن ثمانون رجلا فأدخلنا علی موسی بن جعفر (ع) فقال لنا السندی: یا هؤلاء انظروا إلی هذا الرجل هل حدث به حدث ؟ فإن الناس یزعمون أن فعل به مکروه ویکثرون فی ذلک وهذا منزله وفراشه موسع علیه غیر مضیق، ولم یرد به أمیر المؤمنین سوءا وإنما ینتظره فیناظره وها هو ذا صحیح فاسألوه ؟ فسألناه فقال (ع): أما ما ذکر من التوسعة فهو علی ما ذکر، غیر أنی اخبرکم أیها النفر أنی سممت فی تسع تمرات وألقیت دما من کبدی، وانی أخضر غدا وبعد غد أموت، فنظرنا فإذا السندی ترتعد فرائصه ویضطرب مثل السعفة. وفی خبر عمر بن واقد قال: أرسل إلی السندی بن شاهک بعض اللیالی وأنا فی بغداد لیستحضرنی، فحشیت أن یکون ذلک لشر یریده فأوصیت عیالی بما احتجت إلیه وقلت: إنا لله وإنا إلیه

راجعون، فلما ركبت إليه ورآنى مقبلا قال: يا أبا جعفر لعلنا أزعجناک وأفزعناک ؟ قلت: نعم، فقال: ما هنا إلا خيرا، قلت: ابعث رسولا إلى أهلى ليخبرهم بخبرى فقال: نعم ثم قال: يا أبا جعفر أتدرى لم أرسلت إليک ؟ فقال: لا أدرى قال: أتعرف موسى بن جعفر ؟ فقلت: أعرفه وبينى وبينه صداقة منذ كان ببغداد ويعرفه من يقبل قوله، ثم سميت له أقواما ووقع بقلبى أنه قد مات (ع)، فبعث إليهم فجاء بهم كما جاء بى وقال: هل تعرفون قوما يعرفون موسى بن جعفر ؟ فسموا له أقواما فجاء بهم، فأصبحنا ونحن فى الدار نيفا وخمسون رجلا ممن يعرف موسى بن جعفر (ع) وقد صاحبه قال ثم قال: ودخل وصلينا وخرج كاتبه بطومار فكتب أسماءنا ومنازلنا وأعمالنا وخلانا ثم دخل إلى السندى وخرج السندى فضرب

بيده إلى وقال لى: قم يا أبا جعفر اكشف الثوب عن موسى بن جعفر، فكشفت عنه فرأيته ميتا فبكيت واسترجعت ثم قال للقوم: انظروا إليه فدنوا واحدا بعد واحد فنظروا إليه ثم قال: تشهدون كلكم أن هذا موسى بن جعفر ؟ قالوا: نعم فقال: يا غلام اطرح على عورته منديلا واكشف عن جسده قال: ففعل فقال: أترون به أثرا تنكرونه ؟ فقلنا: ما نرى به شيئا وما نراه إلا هو ميتا فقال: لا تبرحوا حتى تغسلوه وتكفنوه قالوا: فلم نبرح حتى غسل وكفن (ع) وحمل إلى المصلى فصلى عليه السندى بن شاهک ثم دفناه ورجعنا. ولله در الشاعر حيث يقول: [فوالهف نفسى والتلهف لا يجدى ❊ على من مضى بالسم من كافر وغد] [سقاه سموم الموت من بعد حبسه ❊ سنينا بلا جرم فروحى له تفدى] [فواطول حزنى بعده وصبابتى ❊ فلا مدمعى يرقى وقلبى فى وقد] [وكيف الكرى يأوى جفونى وإننى ❊ حرمت له طيب المضاجع والسهد] [سأبكى عليه ما بقيت تأسفا ❊ وأندبه حتى أوسد فى لحد] [مضى فمضى الاسلام والدين والتقى ❊ وعطل أحكام المكارم والمجد] [فيا قاتل الله الرشيد وما جنى ❊ وأبعده الله المهيمن من سندى] [عجبت لافلاک السماوات لم تخر ❊ وللنيرات الشهب لم تمس فى الوهد] [ألا لعن الله المهيمن كل من ❊ تعاضد فى إطفاء نور سما الرشد] [وصلى إله العرش ما هبت الصبا ❊ على روحه ذاک المخلد فى الخلد] وفى العيون: بإسناده عن عتاب بن أمثل عن جماعة من مشايخ أهل الكوفة قالوا: توفى موسى بن جعفر (ع) على يد السندى بن شاهک لعنه الله، فحمله على نعش ونادى عليه هذا إمام (الرافضة) فاعرفوه، فلما أوتى به إلى مجلس الشط قام أربعة نفر ونادوا: ألا من أراد أن ينظر إلى الخبيث بن الخبيث موسى بن جعفر فليخرج، فخرج المنافقين من كل جانب ومكان، وصارت الضوضاء عليه وهو ملقى على جسر بغداد فى وسط الطريق والداخل والخارج

يرفسه برجله، فخرج سليمان بن جعفر الجعفرى من قصره إلى الشط فسمع الصياح والضوضاء فقال لولده وغلمانه: ما هذا ؟ فقالوا: إن السندى بن شاهک أمر أن ينادى على موسى (ع) بهذا النداء وهو على نعشه، فقال لولده

وغلمانه: يوشک أن يفعل هذا به من الجانب الغربى، فإذا عبروا به فانزلوا مع غلمانكم وخذوه من أيديهم، فإن مانعوكم فاضربوهم وخرقوا ما عليهم من السواد، فلما عبروا به نزلوا إليهم وأخذوه من أيديهم وخرقوا سوادهم فوضعوه فى مفرق طرق وقام المنادى ينادى: ألا من أراد أن ينظر إلى الطيب ابن الطيب موسى بن جعفر فليخرج، فحضر الخلق فغسل وكفن فى حبرة له استعملت بألفى دينار قد كتب القرآن كله عليها، واحتفى سليمان ومشى وراء جنازته مشقوق الجيب متسلبا حتى انتهوا به إلى مقابر قريش فدفنه هناک، وكتب بأمره إلى الرشيد فكتب إليه الرشيد: وصلت رحمک يا عم فأحسن الله لک الجزاء والله ما فعل السندى هذا عن أمرنا. وفى خبر رواه فى العيون عن محمد بن سليمان النوفلى قال: سمعت أبى يقول: لما قبض الرشيد على موسى بن جعفر (ع) قبض عليه وهو عند رأس رسول الله (ص) قائما يصلى فقطع عليه صلاته، وحمل (ع) وهو يبكى ويقول: إليک أشكو يا رسول الله ما ألقى، وأقبل الناس من كل جانب وهم يبكون ويضجون، فلما أوتى به الرشيد شتمه وجفاه، فلما جن عليه الليل أمر بقبتين فهيئتا له فحمل موسى بن جعفر (ع) فى إحداهما فى خفاء ودفعه إلى حسان السرورى وأمره أن يسير به فى قبة إلى البصرة فيسلمه إلى عيسى بن جعفر بن أبى جعفر وهو أميرها، ووجه قبة أخرى إلى الكوفة علانية ومعها جماعة ليعمى على الناس أمر موسى بن جعفر (ع)، فقدم حسان البصرة قبل التروية بيوم واحد ودفعه إلى عيسى بن جعفر نهارا علانية حتى عرف ذلک وشاع خبره، فحبسه عيسى فى بيت من بيوت المجلس الذى كان يجلس فيه وأقفل عليه وشغله العيد عنه، فكان لا يفتح عنه الباب إلا فى حالتين حالة يخرج فيها للطهور وحالة يدخل فيها إليه بالطعام، قال أبى: فقلت للفيض بن صالح وكان

نصرانيا فأظهر الاسلام، وكان زنديقا وكان يكتب لعيسى بن جعفر وكان لى خاصا فقال: يا أبا عبد الله لقد سمعت هذا الرجل الصالح فى أيامه هذه فى هذه الدار التى هو فيها من ضروب الفواحش والمناكر ما أعلم ولا أشک أنه يخطر بباله، قال أبى: وسعى بى فى تلک الايام إلى عيسى بن جعفر بن على ابن يعقوب بن عون بن العباس من مشائخ بنى هاشم وكان أكبرهم سنا، وكان مع سنه يشرب الشراب ويدعو أحمد بن أسيد إلى منزله فيحتفل معه، ويأتى بالمغنين والمغنيات يطمع أن يذكره لعيسى وكان فى رقعته التى دفعها إليه تقدم علينا سليمان ابنک فى إكرامک وتخصه بالمسک وفينا من هو أسن منه وهو يدين بطاعة موسى بن جعفر المحبوس عندک، قال أبى: وانى لقائل فى يوم قيظ إذ حركت حلقة الباب على فقلت: ما هذا ؟ فقال لى الغلام: قعنب بن يحيى يقول: يريد لقاءک الساعة، فقلت، ما جاء إلا لامر ائذنوا له، فدخل وأخبرنى عن الفيض بن أبى صالح بهذه القصة والرقعة. قال وقد كان قال لى الفيض بعد ما أخبرنى لا تخبر أبا عبد الله فيحزنه فإن الرافع عند الامير لم يجد فيه مساغا، وقد قلت للامير: فى نفسى من هذا شئ حتى أخبر أبا عبد الله فيأتيک فيحلف على الكذب فقال: لا تخبره فتغمه، فإن ابن عمه إنما حمله على هذا الحسد له فقلت له: أيها الامير أنت أعلم أنک لا تخلو بأحد كخلوتک به، فهل تحمل على احد ؟ فقال: معاذ الله فلو كان له مذهب يخالف فيه الناس لاحب أن يحملک عليه، قال: أجل ومعرفتى له أكثر قال أبى: فدعوت بدابتى فركبت إلى الفيض من ساعتى فصرت إليه ومعى قعنب، فأرسل إلى جعلت فداک إنک جلست مجلسا أرفع قدرک فإذا هو

جالس على شراب فأرسلت إليه لا بد من لقائک فخرج إلى فى قميص رقيق وأزار مورد فأخبرته بما يغلنى فقال: لا جزيت خيرا لم أتقدم إليک أن لا تخبر أبا عبد الله فتغمه، ثم قال: لا بأس فليس فى قلب الامير من ذلک شئ قال: فما مضت بعد ذلک إلا أياما يسيرة حتى حمل موسى بن جعفر (ع) إلى بغداد سرا وحبس ثم أطلق ثم حبس ثم سلم إلى السندى بن شاهک فضيق عليه، ثم بعث إليه الرشيد بسم فى

رطب، وأمره أن يقدمه إليه ويحتم عليه فى تناوله منه ففعل فمات وقد أحضر جماعة وأشهدهم على وصيته كما رواه الصدوق (ره) فى العيون وهذه صورتها: (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، وأن الموت حق والبعث بعد الموت حق، وأن الحساب والقصاص حق، وأن الوقوف بين يدى الله عزوجل حق، وكل ما جاء به محمد بن عبد الله فهو حق، وأن الذى نزل به الروح الامين حق على ذلک أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله تعالى، أشهدهم أن هذه وصيتى بخطى وقد نسخت وصية جدى رسول الله، وأمير المؤمنين، ووصية الحسن والحسين عليهما السلام، ووصية على بن الحسين، ومحمد بن على وجعفر بن محمد (ع) قبل ذلک حرفا بحرف، ووصيت بها إلى على ابنى وبنى بعده فإن شاء وآنس منهم رشدا وأحب إقرارهم فذلک له، وإن كرههم وأحب أن يخرجهم، فذلک له ولا أمر لهم معه، ووصيت له بصدقاتى وأموالى وعيالى الذين خلفت وولدى وإلى ابراهيم والعباس، وإسماعيل وأحمد، وإلى على (ع) أمر نسائى دونهم وثلث صدقة أبى وأهل بيتى يضعه حيث يرى ويجعل منه ما يجعل ذو المال فى ماله، إن احب أن يجيز ما ذكرت فى عيالى فذلک له وإن كره فذلک له، وإن احب أن يبيع أو يوهب أو ينحل أو يتصدق على غير ما وصيته فذاک إليه وهو انا فى وصيتى فى مالى وفى أهلى وولدى، وإن أقر إخوته الذين سميتهم فى صدر كتابى هذا أقرهم وإن كره فله أن يخرجهم غير مردود عليه، وإن اراد رجلا منهم أن يزوج أخته فليس له أن يزوجها إلا باذنه وأمره وسلطانه فمن رده من شئ أو حال بينه وبين شئ فيما ذكرت من كتابى فقد برئ من الله ومن رسوله والله ورسوله بريئان منه وعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة المقربين والانبياء والمرسلين أجمعين وجماعة المؤمنين، وليس لاحد من السلاطين أن يكشفه عن شئ لى عنده من بضاعة ولا لاحد من ولدى ولى عنده مال وهو مصدق فيما ذكر من مبلغه إن أقل أو أكثر فهو صادق، وإنما أردت بادخال الذين أدخلت معه من ولدى

التنويه بأسمائهم وأولادهم أولادى الصغار وأمهات أولادى، ومن أقام منهن فى منزلى أو فى حجابها فلها ما كان يجرى عليها فى حياتى إن أراد ذلک ومن خرج منهن إلى زوج، فليس لها أن ترجع إلى حزانتى إلا أن يرى على ذلک وبناتى مثل ذلک، ولا يزوج بناتى أحد من إخوانهن ولا من أمهاتهن ولا من سلطان ولا عمل لهن إلا برأيه

ومشورته، فإن فعلوا ذلک فقد خالفوا الله تعالی ورسوله وحاربوه فی ملکه وهو عارف بمناکح قومه إن أراد أن یزوج زوج وإن أراد أن یترک ترک، وقد أوصیتهن بمثلها ذکرت فی کتابی وأشهدت الله علیهن ولیس لاحد أن یکشف وصیتی ولا ینشرها وهی علی ما ذکرت وسمیت، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعلیها وما ربک بظلام للعبید، ولیس لاحد من سلطان ولا غیره أن یفض کتابی الذی ختمت علیه فی أسفله فمن فعل ذلک فعلیه لعنة الله وغضبه والملائکة بعد ذلک وجماعة المسلمین والمؤمنین). وفی العیون عن علی بن محمد بن سلیمان النوفلی عن صالح بن عطیة قال: کان السبب فی رفع موسی بن جعفر (ع) إلی بغداد أن هارون الرشید أراد أن یعقد الامر لابنه محمد بن زبیدة، وکان له من البنین أربعة عشر ابنا، فاختار منهم ثلاثة محمد بن زبیدة وجعله ولی عهده، وعبد الله فجعل له الامر بعد محمد بن زبیدة، والقاسم المؤتمن وجعل له الامر من بعد المؤمون، فأراد أن یحکم الامر فی ذلک ویشهر شهرة یقف علیها الخاص والعام، فحج فی سنة تسع وسبعین ومائة وکتب إلی جمیع الآفاق یأمر الفقهاء والعلماء والقراء والامراء أن یحضروا مکة یوم الموسم وأخذ هو طریق المدینة. قال علی بن محمد النوفلی: حدثنی أبی أنه کان سبب سعایة یحیی بن خالد أن الرشید وضع ابنه ابن زبیدة فی حجر جعفر بن محمد بن الاشعث فساء ذلک یحیی وقال: إذا مات الرشید وکان الامر لمحمد انقضت دولتی ودولة ولدی وتحول الامر إلی جعفر وولده، وکان عرف مذهب جعفر فی التشیع فأظهر له أنه علی مذهبه فسر به جعفر وأفضی إلیه جمیع أموره، وذکر له ما هو علیه فی

موسی بن جعفر (ع)، فلما وقف علی مذهبه سعی به إلی الرشید وکان الرشید یرعی له موضعه وموضع أبیه من نصرة الخلافة، وکان یقدم ویؤخر وکان یحیی لا یألوا أن یخطب علیه إلی أن دخل یوما إلی الرشید فأظهر له إکراما وجری بینهما کلام مت به جعفر بحرمته وحرمة أبیه، فأمر له الرشید فی ذلک الیوم بعشرین ألف دینار فأمسک یحیی أن یقول فیه شیئا حتی أمسی، ثم قال للرشید: یا أمیر المؤمنین قد کنت أخبرتک عن جعفر وعن مذهبه فتکذب عنه وهاهنا أمر فیه الفیصل قال: وما هو ؟ قال: إنه لا یصل إلیه مال من جهة من الجهات إلا أخرجه خمسه فوجه به إلی موسی بن جعفر، ولست أشک إلا أنه قد فعل ذلک بالعشرین ألف دینار التی أمرت بها له فقال هارون: إن فی هذا لفیصلا، فأرسل إلی جعفر لیلا وکان قد عرف سعایة یحیی به فتباینا وأظهر کل واحد لصاحبه العداوة، فلما طرق رسول الرشید علی جعفر باللیل خشی أن یکون قد سمع فیه قول یحیی وانه إنما دعاه لیقتله، فأفاض علیه ماء ودعا بمسک وکافور فتحنط بهما ولبس بردة فوق ثیابه فأقبل إلی الرشید، فلما وقعت عینه علیه وشم رائحة الکافور ورأی البردة قال: یا جعفر ما هذا ؟ فقال: یا أمیر علمت أنه قد سعی به عندک، فلما جاءنی رسولک فی هذه الساعة لم آمن أن یکون قد قدح فی قلبک ما یقال علی، فأرسلت إلی لتقتلنی، فقال: کلا ولکن قد خبرت أنک تبعث إلی موسی بن جعفر فی کل ما یصیر إلیه بخمسة وأنک قد فعلت ذلک فی العشرین ألف دینار فأحببت أن أعلم ذلک فقال جعفر: الله اکبر یا أمیر المؤمنین تأمر بعض خدمک یذهب لیأتیک بها بخواتمها فقال الرشید لخادمه: خذ خاتم جعفر وانطلق به إلی منزله حتی تأتینی بالمال، وسمی له جعفر الجاریة التی عندها المال فأقبل الخادم للجاریة فدفعت إلیه البدرة بخواتمها، فأتی بها الرشید فقال جعفر: هذا أول ما تعرف کید من سعی بی إلیک فقال: صدقت یا جعفر

انصرف آمنا فإنى لا أقبل فيک قول أحد قال: وجعل يحيى يحتال فى اسقاط جعفر. قال النوفلى: حدثنى على بن الحسين بن على بن عمر بن على عن

ص: ۲۷۳

بعض مشائخه وذلک فى حجة الرشيد قبل هذه الحجة قال: لقينى على بن إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال لى: مالک حملت نفسک ولم تدبر أمر الوزير ؟ وقد أرسل إلى فعادلته وطلبت الحوائج منه وكان سبب ذلک ان يحيى ابن خالد قال ليحيى بن ابى مريم ألا تدلنى على رجل من آل أبى طالب له رغبة فى الدنيا فأوسع عليه فيها ؟ فقال: بلى أدلک على رجل بهذه الصفة وهو على ابن اسماعيل بن جعفر، فأرسل إليه يحيى فقال: أخبرنى عن عمک موسى وشيعته وعن المال الذى يحمل إليه قال له: عندى الخبر وسعى بعمه (ع)، وكان من سعايته أن قال: من كثرة المال الذى عنده أنه اشترى ضيعة تسمى البشرية بثلاثين ألف دينار فلما أحضر المال قال البائع: لا أريد هذا النقد أريد نقدا كذا وكذا، فأمر (ع) بها فقبضت من بيت ماله وأخرج منه ثلاثين ألف دينار غير ذلک النقد فوزنه فى ثمن الضيعة، قال: وكان موسى بن جعفر (ع) يأمر لعلى بن إسماعيل بالمال ويثق به حتى ربما يخرج الكتاب منه إلى بعض شيعته بخط على بن اسماعيل ثم استوحش منه، فلما أراد الرشيد الرحلة إلى العراق بلغ موسى أن ابن أخيه على بن إسماعيل يريد الخروج إلى السلطان للعراق فأرسل إليه مالک والسلطان للخروج معه، فقال: إن على دينا فقال (ع): دينک على، قال: فتدبر عيالى ؟ قال: أنا أكفيهم، فأبى الخروج فأرسل إليه مع أخيه محمد بن اسماعيل بن جعفر (ع) ثلاثمائة دينار وأربعة آلاف درهم، فقال: اجعل هذا فى جهادک ولا تيتم ولدى. وفى رواية إبراهيم بن البلادى قال: كان يعقوب بن داوود يخبرنى أنه كان قال بالامامة فدخلت عليه بالمدينة فى الليلة التى أخذ فيها موسى بن جعفر (ع) فى صبيحتها فقال لى: كنت عند الوزير الساعة يعنى يحيى بن خالد فحدثنى أنه سمع الرشيد يقول عند قبر رسول الله كالمخاطب له: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، إنى أعتذر إليک من أمر قد عزمت عليه، فإنى أريد أن آخذ موسى ابن جعفر (ع) فأحبسه لانى خشيت أن يلقى بين أمتک حربا يسفک فيه دمائها، وإنى أحببت أن آخذه غدا. فلما كان غدا أرسل إليه الفضل بن الربيع وكان

ص: ۲۷۴

يصلى فى مقام رسول الله (ص)، فأمر بالقبض عليه فحبسه، والاخبار الواردة فيما جرى عليه قبل الوفاة من هذا الرشيد العنيد من الحبس والوعد والوعيد والجفاء والتهديد ما تضيق به الكتب والاقلام، فلنقتصر على ما أوردناه حذرا من الاطالة والاكثار. وكان مولده (ع) بالابواء موضع بين مكة والمدينة يوم الاحد لسبع من شهر صفر سنة ثمان وعشرين ومائة، وكانت سنين إمامته (ع) بقية ملک المنصور عشر سنين ثم ملک المهدى خمسة عشر سنة، واستشهد مسموما بحبس الرشيد على يد السندى بن شاهک يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رجب، وأمه حميدة

المصفاة وكانت مدة إمامته (ع) خمسة وثلاثون سنة، وكان يكنى أبا إبراهيم وأبا الحسن وأبا على، ويعرف بالعبد الصالح والعالم وبالكاظم والنفس الزكية وزين المجتهدين والوفى والصابر والزاهد والممتلى والمبتلى وما أحسن ما قال المصنف رحمه الله حيث يقول: [جلت مصيبة أحمد فى آله * فرمتهم الاعدا بسهم نكال] [تبا لها من أمة قد جردت * سيف البغات بهم وقوس نبال] [كم جرعتهم من قداح سمومها * حتى غدوا صرعى بكل مجال] [ما مات منهم سيد بفراشه * بل مات مقتولا بشر قتال] [أما بسيف أو بسهم ناقع * والهفتاه لهم وعظم وبال] [لا زال من بعد النبى عدوهم * يسعى لهم بالقهر والاذلال] [فلقد أصيبوا من بنى العباس ما * زادوا على سفهاء كل ضلال] [سفها أمية سيما ما قد جرى * بالطهر موسى مجمع الافضال] [من عجلها ذاك العنيد رشيدها * قد زاد فعل يزيدها بفعال] [خرت لمصدرها سماوات العلا * والارض فى رجف وفى زلزال] [والعرش منحرف كذا كرسيها * والعالم العلوى فى أغوال] [لا غرو إن كسفت له الشمس الضحى * والنجم خر وكل ما هو عالى]

ص: ٢٧٥

[فلالبس عليه ثوب كآبة * ما دمت حيا لا تقضى الآجال] [لهفى لدين محمد من بعده * أضحى ولا حام إليه ووالى] [لعنت بنو العباس أشأم لعنة * من ربها وغدت بشر وبال] [وغدت صلاة الله مع تسليمه * تهدى لاحمد دائما والآل] وهذا آخر ما وجدناه من الاخبار فى ذكر وفاته وسببها وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

ص: ٢٧٧

وفاة الامام على الرضا " عليه السلام " تأليف العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ صالح بن طمعان القديحى القطيفى

ص: ٢٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى اختص محمدا (صلى الله عليه وآله) فى القدم، وهدم بوجودهم سور العدم، وفضلهم على جميع الامم، وكل مرسل ونبى وخصهم بعد أن جعلهم أولياء النعم، بالابتلاء تقدم بفضائع المصاب وفجائع الازم، التى لم يصبر عليها من لدن آدم، والصلاة والسلام عليهم ما أضاء النهار وما الليل ادلهم. أما بعد: فيقول المفتقر لعفو ربه المنان، أحمد بن صالح بن طعان، لما جرت عادة أهل الايمان، بإظهار شعائر الاحزان، فى أيام وفاة الائمة والاعيان، واتفق وقت وفاة الامام الهمام، والاسد الضرغام، المظلوم المسموم، الحاوى لجميع العلوم، على بن موسى الرضا (ع) غريب خراسان فى مكان كنت غريبا فيه عن الاوطان، بعد انقضاء حج الاسلام، وزيارة جده (ص)

سيد ولد عدنان، وكنت صفر الكف من الكتب المؤلفة فى هذا العنوان، انتهزت فرصة من الزمان، واختلست برهة قليلة من أوقات الدهر الخوان المعاند لاهل الايمان، جمعت فيها ما يتعلق بنبذ من فضائله، ومناقبه، ورزاياه ومصائبه، وسميتها (قبسة العجلان، فى وفاة غريب خراسان). فأقول وبالله المستعان، وعليه التكلان، قد دل صحيح البرهان، وصريح السنة والقرآن، على أن محمد وآله الاعيان، علة الامكان والاكوان،

ص: ٢٨٠

وأنهم أول بارز من حمى خزانة الرحمن، وأن الوجود بهم فتح بابه، وبهم يختم كتابه، فكانوا صلوات الله عليهم فى هذه الدار الفانية فى علو الشان، بعد بروزهم من عالم الغيب إلى عالم العيان، نجوما زاهرة، وأنوار ظاهرة، كلما خفى نجم بدا نجم، وكلما انطمس علم بدا علم، وأعدائهم الذين هم قائمون على سوق الجد والاجتهاد فى إطفاء تلك الاشعة الظاهرة كالنار على العلم (يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (١) فكم كابدت تلك الفرقة المحمدية، والسلالة العلوية، والسترة الفاطمية، من أجلاف التيمية والعدوية وأسلاف الاموية الغوية، والعجب كل العجب مما ارتكبته فيهم العباسية الغبيبة، حيث لم يألوا فيهم آلا ولا ذمة ولا قرابة نسبية، ولا حمية إسلامية ولا جاهلية، ولم يكفهم غصبهم حق الامامة التى هى الرئاسة الكلية، بل تركوهم فى هذه الدنيا الدنية، بين مسموم ومذبوح ومفقود بين البرية ومسجون ومطرود فى البرية، حتى انتهت النوبة إلى الامام الثامن، الذى هو لمن زاره على بعد مداه بالجنان ضامن، فإنه لما قام بأعباء الخلافة الحقية، وعمر أقطار الارض بولايته العدلية، وسيرته المعصومية، وشريعته المحمدية، وشجاعته العلوية، وسخاوته الحسنية، وصلابته الحسينية، وعبادته السجادية، وعلومه الباقرية، وسياسته الصادقية، وحلومه الكاظمية، وأخلاقه الرضوية، هم به طاغية زمانه الهموم وعزم على تقطيع كبده الشريفة بذعاف السموم، حتى قضى بالسم نحبه ولقى بالكرب ربه الحى القيوم. شعر للمؤلف رحمه الله تعالى: [يا حبذا عترة بدأ الوجود بهم * وهكذا بهم ينها ويختتم] [من مثلهم ورسول الله فاتحهم * وسبطه العقد والمهدى ختمهم] [فمن تولى سواهم إنهم ندموا * إذ فى الممات على ما قدموا قدموا] * (هامش ص ٢٨٠) (١) سورة التوبة، الآية: ٣٢. *

ص: ٢٨١

[فما لتيمهم تمت شقاوتها * أهل لها قدم فى المجد أو قدموا] [وهل عدى عدتها كل منجية * تعد من خلفاء الله ويحكم] [أمسقط البضعة الزهرا وغاصبها * يدعى خليف أبيها بئسما حكموا] [وهل أمية لا امت بمغفرة * ولا نحت سوحها من رحمة ديم] [تنوش هذب ذيول للهدى سدلت * من الاله لها الاملاك تحترم] [فيا لها إمرة رام الطغاة بها * ما ليس تبلغها حقا سهامهم] [حتى امتطا واسع الاعفاج كاهلها * فأصبح الحق فيهم وهو مهتضم] [وسن سب إمام الحق معتديا * وشب حربا له شابت به اللمم] [ونصها وهو لص فى يزيد فلم * يزد بها

منه غير النقص بل عدم] [فجلل الكون من قتل الحسين بما * لم يقض من حقه ذى العالم الجمم] [فكم بطيبة فض المحصنات وكم * أريق للمصطفى فى كربلاء دم] [وكم قصيرة خدر للرسول غدت * قصيرة الحزن لم تقصر لها نهم] [أزفها ترقب الانضاء خدمتها * والشمس لا خدم عنها ولا خيم] [وألبس السيد السجاد ثوب أسى * تبلى الجبال ولا تبلى له لحم] [إلى أن اغتصبت بالسم مهجته * من الوليد عليه اللعن يرتكم] [وباقر العلم من سم ابنه كسفت * ذكى بكاه الذى تحيا به الامم] [وهكذا لم تزل آل النبى لهم * أغراض جور بها أعراضهم هدموا] [كم أوحشوا مسجدا منهم وكم أنست * بهم سجون بها الاسلام ينرغم] [ولا كمثل بنى العباس لا رقبوا * إلا ولا ذمة بل رحمهم جذموا] [ولا حمية إسلام ولا عرب * رعوا ولا من رسول الله قربهم] [لم يكفهم غصبهم حقا به شهدت * به ثقات لهم عن جورهم كرموا] [جنوا بمثل الذى تجنى أمية بل * على طنابيرهم زادت لهم نغم] [سم الرشيد لموسى فى السجون كما * سم الرضا غيلة مأمونه الاثم] قال: لما انتقل الامام موسى بن جعفر الكاظم (ع) إلى دار السلام،

وجوار الملک العلام، بعد أن قاسى مرارات السموم مرة بعد مرة، وتجرع كاسات الهموم مرة بعد مرة، ومض حرارات السجون كرة بعد كرة، جاءت إليه حبابة الوالبية (رض) تطلب منه دلالة الامامة، كما طلبت من آبائه أهل العصمة عليهم السلام والكرامة، فأشار إليها بأن تأتيه بتلک الحصاة التى طبع فيها أمير المؤمنين (ع)، وأمرها بأن تأتى بها أولاده المعصومين لتميز لها الفرق ممن يدعى الامامة بين المحقين والمبطلين، فطبع لها فيها بخاتمه الشريف حيث كانت تحت يده كالعجين، وعاشت بعد ذلک تسعة أشهر ثم انتقلت إلى رحمة رب العالمين. وفى خبر آخر: أنها لما صارت إلى الرضا (ع) ورأت شخصه الكريم ضحکت فقالوا: قد خرفت يا حبابة ونقص عقلک، فقال (ع): ما خرفت حبابة ولا نقص عقلها، ولكن جدى أمير المؤمنين (ع) أخبرها بأنها عند لقائى تكون منيتها وأنها تكون من المكرورات مع المهدى (ع) عجل الله فرجه من ولدى، فضحکت شوقا لذلک وسرورا به وفرحا بقربها منه، فقالوا: نستغفر الله يا سيدنا ما علمنا هذا فقال: يا حبابة ما قال لک جدى أمير المؤمنين (ع) إنک ترين ؟ قالت: قال لى إنک ترين برهانا عظيما فقال لها: يا حبابة أما ترين بياض شعرک ؟ قالت: بلى يا مولاى قال: فتحبين أن تريه أسودا حالكا فى عنفوان شبابک ؟ قالت نعم، قال (ع) يجزيک ذلک أو أزيدک ؟ قالت: زدنى من فضل الله عليک قال: أفتحبين أن تكونى مع سواد الشعر شابة ؟ قالت: نعم، فدعا بدعوات خفية حرک بها شفتيه فعادت شابة غضة سوداء الشعر، ثم قامت فتشت نفسها فرأتها بكرا ثم قالت: النقلة إلى الله تعالى فلا حاجة لى فى الدنيا، فقال (ع): ادخلى إلى امهات الاولاد فجهازک هناک مفرد، فلم تلبث إلا مقدار ما عاينت جهازها حتى تشهدت وتوفيت رحمها الله تعالى. فقال (ع) رحمک الله يا حبابة، ثم أمر (ع) بتجهيزها فجهزت وصلى عليها مع شيعته وحملت إلى حفرتها وأمر (ع) بزيارتها وتلاوة القرآن والتبرک بالدعاء عندها.

وفی غیبة الشیخ الطوسی: والتصریح بأن الرضا (ع) کفنها فی قمیصه والترجیح لما دل علی بقاءها بعد ذلک تسعة أشهر لقوته بالاشتهار فی المعتمد علیه من کتب الاخبار، هذا ولم یزل الرشید أیام حیاته یتربص به الدوائر العظام ویقصده بالسجن ویجرعه الآلام حتی ألقاه فی برکة السباع کما فعل بأبیه الکاظم (ع) إلا أن الرضا لعلمه بأن الذی یجسر بإهلاکه إنما هو المأمون بما یکیده به هارون. وفی مهج الدعوات: قال الفضل بن الربیع اصطبح الرشید یوما ثم استدعی حاجبه فقال له: امض إلی علی بن موسی العلوی وأخرجه من الحبس والقه فی برکة السباع، قال الربیع: فما زلت ألطف به وأرفق وهو لا یزداد إلا غضبا وقال: والله لئن لم تلقه إلی السباع لالقینک عوضه، قال: فمضیت إلی علی بن موسی الرضا فدخلت علیه وقلت: إن أمیر المؤمنین أمرنی بکذا وکذا فقال (ع): إفعل ما أمرت به فإنی مستعین بالله علیه، وهو یمشی معی إلی أن انتهیت إلی البرکة، ففتحت أبوابها وأدخلته فیها وفیها أربعون سبعا، وعندی من الغم والقلق أن یکون قتل مثله علی یدی ثم عدت إلی موضعی، فلما انتصف اللیل أتانی خادمه وقال: إن أمیر المؤمنین یدعوک فصرت إلیه فقال: لعلی أخطأت البارحة بخطیئة وأتیت منکرا، فإنی رأیت البارحة مناما هالنی، وذلک أنی رأیت جماعة من الرجال دخلوا علی وبأیدیهم سائر السلاح وفی وسطهم رجل کأنه القمر فدخل إلی قلبی منه هیبة فقال لی منهم قائل: هذا أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (ع) فتقدمت إلیه لاقبل یدیه فصرفنی عنه وقال: (أفهل عسیتم إن تولیتم أن تفسدوا فی الارض وتقطعوا أرحامکم) (۱) ثم حول وجهه عنی ودخل بابا، فانتبهت فزعا مذعورا لذلک. فقلت: یا أمیر المؤمنین أمرتنی أن ألقی علی بن موسی الرضا للسباع فقال لی: یا ویلک ألقیته ؟ فقلت:

---

(۱) سورة محمد، الآیة: ۲۲. (*)

إی والله فقال: امض وانظر ما حاله، فأخذت الشمع بین یدی وطالعته فإذا هو قائم یصلی والسباع حوله، فعدت إلیه فأخبرته فلم یصدقنی، فنهض واطلع علیه فشاهده فی تلک الحال فقال: السلام علیک یابن عم، فلم یجبه حتی فرغ ثم قال وعلیک السلام یابن عم قد کنت أرجو أن لا تسلم علی فی مثل هذا الموضع فقال: أقلنی فإنی معتذر إلیک فقال له: قد نجانا الله تعالی بلطفه فله الحمد، ثم أمر بإخراجه فأخرج فلا والله ما تبعه سبع أبدا فلما حضر بین یدی الرشید عانقه ثم حمله إلی مجلسه ورفعه إلی سریره فقال یابن عم إن أردت المقام عندنا ففی الرحب والسعة وقد أمرنا لک ولاهلک بمال وثیاب فقال له: لا حاجة لی من المال ولا فی الثیاب، ولکن فی قریش نفر یفرق ذلک علیهم، وذکر له قوما فأمر له بصلة وکسوة ثم أمره أن یرکب علی بغال البرید إلی الموضع الذی یحب، فأجابه إلی ذلک، وقال لی شیعه، فشیعته إلی بعض الطریق. وهکذا کان حاله (ع) فی ولایة الرشید المهیمن حتی تولی بعده ابنه محمد الامین فأخرج الرضا وأنعم علیه، قیل إنه قال بإمامته وأمر باتباعه أهل مملکته فقتله أخوه المأمون واستقل

بالامارة، وانقادت له أهل الاشارة، فعامل الامام الرضا (ع) بخشوع الملاق وخضوع النفاق حتى أنه أظهر التشيع وأفشى بين حاشيته وجنده علامات حبه ووده، وأبطن ضغائن حقده حتى أنه أظهر التشيع وأكثر لما جرى على أهل البيت (ع) التوجع والتفجع، وأفشى ذلک بين جميع جنده وأمر الناس باتباعه فى حله وعقده بعد مراسلات كثيرة ومعاهدات ومعاقدات شهيرة أعرضنا عن ذكرها وطويناها على غيرها حتى أنه زوجه بأم حبيب وهى ابنته - وقيل أخته رغبة فى محبة له وطمعا فى إذاعة فضله، إلا أن ذلک لم يكن عن إيمان حقيقى ولا إذعان تحقيقى واقرار تصديقى، بل عن نفاق كامن فى الفؤاد وناشئ من احتشاء أسلاف الاسلاف الاجلاف أولى العناد، وليظهر للناس أنه غير زاهد فى الدنيا وإنما هو عاجز عن طلب العلياء كما اعترف به غير مقام عند أوليائه الطغام.

ص: ٢٨٥

فإنه لما أراد أن يجعله ولى عهده قال له الرضا (ع): والله لقد حدثنى أبى عن آبائه (ع) عن أمير المؤمنين (ع) عن رسول الله (ص) قال: إنى أخرج من الدنيا مقتولا بالسم مظلوما تبكى على ملائكة السماء وملائكة الارض، وأدفن فى أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد، فبكى المأمون وقال: من ذا الذى يقتلک أو يقدر على الاساءة إليک وأنا حى ؟ فقال الرضا (ع): أما أنى لو أشاء أقول لقلت من ذا الذى يقتلنى، فقال المأمون: يابن رسول الله (ص) إنما تريد لهذا التخفيف عن نفسک ورفع هذا الامر عنک ليقول الناس أنک زاهد فى الدنيا فقال الرضا (ع): والله ما كذبت منذ خلقنى ربى عزوجل وما زهدت فى الدنيا للدنيا وإنى لاعلم ما تريد، فقال المأمون: وما أريد ؟ فقال عليه السلام: أعطنى الامان على الصدق فقال: لک الامان قال: تريد بذلک أن يقول الناس إن على بن موسى لم يزهد فى الدنيا بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعا فى الخلافة ؟ فغضب المأمون وقال له: إنک تلقانى أبدا بما أكرهه وقد آمنت سطوتى، فبالله اقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتک على ذلک فإن فعلت وإلا ضربت عنقک، فقال الرضا (ع): قد نهانى الله أن ألقى بنفسى إلى التهلكة فإن كان الامر على هذا فافعل ما بدا لک. وفى خبر السحائب: أنه إنما جعله ولى عهده ليكون دعاءه إليه وليعترف بالملک والخلافة له وانه ليس له فيه قليل ولا كثير (ولا ينبئک مثل خبير) (١) فلم يزل الرضا (ع) يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر ولا يؤمر وفى كل يوم يظهر له من المعاجز والكرامات ما لا يحصى ولا يحصر فمنها: أن المأمون لما جعله ولى عهده وخليفته من بعده، كان من حاشية المأمون أناس كرهوا خروج الخلافة من بنى العباس وخافوا عودها إلى بنى فاطمة (ع) المعصومين، فنفروا من الرضا نفورا وكرهوه بغيا منهم، فقد جاؤوا ظلما وزورا، لقد استكبروا فى

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٤. (*)

أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا، وكانت عادة الرضا إذا أراد الدخول على المأمون [أن] يبادر من بالدهليز من الحاشية والحجاب بالسلام عليه ورفع الستر بين يديه، فلما نفروا منه تواصوا بينهم وقالوا: إذا جاء الرضا ليدخل على الخليفة أعرضوا عنه ولا ترفعوا الستر له، فلما جاء الرضا على عادته لم يملكوا أنفسهم إلا أن سلموا عليه ورفعوا له الستر على عادتهم، فلما دخل (ع) أقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقالوا: النوبة الآتية إذا جاء لا نرفع له الستر، فلما جاء فى ذلک اليوم قاموا وسلموا عليه ووقفوا ولم يبتدروا إلى رفع الستر، فأرسل الله ريحا شديدا ودخلت فى الستر فرفعته أكثر مما كانوا يرفعونه فدخل، فسكنت الريح فعاد [الستر] إلى ما كان عليه، فلما خرج (ع) عادت الريح ودخلت فى الستر فرفعته حتى خرج (ع) ثم سكنت فعاد الستر، فلما ذهب (ع) أقبل بعضهم على بعض وقالوا: هل رأيتم ؟ قالوا: نعم فقالوا: يا قوم هذا رجل له عند الله منزلة عظيمة ولله به عناية، ألم تروا أنكم لما لم ترفعوا الستر أرسل الله له الريح وسخرها له كما سخرها لسليمان بن داوود (ع) فارجعوا إلى خدمته فهو خير لكم. فعادوا على ما كانوا عليه وزادت عقيدتهم فيه. شعر للمؤلف رحمه الله تعالى: [للامام (الرضا) مناقب شتى ❊ قد روتها الاصحاب والاعداء] [يعجز الحاسبون عن نشر بعض ❊ ومحال لكلها الاحصاء] [كم أتاح العدى له مهلكات ❊ فيجئ الرضا منها الرخاء] [سل بها بركة السباع ففيها ❊ معجز للولى فيه الشفاء] [رام منها الرشيد فيها افتراسا ❊ للرضا روحنا إليه الفداء] [فأتته لعزه خاضعات ❊ إذ بدا من بهائه الكبرياء] [وانثنى الرجس خائبا ذاک فضل ❊ الله يؤتيه من عباده من يشاء] [وبطبع الحصاة أجلى دليل ❊ إنه للهدى إمام سواء] [مظهر إنه خليفة من فى ❊ كفه سبح الآله الحصاء]

[وبرفع الستور رفع ستور ❊ عن مزايا لهن منه اعتناء] [كشفت أن فى ابن داوود سر ❊ منه إذ سخرت إليه الرخاء] [فعليه السلام باق متى ما ❊ أضحک الارض من سماء بكاء] فما عذر الفئة العباسية عند رب البرية، إذ لم يعتبروا بالعنايات الالهية، ولم يرعوا الرحم النسبية، ولا الحمية الجاهلية ولا الغيرة الاسلامية. وعن الامام العسكرى (ع): أن المأمون لما جعل الرضا ولى عهده احتبس المطر، فجعل بعض حاشية المأمون والمبغضون للرضا (ع) يقولون: انظروا لما جاء على بن موسى الرضا وصار ولى عهدنا احتبس المطر عنا، واتصل ذلک بالمأمون فاشتد عليه فقال المأمون للرضا: قد احتبس المطر فلو دعوت الله أن ينزل المطر على الناس فقال الرضا (ع): نعم، قال: فمتى تفعل ذلک ؟ قال يوم الاثنين، وكان ذلک اليوم يوم الجمعة، فلما كان يوم الاثنين خرج إلى الصحراء وخرج الناس ينظرون، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهم يا رب قد عظمت حقنا أهل البيت، فتوسلوا بنا كما أمرت، وأملوا فضلک ورحمتک، وتوقعوا إحسانک ونعمتک، فاسقهم سقيا نافعا غير رائث ولا ضائر، وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم، فوالله الذى بعث محمدا بالحق نبيا لقد نسجت الرياح فى الهواء الغيوم وأرعدت وأبرقت، وتحرک الناس كأنهم يريدون التنحى عن المطر فقال الرضا (ع): على رسلكم أيها الناس إنما هى

لاهل بلد كذاوكذا، ثم جاءت سحابة أخرى فتحركوا فقال (ع): على رسلكم إنما هى لاهل بلد كذاوكذا حتى جاءت عشر سحائب وعبرت وهو يقول: إنما هى لاهل بلد كذاوكذا، فأقبلت سحابة حادية عشر فقال (ع): أيها الناس هذه بعثها الله لكم فاشكروه على ما تفضل به عليكم وقوموا إلى منازلكم ومقاركم، ثم يأتيكم من الخير ما يليق بكرم الله تعالى.

ونزل عن المنبر وخرج الناس فما زالت السحابة ممسكة إلى أن قربوا من منازلهم ثم جاءت بوابل المطر فملات الاودية والحياض والغدران والفلوات فجعل الناس يقولون: هنيئا لابن رسول الله (ص) بكرامات الله تعالى فقال بعض الحساد ارضاء للمأمون: يا أمير المؤمنين أعيذک أن يكون تاريخ الخلفاء فى إخراجک هذا الشرف العميم والفضل العظيم من ولد العباس إلى بيت ولد على (ع)، ولقد أعنت على نفسک جئت بهذا الساحر ولد السحرة وقد كان خاملا فأظهرته، ومستخفيا فأظهرته ورفعته، ومنسيا فذكرت به، ومخفيا فنوهت به بل ما أخوفنى إلى أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتک والتوثب على مملكتک، هل جنى أحد على نفسه وملكه مثل جنايتک أنت ؟ فقال المأمون: وقد كان هذا الرجل مستترا عنا يدعو إلى نفسه، فأردنا إن نجعله ولى عهدنا ليكون دعاؤه لنا وليعترف بالملكة والخلافة لنا، وليعتقد فيه المفتونون به أنه ليس مما ادعى فى قليل ولا كثير وأن هذا الامر لنا من دونه وقد خشينا أن تركناه على تلک الحال أن يفتق علينا ما لا نسده ويأتى علينا منه مالا نطيقه، والآن إذ قد فعلنا به ما فعلنا وأخطأنا فى أمره ما أخطأنا وأشرفنا على الهلاک منه ما أشرفنا فليس يجوز التهاون فى أمره، ولكن نحتاج إلى أن نضع منه قليلا قليلا حتى نصيره عند الرعية بصورة من لا يستحق هذا الامر ثم ندبر فيه ما يحسم عنا مواد بلائه، فقال الرجل: ولنى مجادلته فإنى أفحمه وأصحابه وأضع من قدره، ولولا هيبتک فى صدرى لاريتک قصوره وأنزلته منزلته، فقال المأمون: لک ذلک. ثم أمر المأمون باجتماع الناس فاجتمعوا فقال ذلک الحاسد للامام (ع): إن الناس قد أكثروا عنک الحكايات لدعوتک فى المطر المعتاد، لقد عدوت طورک وتجاوزت محلک أن بعث الله تعالى بمطر مقدر لوقته يتقدم ولا يتأخر فجعلته آية تستطيل بها وصولة تصول بها كأنک جئت بآية الخليل إبراهيم (ع) لما أخذ برؤوس الطيور ودعا بأعضائها التى فرقها على رؤوس الجبال فأتينه سعيا وركبن على الرؤوس، وكلمته بأذن الله تعالى، فإن كنت صادقا فاحيى هاتين الصورتين اللتين على مسند المأمون وسلطهما على فإن ذلک يكون لک آية

ومعجزة فغضب عليه (ع) وصاح بالصورتين: دونكما الفاجر الكافر فافترساه ولا تبقيا له عينا ولا أثرا، فوثبت الصورتان وقد صارتا أسدين فتناولا الحاجب ورضضاه وهشماه وأكلا لحمه ولحسا دمه والقوم ينظرون متحيرين، فلما فرغا منه أقبلا على الرضا (ع) وقالا: يا ولى الله مرنا نفعل بالمأمون كما فعلنا بهذا الفاجر فقال (ع): عودا إلى مقركما

كما كنتما فإن لله تعالى فيه تدبير، فلما سمع المأمون ذلک وقع مغشيا عليه فقال الرضا (ع): صبوا عليه ماء الورد وطيبوه، ففعلوا فأفاق من غشوته وعاد الاسدان إلى مكانهما فقال المأمون: الحمد لله الذى كفانا شر حميد بن مهران ثم قال للرضا: يابن رسول الله (ص) هذا الامر لجدكم رسول الله ثم لكم. ولم يزل المأمون ضئيلا إلى أن قضى فى على بن موسى الرضا ما قضى فيا ويل أولئک الارجاس من بنى العباس كيف حملهم حب الدنيا الدنية على قطع رحمهم مع اعترافهم بأنهم سادات الناس وكيف لا يستخفون من الله ويستخفون من الناس. شعر للمؤلف رحمه الله: [أولى فأولى لهم ما ذنب حيدرة ❊ فيهم ليغشاه فى أولاده الالم] [أليس لم يأل فى العباس جدهم ❊ جدا ايجلب الذى فيه له الغم] [فدونكم سبة شنت اغارتهم ❊ افعالكم إنها أفعالكم تصم] وعن سليمان الجعفرى قال: كنت مع الرضا فى حائط له وأنا أحدثه إذ جاء عصفور فوقع بين يديه وهو يكثر الصياح ويضطرب، فقال (ع): أتدرى ما يقول ؟ فقلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم فقال (ع): يقول لى: إن حية تريد أن تأكل أفراخى فى البيت فقم وخذ تلک النسعة واقتلها، قال: فأخذت النسعة ودخلت البيت وإذا أنا بحية تجول فى البيت فقتلتها. وعن عمار بن زيد قال: خرجت مع سيدى على بن موسى الرضا (ع) إلى

بيت الله الحرام، وكان معى مولى لى فاعتل بعلة فى الطريق واشتهى عنبا فقلت له: ويحک ليس فى هذا المكان عنب، فبينما أنا معه فى الكلام وكنت بعيدا من الامام إذ جاءنى خادمه وقال لى: يقول لک سيدى على بن موسى الرضا ان مولاک اشتهى عنبا فانظر قدامک ترى العجب العجاب، قال: فنظرت فإذا أنا بحديقة عظيمة وفيها عنب ورمان فدخلت وأخذت من ذلک العنب والرمان وأتيت به إلى غلامى وأكلنا معه، فلما رجعنا إلى بغداد دخلت على الليث بن سعيد وإبراهيم بن سعيد الجوهرى، وقصصت عليهما القصة فتعجبا من ذلک وقاما ودخلا على على بن موسى الرضا وأخبراه بما أخبرهما به عمار بن زيد عنه فقال (ع): وليس ذلک عليكما ببعيد انظرا هاهنا، فنظرا وإذا بحديقة فيها من الفواكه ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فسرا بذلک سرورا عظيما وقالا: نشهد أنک ابن رسول الله (ص) ووصيه حقا وحجة فى أرضه وسمائه، وأنت باب الدين وعماده، وحجة الله على عباده بعد آبائک الطاهرين. وعن على بن محمد القاشانى قال: أخبرنى بعض أصحابنا أنه قال حملت إلى على بن موسى الرضا (ع) مالا خطيرا فلم أره سر به فاغتممت لذلک وقلت فى نفسى: قد حملت هذا المال وما سر به فقال: يا غلام على بالطشت والماء، ثم قعد (ع) على كرسى وقال للغلام: صب على الماء، فصبه فجعل يسيل من بين أصابعه فى الطشت ذهبا أحمرا ثم التفت إلى وقال: من كان يفعل هكذا لا يبالى بما حمل إليه فهذا قليل من كثير ونقطة من غدير. فبالله عليكم يا أولى الالباب الصافية والافكار الصاحية أمن العدل والانصاف أن يستحق هذا الامام الذى هو من سادات الاشراف وأهل الاعراف أن تقطع أمعائه بالسموم القاتلة ويقصد بالهموم الهائلة والغموم الغائلة، ويجرع بالآلام الشديدة والمضار المبيدة بعد ظهور فضائله الساطعة وأنوار مناقبه اللامعة ؟ وهل يجوز أن يسم فى الرمان والعنب من كان يظهرهما ويطعمهما الناس فى غير أوانهما المرتقب ؟ فلما تمت للامام (ع) ولاية العهد التى كانت

له أهلا ومحلا إذ كانت الامامة له حقا وأصلا قد ارتضع أخلاقها طفلا وتربية وناشئا وكهلا، فقصدته الشعراء وأذعنت لطاعته القواد والحجاب والامراء والعلماء والوزراء، وكانت الشعراء تقصد المأمون أيضا وتصوب رأيه فى جعله الامام الرضا للشيعة آية ورواية إلا أبو نؤاس فإنه لم يفعل كما فعل غيره من الناس فقال له المأمون: قد علمت مكان على بن موسى منى وما أكرمته به فلماذا ادخرت مدحه ورأيتک شاعر زمانک وقريع دهرک ؟ فأنشد يقول: [قيل لى أنت أعرف الناس طرا * بالمعانى وبالكلام البديه] [لک من جوهر الكلام بديع * يثمر الدر فى يدى مجتنيه] [فلماذا تركت مدح ابن موسى * والخصال التى تجمعن فيه] [قلت لا استطيع مدح إمام * كان جبريل خادما لابيه] ولعمرى لقد أصاب وأجاد بإقراره بالعجز عن الجرى فى شأوى هذا الجواد، فإن شأن هذا الامام وآبائه الكرام لا يعرفه إلا الملک العلام فقصارى البلغاء الاقرار بالقصور عن الخوض فى لج ذلک البحر الطمطام، وغاية الشجعان الاحترام لحرم ذلک الاسد الضرغام. وفى العيون وغيره أنه لما كان فى مرو دخل عليه دعبل الخزاعى رحمه الله تعالى وأنشد هذه القصيدة: [مدارس آيات خلت من تلاوة * ومنزل وحى مقفر العرصات] [لآل رسول الله بالخيف من منى * وبالركن والتعريف والجمرات] [ديار على والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذى الثفنات] [منازل وحى الله ينزل بينها * على أحمد المذكور فى السورات] [منارل قوم يهتدى بهداهم * فتؤمن منهم زلة العثرات] [منازل كانت للصلاة وللتقى * وللصوم والتطهير والحسنات] [ديار عفاها جور كل معاند * ولم تعف بالايام والسنوات] [قفا نسأل الدار التى خف أهلها * متى عهدها بالصوم والصلوات]

[وأين الاولى شطت بهم غربة النوى * أفانين فى الاطراف مفترقات] [أفاطم لو خلت الحسين مجدلا * وقد مات عطشانا بشط فرات] [إذا للطمت الخد فاطم عنده * وأجريت دمع العين على الوجنات] [أفاطم قومى يا ابنة الخير واندبى * نجوم سماوات بأرض فلاة] [قبور بكوفان وأخرى بطيبة * وأخرى بفخ نالها صلوات] [وقبر بأرض الجوزجان محلها * وقبر بباخمرا لدى الغربات] [وقبر ببغداد لنفس زكية * تضمنها الرحمن فى الغرفات] وفى بعض تأليفات أصحابنا قال دعبل (ره): فعلت زفرات الرضا (ع) وتأججت حسراته وتحدرت، وقال: وا قتيلاه وا غريباه وا حسيناه وا عظم مصيبتاه، ليت الموت أعدمنى الحياة بنفسى أفدى جدى أسير الكربات وساكب العبرات وقتيل الطغاة، يا لها من مصيبة ما أعظمها ورزية ما أكبرها، يا دعبل هيجت على أحزانا ساكنة وقد كانت فى فؤادى كامنة لقد حل بهم الرزء العظيم والخطب الجسيم والمصيبة العظمى التى تزلزلت لها الجبال الرواسى وبكت لها السماء دما. أقول إن أرض (الجوز جان) فى خراسان والمقتول فيها يحيى بن زيد بن على بن الحسين (ع) قتل فى أيام الوليد بن عبد الملک، قتله عامله سالم بن أحور المازنى (لع) واحتز رأسه وأنفذه إلى الوليد وصلب جسده ومثل به، وقيل:

إنهم لما كتبوا إلى الوليد بخبره كتب إليهم: أحرقوا عجل العراق وانسفوه فى اليم نسفا، فأنزلوا جسده (ع) وأحرقوه ثم ذروه فى الريح والهواء، و (باخمرا) موضع على ستة عشر فرسخ من الكوفة والمقتول فيها إبراهيم بن عبد الله بن الحسن (ع) فى أيام الدوانيقى وما يوجد فى النسخ المتداولة فى هذه الازمان من تبديلها بـ (سامراء) فهو غلط واضح وخلط فاضح، وأما (فخ) فهو بئر على فرسخ من مكة المقتول فيها أبو عبد الله الحسين بن على بن الحسن ابن عم الكاظم (ع)، وإنما خرجنا عن نمط هذا العنوان للاشتباه فى (باخمر) أو أرض

(الجوزجان) فمست الحاجة للبيان. وفى رواية الصدوق (ره) أنه لما وصل دعبل الخزاعى (ره) إلى قوله (وقبر ببغداد لنفس زكية) قال له الرضا (ع): أفلا ألحق لک ببيتين يكون بهما تمام قصيدتک ؟ فقال: بلى يا ابن رسول الله فقال (ع): [وقبر بطوس يا لها من مصيبة * ألحت على الاحشاء بالحرقات] [إلى الحشر حتى يبعث الله قائما * يفرج عنا الغم والكربات] فقال دعبل: يابن رسول الله هذا القبر الذى تذكره بطوس قبر من ؟ فقال الرضا: هو قبرى ولا تنقضى الايام والليالى حتى تصير طوس مختلف شيعتى وزوارى، ألا فمن زارنى فى غربتى بطوس كان معى فى درجتى يوم القيامة مغفورا ذنبه ثم أنشأ دعبل: [فأما الممضات التى لست بالغا * مبالغها منى بكنه صفات] [نفوس لدى النهرين من أرض كربلا * معرسهم فيها بشط فرات] [توفوا عطاشا بالفرات فليتنى * توفيت فيهم قبل حين وفاتى] [إلى الله اشكو لوعة عند ذكرهم * سقتنى بكأس الثكل والفظعات] [لهم كل حين نومة بمضاجع * ثوت فى نواحى الارض مختلفات] [بنفسى أنتم من كهول وفتية * لفک عناء أو لحمل ديات] [ألم تر إنى مذ ثلاثين حجة * أروح وأغدو دائم الحسرات] [أرى فيئهم فى غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات] [وكيف أداوى من جوى لى والجوى * أمية أهل الفسق والتبعات] [وبنات زياد فى القصور مصونة * وآل رسول الله فى الفلوات] [ديار رسول الله أصبحن بلقعا * وآل زياد تسكن الحجرات] [وآل رسول الله تدمى نحورهم * وآل زياد آمنوا السربات] [وآل رسول الله تسبى حريمهم * وآل زياد ربة الحجلات] [وآل رسول الله نحف جسومهم * وآل زياد غلظوا القصرات]

[رزايا أرتنا خضرة الافق حمرة * وردت أجاجا طعم كل فرات [سأبكيهم ما ذر فى الارض شارق * ونادى منادى الخير للصلوات] [وما طلعت شمس وحان غروبها * وبالليل أبكيهم وبالغدوات (١)] وفى رواية الصدوق (ره) أنه لما وصل دعبل (رض) إلى قوله: [خروج إمام لا محالة خارج * يقوم على اسم الله والبركات] [يميز فينا كل حق وباطل * ويجزى على النعماء والنقمات] بكى الرضا بكاء شديدا ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يا خزاعى نطق روح القدس على لسانک بهذين البيتين، فهل تدرى من هذا الامام ومتى يقوم ؟ فقال: لا يا مولاى إلا

أنى سمعت بخروج إمام منكم يطهر الارض من الفساد ويملاها قسطا وعدلا كما ملئت من قبل مخرجه ظلما وجورا، فقال (ع): يا دعبل الامام بعدى ابنى محمد (ع)، وبعد محمد ابنه على (ع)، وبعد على ابنه الحسن (ع)، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر فى غيبته، المطاع فى ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله تعالى ذلک اليوم حتى يخرج فيملاها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، وأما متى فاخبار عن الوقت ولقد حدثنى أبى (ع) عن آبائه (ع) عن على (ع) عن النبى (ص) قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتک ؟ فقال (ص): مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السماوات والارض لا تأتيكم إلا بغتة. فلما فرغ دعبل من إنشاد القصيدة أنفذ إليه الرضا (ع) بمائة دينار رضوية وقال اجعلها فى نفقتک فقال دعبل (رض): والله ما لهذا جئت ولا قلت هذه القصيدة طمعا فى شئ، فرد الصرة وسأله ثوبا من ثيابه ليتبرک به فأنفذ إليه جبة خز مع الصرة وقال للخادم: قل له خذ هذه الصرة فإنک ستحتاج إليها ولا

---

(١) القصيدة مؤلفة من ١١٥ بيت موجودة فى ديوان دعبل بن على الخزاعى ص ١٢۴. (*)

تراجعنى فيها، فحصل له ببركة هذه الدنانير والجبة السنية كرامات كثيرة ومنافع غير يسيرة ترد عنها عيون الاعداء وهى حسيرة. ولما جاء يوم العيد بعد قبول الامام ولاية العهد بالعيد الاكيد بعث المأمون للرضا يسأله أن يركب ويحضر العيد ويخطب فقال (ع): قد علمت ما كان بينى وبينک من الشروط فى دخولى فى هذا الامر فقال المأمون: إنما أريد بهذا الامر أن يرسخ فى قلوب العامة، فلما ألح عليه قال: إن اعفيتنى من ذلک فهو أحب إلى وإن لم تعفنى خرجت كما يخرج رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) فقال: اخرج كما تحب، وأمر المأمون القواد أن يبكروا إلى باب أبى الحسن (ع) فقعد الناس فى السطوح والطرقات من الرجال والنساء والصبيان، واجتمع القواد على باب الرضا (ع) فلما طلعت الشمس اغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن وألقى طرفا منها على صدره وطرفا بين كتفيه ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثلما فعلت ثم أخذ بيده عكازا وخرج وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة، ثم رفع رأسه إلى السماء وكبر أربع تكبيرات فخيل للناس أن الهواء والحيطان تجاوبه، ثم وقف على الباب وقفة وقال: الله أكبر الله أكبر الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الانعام والحمد لله على ما بلانا ورفع بذلک صوته وكذا أصحابه فتزعزعت مرو من البكاء والصياح فقالها ثلاث مرات فتساقط القواد ورموا بخفافهم، فلما نظروه بكوا وصارت مرو فى ضجة واحدة ولم يتمالک الناس من البكاء والصيحة وكان (ع) يمشى ويقف فى كل عشر خطوات وقفة ويكبر الله تعالى أربع تكبيرات، فتخيل للناس أن السماء والارض والحيطان تجاوبه فبلغ المأمون ذلک فقال للفضل بن سهل: إن بلغ الرضا المصلى وهو على هذا السبيل افتتن به الناس، فالرأى أن تسأله يرجع فبعث المأمون إليه يسأله الرجوع فدعا أبو الحسن (ع) بخفه فلبسه ورجع فلم ينتظم أمر الناس فويل للمأمون

الحسود، فى اليوم الموعود، من مخالفة العهود، وما ارتكبه من إمام زمانه المفضال، ومن نصب حبائل الاغتيال، وجد الحد فى الاحتيال فى خفض شأنه العال

ص: ٢٩٦

ولم يرقب وصية الرسول فى الآل التى لا يزال يظهرها بين الناس ويحوطها بالجدال فيا لله من تلك الافعال، التى تنهد منها الجبال، فتبت يداه كما تبت يدا أبى لهب، ما أغنى عنه ماله وما كسب، سيصلى نارا ذات لهب، إذ ارتكب من إمامه ما ارتكب. شعر للمؤلف (ره): [لله ما ناله المختار من كرب ❊ عظيمة لم تنل فى جملة الحقب] [وصية زيد عن حق وبضعته ❊ من بعد غضب قضت بالضغط والنصب] [وسبطه حسن قد سم فى لبن ❊ ولم ينل فى بيان الحق من أرب] [أما الحسين فقد قاسى بمقتله ❊ ما لم ينله نبى أو وصى نبى] [فسم سجادهم والحبر باقرهم ❊ والبحر صادقهم مع كاظم الكرب] [ولم تزل آله رهن النوائب فى ❊ سم وسجن وفى صلب ومغترب] [وإن نسيت فللا أنس الرضا فلقد ❊ قاسى من الحزن ما يقضى إلى العطب] [حتى تقيا بسم ناقع كبدا ❊ عزت على المصطفى مع آله النجب] [فلا استلذوا برمان ولا عنب ❊ لانه سم فى الرمان والعنب] [فيا بنى المجد جودوا بالبكاء على ❊ سما ابن موسى بدمع يخجل السحب] [ولا تهنوا بعيد إذا به خرجت ❊ نفس الرضا من أذى المؤمون ذى الكذب] [يصده عن صلاته العيد فيه على ❊ ما سنه الله بعد الحث والطلب] [لكى يخجله بين الانام ويأبى الله ❊ إلا ما ارتقاه عالى الرتب] وكلما شاعت فضائل الامام (ع) وذاعت فضائله بين الانام حسده المأمون الخؤون، وأضمر له الحقد والضغون حتى ضاق صدره بما لا تحمله البطون إلى أن بلغ به الحال إلى طرد الناس عن مجلسه والاستخفاف بشأنه العال، فلما صدر ذلک الاستخفاف فى مجلسه من ذلک المنافق الجاف بالامام (ع) قدوة الاشراف خرج أبو الحسن (ع) من مجلسه مغضبا وهو يدمدم ويحرک شفتيه ويقول: بحق المصطفى وعلى المرتضى وسيدة النساء (ع) لاستنزلن من حول

ص: ٢٩٧

الله تعالى وقوته بدعائى عليه ما يكون سببا لطرد كلاب هذه الكورة إياه واستخفافهم به وبخاصته وعامته. ثم انه (ع) انصرف إلى مركزه واستحضر الميضأة وصلى ركعتين ودعا فى قنوته الثانية بدعاء طويل قال فى آخره: ياقوى يا منيع يا على يا رفيع صل على من شرفت الصلاة بالصلاة عليه، وانتقم لى ممن ظلمنى واستخف بى وطرد الشيعة عن بابى، وأذقه مرارة الذل والهوان كما أذاقنيها واجعله طريد الارجاس وشريد الانجاس. فما استتم دعاءه حتى وقعت الرجفة فى البلدة وارتفعت الزعقة والصيحة والضجة وثارت الغبرة فقال (ع): يا أبا الصلت اصعد السطح فإنک سترى امرأة غيبة رثة الاطمار مهيجة الاشرار ويسميها أهل هذه الكورة سمانة لعبادتها وتنسكها، وفى نسخة لغباوتها وتهتكها قد شدت مكان الرمح إلى نحرها قصبا، وقد شدت لها وقاية حمراء إلى طرفه مكان اللوى وهى تقود الجيش

وتسوق عساكر الطغام إلى قصر المأمون ومنازل القواد، قال أبو الصلت: فلم أر إلا رؤوسا تقرع بالعصا وهامات ترضخ بالاحجار، ولقد رأيت المأمون متدرعا قد برز من قصر شاهجان متوجها للهرب، فما شعرت إلا بشاجره الحجام قد رمى من أعالى السطوح لبنة ثقيلة فضرب بها رأس المأمون فأسقطت بيضته بعد أن شقت جلدة هامته، فقال بعضهم: ويلک هذا أمير المؤمنين فقالت سمانة: لا أم لک أسكت فليس هذا يوم التمييز والمحاباة، ولا يوم إنزال الناس على طبقاتهم، فلو كان هذا أمير المؤمنين لما سلط ذكور الفجار على فروج الابكار، وطرد المأمون وجنوده أسوأ طرد وإذلال واستخفاف شديد ولم يرجع إلى مكة واستقراره إلا بعد محنة شديدة وتعب وتنكيد: ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وخاب كل جبار عنيد. ومن مكره السيئ الذى أحاط به ثم تمزق غيظا بسببه حيث لم يتمكن من الفتک به ما رواه صبيح الديلمى قال: إن المأمون دعانى أنا وثلاثين غلاما من ثقاته على سره وعلانيته فى الثلث الاول من الليل، فدخلت عليه وقد صار ليله

نهارا من كثرة الشموع، وبين يديه سيوف مسلولة مشحوذة مسمومة فدعا بنا غلاما غلاما وأخذ علينا العهد والميثاق بلسانه وليس بحضرتنا أحد من خلق الله غيرنا فقال: هذا العهد لازم لكم إنكم تفعلون ما آمركم به ولا تخالفوا منه شيئا، قال: فحلفنا له كلنا فقال: ليأخذ كل واحد منكم سيفا بيده وامضوا حتى تدخلوا على على بن موسى الرضا فى حجرته، فإن وجدتموه قائما أو قاعدا أو نائما فلا تكلموه وضعوا أسيافكم عليه وأخلطوا لحمه ودمه وشعره وعظمه ومخه، ثم اقلبوا عليه بساطه وامسحوا أسيافكم به وصيروا إلى، وقد جعلت لكل واحد منكم على هذا الفعل وكتمانه عشر بدر دراهم وعشر ضياع منتخبة والحظوظ عندى ما حييت وبقيت قال: فأخذنا الاسياف بأيدينا ودخلنا عليه فى حجرته فوجدناه مضطجعا يقلب طرفه ويديه ويتكلم بكلام لا نعرفه، فبادر إليه الغلمان بالسيوف ووضعت سيفى وأنا قائم أنظر إليه فليس على بدنه ما لا تعمل فيه السيوف فطووا بساطه وخرجوا حتى دخلوا على المأمون فقال: ما صنعتم ؟ قالوا فعلنا ما أمرتنا به فقال: لا تبدو منه شيئا مما كان. فلما تبلج الفجر خرج المأمون فجلس فى مجلسه مكشوف الرأس محلل الازرار، وأظهر وفاته وقعد للتعزية، ثم قام حاسرا حافيا فمشى لينظر إليه وأنا بين يديه، فلما دخل حجرته سمع همهمة فارتعد ثم قال: من عنده ؟ قلت: لا علم لنا. فقال: أسرعوا وانظروا قال صبيح: فأسرعنا إلى البيت فإذا بسيدى (ع) جالس فى محرابه يصلى ويسبح، فانتفض المأمون وارتعد ثم قال: غررتمونى لعنكم الله، ثم التفت إلى من بين الجماعة فقال: يا صبيح أنت تعرفه فانظر من بالمصلى عنده قال: فدخلت عليه وتولى المأمون راجعا وصرت عند عتبته فقال لى: يا صبيح قلت لبيک يا مولاى وقد سقطت لوجهى فقال لى: قم يرحمک الله (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (١) قال: فرجعت إلى المأمون فوجدت وجهه كقطع الليل

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢. (*)

ص: ٢٩٩

المظلم فقال: يا صبيح ما وراءک ؟ قلت له: هو والله جالس فى حجرته وقد نادانى وقال لى كيت وكيت، قال: فشد أزاره وأمر برد أثوابه وقال: قولوا انه كان قد غشى عليه وأنه قد أفاق. فياويل المأمون الخؤون الملعون الغدور من العقاب الوبيل الجزيل يوم النشور، حيث لم تعمل بما لم يعلم من فضائل إمامه (ع) النبيل الجليل التى هى كالشمس فى الظهور، ولكنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور. شعر للمؤلف (ره): [قل فى ابن موسى الرضا ما شئت من مدح * فمنتهى المدح فى علياه تقصره] [فكلما ستر الاعدا مناقبه * فاجاهم من نكال الله تخسير] [كم حاول الغادر المأمون غائلة * فآب وهو قريح القلب مثبور] [قد ذاد شيعته عنه وأحصره * بمجلس هو مشهود ومشهور] [فجد فى زبره ثم استخف به * فقام وهو سخين الدمع مقهور] [يدعو الاله بأسماء معظمة * وصوته فيه للجلمود تفجير] [ففاجأته من الله العقوبة إذ * دعا عليه الرضا والحق منصور] [فنال ما نال من ذل ومسخرة * وما نعاه من الجبار تحذير] [فدس قوما له فى الليل يقدمهم * صبيح الديلمى والكل مأمور] [أن قطعوه ولا تبقوا له رمقا * واطووا البساط به والامر مستور] [فقطعوه ولفوا بالبساط كما * شاء اللعين فأخطته المقادير] [يريد إطفاء نور الله جل ويأبى * الله أن يتوارى ذلک النور] [فجرحى يا دما اعضا الجلال فذى * أعضا الرضا جرحتهن المباتير] قال: وكان المأمون الخؤون الملعون يتقرب للامام الرضا (ع) الامين بجميع المخالفين ومجادلتهم فى إثبات إمامة أمير المؤمنين على (ع) وتفضيله على الصحابة أجمعين، وكان الامام الرضا (ع) يقول لاصحابه: لا تغتروا منه

ص: ٣٠٠

بهذا الكلام فما يقتلنى والله غيره من الانام، ولكن لا بد لى من الصبر حتى يبلغ الكتاب أجله وأصل إلى دار السلام. وقال للحسن بن الجهم: يابن الجهم لا يغرنک ما لقيته من إكرامى والاستماع منى، فإنه سيقتلنى بالسم وهو ظالم لى إنى أعرف ذلک بعهد معهود من آبائى (ع) عن رسول الله (ص). قال: والله ما منا إلا مقتول شهيد، فقيل: ومن يقتلک يابن رسول الله ؟ فقال (ع): أشر خلق الله فى زمانى يقتلنى بالسم ثم يدفننى فى دار مضيعة وبلاد غربة، ولما لم يتم للمأمون ذى الاشر والبطر، ما تخيله ودبر، من انتقاص الامام الاطهر، بولاية العهد التى جعلها سلما لارتقاء هذا الكيد بل لم يظهر منه فى ذلک للناس إلا ما لم يزدد به فضلا عندهم ومحلا فى نفوسهم لما رأوه عليه من الانغماس فى بحار العبادة والانزواء فى زوايا الزهادة، ولم تغره زخارف مطمورة الرياسة الدنيوية عن عمارة الدار الاخروية، جلب عليه المتكلمين من البلدان طمعا فى أن يقطعه أحد منهم فيسقط محله عند الفقهاء وأهل الاديان، ويشتهر نقصه فى كل مقام فكان (ع) لا يكلمه خصم من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والدهرية والبراهمة والملحدين ولا

خصم من فرق المسلمين المخالفين إلا قطع حجته وأبطل كلمته وألزمه بواضح البيان والبراهين، وكان الناس كلهم يقولون: والله إنه أولى الناس بالخلافة من المأمون، وكانت أصحاب الاخبار يرفعون ذلک إليه فيغتاظ من ذلک ويشتد حسده وحقده عليه، وكان الرضا (ع) لا يحابى المأمون بل يقتفى أثر جده النبى (ص) المفضال، فى كل وقت وحال، وكان يجيبه فى أكثر الاحوال، بما يكره فيغيظه ذلک ويحقد عليه ولا يظهره لديه فى المقال، ولم يزل المأمون مستصحبا لهذا الحال ناسجا على هذا المنوال، حتى دنى الاجل المحتوم، فاظهر له ذلک الغل المكتوم، واجتهد فى إزهاق روحه الشريفة وتبضيع كبده المنيفة بذعاف السموم. شعر نصفه الاخير للمؤلف (ره):

[ستعلم فى الحساب إذا التقينا ❊ غدا عند الاله من الظلوم] [إلى ديان يوم الدين تمضى ❊ وعند الله تجتمع الخصوم] [فويل الغادر المأمون مما ❊ جناه على الرضا ويل عظيم] [أيقطع كبد مولاه بسم ❊ سرت منه على الدين السموم] قال هرثمة: لما مضى من الليل نصفه قرع الباب على قارع فأجابه بعض غلمانى فقال له: قل لهرثمة أجب سيدک، قال: فقمت مسرعا وأخذت على أثوابى وأسرعت إلى سيدى الرضا (ع)، فدخل الغلام بين يدى ودخلت وراءه فإذا أنا بسيدى جالس فى صحن داره، فقال لى: يا هرثمة فقلت: لبيک يا سيدى ومولاى فقال لى: اجلس، فجلست فقال لى: اسمع وعى يا هرثمة، هذا أوان أجلى ولحوقى بجدى (ص) وآبائى (ع)، وقد بلغ الكتاب أجله وقد عزم هذا الطاغى على سمى فى عنب ورمان مفروک، فأما العنب فإنه يغمس السلک فى السم ويجذبه بالخيط فى العنب، وأما الرمان فإنه يطرح السم فى كف بعض غلمانه ويفرک الرمان بيده ليلطخ حبه بذلک السم، وإنه سيدعونى اليوم المقبل ويقرب إلى الرمان والعنب ويسألنى أكله فآكله ثم ينفذ الحكم ويحضر القضاء، فإذا أنا مت فسيقول: أنا أغسله بيدى فإذا قال ذلک فقل له عنى بينک وبينه أنه قال لى: لا تعرض لغسلى ولا لكفنى ولا لدفنى، فإنک إن فعلت ذلک عاجلک من العذاب ما أخر عنک وحل بک اليوم ما تحذر فإنه سينتهى، قال: فقلت: نعم يا سيدى قال (ع): فإذا خلا بينک وبين غسلى فيجلس فى علو من أبنيته مشرفا على موضع غسلى لينظر، فلا تعرض يا هرثمة لشئ من غسلى حتى ترى فسطاطا أبيض قد ضرب فى جانب الدار، فإذا رأيت ذلک فاحملنى فى أثوابى التى أنا فيها فضعنى من وراء الفسطاط وقف من ورائه ويكون من معک دونک، ولا تكشف عن الفسطاط لئلا ترانى فتهلک فإنه سيشرف عليک ويقول لک: يا هرثمة أليس زعمتم أن الامام لا يغسله إلا إمام مثله فمن يغسل أبا الحسن وابنه محمد بالمدينة من بلاد الحجاز ونحن بطوس ؟ فإذا قال ذلک فأجبه وقل له: إنا نقول أن الامام لا يغسله إلا إمام فإن تعدى متعد

فغسل الامام لم تبطل إمامة الامام لتعدى الغاسل، ولا بطلت إمامة الامام الذى بعده بأن غلب على غسل أبيه، ولو ترک أبو الحسن على بن موسى (ع) لغسله ابنه ظاهرا مكشوفا ولا يغسله الآن أيضا إلا هو من حيث يخفى، فإذا ارتفع الفسطاط فسوف ترانى مدرجا فى أكفانى فضعنى على نعشى واحملنى، فإذا أراد أن يحفر قبرى فإنه سيجعل قبر أبيه هارون قبلة قبرى ولن يكن ذلک فإذا ضربت المعاول تثبت عن الارض ولم ينحفر لهم ولا مثل قلامة ظفر، فإذا اجتهدوا فى ذلک صعب عليهم فقل لهم عنى: إنى أمرتک أن تضرب معولا واحدا فى قبلة قبر أبيه هارون فإذا ضربت به فى الارض فينفذ إلى قبر محفور وضريح قائم، فإذا انفرج القبر فلا تنزل إليه حتى يفور من الضريح ماء أبيض فيملا القبر حتى يصير ذلک الماء مع وجه الارض ثم يضطرب فيه حوت بطوله، فإذا اضطرب فلا تنزل حتى إذا غاب الحوت وغار الماء فأنزلنى فى ذلک القبر وألحدنى فى ذلک الضريح ولا تتركهم يأتون بتراب يلقونه على فإن القبر ينطبق من نفسه ويمتلى، قال: فقلت: نعم يا سيدى ثم قال لى: احفظ ما عهدت إليک واعمل به ولا تخالف قلت: أعوذ بالله أن أخالف لک أمرا يا سيدى ثم خرجت باكيا حزينا فلم أزل كالحبة على المقلاة لا يعلم ما فى نفسى إلا الله تعالى. أقول وحق لهرثمة وجميع من سواه ممن يتوالى الامام (ع) ويهواه أن تسيل بالدموع عيناه، وأن تتقطع بجراحات الحزن أمعاه، وتحرق بنيران الوجد أحشاه، تأسيا بإمامه (ع) ومولاه، فإن من شروط الموالاة المواساة وفقنا الله لما يحبه ويرضاه. فلما كان ذلک اليوم المشؤوم على الاسلام، والوقت الذى شب فى قلوب المؤمنين الضرم، استدعى المأمون عليه وعلى آبائه وأبنائه أفضل الصلاة والسلام كما هى العادة بينه وبين ذلک الامام فى أكثر الايام. وفى خبر أبى الصلت الهروى استدعاه فقال (ع): إنى ماض إلى هذا

الفاجر فإن خرجت وأنا مكشوف الرأس فكلمنى، وإن خرجت وأنا مغطى الرأس فلا تكلمنى، فلما دخل على المأمون عانقه وحياه بخشوع النفاق وخضوع الملاق تلقاه، وفى مجلسه المختص به قربه وأدناه، فلما قضى من محادثة المطلب واستكمل من الكلام معه المأرب قدم إليه ما سمه فيه من ذلک الرمان والعنب وأمره بالاكل بالحتم الموجب. وفى خبر هرثمة لما سمعت الامر بالعنب والرمان لم أستطع الصبر، ورأيت النفضة قد عرضت فى بدنى فكرهت أن يتبين ذلک فى وجهى فتراجعت القهقرى حتى خرجت فرميت نفسى فى موضع من الدار، فلما قرب زوال الشمس أحسست بسيدى (ع) قد خرج من عنده ورجع إلى داره، ثم رأيت الامر قد خرج من عنده المأمون فأمر بإحضار الاطباء فقلت: ما هذا ؟ فقيل لى: علة عرضت لابى الحسن على بن موسى، وكان الناس فى شک وكنت على يقين. وفى خبر أبى الصلت أنه استعفاه فقال (لع): لا بد من ذلک وما يمنعک أو لعلک تتهمنا بشئ فتناول العنقود فأكل منه ثلاث حبات ورمى به، فقام (ع) فقال المأمون: إلى أين يا أبا الحسن ؟ فقال: إلى حيث وجهتنى، فقام وخرج (ع) وهو مغطى الرأس، فياليتنى كنت الفداء له من جميع الناس مما يكابده من ذلک الباس والسم الذى أخمد منه الانفاس، وأوجب لقضايا الشريعة المحمدية الانتكاس، ولاعلام الهداية الانطماس وللدروس العلية الاندراس فلما وصل إلى منزله ألقى بنفسه على فراش السقام ولم يزل يكابد مضاضة الآلام والشدائد العظام حتى تقيأ كبده الشريفة قطعة بعد قطعة، وألقى بمهجته اللطيفة بضعة بعد بضعة، فيا لها من مصيبة أرغمت معاطس أهل الايمان ورزية أذكت

ضرام الاحزان فى قلوب السادات من مضر وعدنان، وأصحبت لها رؤوس أهل الحق خاضعة إلى الاذقان، وأبكت الانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين بالدمع الهتان.

ص: ٣٠٤

وقال: ثم أن الامام (ع) جعلنى الله وقاه من الآلام لما تحقق من وقت أجله، وانقطع من الحياة سبب أمله، أشار إلى خليفته الامام الجواد (ع) المنصوص عليه من رب العباد الذى لم يقض لعمره الشريف بالامتداد أن يأتى إليه من المدينة لانه لا يلى أمر المعصوم إلا مثله، ولا يجهز الامام إلا شكله، وقد كان (ع) عند خروجه من المدينة بإشخاص المأمون إياه دفع إليه كتبه وسلاحه ومواريث الانبياء وآثار الاوصياء ووصيته (ع) ووصية آبائه الطاهرين (ع)، ودل على إمامته. وشيعته الميامين لعلمه (ع) أنه لا يرجع لجوار جده الامين (ص): فلما قضى معه مأربه واستوفى من وصاياه مطلبه توجه إلى مولاه بعد أن أطبق فاه، وغمض عينيه ومد يديه، فلما خرجت نفسه الشريفة تلقتها الحور والولدان، وزخرفت الجنان، وفتحت أبواب السماء، وأعلنت هى ومن فيها بفنون البكاء، وارتجت أرجاء الارض وضاقت رحبا بأهلها فى الطول والعرض، وفشت فيها الظلمة ولا غرو فقد طفئ عنها سراج الامة وسدت عنها بفقده أبواب الرحمة، فلم ير فى ذلک اليوم إلا باک وباكية وناع وناعية ونائح ونائحة وصارخ وصارخة، وصار على المؤمنين كاليوم الذى مات فيه رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع)، فسرت قلوب الحاسدين وأرغمت أنوف الموحدين، واشتد الكرب بالكروبيين وعلا الصراخ من الفقراء والارامل والمساكين، فواضيعة الايمان والمؤمنين والاسلام والمسلمين، ولقد أصبح كتاب الله بفقده مهجورا ورسول الله (ص) فيه موتورا. ولله درمن قال: [الله أكبر ما أدهاک قارعة ❊ أضحى لها معطس الاسلام مرغوما] [أعالم أى دهيا معظل طرقت ❊ فعاد منها ثبير المجد مهدوما] [وأصبحت زاخرات العلم ناضبة ❊ وآب آمل سقياهن محروما] [والحق أصبح مدكوس اللوى وغدا ❊ كف المكارم المعروف مجذوما] [قضى الرضا وبرغم الدين يوم قضى ❊ كما أراد الغوک والكفر مسموما] [ثوى الثرى يشتكى كبدا مضرمة ❊ وضامرا بحسام الوجد محسوما]

ص: ٣٠٥

[يعزز على عين خير الرسل تلحظه ❊ وقد قضى بنقيع السم مكظوما] [وليت مولى الورى موسى تلاحظه ❊ حلف البلايا بعيد الدار مهضوما] [فأين عيناه ترنوه غداة قضا ❊ مجرعا لذعاف السم مظلوما] [بعدا وسحقا لقلب لا يروح له ❊ ويغتدى أبد الايام مغموما] [فهاک يا عين سحى ما حييت دما ❊ لما أصاب الرضا كالغيث مسجوما] [وكيف لم يألف الشجو المتبر من ❊ غدا بحب الرضا فى الناس موسوما] [لاجعلن البكاء والنوح ما طرفت ❊ عينى لما نال مولى الخلق محتوما] [أمهجة المصطفى تمسى مضرمة ❊ وضامرى لا يراه الله مضروما] [وطرف فاطمة الزهراء يكلمه الـ❊ بكاء وطرفى لا ألفاه مكلوما] فيا لها قارعة نازلة، ورزية هائلة، تركت مدارس علوم الدين عاطلة،

ومجالس عز الموحدين خاملة، فخددوا خدودكم بأخاديد الدموع الهاطلة، وفجروا من عيونكم عيون العبرات الهاملة، وأسيلوا فى أودية ابدانكم شؤون الاشجان السائلة، وشاركوا الامام الجواد فى تجرعه كؤوس هذه المعضلة القاتلة، وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد فى مساعدة النبى والائمة الامجاد لتعرجوا فى معارج السعادة الكاملة. وفى خبر ياسر الخادم قال: فلما كان فى آخر يوم الذى قبض فيه كان ضعيفا فى ذلک اليوم، فقال لى بعد ما صلى الظهر: يا ياسر (أكل الناس) فقلت يا سيدى ومن يأكل هاهنا مع ما أنت فيه ؟ فانتصب (ع) ثم قال: هاتوا المائدة فلم يدع من حشمه أحدا إلا أقعده معه على المائدة يتفقدهم واحدا بعد واحد، فلما أكلوا قال: ابعثوا إلى النساء بالطعام فحمل الطعام إلى النساء فلما فرغوا من الاكل أغمى عليه وضعف، فوقعت الصيحة فجاءت جوارى المأمون ونساءه حافيات حاسرات فوقعت الوجبة بطوس، فجاء المأمون حافيا يضرب على رأسه ويقبض على لحيته ويتأسف ويبكى وتسيل الدموع على خديه، فوقف على الرضا وقد أفاق فقال: يا سيدى والله ما أدرى أى المصيبتين على

أعظم فقدى لک أو فراقى إياک أو تهمة الناس لى أنى اغتلتک وقتلتک، قال: فرفع (ع) طرفه ثم قال: أحسن معاشرة أبى جعفر فإن عمرک وعمره هكذا وجمع بين سبابتيه. قال: فلما كان فى تلک الليلة قضى نحبه (ع) بعدما قضى من الليل بعضه، فلما أصبح الصباح اجتمع الخلق وقالوا: هذا قتله واغتاله - يعنى المأمون - وقالوا: قتل ابن رسول الله (ص) فأكثروا القول والتهمة. وفى أعلام الورى: أنه لما توفى الرضا (ع) أنفذ المأمون إلى محمد بن جعفر الصادق (ع) وجماعة آل أبى طالب الذين كانوا عنده، فلما حضروه نعاه إليهم وأظهر حزنا شديدا وتوجعا، وأراهم إياه صحيح الجسد وقال: يعز على أن أراک بهذا الحال وقد كنت آمل أن أقدم قبلک ولكن أبى الله إلا ما أراد. فيا له من مريد مرد على النفاق من تجرع الغسلين والغساق إذ زاد بقتل إمامه على جميع الفساق، وعلى فرق الكفار فاق فأى حجة يحتج بها عند مولاه ويخشى الناس والله أحق أن يخشاه. وفى خبر هرثمة قال: فلما كان الثلث الثانى من الليل علا الصياح وسمعت الوجبة من الدار، فأسرعت فيمن أسرع فإذا بالمأمون مكشوف الرأس محلل الازرار قائما على قدميه ينتحب ويبكى قال: فوقفت فيمن وقف وأنا أتنفس الصعداء، ثم أصبحنا وجلس المأمون للتعزية ثم قام فمشى إلى الموضع الذى فيه سيدنا فقال: اصلحوا لنا موضعا فانا نريد أن نغسله، فدنوت منه وقلت له ما قاله سيدى فى سبب الغسل والتكفين والدفن، فقال لى: لست أعرض لذلک ثم قال: شأنک يا هرثمة، قال: فلم أزل قائما حتى رأيت الفسطاط قد ضربت، فوقفت من ظاهره وكل من فى الدار دونى وأنا أسمع التكبير والتهليل والتسبيح وتردد الاوانى وصب الماء وتضوع الطيب الذى لم أشم أطيب منه، فإذا أنا بالمأمون قد أشرف على من بعض علالى داره فصاح بى: يا هرثمة أليس زعمت أن الامام لا يغسله إلا إمام مثله فأين محمد ابنه وهو

بمدينة الرسول وهذا بطوس بأرض خراسان ؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنا نقول إن الامام لا يجب أن يغسله إلا إمام مثله فإن تعدى متعد فغسل الامام لم تبطل إمامة الامام لتعدى غاسله، ولا بطلت إمامة الامام الذى بعده بأن غلب على غسل أبيه، ولو ترک أبو الحسن (ع) على بن موسى لغسله ابنه محمد ظاهرا مكشوفا ولا يغسله الآن أيضا إلا هو من حيث يخفى، فسكت عنى. ثم ارتفع الفسطاط فإذا أنا بسيدى مدرجا بأكفانه، فوضعته على نعشه ثم حملناه فصلى عليه المأمون وجميع من حضر، ثم جئنا إلى موضع القبر فوجدتهم يضربون بالمعاول دون قبر هارون الرشيد ليجعلوه قبلة لقبره (ع)، والمعاول تنبو عنه حتى ما تحفر ذرة من تراب الارض ولا مثل قلامة ظفر، فقال لى: ويحک يا هرثمة أما ترى الارض كيف تمتنع من حفر قبر له، فقلت له: إنه قد أمرنى أن أضرب معولا واحدا فى قبلة قبر أبيک لا أضرب غيره قال فإذا ضربت يا هرثمة ماذا يكون ؟ قلت: إنه (ع) أخبرنى أنه لا يجوز أن يكون قبر أبيک قبلة لقبره (ع) فإن أنا ضربت هذا المعول الواحد نفذ إلى قبر محفور من غير يد تحفره وبان ضريح فى وسطه، قال المأمون: سبحان الله ما أعجب هذا الكلام ولا عجب من أمر أبى الحسن (ع) فاضرب يا هرثمة حتى نرى، قال: فأخذت المعول بيدى فضربت به فى قبلة هارون قال: فنفذ المعول إلى قبر محفور وبان فى وسطه ضريح مشقوق والناس ينظرون إليه فقال: انزل إليه يا هرثمة فقلت: إن سيدى أمرنى أن لا انزل إليه حتى ينفجر من أرض هذا القبر ماء أبيض فيمتلى منه القبر حتى يكون الماء على وجه الارض، ثم يضطرب فيه حوت بطول القبر فإذا غاب الحوت وغار الماء أنزلنى فظهر الماء والحوت يضطرب فيه والناس ينظرون إليه، ثم جعلت النعش إلى جانب قبره وغطى قبره بثوب أبيض لم أبسطه أنا ولا غيرى، ثم انزل (ع) إلى قبره بغير يدى ولا يد أحد ممن حضر، فأشار المأمون إلى الناس أن أهيلوا التراب بأيديكم فاطرحوه فيه، فقلت: لا تفعل يا أمير المؤمنين فقال لى: ويحک فمن يملاه فقلت: إنه قد أمرنى أن لا أطرح عليه التراب، وأخبرنى أن قبره يمتلئ من ذات نفسه ثم

ينطبق ويتربع على وجه الارض، فأشار المأمون إلى الناس أن كفوا قال: فرموا ما فى أيديهم من التراب ثم امتلا القبر وانطبق وتربع على وجه الارض، فانصرف المأمون وانصرفنا. وفى خبر أبى الصلت الهروى: فلما رأى ما ظهر من النداوة والحيتان وغير ذلک قال المأمون: لم يزل الرضا (ع) يرينا عجائبه فى حياته حتى أراناه بعد وفاته أيضا، فقال له وزير كان معه: أتدرى بما أراک إياه الرضا (ع) ؟ قال: لا قال: إنه أخبرک أن ملككم يا بنى العباس مع كثرتكم وطول مدتكم مثل هذه الحيتان حتى إذا فنيت آجالكم وانقطعت آثاركم وذهبت دولتكم سلط الله تبارک وتعالى عليكم رجلا منا فأفناكم عن آخركم، قال: صدقت ثم قال: يا أبا الصلت علمنى الكلام الذى تكلمت به، فقلت: والله لقد نسيت الكلام من ساعتى، وقد كنت صدقت فحبست سنة كاملة، فضاق على الحبس فسهرت ليلة ودعوت الله تعالى بدعاء ذكرت فيه محمدا وآل محمد (ص)، وسألت الله عزوجل بحقهم أن يفرج عنى، فما استتم الدعاء حتى دخل على محمد بن على (ع) فقال لى: يا أبا الصلت ضاق صدرک فقلت: أى والله قال: قم فاخرج، ثم ضرب بيده إلى القيود التى كانت على ففكها وأخذ بيدى وأخرجنى من الدار والحرسة والغلمة يرونى فلم يستطيعوا أن يكلمونى، فخرجت من باب الدار ثم قال: امض فى ودائع الله تعالى فإنک لن تصل إليه ولن يصل إليک أبدا فما التقيت

بالمأمون. وفى خبر هرثمة: بعد الانصراف من دفن الامام (ع) قال: فدعانى المأمون وخلانى ثم قال: أسألک بالله يا هرثمة لما صدقتنى عن أبى الحسن (ع) بما سمعته منه، قال: فقلت: قد أخبرت أمير المؤمنين بما قال لى فقال: بالله إلا ما صدقتنى عما أخبرک به غير الذى قلت لى قال: نعم تسألنى فقال لى: يا هرثمة هل أسر إليک شئ غير هذا ؟ قلت: نعم قال: ما هو ؟ قلت: خبر الرمان والعنب فأقبل المأمون يتلون ألوانا يصفر مرة ويحمر أخرى ويسود

أخرى، ثم تمدد مغشى عليه فسمعته فى غشوته يهجر ويقول: ويل للمأمون من رسول الله (ص)، ويل للمأمون من على (ع)، ويل للمأمون من فاطمة (ع)، ويل للمأمون من الحسن (ع) والحسين (ع)، ويل للمأمون من على بن الحسين (ع)، ويل للمأمون من محمد بن على (ع)، ويل للمأمون من جعفر بن محمد (ع)، ويل للمأمون من موسى بن جعفر (ع)، ويل للمأمون من على بن موسى الرضا هذا والله هو الخسران المبين، يقول هذا القول ويكرره فلما رأيته قد أطال ذلک وليت عنه وجلست فى بعض نواحى الدار فجلس ودعانى فدخلت إليه وهو جالس كالسكران، وقال: والله ما أنت أعز على منه ولا جميع من فى الارض والسماء، وقال والله لئن بلغنى أنک أعدت مما سمعت منى ورأيت شيئا ليكونن فيه هلاكک، فقلت: إن ظهرت على شئ من ذلک منى فأنت فى حل من دمى قال: لا والله أو تعطينى عهدا وميثاقا على كتمان هذا الامر وترک إعادته، فأخذ على العهد والميثاق وأكده على فلما وليت عنه صفق بيده وقال: (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا) (١)، فأحيطوا رحمكم الله أيها المؤمنون الاعاظم بأطراف المنائح والمغانم بإدامة أعمال المنائح وإقامة أعلام المآتم، واطفئوا نيران المآتم بتفجير أنهار الدموع السواجم، واشحذوا عزار العزائم بجواهر الاخبار المضامنة على ذلک بالثواب الدائم، وتقربوا لله تعالى باللعن لهذا الظالم ومن أسس قبله أساس المظالم، لاهل البيت (ع) سراج العوالم وما حل بهم بعد جدهم من الخطب المتفاقم، والرزء المتعاظم الذى أبكى كل مؤمن من حادث وقادم، خصوصا ما جرى على غريب كربلا من الكرب والبلاء والمصائب والخطوب الصيالم، وسحاب الرزايا المتراكم، الذى ينسى ما جرى على غريب خراسان وغيره من الارزاء العظائم، وفقنى الله وإياكم لارتقاء سلم هذه المكارم، ثم أقيمت على الامام

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٨. (*)

الرضا (ع) المنائح والمنادب العالية، ورثته الشعراء من كل جانب وناحية. فلما وصل نعيه إلى قم رثاه دعبل الخزاعى (ره) بقصيدته الرائية التى منها هذه الابيات العلية يقول: [لولا تشاغل عينى بالاولى سلفوا ❊ من أهل بيت رسول الله لم أقر] [كم أذرع لهم بالطف بائنة ❊ وعارض بصعيد الترب منعفر] [أنسى الحسين ومسراهم لمقتله ❊ وهم يقولون هذا سيد البشر] [يا أمة السوء ما جازيت أحمد عن ❊ حسن البلاء عن التنزيل والسور] [خلفتموه عن الابناء حين مضى ❊ خلافة الذئب فى أبقار ذى بقر] [لم يبق حى من الاحياء نعلمه ❊ من ذى يمان ولا بكر ولا مضر] [إلا وهم شركاء فى دمائهم ❊ كما تشارک ايسار على جزر] [قتلا وأسرا وتحريقا ومنهبة ❊ فعل الغزاة بأهل الروم والخزر] [أرى أمية معذورين إن قتلوا ❊ ولا أرى لبنى العباس من عذر] [قوم قتلتم على الاسلام أولهم ❊ حتى إذا استمكنوا جاؤوا على الاثر] [أبناء حرب ومروان وأسرتهم ❊ بنى معيط ولاة الحقد والوغر] [أربع بطوس على قبر الوصى بها ❊ إن كنت تربع من دين على قطر] [قبران فى طوس خير الخلق كلهم ❊ وقبر شرهم هذا من العبر] [ما ينفع الرجس من قرب الزكى ولا ❊ على الزكى بقرب الرجس من ضرر] [هيهات كل امرء رهن بما كسبت ❊ له يداه فخذ ما شئت أو فذر] قال: فسمع المأمون بذلک فأرسل إليه فأتاه وآمنه على نفسه، فلما مثل بين يدى المأمون قال له: أنشدنى قصيدتک فجحدها وأنكر معرفتها، فقال له: لک الامان عليها كما آمنتک على نفسک، فأنشده إياها فلما وصل إلى قوله (هيهات كل امرء رهن بما كسبت له يداه) البيت، ضرب المأمون بعمامته إلى الارض وقال: صدقت والله يا دعبل، ثم بكى ولم يزل ينوح حتى غشى عليه، وصار الناس فى اضطراب عظيم وهو يقول: صدقت والله يا دعبل (كل امرء

بما كسب رهين) (١) هذا قول الله تعالى فى كتابه المبين ثم أجاز دعبل (ره) وصرفه فاصرفوا يا اخوانى عنان جواد البال، نحو ميدان الاقبال، وأعمال عوامل الافكار أحسن الاعمال، فيما اجترى به أولئک الانذال، على أولئک الائمة الابدال، وشيعتهم التابعين لهم فى الاقوال والافعال من تجريع غصص النكال، وحبسهم فى طوامير الوبال والاستيصال بالسموم وضروب الاغتيال، مع علمهم بما خصهم به ذو الجلال، والنبى المفضال، من الفضائل الظاهرة لهم بالعشى والآصال، وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال. ❊ (هامش ص ٣١١) (١) سورة الطور، الآية: ٢١. ❊

ولادته (ع) وكان مولده (ع) يوم الخميس حادى عشر ذى القعدة الحرام سنة (١٤٨) ثمان وأربعين بعد المائة من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله أفضل الصلاة والسلام، وقبض (ع) من دار البوار إلى دار القرار والدوام وهو ابن تسع وأربعين سنة وأشهر كما فى الكافى لثقة الاسلام وهو الذى عليه عمل الشيعة الابرار فى شهر صفر سنة ثلاثة ومائتين فى اليوم السابع عشر كما اعتمده ثقة الاسلام، وهو الذى تعمل به الشيعة الاخيار فى هذه الاعصار فى يوم

الاثنين وقيل يوم الجمعة الحادى والعشرين من شهر رمضان من تلك السنة، وقيل يوم السابع والعشرين من شهر صفر والله العالم بالصواب، فينبغى لاهل الايمان المواظبين على الطاعات لبس شعائر الاحزان فى هذه الاوقات وعلى هذا يكون مدة إقامته (ع) مع أبيه تسع وعشرين سنة وشهرين، والعقب من بعده فى ولده الامام محمد الجواد (ع) وقيل لم يخلف سواه من الاولاد وأمه أم ولد وكنيتها أم البنين واسمها تكتم كما اعتمده الصدوق (ره) فى عيون الاخبار، وقيل سكن، وقيل أروى وقيل نجمة وعليه يدل غير واحد من الآثار وهو وأخوه القاسم (ع) وأخته فاطمة المعصومة فى قم من أم واحدة وألقابه: الرضا، والصادق والضامن، والصابر، والفاضل، وقرة أعين المؤمنين، وغيظ الملحدين، وأشهرها: الضامن والرضا وإنما لقب به لانه كان رضا الله فى سمائه ورضا الرسول فى أرضه ورضا الائمة

ص: ٣١٤

من بعده ورضى به المخالفون من أعدائه وضده، كما رضى به الموافقون من أوليائه وجنده ولم يكن ذلك لاحد من آبائه (ع) بالنسبة إلى غير أوليائه لانه (ع) رضيه المأمون لولاية عهده.

ص: ٣١٥

زهده (ع) ومن زهده (ع) أن جلوسه فى الصيف على حصير، وفى الشتاء على مسح ولبسه الغليظ من الثياب، فإذا برز للناس تزين لهم بأزين اللباس وكان كل كلامه (ع) وجوابه وتمثاله انتزاعات من القرآن واقتباس من آياته، وكان (ع) يختمه فى كل ثلاثة أيام مرة ويقول: لو أردت أن أختمه فى أقل من ثلاثة أيام لختمته لكننى ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها وفى أى شئ أنزلت وفى أى وقت، فلذلک صرت أختمه فى كل ثلاثة أيام مرة. عبادته (ع) ومن عبادته (ع) ما رواه عبد السلام بن صالح الهروى قال: جئت إلى باب الدار التى حبس فيها أبو الحسن الرضا (ع) بسرخس فاستأذنت عليه السجان فقال: لا سبيل لک عليه فقلت: ولم ؟ فقال: لانه ربما صلى يومه وليلته ألف ركعة وإنما ينفتل من صلاته ساعة فى صدر النهار وقبل الزوال وعند اصفرار الشمس، فهو فى هذه الاوقات يناجى ربه.

ص: ٣١٧

كرم اخلاقه (ع) ومن كرم أخلاقه (ع) ما حكاه عمه إبراهيم بن العباس قال: ما رأيت أبا الحسن الرضا (ع) جفا أحدا بكلامه قط، ولا رأيته قطع على أحد كلامه قط حتى يفرغ منه، ولا رد أحدا عن حاجة قط، ولا مد رجليه بين يدى جليس له قط، ولا رأيته يشتم أحدا من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيته يقهقه فى ضحكه قط بل كان ضحكه (ع) التبسم، وكان إذا نصب مائدته أجلس معه عليها مماليكه ومواليه حتى البواب والسايس، وكان قليل النوم بالليل

كثير السهر يحيى لياليه بالعبادة من أولها إلى الصبح، وكان (ع) كثير الصيام ولا يفوته صيام ثلاثة فى الشهر، ويقول (ع): ذلک صوم الدهر، وكان (ع) كثير المعروف والصدقة فى السر وأكثر ذلک فى الليالى المظلمة فمن رأى مثله فلا تصدقوه وناهيک بها من خصال شريفة، وخلال طريفة، وصفات منيفة، فيه (ع) وآباؤه الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام لابد أن يكونوا أحسن الناس خلقا وخلقا، وأظهرهم فرعا وعرقا. ولا ينافيه ما ورد فيه (ع) أنه أسمر اللون مع أن الاسمر هو الذى بياضه مشوب بالحمرة فيسمى عند العرب أسمر، وأن الامام (ع) لا يظهر للناس من كل شئ إلا ما تحتمله عقولهم ولا تنحسر عنه أبصارهم ولا تنفر منه بصائرهم، فلهذا قالت أم الفضل ابنة المأمون زوجة ابنه محمد الجواد (ع) لامها حين دخل (ع) عليها فغشى عليها إن هذا الرجل يرينى

كل يوم صورة من جماله أتحير عند رؤيتها، والآن لما دخل رأيت فى وجهه نورا أخذ بمجامع قلبى وبصرى. وروى أيضا: أن النبى (ص) كان يسمع أصحابه من صوته فى قراءته القرآن ما تحتمله عقولهم ولو أسمعهم صوته لماتوا عند سماعه. ولا شک أن نورهم واحد وطينتهم واحدة من ذلک النور العظيم، (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) (١)، ولهذا كان الائمة عليهم الصلاة والسلام يظهرون لخواص شيعتهم الكرام على حسب الحالات التى تحتملها عقولهم فى كل مقام، فهم مظاهر الحقيقة الاحدية والحجة على جميع البرية، فلابد من ظهورهم لكل واحد بما يناسب القابلية، وليس هذا بغريب ولا منهم بعجيب.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣۴. (*)

فى فضل زيارته (ع) وأما فضل زيارته (ع) فمن زاره عارفا بحقه غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجب له على الله الجنة وكان كمن زار الله فى عرشه وزار رسول الله (ص)، وبنى له منبرا حذاء منبر رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) حتى يفرغ الخلائق من الحساب، وأعطاه الله أجر من أنفق قبل الفتح وقاتل، ويخلصه الرضا (ع) من أهوال ثلاثة: إذا تطايرت الكتب يمينا وشمالا وعند الصراط وعند الحساب ويشفع فيه يوم القيامة، وزيارته (ع) تبلغ عند الله ألف حجة. وكان (ع) يقول: إنى سأقتل بالسم مظلوما وأقبر إلى جنب هارون وجعل الله عزوجل تربتى مختلف شيعتى، فمن زارنى فى غربتى وجبت له زيارتى يوم القيامة، والذى أكرم محمدا (ص) بالنبوة واصطفاه بالرسالة على جميع الخليقة لا يصلى أحد منكم عند قبرى ركعتين إلا استحق المغفرة من الله تعالى يوم يلقاه، والذى

أكرمنا بعد محمد (ص) بالامامة وخصنا بالوصية أن زوار قبرى لاكرم الوفود على الله تعالى يوم القيامة، وما من مؤمن يزورنى إلا حرم الله تعالى جسده على النار، فقال رجل من خراسان: يابن رسول الله رأيت رسول الله (ص) فى المنام وهو يقول كيف أنتم إذا دفن فى أرضكم بضعتى واستحفظتم وديعتى وغيب فى ثراكم نجمى ؟ فقال له الرضا (ع): أنا المدفون فى أرضكم وأنا البضعة من نبيكم (ص) وأنا الوديعة والنجم، فمن زارنى وهو يعرف ما أوجب الله تبارك وتعالى من حقى وطاعتى فأنا وآبائى شفعاؤه يوم

القيامة، ومن كنا شفعاؤه نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجن والانس. وقال أبوه الكاظم (ع) إذا كان يوم القيامة كان على يمين عرش الرحمن أربعة من الاولين وأربعة من الآخرين، فأما الاربعة الذين هم من الاولين فهم نوح وإبراهيم (ع) وموسى (ع) وعيسى (ع)، وأما الاربعة الذين هم من الآخرين فمحمد (ص) وعلى والحسن والحسين (ع)، ثم يمد الطعام فيقعد منا زوار قبر ولدى على (ع). وسئل ابنه الجواد (ع): زيارة أبيک أفضل أم زيارة جدک أبى عبد الله الحسين (ع) ؟ فقال (ع) زيارة أبى أفضل وذلک لان أبا عبد الله (ع) يزوره كل الناس وأبى لا يزوره إلا الخواص من الشيعة. ولا إشكال فى هذه الرواية من حيث أنه قد يزوره عوام الشيعة ويحرم منها خواص العلماء، لان المراد بخصوص الشيعة من اعتقد إمامة الاثنى عشر، فمن أقر بإمامته (ع) أقر بإمامة غيره من الائمة (ع) دون سائر فرق الشيعة كالواقفية والزيدية والفحطية والناووسية وغيرهم من الفرق المتسميين بالشيعة المخالفين للامامية، فهؤلاء كلهم يزورون الحسين (ع) ولا يزورون الرضا (ع)، ويحمل ذلک على حال الابتداء وحال الخطاب والله العالم بالصواب. والاخبار فى زيارته (ع) بالغة حد الاشتهار اقتصرنا منها على هذا المقدار وناهيک بهذا العنوان اشتهاره بضامن الجنان، واختلاف الاخبار فى الثواب محمول على اختلاف الزائرين فى المعرفة ومراتب الايمان، جعلنى الله وإياكم من العارفين بحقه على التحقيق، والسالكين إلى الايمان والتصديق، ولنختم هذه النبذة القليلة بزيارة له (ع) جليلة منقولة من الاخبار المؤلفة المشتملة على ما فى زيارته من الفضيلة يحسن زيارته بها بعد الفراغ من قراءتها تفألا بأن الله لا يختم كتاب الاجل إلا بختام بلوغ الامل من التشرف بزيارته (ع) التى هى من خير العمل.

زيارته (ع) وهذه الزيارة الشريفة: السلام عليک يا ولى الله. السلام عليک يا حجة الله السلام عليک يا وارث الانبياء والمرسلين. السلام عليک يا وارث الائمة المعصومين ورحمة الله وبركاته السلام عليک يا مولاى: يا أبا الحسن الرضا والامام المرتضى والحسام المنتضى ورحمة الله وبركاته. السلام عليک أيها الامام الغصيب. والبعيد القريب. والمسموم الغريب ورحمة الله وبركاته. السلام عليک أيها الحامل لكتاب الله والعامل بما فيه. السلام عليک أيها النازح عن تربة جده وأبيه ورحمة الله وبركاته. السلام عليک يا غوث اللهفان وغريب الاوطان وضامن الجنان من

شرفت به أرض خراسان ورحمة الله وبركاته. السلام عليک يا قليل الزائرين وقرة أعين الائمة المعصومين وفاطمة سيدة نساء العالمين ورحمة الله وبركاته. السلام عليک يا من كسر قلوب شيعته بغربته إلى يوم الدين ورحمة الله وبركاته، السلام عليک أيها الامام الرؤوف الرحيم الذى هيج أحزان يوم الطفوف ورحمة الله وبركاته، السلام عليک يا غرة إقبال الدنيا وسعودها ومن سئل عن كلمة التوحيد فقال: وأنا من شرطها ومقصودها ورحمة الله وبركاته. السلام عليک يا من قال فى حقه رسول الله سيد الاكوان وسند الاعيان: سيدفن بضعة منى بأرض خراسان ما زاره مكروب إلا ونفس الله كربه، ولا مذنب إلا وغفر الله ذنبه، ولا يزوره مؤمن إلا أوجب الله له الجنة يا من قال فى

زيارته باقر علوم الاولين والآخرين: يخرج رجل من ولدى يقتل بالسم اسمه اسم أبيه أمير المؤمنين فيدفن بأرض خراسان، من زاره عارفا بحقه أعطاه الله أجر من أنفق من قبل الفتح وقاتل ورحمة الله وبركاته. السلام عليک يا من قال فيه جده البحر الدافق جعفر بن محمد الصادق: يقتل ولدى بأرض خراسان فى مدينة يقال لها (طوس) من زاره عارفا بحقه أخذته بيدى وأدخلته الجنة وإن كان من أهل الكبائر، قيل له وما عرفان حقه، قال: يعلم بأنه مفترض الطاعة غريب شهيد من زاره عارفا بحقه أعطاه الله أجر سبعين شهيد ممن استشهد مع رسول الله (ص)، وقال فيه أيضا: يقتل لهذا ولدى وأشار بيده إلى ابنه موسى ولد بطوس لا يزوره إلا الاندر فالاندر ورحمة الله وبركاته، السلام عليک يا من قال فيه أمير المؤمنين وسيد الوصيين: سيقتل رجل من ولدى بأرض خراسان بالسم اسمه إسمى وإسم أبيه اسم موسى بن عمران، ألا فمن زاره غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كانت مثل عدد النجوم وقطر الامطار وورق الاشجار ورحمة الله وبركاته. السلام عليک يا من فى حقه قال أبوه العالم موسى بن جعفر الكاظم: من زار قبر ولدى كان له عند الله سبعون حجة مبرورة، قيل له: سبعون حجة مبرورة ؟ فقال: نعم وسبعون ألف حجة، ومن زاره أو بات عنده ليلة كان كمن زار الله فى عرشه، وقال أيضا فيه: إن ابنى عليا مقتول بالسم ومدفون إلى جنب هارون الرشيد بطوس من زاره كان كمن زار رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليک يا من قال: إن لكل منا عهدا فى عنق أوليائه وشيعته وإن من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم فمن زارهم رغبة فى زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤه يوم القيامة ورحمة الله وبركاته. السلام عليک يا من قال: إنى مقتول ومسموم ومدفون بأرض غربة أعلم ذلک بعهد عهده إلى أبى عن آبائه (ع) ألا فمن زارنى فى غربتى كنت أنا وآبائه شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنا شفعاؤه نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين ورحمة

الله وبركاته السلام عليک يامن قال: إنى مقتول بالسم مظلوما فمن زارنى عارفا بحقى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ورحمة الله وبركاته، السلام عليک يا من قال: إنى مقتول بالسم ومدفون بأرض غربة فمن شد رحله

إلى زيارتى استجيب دعاؤه وغفر ذنبه ومن زارنى على بعد دارى أتيته يوم القيامة فى ثلاثة مواضع حتى أخلصه من أهوالها، إذا تطايرت الكتب يمينا وشمالا، وعند الصراط، وعند الميزان ورحمة الله وبركاته السلام عليک يا من قال: ما منا إلا مقتول شهيد فقيل له: يابن رسول الله ومن يقتلكم ؟ فقال: شر خلق الله فى زمانى يقتلنى بالسم ثم يدفننى فى دار مضيعة وبلاد غربة ألا فمن زارنى فى غربتى كتب الله له أجر مائة ألف شهيد، ومائة ألف صديق، ومائة ألف حاج ومعتمر، ومائة ألف مجاهد وحشر فى زمرتنا وجعل فى الدرجات العلا وفى الجنة رفيقا ورحمة الله وبركاته. السلام عليک يا من قال: من زارنى وهو على غسل خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ورحمة الله وبركاته. السلام عليک يا من قال فى زيارته ابنه الجواد: ضمنت لمن زار أبى فى طوس عارفا بحقه بالجنة على الله وإنها تعدل عند الله ألف ألف حجة لمن زاره عارفا بحقه، ومن زار أبى بطوس غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإذا كان يوم القيامة نصب له منبر حذاء منبر رسول الله حتى يفرغ الله عزوجل من حساب عباده، وإن بين جبلى طوس قبضة من الجنة من دخلها كان آمنا يوم القيامة من النار وما زار أبى أحد فأصابه أذى من مطر أو برد إلا حرم الله جسده على النار ورحمة الله وبركاته. السلام عليک يامن قال فيه ابنه على بن محمد الهادى: من زاره فأصابه فى طريقه قطرة من السماء إلا حرم الله جسده على النار، ومن كانت له إلى الله حاجة فليزر قبر جدى الرضا بطوس وهو مغتسل وليصلى عنده الركعتين وليسأل الله حاجته فى قنوته، وإن موضع قبره لبقعة من بقاع الجنة لا يزورها مؤمن إلا أعتق الله رقبته من النار وأحله دار القرار ورحمة الله وبركاته.

يا مولاى يا أبا الحسن الرضا: قصدتک بقلبى زائرا إذا عجزت عن حضور مشهدک والمشاهدة لقبتک، ووجهت إليک سلامى لعلمى أنه يبلغک فأسأل الله بشفاعتک المقبولة ودرجتک الرفيعة أن ينفس بک كربى، ويغفر بک ذنبى، ويسمعک كلامى، ويبلغک سلامى، وأن يوفقنى لزيارتک فى البقعة التى قلت فيها: هى والله روضة من رياض الجنة، من زارنى فى تلک البقعة كان كمن زار رسول الله، وكتب له ثواب ألف حجة مبرورة وألف عمرة مقبولة، وكنت أنا وآبائى عليهم السلام شفعاؤه يوم القيامة، فكن شفيعى بآبائک الطاهرين وأولادک المنتجبين فبالله أقسم وبآبائک الاطهار وأبنائک الابرار لولا بعد الشقة حيث شطت بكم الدار لقضيت بعض واجبكم بتكرار المرار، فياليتنى كنت من الطائفين بحضرتک مستبشرا ببهجة مؤانستک، يا مولاى يابن رسول الله زرتک طالبا بزيارتک من الله تعالى غفران الذنوب وكشف الكروب وستر العيوب والامان الذى وعدت به فى المواطن الثلاثة: عند تطاير الكتب وعند الصراط وعند الميزان، صلى الله على روحک الطيبة وجسدک الطاهر وبدنک الزكى، صبرت واحتسبت وعبدت الله مخلصا حتى أتاک اليقين ورحمة الله وبركاته، السلام عليک وعلى آبائک الطاهرين وابنائک المعصومين سادات المتقين وكبراء الصديقين وأعلام المهتدين وأنوار العارفين والصابرين الممتحنين ورحمة الله وبركاته. وليكن هذا آخر ما نمليه فى هذا المقام، سائلين منه سبحانه وتعالى حسن الختام، وبلوغ المرام، من زيارته (ع) وزيارة آبائه الكرام، التى هى الذخيرة يوم القيام، والمأمول من الحاضرين أن لا ينسوا مؤلفها ووالديه فى جميع الاوقات، من صالح

الدعوات، بأن يجعلها فى صحيفة الحسنات، وأن يتفضل عليه بمحو السيئات، وأن يعامله بعفوه العميم. وكان الفراغ من تسويد جلها بقلم مؤلفها فى بندر الحرمين جدة سنة ١٠٣١ هجرية على مهاجرها وآله آلاف الصلاة والسلام.

ص: ٣٢٥

وفاة الامام محمد الجواد " عليه السلام " تأليف العلامة الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيح أحمد بن عصفور الدارزى البحرانى

ص: ٣٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى كره هذه الدار لاجواد عباده وجعلهم فيها ممتحنين، وأخرجهم منها على الشهادة بسيوفها القاطعة من أهل فساده، فصبروا على مكارهها وما قد فيها من بلائه ونكاده، والصلاة والسلام على محمد المبتلى فى نفسه وأطائب أولاده. وبعد فيقول فقير الله الكريم الراجى لعفو ربه وإنقاذه من ذنوبه وعظائم إجرامه، الجانى حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عصفور الدرازى البحرانى رحمه الله تعالى قد عزمت على تأليف كتاب مختصر فى وفاة جواد الاجواد، ومحل الرشاد ومفتاح السداد، باب المراد الامام الهمام محمد بن على الجواد، لتجتمع عليه الشيعة الامجاد، ونقوم بالعزاء ونشر أخبار مصائبهم وما جرى عليهم من أهل الالحاد فقد لقوا شدائدا تندک لها الجبال الاطواد، وتنفطر لها السبع الشداد، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلک لنسلم به من أهوال يوم التناد، ونصل به إلى جوارهم فى مستقر رحمته التى وسعت العباد، وسميته بضرام الحزن الوقاد وفى وفاة سيدنا ومولانا محمد بن على الجواد ولنذكر أمام المقصود بعض ما وقع له من المعاجز فى حال الميلاد إلى يوم وفاته (ع) وانتقاله إلى جوار الآباء والاجداد، وكان مولده (ع) فى شهر رمضان سنة خمس وتسعون ومائة من الهجرة، وأمه أم ولد وربما يقال لها سبيكة النوبية، والاصح أن اسمها

ص: ٣٢٨

خيزران، وروى أنها كانت من أهل بيت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله (ص)، وقد نص عليه أبوه بالامامة (ع) وله من العمر ثلاث سنين، ولقد وقعت عليه الشيعة فى أمر عظيم عند وفاة والده لان أباه كان بخراسان وهو طفل صغير فى المدينة المنورة على مشرفها السلام. وفى خبر أبى يحيى الصنعانى كما فى الكافى قال: كنت عند أبى الحسن الرضا (ع)، فجئ بابنه أبى جعفر (ع) وهو صغير، فقال: هذا هو المولود الذى لم يولد مثله، ولا أعظم بركة على شيعتنا منه. وفى رواية الحسن بن الجهم قال: كنت عند أبى الحسن الرضا (ع) وهو جالس، فدعا بابنه وهو صغير

فأقعده فی حجره وقال لی: جرده وانزع قمیصه، فنزعته، وقال لی: أنظر بین کتفیه، قال: فنظرت فإذا فی إحدی کتفیه شبه الخاتم داخل فی اللحم. وفی روایة صفوان بن یحیی قال: قلت للرضا (ع): قد کنا نرید أن نسألک قبل أن یهب الله لک أبا جعفر، فکنت تقول: یهب الله لی غلاما وقد وهبه الله لک، فأقر الله عیوننا، فلا أرانا الله عزوجل یومک فإن کان کون فإلی من ؟ فأشار بیده إلی أبی جعفر (ع) وهو قائم بین یدیه، فقلت: جعلت فداک هذا ابن ثلاث سنین، فقال (ع): ما یضره من ذلک وقد قام عیسی ابن مریم (ع) بالحجة وهو ابن ثلاث سنین. وفی روایة زکریا بن یحیی الصیرفی قال: سمعت علی بن جعفر یحدث الحسن بن الحسین بن علی بن الحسین، فقال فی حدیثه لقد نصر الله أبا الحسن الرضا (ع) لما بغی إلیه إخوته وعمومته فقال له الحسن: أی والله جعلت فداک لقد بغی علیه اخوته، فقال علی بن جعفر: ای والله ونحن بغینا علیه، فقال له الحسن (رض): کیف صنعتم فإنی لم أحضرکم قال: فقال له إخوته: ونحن أیضا ما کان فینا إماما حائل اللون، فقال لهم الرضا (ع): هو ابنی، قالوا فإن قد قضی بالقافة فبیننا وبینک القافة، قال: ابعثوا إلیهم أنتم وأما أنا فلا

ولا تعلموهم لما دعوتموهم ولیکونوا فی بیوتکم، فلما جاؤوا اقعدونا فی البستان، واصطفت عمومته وإخوته، وأخذوا الرضا (ع) وألبسوه جبة صوف وقلنسوة منها ووضعوا علی کتفه مسحات، وقالوا: ادخل البستان کأنک تعمل فیه، ثم جاؤوا بأبی جعفر (ع) وقالوا لهم: ألحقوا لنا هذا بأبیه، فقالوا: لیس هاهنا أب له ولکن هذا عم أبیه، وهذا عمه، وهذه عمته، وإن کان له أب هاهنا فهو صاحب البستان فإن قدمیه واحدة، فلما رجع أبو الحسن (ع) قالوا: هذا أبوه. قال علی بن جعفر: فمصصت ریق أبی جعفر (ع) ثم قلت: أشهد أنک إمامی عند الله عزوجل، فبکی الرضا (ع) ثم قال: یا عم ألم تسمع أبی (ع) وهو یقول: قال رسول الله (ص): یأتی ابن خیرة الاماء ابن النوبیة الطاهرة الطیبة الفم المنتجبة الرحم، ویلهم لعن الله الاعبس وذریته صاحب الفتنة یقتلهم سنینا وشهورا وأیاما، یسومهم خسفا ویسقیهم کأسا مصبرة، وهو الطرید الشرید الموتور بأبیه وجده صاحب الغیبة، فیقال: مات أو هلک أو أی واد سلک أیکون هذا یا عم إلا منی قال صدقت جعلت فداک. وروی الحسن بن عمارة قال: کنت عند علی بن الامام جعفر (ع) بالمدینة، وکنت أقمت عنده سنین أکتم عنده ما أسمع من أخیه أبی الحسن (ع) إذا دخل علیه أبو جعفر محمد بن علی الرضا (ع) مسجد رسول الله (ص) فوثب علی (ع) بلا حذاء ولا رداء فقبل یدیه وعظمه فقال له أبو جعفر (ع) اجلس یا عم رحمک الله فقال یا سیدی کیف أجلس أنا وأنت قائم، فلما رجع علی بن جعفر إلی مجلسه جعل أصحابه یوبخونه ویقولون له: أنت عم أبیه وأنت تفعل به هذا الفعل، فقال: لسکتوا إذا کان الله عزوجل وقبض علی لحیته لم یؤهل هذه الشیبة وأهل هذا الفتی ووضعه، أأنکر فضله ؟ نعوذ بالله مما تقولون، بل أنا له عبد، وناهیک بها من نصوص قد أسفرت عن إمامته (ع) وهو مولود وجواد الاجواد، جعله الله لبحار علمه مداد، وأتاه الله الحکمة وفصل

الخطاب وهو صبى فى المهاد، الله أعلم حيث يجعل رسالته على رؤوس الاشهاد، ولقد تطاولت عليهم أهل الزيغ والعناد وحملهم عليهم الغل والحسد الكامن فى الفؤاد، فأنكروا مأمنهم ولم يقروا بإمامة الجواد وأقروا بإمامة الرضا (ع)، ووقفوا عليه وكذا على أبيه (ع) من قبله، وولغوا فى دمائهم وقيدوهم بالقيود والاصفاد ولله در من قال حيث أجاد: [لله درک من جواد فاق من ❊ قد حل مرتبه المسهى والفرقد] [نجل الرضا من عنده فصل القضا ❊ باب الرضا كهف الحجا والسؤدد] [حسدوه إذ ولاه مولاه الذى ❊ قد ناله عيسى زمان المولد] [فى المهد ينطق من سعادة جده ❊ أثر النجابة فيه خير مسدد] [جبريل يخدمه جهارا فى الورى ❊ وله الملائک والملا طوع اليد] [يا ويلهم كيف الجحود لشأنه ❊ والنص فيه قائم فى المشهد] [مهلا بنى العباس قبح فعلكم ❊ لبنى الرسالة معتد من معتد] [قطعتم أرحامكم ونصرتم ❊ أعدائكم من كل رجس أوغد] [فعليكم لعن المهيمن دائما ❊ لا ينقضى أبدا ليوم الموعد] وفى عيون المعجزات لعلم الهدى قال: لما قبض الرضا (ع) كان سن أبى جعفر (ع) سبع سنين، فاختلف الناس ببغداد وفى الامصار واجتمع الريان بن الصلت، وصفوان بن يحيى، ومحمد بن حكيم، وعبد الرحمن بن الحجاج، ويونس بن عبد الرحمن، وجماعة من وجوه الشيعة وثقاتهم فى دار عبد الرحمن بن الحجاج فى بركة زلول يبكون ويتوجعون من هذه المصيبة، فقال لهم يونس بن عبد الرحمن: دعوا البكاء: من لهذا الامر وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا يعنى أبا جعفر (ع)، فقام إليه الريان بن الصلت ووضع يده فى حلقه ولم يزل يلطمه ويقول: أنت تظهر الايمان لنا وتبطن الشک الشرک، إن كان أمره من الله ومن رسوله (ص) فلو أنه كان ابن يوم واحد لكان

بمنزلة الشيخ العالم وفوقه وإن لم يكن من عند الله فلو عمر ألف سنة فهو واحد من الناس هذا مما لا ينبغى أن يفكر فيه، فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبخه، وكان وقت الموسم فاجتمع من فقهاء بغداد والامصار وعلمائهم ثمانون رجلا فخرجوا إلى الحج وقصدوا المدينة، ليشاهدوا أبا جعفر (ع) فلما وافوه أتوا دار جعفر الصادق (ع) لانها كانت فارغة ودخلوها وجلسوا على بساط كبير، وخرج إليهم عبد الله بن موسى (ع) فجلس فى صدر المجلس، وقام مناد وقال: هذا ابن رسول الله (ص) فمن أراد السؤال فليسأل، فسئل عن أشياء أجاب فيها بغير الجواب، فرد على الشيعة ما أحزنهم وغمهم واضطربت الفقهاء فقاموا وهموا بالانصراف وقالوا فى أنفسهم: لو كان أبو جعفر (ع) يكمل لجواب المسائل لما كان عند عبد الله ما كان ومن الجواب بغير الواجب، ففتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفق وقال: هذا أبو جعفر (ع) فقاموا إليه واستقبلوه وسلموا عليه فرد عليهم السلام فدخل (ع) وعليه قمصان وعمامة بذؤابتين، وفى رجليه نعلان، وجلس وأمسک الناس كلهم فقام صاحب المسألة فسأله عن مسألة أجاب عنها بالحق، ففرحوا ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا له: إن عمک عبد الله أفتى بكيت وكيت، فقال (ع): لا إله إلا الله يا عم إنه عظيم عند الله أن تقف بين يديه فيقول لک لم تفتى عبادى بما لا تعلم وفى الامة من هو أعلم منک، ولم يزل صلوات الله عليه فى كل يوم تظهر له (ع) معاجز وبراهين لا تحصى، وكرامات لا تستقصى حتى تحدث الناس بفضله فى جميع

الامصار، واعتقدوا فضله على من سواه الاجتماع. فمن معجزاته (ع) البارعة ما وقع له عند وفاة أبيه (ع) وقد ذكرناها مفصلة هناک، وما رواه محمد بن ميمون قال: كنت مع الرضا (ع) بمكة قبل خروجه إلى خراسان فقلت له: إنى أريد أن أتقدم إلى المدينة، فاكتب معى كتابا إلى أبى جعفر (ع)، فتبسم وكتب كتابا وسرت إلى المدينة وكان قد ذهب بصرى، فأخرج الخادم أبا جعفر يحمله من المهد فناولته الكتاب فقال موفق: فضه

وانشره بين يديه ففضضته ونشرته بن يديه فنظر فيه ثم قال لى: يا محمد ما حال بصرک ؟ فقلت: يا ابن رسول الله اعتليت فذهب بصرى كما ترى، فمد يده ومسح على عينى فعاد إلى بصرى كأصح مما كان، ثم قبلت يديه ورجليه وانصرفت من عنده وأنا بصيرا. وروى عن حكيمة بنت الرضا (ع) قالت: لما توفى أخى الجواد (ع) صرت يوما إلى امرأته أم الفضل بسبب احتجت إليها فيه، قالت: فبينما نحن نتذاكر فضائل الجواد وكرمه وما أعطاه الله تعالى إذ قالت امرأته أم الفضل: ألا اخبرک عن أبى جعفر بعجيبة لم يسمع بمثلها قط ؟ قلت: فما ذلک ؟ فقالت: انه أغارنى مرة بجارية ومرة بتزويج، فكنت أشكوه إلى المأمون فيقول لى: يا بنية احتمليه فإنه ابن رسول الله (ص)، فبينما أنا ذات ليلة جالسة إذ أتت إلى امرأة كأنها غصن بان أو قضيب خيزران فقلت لها: من أنت ؟ فقالت: أنا زوجة أبى جعفر، وأنا امرأة من ولد عمار بن ياسر (رض) قالت: فدخل على من الغيرة مالا أملک على نفسى، فنهضت من وقتى وساعتى إلى المأمون وكان ثملا من الشراب وقد مضى من الليل أربع ساعات، فأخبرته بحالى فقلت: إنه يشتمنى ويشتم العباس وولده، وقلت فيه ما لم يكن أبدا فغاظه ذلک وأخذ سيفه وتبعته ومعه خيزران الخادم، فجاء إلى أبى جعفر (ع) وهو نائم فضربه بالسيف حتى قطعه إربا إربا وعاد، فلما أصبح عرفنا ما كان منه فأنفذ الخادم فوجد أبا جعفر (ع) قائما يصلى، فرجع له وأخبره أنه سالم، ففرح وأعطى الخادم ألف دينار وحمل إلى محمد الجواد (ع) عشرة آلاف دينار، واجتمع معه واعتذر إليه بالسكر، فأشار بترک الشراب فقبل منه الحديث. ولله درمن قال: [فوا لهفتى لا بن الرضا وما جرى ❊ عليه من المأمون شر جزاء] [لقد أضمر الغل الكمين بقلبه ❊ ولم يكفه ما قد جرى باباء] [أيسعى إلى قتل الجواد ولم يكن ❊ له نحوه ذحل وشر قضاء]

[لقد سم مولانا الرضا بعد ما جرى ❊ له بين خلق الله عهد ولاء] [وثنى بمولانا الجواد وقد غدى ❊ يهد به ركن الهدى وعلاء] [فيهلک من قام الوجود بجوده ❊ ويخمد دين الله بعد سناء] [فمهلا بنى العباس إن إمامكم ❊ لمن يأخذ الثارات من خلفاء] [تجرت على ظلم النبى محمد ❊ وعاثت فسادا مع عنى وشقاء] [فلا زال لعن الله يهمى عليهم ❊ دواما ليوم الحشر يوم جزاء] ومعاجزه التى تبهر العقول ما ثبت فى المنقول عن مؤدب كان لابى جعفر (ع) قال: إنه كان يوما يقرأ فى اللوح كما جرت به العادة مع الصبيان إذ رمى اللوح من يده وقام فزعا مرعوبا وهو

يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون مضى والله أبى (ع)، فقلت: من أين علمت هذا ؟ فقال: دخلنى من جلال الله وعظمته شئ لم أعهده وقد مضى، فقلت دع عنک هذا، فقال: ائذن لى أن أدخل البيت وأخرج إليک، واستعرضنى القرآن أفسره لک لتحفظه عنى، فقام (ع) ودخل البيت، فقمت ودخلت البيت فى طلبه اشفاقا عليه فسألت عنه فقيل لى: دخل هذا البيت ورد الباب دونه وقال: لا تأذنوا لاحد حتى أخرج إليكم، فخرج (ع) مغبر اللون وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون قضى والله أبى فقلت: جعلت فداک قد مضى (ع) فقال: نعم، وقد وليت غسله وتكفينه فما كان يلى ذلک منه غيرى، ثم قال لى: دع عنک هذا واستعرضنى القرآن فأفسره لک وتحفظه، فقلت: لا أعرف فقال (ع): أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم) (١) فقلت: المص فقال (ع) هذا أم أول السورة، وهذا ناسخ وهذا منسوخ، وهذا محكم وهذا متشابه، وهذا خاص وهذا عام، وهذا ما شبه على الناس.

---

(١) سورة الاعراف، الآية: ١٧١. (*)

ثم انه (ع) قام بما تحتاج إليه النا س بعد أبيه (ع) لانه الحجة ولا يحجزه عن ذلک صغر سنه لانه (ع) مستكمل الشرائط، وهم أنوار الله فى عالم المكنون والملكوت وإنما هم صموت ما داموا لم يؤذن لهم، ثم انه (ع) تقصدته الظلمة والحسدة فأشخص من المدينة إلى بغداد فى زمن المعتصم مرارا. ونقل عن إسماعيل بن مهران قال: لما خرج أبو جعفر (ع) من المدينة إلى بغداد فى المرة الاولى جئته فقلت له: جعلت فداک إنى أخاف عليک من هذا الوجه، فإلى من الامر بعدک ؟ فكر بوجهه إلى ضاحكا وقال: ليس الغيبة كما ظننت فى هذه السنة، فلما وصل بغداد أقام هناک ورجع، ولما أخرج (ع) فى الثانية إلى المعتصم صرت إليه فقلت: جعلت فداک أنت خارج فإلى من الامر من بعدک ؟ فبكى (ع) حتى اخضلت لحيته بالدموع، ثم اشار إلى فقال: فى مثل هذه السنة يخاف على فالامر من بعدى إلى ابنى على (ع). وفى رواية على بن خالد كما رواه محمد بن الحسان قال: كان على بن خالد زيديا فحكى إلى قال: كنت فى العسكر فبلغنى أن هناک رجلا محبوسا أتى به من ناحية الشام مكبولا، وقالوا: إنه تنبأ، فقال على بن خالد: فأتيت وداريت البوابين والحجبة حتى وصلت إليه، فإذا هو رجل ذو عقل وفهم، فقلت له: يا هذا ما قصتک وما أمرک ؟ فقال: إنى رجل كنت فى الشام أعبد الله تعالى فى الموضع الذى فيه رأس الحسين (ع)، فبينما أنا فى عبادتى إذ أتانى شخص وقال لى: قم بنا، فقمت معه إذ أتى بى مسجد الكوفة، فقال لى: تعرف هذا المسجد ؟ فقلت: نعم هذا مسجد الكوفة، قال: فصلى وصليت معه، فبينما أنا معه وإذا نحن بمكة فلم أزل معه حتى قضى مناسكه وقضيت مناسكى معه، فينما أنا معه وإذا أنا فى الموضع الذى أ عبد الله فيه بالشام ومضى الرجل، فلما كان العام القابل

أتانى وفعل بى مثل ما فعل فى المرة الاولى، فلما فرغنا من مناسكنا وردنا الشام وهم بمفارقتى، قلت له: سألتک بالذى قدرک على هذا الذى رأيت إلا ما أخبرتنى من أنت. قال: أنا محمد بن

على بن موسى بن جعفر (ع). فترقى الخبر إلى محمد بن عبد الملک فبعث إلى وأخذنى وكبلنى فى الحديد وحملنى إلى العراق فقلت له: ارفع قصتک إلى محمد بن عبد الملک ففعل وذكر ما كان وقع فى قصته، فقال له: قل للذى أخرجک من الشام فى ليلة إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى المدينة، ومن المدينة إلى مكة وردک من مكة إلى الشام أن يخرجک من حبسک هذا، قال على بن خالد: فغمنى ذلک من أمره ورققت له، وأمرته بالقرار والصبر، قال: ثم بكرت عليه من الغد، فإذا الجند وصاحب الحرس وصاحب السجن وخلق الله خلقا وهم فى كلام، فقلت ماذا ؟ فقالوا إن المحمول فقد الذى تنبأ البارجة فما ندرى أخسفت به الارض أم اختطفته الطير، فيا لها من مناقب لا يجحدها إلا من أعمى الله بصره وبصيرته، وحملته العداوة وقبح سريرته، فما أعماهم عن الحق المبين وما أشد نفاقهم فى إطفاء نور الله الظاهر المستبين، وكم له من معاجز أوجب له هذا الداء الدفين، فواضيعة الاسلام والمؤمنين فقد أصبح كتاب الله مهجورا، ورسول الله محروبا وموتورا فلعنة الله على القوم الظالمين. ولله در من قال: [سأنعى التقى والجود إذ فقدا بما ❊ جرى من ولاة الجور فى خيرة الرضا] [على الدار من بعد الجواد عفاتها ❊ فواضيعة الاسلام من بعد ما قضى] [محمد جواد الاولياء ومن له ❊ فضائل لا تحصى يضيق بها الفضا] [ستبكيه عين المجد والشرف الذى ❊ تساوى وعين العلم والحق والرضا] [فواعجبا للخلق بعد افتقاده ❊ يقربهم وجه الثرى بعد ما مضى] [سأبكيه ما دامت حياتى وبعدما ❊ أكون رميما لست عن ذاک معرضا] حكى عن شيخ من أصحابنا عن محمد بن الرضا قال: احتال المأمون على أبى جعفر (ع) بكل حيلة فلم يمكنه فيه شئ، فلما اعتل وأراد أن يبنى عليه أبنية دفع مائتى وصيفة من أجمل ما يكون، وأعطى كل واحدة جاما فيه

جوهرة يستقبلن أبا جعفر (ع) إذا قعد فى موضع الاجناد ففعلن، فلم يلتفت (ع) إليهن، وكان هناک رجل يقال له مخارق صاحب صوت وعود وطرب، طويل اللحية، فدعاه المأمون فقال: يا أمير المؤمنين إن كان فيه شئ من أمر الدنيا فأنا أكفيک أمره، فقعد بين يدى أبى جعفر (ع) فشهق مخارق شهقة أجمع عليه أهل الدار، وجعل يضرب بعوده ويغنى فلما فعل ساعة وإذا أبو جعفر (ع) لا يلتفت إليه يمينا ولا شمالا، ثم رفع (ع) رأسه وقال اتق الله يا ذى العتنون، فسقط المضراب من يده والعود، فلم ينتفع بيده إلى أن مات، قال فسأله المأمون عن حاله قال: لما صاح بى أبو جعفر فزعت فزعة لا أفيق منها أبدا. وروى محمد بن على الهاشمى قال: دخلت على أبى جعفر صبيحة عرسه بحبيبة بنت المأمون، وكنت تناولت من الليل دواء، فأول من دخل عليه فى صبيحته أنا وقد أصابنى العطش، فكرهت

أن أدعو بالماء، فنظر أبو جعفر (ع) فی وجهی وقال: أظنک عطشانا ؟ فقلت: أجل فقال: یا غلام اسقنا ماء، فقلت: الساعة یأتونه بماء یسمونه فیه فاغتممت لذلک، فأقبل الغلام ومعه الماء فتبسم فی وجهی ثم قال: ناولنی الماء فناوله الماء فشرب ثم ناولنی فشربت، ثم عطشت أیضا ففعل مثلما فعل فی الاول، فلما جاء الغلام ومعه القدح قلت فی نفسی مثلما قلت فی الاول، فتناول القدح (ع) فشرب فناولنی فشربت. قال محمد بن حمزة: فقال لی هذا الهاشمی أظنه کما تقولون فکم له مثل هذه المناقب التی تملا الکتب والطوامیر، وتزعزع فی قلوب أعدائه ثاقبات السعیر حتی جردوا لهم سهام العداوة ولم یدعو لهم قلیل ولا کثیر، فما منهم إلا مسجون مظلوم وذبیح مسموم سیما من الرجیم المأمون الملعون، بعد ما فعل بأبیه من القتل وسقی السموم فحسده بعد أن بوأه مقامات الغدر لیسقیه المنون، وأبی الله أن یکون ذلک علی یدیه فحال بینه وبین مراده لان الاقدار قد أجرت قتله (ع) علی ید غیره من الفجار.

ص: ۳۳۷

وقد روی أنه بعدما تزوج بأم الفضل فی بغداد أقام وقتا، ثم أنه صلوات الله علیه عزم علی الرجوع إلی المدینة، فلما توجه (ع) من بغداد منصرفا من عند المأمون ومعه أم الفضل قاصدا إلی المدینة، صار إلی شارع باب الکوفة ومعه الناس یشیعونه، فانتهی إلی دار المسیب عند مغیب الشمس، فنزل ودخل المسجد وکان فی صحن المسجد نبقة صغیرة لم تحمل قبل، فدعا بکوز فیه ماء فتوضأ فی أصل النبقة وقام (ع) بالناس صلاة المغرب، فقرأ فی الاولی الفاتحة وإذا جاء نصر الله والفتح، وقرأ فی الثانیة الحمد وقل هو الله أحد، وقنت قبل رکوعه منها وتشهد، وقام للثالثة وتشهد وسلم، ثم جلس هنیئة وذکر الله عز وجل وقام من غیر تعقیب، وصلی النوافل أربع رکعات وعقب بعدها وسجد سجدتی الشکر ثم خرج (ع)، فلما وصل النبقة هزها فرآها الناس قد حملت حملا حسنا فتعجبوا من ذلک فأکلوا فوجدوه نبقا حلوا لا عجم له وودعوه ومضی (ع) من ساعته إلی المدینة، فلم یزل بها حتی أشخصه المعتصم فی سنة خمسة وعشرین ومائتین إلی بغداد، وهی المرة الثانیة لانه خرج قبلها وقد ذکرناها فی المقدمة بروایة إسماعیل بن مهران وهی التی بکی له عند خروجه وسؤاله عنها من الذی یلی الامور بعده، فهناک ودعه ورفاقه وسار الامام (ع) إلی أن وصل إلی بغداد ومعه أم الفضل، فأقام هناک والمعتصم یبتغی له الغوائل وینصب له الحبائل، وهو (ع) عالم یؤول الامر إلیه وما یجری من سمه وشهادته علی یدیه، ولله دره من شهید قد شهد الله له بالمرتبة العلیا، حیث تبوأ مقام آبائه (ع)، وقدم علی ما قدموا علیه ولم یتولد له من الذکور سوی أبی الحسن علی الهادی (ع). وکان السبب فی شهادته (ع) ما روی عن ابن أرومة قال: إن المعتصم جمع جماعة من خواصه ووزرائه فقال: اشهدوا علی محمد الجواد شهادة واکتبوا کتابا أنه یرید أن یخرج علی، ففعلوا ذلک ثم دعاه فقال له: إنک أردت أن تخرج علی فقال (ع): والله ما فعلت شیئا من ذلک، فقال: إن فلانا وفلانا

ص: ۳۳۸

يشهدون بذلک علیک ثم أحضرهم فقالوا: هذه الکتب أخذناها من ید بعض غلمانک، قال: وکان فی بهو، فرفع أبو جعفر (ع) یده وقال: أللهم إن کانوا کذبوا علی فخذهم قال: فنظرنا إلی ذلک البهو کیف یرجف وکیف یذهب وکیف یجیئ وکلما قام واحد وقع لوجهه، فقال المعتصم: یابن رسول الله أنا تائب مما قلت فادع ربک أن یسکنه فقال (ع) أللهم سکنه فإنک تعلم أنهم أعداؤک وأعدائی، فسکن البهو من وقته. ولله در من قال: [أمعتصم لا زلت مثوی عذابه ❊ أتعمد فی قتل الوصی جوادها] [عمدت إلی رکن الهدایة والندی ❊ وباب علوم الله أصل رشادها] [فأی ذحول أورثت لکم علی ❊ بنی عمکم رکن العلا وعمادها] [لقد زدتم فی الجور آل یزیدها ❊ وجاوزتم فی الظلم آل زیادها] [فما ظلم فرعون لموسی وآله ❊ یزید علی ظلم لکم بل وعادها] وفی تفسیر العیاشی بإسناده عن زرقان صاحب ابن أبی داوود قال: رجع ابن أبی داوود یوما من عند المعتصم وهو مغتم فقلت له فی ذلک فقال: وددت أنی الیوم فقدت منذ عشرین سنة فقلت له: ولم ذلک ؟ قال: لما کان من هذا الاسود - یعنی محمد بن علی الجواد (ع) - بین یدی أمیر المؤمنین، فقلت له: کیف کان ذلک ؟ فقال: إن سارقا أقر علی نفسه بالسرقة وسأل الخلیفة أن یطهره بإقامة الحد علیه، فجمع لذلک الفقهاء فی مجلسه وقد حضر محمد بن علی الجواد (ع) وسأله عن القطع من أی موضع یجب أن یقطع فقال (ع) من أصول الاصابع فقلت أنا من الکرسوع لان الید هی الکف إلی الکرسوع لقوله تعالی فی التیمم (فامسحوا بوجوهکم وأیدیکم) (۱) واتفق علی ذلک قوم وقال آخرون: بل یجب القطع من المرفق، وسار الحدیث والقصة إلی أن قال: فاستصوب رأیه المعتصم وأمر بقطع ید السارق من أصول الاصابع دون الکف.

---

(۱) سورة النساء الآیة: ۴۳، وسورة المائدة، الآیة: ۶. (❊)

قال ابن أبی داوود: قامت قیامتی وتمنیت أن لم أکن شیئا مذکورا: قال زرقان: فصرت إلی المعتصم بعد ثلاثة أیام فقلت له: إن نصیحة الامیر علی واجبة، وأنا اکلمه مما أعلم أنی أدخل به النار فقال، وما هو ؟ فقلت: إذا جمع لامیر المؤمنین فی مجلسه فقهاء رعیته وأخبروه بما عندهم من الحکم فی ذلک، وقد حضر مجلسه نوابه وقواده ووزراؤه وکتابه، وقد استمع الناس بذلک من أربابه ثم یترک أقاویلهم کلهم إلی رجل یقول: شطر هذه الامة بإمامته ویزعمون أنهم مقتدون به وبأمته ثم یحکم بحکم دون حکم الفقهاء، قال: فتغیر لونه وانتبه لما نبهته وقال: جزاک الله بنصیحتک خیرا، قال: فأمر فی الیوم الرابع الامراء من کتابه ووزرائه أن یدعوهم إلی منزله، فدعاه معهم فأبی (ع) علیه وقال: إنی لا أحضر مجالسکم فقال المعتصم: إنما أدعوک إلی الطعام وأحب أن تطل ببابی وتدخل منزلی فأتبرک بذلک، قال: فصار (ع) إلیه فلما طعم منها أحس بالسم فدعی بدابته (ع)، فسأله أرباب المنزل أن یقیم فقال (ع): خروجی من دارک خیر لک، فلم یزل (ع) یومه ذلک یتلوی حتی قبض صلوات الله علیه. وفی روایة عن الرضا (ع) أنه قال یقتل ابنی محمد (ع) غصبا، فتبکی علیه أهل السماء والارض، ویغضب الله عزوجل علی عدوه وظالمیه، ولم

يلبث إلا سنة حتى يحل الله به عذابه الاليم وعقابه الشديد الجسيم. وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ره) قال: كان سبب وفاته (ع) أن زوجته أم الفضل بنت المأمون لما رزق الله محمد الجواد ابنه على الهادى (ع) من غيرها انحسرت عنه وسمته فى تسعة عشر حبة عنب، وكان (ع) يحب العنب فلما أكلها بكت فقال لها: مم بكاؤک، والله لا ليضربنک الله بفقر لا ينجبر وبلاء لا يستقر، فبليت بعده بعلة فى أغمض المواضع من بدنها وأنفقت عليها ملكها حتى احتاجت إلى رفد الناس، وروى أنها سمته فى قرص فلما أحس بذلک قال لها: بلاک الله ببلاء لا دواء له، فوقعت أكلة فى فرجها

فكانت تنكشف إلى الطبيب ينظر إليها ويستردن عليها بالداوء فلم ينفعها شئ حتى ماتت من علتها. [يا قاتل الله من أحيت بفعلتها ❊ شعار من قد سمت أفضل الرسل] [بشراک فيما فعلت بالجواد لظلى ❊ أبكيت فاطمة والمصطفى وعلى] [والهفتاه لمسموم بسمته ❊ تهدم الدين والكرسى فى ميل] [وأصبح الجود ملحود بحفرته ❊ حيث الجواد قضا بالحادث الجلل] [فلا الوجود وجود بعده أبدا ❊ فعلة الكون أضحت ثم فى عطل] [ولا السرور سرور بعده ولقد ❊ جفت بحار علوم الله فى كمل] [وددت أن جميع الخلق قد فقدت ❊ فدا له من صروف الدهر والنكل] [صلى عليه إله العرش ما طلعت ❊ شمس النهار على الآكام والطلل] وفى عيون المعجزات لعلم الهدى قال: روى أن المعتصم جعل يعمل الحيل فى قتل أبى جعفر (ع)، فأشار على ابنه المأمون زوجته بأن تسمه لانها منحرفة، فاطلع على انحرافها عن أبى جعفر (ع) وشدة غيرتها عليه لتفضيله أم أبى الحسن الهادى (ع) ولانه لم يرزق منها بولد، فأجابته إلى ذلک وتعمدت عليه وجعلت له سما فى عنب ووضعته بين يديه (ع)، فلما أكل ندمت وجعلت تبكى فقال لها: مما بكائک ؟ فدعا عليها بما تقدم ذكره. قال الراوى فلما سقته السم بأمر المعتصم اللعين خافت على نفسها، فدخلت فى قصر المعتصم مع حرمه وأقامت معهن لما صدر منها، فضاعف الله عذابها وشدد عليها عقابها، ثم أن الامام بقى والسم يجرى فى مفاصله وكان العام الذى أشخص (ع) فيه أبو جعفر محمد بن على الجواد (ع) من المدينة المنورة إلى بغداد لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين، وكان ذلک بعد المأمون بثلاثين شهرا. قال الراوى على ما فى الكتاب: فلما حان حينه وقرب وقته، وعلم

أنه (ع) سائر إلى روح الله ورضوانه، دعا بابنه أبى الحسن على الهادى (ع) ونص عليه بمحضر جماعة من خواص شيعته ومواليه وثقاته، وسلم إليه ما كان عنده من مواريث الانبياء ثم قال: إن الامام بعدى على (ع)، أمره أمرى وقوله قولى وطاعته طاعتى وطاعة الله، ثم سكت. فقلت يابن رسول الله فمن الامام بعده ؟ قال: الحسن ابنه قلت: فمن الامام بعد الحسن (ع) ؟ فبكى (ع) بكاء شديدا ثم قال: بعد الحسن ابنه المهدى (ع) القائم بالحق المنتظر،

فقلت له: يابن رسول الله ولم سمى القائم ؟ فقال: ألا إنه يقوم بالامر بعد فوت ذكره وارتداد أكثر القائلين بإمامته، قلت: ولم سمى المنتظر ؟ فقال: (ع) لانه (ع) له غيبة تكثر أيامها وتطول مدتها، وينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون، ويستهزئ بذكره الجاحدون، ويكذب به المنافقون، ويهلك المستعجلون وتهلك فيه المسلمون. وروى الخيزرانى عن أبيه أنه كان يلزم باب أبى جعفر للخدمة التى كان وكل بها، وكان أحمد بن محمد بن عيسى يحيى فى سحر كل ليلة ليعرف خبر علة أبى جعفر (ع)، وكان الرسول الذى يختلف بين أبى جعفر (ع) وبين أبيه (ع) إذا حضر قام أحمد وخلا به، فخرجت ذات ليلة وقام أحمد عن المجلس وخلا أبى بالرسول، واستدار أحمد فوقف يسمع الكلام، فقال الرسول لابى: إن مولاک يقرؤک السلام ويقول لک: إنى ماض والامر سائر إلى ابنى على (ع)، وله عليكم ما كان لى عليكم بعد أبى، ثم مضى الرسول ورجع أحمد إلى موضعه وقال لابى: ما الذى قال لک ؟ قال: خيرا قد سمعت ما قال فلا تكتمه، وأعاد ما سمع فقال له أبى: قد حرم الله عليک ما فعلت لان الله تبارک وتعالى يقول (ولا تجسسوا) (١) فاحفظ الشهادة لعلنا نحتاج إليها يوما وإياک أن تظهرها إلى وقتها، فلما أصبح أبى كتب نسخة الشهادة والرسالة فى

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢. (*)

عشر رقاع وختمها ودفعها إلى عشرة من وجوه الصحابة وقال: إن حدث بى حدث الموت قبل أن أطالبكم بها فاقتحوها واعملوا بما فيها، فلما مضى أبو جعفر (ع) ذكر أبى أنه لم يخرج من منزله حتى قطع على يده نحو من أربعمائة إنسان، واجتمع رؤساء الصحابة عند محمد بن الفرج يتفاوضون فى هذا الامر، فكتب محمد بن الفرج إلى أبى يعلمه باجتماعهم عنده وأنه لولا مخافة الشهرة لصار معهم إليه ويساعدهم عليه، فركب أبى وصار إليه فوجد القوم مجتمعين عنده فقالوا لابى: ما تقول فى هذا الامر ؟ فقال أبى لمن عنده الرقع: احضروا الرقع، فحضورها، قال بعضهم: قد كنا نحب أن يكون معک فى هذا الامر شاهدا آخر فقال لهم: قد أتيكم به، هذا أبو جعفر الاشترى يشهد بسماع هذه الرسالة، وسأله أن يشهد بما عنده، فنكر أحمد أن يكون سمع من هذا شئ، فدعاه أبى إلى المباهلة فقال لما حقق عليه قد سمعت ذلک وهذه مكرمة أحب أن تكون لرجل من العرب لا لرجل من العجم فلم يبرح القوم حتى قالوا بالحق جميعا. قال الرواى لى فى قضية وفاته (ع): وكان السم يجرى فى بدنه فلم تطل لذلک مدة له حتى قضى به شهيدا وعرج به إلى ساحة الرضوان، وصار إلى عالم البقاء وجوار آبائه (ع) فى رياض الجنان، وقامت الواعية فى داره (ع) وعلا الضجيج والبكاء والعويل من الهاشميين والعلويين من آل عدنان، فهم بين نادب ونادبة وباک وباكية بأصوات عالية ونوح وعويل، وصارت الشيعة فى حزن شديد وهم مبيد، وكل منهم ينادى وا إماماه وا سيداه وا محمداه وا كفيل اليتامى والمساكين وثمال المنقطعين ومأوى الضائعات والضائعين، ثم أن ابنه أبو الحسن على الهادى

(ع) قام فی جهازه وغسله وتحنیطه وتکفینه کما أمره وأوصاه، فغسله وحنطه وأدرجه فی أکفانه وصلی علیه فی جماعة من شیعته ومواليه، وکان هارون بن اسحاق حاضرا هناک فلما علم بالحال رکب ومضی إليه وصلی علیه عند منزله فی رحبة سوار بن میمون من ناحیة قنطاره البردان، فلما فرغوا من الصلاة علیه حملوه علی سریره وساروا به وهم یبکون ویلطمون

ص: ۳۴۳

علیه الخدود ویندبونه فی حزن وطیش إلی مقابر قریش متنغصا علیهم النعیم والعیش، ثم أنهم وضعوه وألحدوه فی مقابر قریش بجنب جده موسی بن جعفر (ع) الکاظم، فوقف ابنه علی الهادی (ع) علی قبره قائلا: وا أبتاه وا محمداه آه وا وحدتاه وا قلة ناصراه وا نقطاع ظهراه، لیتنی کنت لک الفدا یا أبتاه من بعدک وا وحشتاه فراقک قد أعمی عینی وهیج حزنی وقطع نیاط قلبی، یا أبتاه اقرأ آباءک عنی السلام وأخبرهم بما نحن فیه من الهوان، یا أبتاه مضیت عنا ولم یطل لک العمر وتبلغ الکهولة فی الحیاة یا أبتاه، ثم انکفأ عنه سخین العین باکی الناظر، وهو یقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلی العظیم إنا لله وإنا إليه راجعون. وکان عمر محمد الجواد (ع) حینئذ علی ما جاءت به الروایات خمسة وعشرین سنة وثلاثة أشهر واثنی عشر یوما أقام منها مع أبیه الرضا خمسة سنین وشهرا، وأقام بعده عشرین سنة وشهرین وقیل عشرین سنة إلا شهرا، وکانت إمامته (ع) فی بقیة أیام المأمون ثم هلک المأمون، وکان أیام المعتصم أخ المأمون ثمان سنین وشهرا وقد استشهد مولانا الامام محمد الجواد فی أیامه بسم له فی أشهر الروایات. وإنما اختلفت الروایات فی یوم وفاته ففی خبر محمد بن سنان قال: قبض محمد بن علی الجواد (ع) فی یوم الثلاثاء لست خلون من ذی الحجة سنة عشرین ومائتین وهو ابن خمس وعشرین سنة وثلاثة اشهر واثنی عشر یوما وبه أخذ. وفی روایة المفید کما فی مسار الشیعة أنه توفی یوم الثلاثاء وهو یوم الحادی عشر من ذی القعدة وینبغی لبس شعائر الاحزان فی هذه الایام کلها، وفی کل آن لیحصل الجزاء من الرب المنیل: [مضی الجواد فوا لهفی علی الدین * خذوا حدادکم یا آل یاسین] [فإن مولی الوری قد قام نادبه * یقول من لیتیم أو لمسکین] [فضجت الرسل والاملاک تندبه * وجررت لمم التقوی علی الطین]

ص: ۳۴۴

[والجود أصبح منبوذا بحفرته * والشرع أصبح فیه فاقد العین] [یا عین سحی علیه أدمعا ودما * بکل لؤلؤ أمسی فیک مکنون] [قومی علی جدث قد حل فیه تقی * واهرقی کل دمع فیک مخزون] [وکیف یبخل من جلت مصیبته * لدیه بالدمع أو یهنی بتزیین] [أحیت مصیبته فی الناس کلهم * مصیبة الطف فی ابن المیامین] [أبکت عیون رسول الله من تلیت * علیه من عالم الایجاد والکون] قال الراوی کما فی عیون المعجزات: أنه لما قبض أبو جعفر دخلت حکیمة بنت الحسن الورشی وکانت من النساء الصالحات علی امرأته أم الفضل قالت: لما دخلت

عليه عزيتها فرأيتها شديدة الحزن والجزع والبكاء والحنين، حتى كادت أن تقتل نفسها بالبكاء والعويل، فخفت عليها أن تنصدع مرارتها فجريت معها فى الحديث فى كرمه وفضله وما أعطاه الله عزوجل من الفضل، فأخبرتنى عنه بشئ لا يلبسه الله إلا من تردا برداء العصمة وأنزله المقام الكريم وجعل له الشأن العظيم (ذلک فضل الله يؤتيه من يشاء) (١). للمؤلف: [لله درک من ضريح قد حوى * جسد النبى من السلام سلام] [قبر سنا أنواره تجلو العمى * وقبر به دفعت به الاسقام] [قبر تمثل للعيون محمد * ووصيه والمؤمنون قيام] [قبر إذا حل الوجود بربعه * رحلوا وحطت منهم الآثام] [وتزودوا أمن العقاب وآمنوا * من أن يحل عليهم الاعدام] [الله عن ذنب لهم متصفحا * وبذاک عنهم جفت الاقلام] [أن يغن عن سقى الغمام فإنه * لولاه ما يسقى البلاد غمام

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥۴. (*)

[قبر به نجل الرضا وبه الرضا * ثملا ويزهو الحل والاحرام] [فرضوا إليه السعى كالبيت الذى * من دونه حقا له الاعظام] [من زاره فى الله عارف حقه * فالمس منه على الجحيم حرام] [ومقامه لاشک يحمد فى غد * وله بجنات الخلود مقام] [وله بذاک الله أوفى ضامن * قسما إليه تنتهى الاقسام] [صلى الاله على النبى محمد * وعلى على رحمة وسلام] [وكذا على الزهراء صلى سرمدا * رب بواجب حقها علام] [وعلى ابنها الحسن الزكى ونجلها * السبط الشهيد ومن له الاكرام] [وعلى على ذو التقى ومحمد * وعلى والحسن الزكى سلام] [وعلى خليفته الذى لكم به * ثم النظام فكان فيه ختام] [فهو المؤمل أن يعود به الهدى * وعلى يديه تعذب الاصنام] [لولاكم ما قام دين محمد * بين الانام ولا علا الاسلام] [أنتم إلى الله الوسيلة والاولى * علما الهدى فهم له أعلام] [أنتم ولاة الدين والدنيا ومن * لله فيهم حرمة وذمام] [ما الناس إلا من أقر بفضلكم * والجاحدون بفضلكم أنعام] [انى لارثيكم وأبكى رزؤكم * مادامت الاوقات والاعوام] [وأعده ذخرا وحصنا فى غد * كيما يكون لنا بكم اعظام] [ولقد برئت من الذين تبرؤا * منكم وزلت منهم الاقدام] [وهم عدى وحبتر شر الورى * وإمامهم تيم كذاک دلام] [ومن العبابسة الذين تمردوا * بغيا وتاهوا فى الضلال وهاموا]

وفاة الامام على الهادى " عليه السلام " تأليف العلامة الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عصفور الدارزى البحرانى

ص: ۳۴۹

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الهادى عباده إلى ولاية أهل البيت (ع)، المحبب لهم القيام بوظائف الولاية التى بها كمال العناية والاعتصام النادب لهم الاشتمال بتلك الخصال، التى توجب لهم الفرح لفرحهم، والجزع لجزعهم، فى كل حالة ومقام، والصلاة والسلام على محمد وآله الذين ابتلاهم بالمصائب العظام، وامتحنهم بفظائع أوجبت لهم القتل والاسر وعدم الاحترام، صلاة دائمة بدوام الليالى والايام. وبعد فيقول المذنب المنغمس فى بحار الذنوب كالآثام حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدرازى البحرانى: إن هذه نبذة جمعت فيها ما وصل إليه نظرى من أخبارهم الواردة فى وفاة الامام على الهادى (ع)، ذى المكارم والايادى، وما جرى له فى عمره الشريف من المصائب من الاوغاد والاعادى، مضيفا لها طرفا من المعجزات الشاهدة لفضائله وكراماته بين الخاص والعام، والحاضر والبادى، لتجتمع أخبار الشيعة فى تلك المجالس والنوادى، فيثابون على ذلك الاجتماع ونشر تلك الفضائل والمراثى، كما هى السيرة الجارية فى الاواخر والمبادى، وأذكر خلاف تلك الاخبار ما يناسبها من الاشعار كما هى طريق السيرة المتقدمة فى مواليدهم ومراثيهم، وأجعل ذلك كمال زادى، وذخيرة ليوم معادى، وسميتها: (ضياء النادى ورواء الصادى،

ص: ۳۵۰

فى وفاة على بن محمد النقى الهادى)، جعلته مشتملا على مجالس ثلاثة: المجلس الاول: منها فى النص عليه من آبائه الطاهرين، مع ذكر نسبه الشريف أما وأبا، وتاريخ ولادته (ع) وبروزه من أولئك النجباء، وما خصه الله تعالى به اسما وكنية ولقبا. المجلس الثانى: فى معاجزه التى طبقت الآفاق شرقا وغربا. المجلس الثالث: فيما وقع عليه من خلفاء زمانه الذين اجترؤا عليه وسقوه كاسات المنون قلاء ونصبا، وبالله أستعين إنه خير موفق ومعين.

ص: ۳۵۱

المجلس الاول فى النص عليه من آبائه روى فى المناقب أن اسمه الشريف الذى سماه الله به كما فى حديث اللوح المنزل بأسمائهم وألقابهم وآبائهم وأمهاتهم فهو على بن محمد التقى، العالم، الفقيه، الامين، المؤتمن، الطيب، المتوكل ونسبه (العسكرى) نسبة إلى المحل الذى سكنه بسر من رأى حتى قبضه الله إليه وكذلك ابنه (ع)، وكان أطيب الناس بهجة، وأصدقهم لهجة، وأمنحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صمت كان له هيبة الوقار، وإذا تكلم بزغ منه سيماء البهاء والفخار، وأمه يقال لها سمانة والمربية. وكان مولده الشريف يوم الجمعة ثانى رجب الاصب أو

خامسه أو منتصف شهر ذى الحجة الحرام. وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى بإسناده عن محمد بن الفرج بن عبد الله قال: دعانى أبو جعفر محمد بن على الجواد وأعلمنى أن قافلة قدمت وفيها نخاس معهم جوار، ودفع لى سبعين دينارا وأمرنى بابتياع جارية وصفها لى، فمضيت فعملت بما أمرنى وكانت الجارية أم أبى الحسن الهادى. وفى رواية أخرى عن محمد بن الفرج وعلى بن مهزيار عن السيد أنه قال: أمة عارفة بحقى، لا يقربها شيطان مارد، ولا ينالها كيد جبار عنيد، وهى

كانت بعين الله تعالى التى لا تنام، ولا تخلف عن أمهات الصديقين والصالحين ؟ وأما النص عليه من أبيه فقد بلغت أخباره التواتر، وعن إسماعيل بن مهزيار أنه قال: لما خرج أبو جعفر (ع) من المدينة إلى بغداد فى الدفعة الاولى من خروجه، قلت له: جعلت فداک إنى خائف عليک من هذا الوجه فإلى من الامر من بعدک ؟ فكر بوجهه (ع) إلى ضاحكا وقال: ليس الامر حيث ظننت فى هذه السنة فلما استدعى به المعتصم صرت إليه فقلت له: جعلت فداک ها أنت خارج فإلى من الامر من بعدک، فبكى (ع) حتى اخضلت لحيته بالدموع، ثم التفت إلى فقال: عند هذه يخاف على، فالامر من بعدى إلى ابنى على، فإن أمره أمرى، وقوله قولى، وطاعته طاعتى، والامامة بعده فى ابنه الحسن. وفى الكافى عن أحمد بن أبى خالد مولى أبى محمد بن على بن موسى بن جعفر أشهده أنه أوصى إلى ابنه على لنفسه وإخوانه، وجعل أمر موسى إذا بلغ إليه، وجعل عبد الله بن المساور قائما على تركته من الضياع والاموال والنفقات والدقيق وغير ذلک، إلى أن يبلغ على بن محمد صير عبد الله بن المساور ذلک اليوم إليه يقوم بأمر نفسه وإخوانه، ويصير أمر موسى إليه يقوم به على شرط أبيهما فى صدقاته التى تصدق بها، وذلک يوم الاحد لثلاث خلون من ذى الحجة سنة عشرين ومائتين، وكتب أحمد بن أبى خالد شهادته بخطه، وشهد الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن الحسين (ع) وهو الجوانى على مثل شهادة أحمد بن أبى خالد فى صدر هذا الكتاب، وكتب شهادته بيده وشهد نصر الخادم وكتب شهادته بيده. وفى كتاب العيون للسيد المرتضى عن محمد بن عيسى الاشعرى أن أبا جعفر لما أراد الخروج من المدينة إلى العراق ومعاودتها، أجلس أبا الحسن فى حجره بعد النص عليه، وقال له: ما الذى تحب أن أهدى إليک من طرائف فقال (ع): سيفا كأنه شعلة نار، ثم التفت إلى موسى ابنه وقال له: ما الذى

تحب أنت ؟ فقال: فرسا، فقال (ع): أشبهنى أبو الحسن وأشبه هذا أمه. ولله در من قال: [فلله مولود علا فى سمائه * فأظهر سيما السن من صغر السن] [ولا غرو منه فهو نور مؤلق * من العالم العلوى أولاه ذو المن] [وصيره فى عالم القدس حجة * لاملاكه مع عالم الانس والجن] [لقد حسدته ولد أعمامه الاولى * أبادوهم بالقتل والاسر والسجن] [وقد اقفرت تلک الربوع عقيبهم * من العلم والمعروف والجود والمن] [ومن عجب كيف الورى

يحسدونهم * وهم حجج البارى على الحر والقن] وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ره) عن هارون ابن الفضل، عن رجل كان رضيع أبى جعفر الثانى (ع) قال: بينما أبو الحسن (ع) مع مؤدبه إذ بكى بكاء شديدا، فقال له المؤدب: مما بكاؤک ؟ فلم يجبه، ثم قال له: إئذن لى بالدخول فى هذه الدار فأذن له، فارتفع الصياح من داره بالبكاء فخرج (ع) إلينا فسألناه عن السبب فى بكائه فقال (ع): إن أبا جعفر توفى الساعة، فقلت له: من أعلمک ؟ فقال (ع): دخلنى من جلال الله شئ لم أكن أعرفه فعلمت أن أبى قد مضى، قال: فكتبنا ذلک اليوم والشهر إلى أن ورد خبره فإذا هو فى ذلک الوقت بعينه قال: وكان سيدنا أبو الحسن (ع) يومئذ ابن ثمان سنين. وفى رواية اخرى عن هارون بن الفضل قال: رأيت أبا الحسن – يعنى صاحب العسكر – فى اليوم الذى توفى فيه أبوه يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون مضى أبو جعفر، فقلت له: كيف تعلم وهو ببغداد وأنت بالمدينة فقال (ع): لانه لحقنى من ذلک ذلة واستكانة لله عزوجل ولم أكن أعرفها، فعلمت أنه مضى، وليس ذلک ببعيد منهم فإنهم مفطرون على العلم بالمغيبات الذى لا يدركها سائر النبيين والمرسلين، ولذا تحمل الخلافة وهو ابن ثمان سنين كما تحملها عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا، وكانت لوالده يوم مات جده،

وكانت مدة إمامة الهادى (ع) بعد أبيه (ع) ثلاثة وثلاثون سنة، وكانت إمامته فى بقية ملک المعتصم، وملک الواثق خمس سنين وتسعة أشهر ثم هلک، وملک المتوكل أربعة عشر سنة، ثم بقى (ع) بقية تلک المدة فى خلافة المنتصر والمستعين والمعتز، وفى ملک المعتمد استشهد (ع) كما سيجئ، وكان المتوكل أشدهم عداوة إليه فلا زال يضمر له الغوائل، وينصب لبغضه الحبائل، وكان دار ملكه لعنه الله سر من رأى، ومولانا الهادى (ع) مقيم بها بعد إشخاصه من المدينة بأمر المتوكل، وإنما فعل ذلک به ليصرف وجه الناس عنه لما رأى من زهده (ع) ومجده وفضله، وما أعطاه الله من المهابة والجلالة والكرامة والنبالة والاحاطة بجميع احكام الدين، وبما فى الكتاب المستبين المكنون وما كان وما يكون، فخرج هذا الامر عنه إلى بنى العباس. وروى عن يحيى بن زكريا كما فى كشف الغمة وغيره قال: دعانى المتوكل وقال: اختار ثلاثمائة رجل ممن تريد واخرجوا إلى الكوفة وخلفوا أثقالكم فيها، واخرجوا على طريق البادية إلى المدينة واحضروا على بن محمد الهادى إلى عندى مكرما معظما. قال الراوى: وسبب ذلک الاشخاص من المدينة إلى سر من رأى ما روى فى كتاب (الفصول المهمة) أن عبد الله بن محمد كان مستنيب الخليفة المتوكل عليه لعائن الله فى الحرب والصلاة بالمدينة المنورة على مشرفها وآله الصلاة والسلام، فسعى ذلک النائب فى أبى الحسن (ع) إلى المتوكل بغضا وحسدا، وكان يقصده بالاذى غيظا وكمدا، فبلغ أبا الحسن (ع) سعايته به فكتب إلى المتوكل بتحامل عبد الله بن محمد عليه، وقصده الاذى منه له، فتقدم المتوكل بالكتاب إليه على جهل من القول والفعل، وكانت صورة الكتاب الذى كتبه له (ع):

بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد فإن أمير المؤمنين عارف لقدرک، مراع لقرابتک موجب لحقک، مؤثر من الامر فيک وفى أهل بيتک، لما فيه صلاح حالک وحالهم، وتثبيت عزک وعزهم، وإدخال الامر عليک وعليهم، يبتغى بذلک رضاء الله وأداء ما افترضه فيک وفيهم، وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عما كان يتولاه بمدينة الرسول من الحرب والصلاة إذا كان الامر على ما ذكرته لى من جهالته بحقک، واستخفافه بأمرک وما رماک به وأغراک إليه من الامر الذى قد علم أمير المؤمنين براءتک منه، ولما تبين له من صدق نيتک، وحسن طويتک وسلامة صدرک، وأنک لم تؤهل نفسک لشئ مما ذكر عنک، وقد ولى أمير المؤمنين ما كان يليه عبد الله بن محمد من الحرب والصلاة بمدينة الرسول لمحمد بن الفضل، وأمر بإكرامک وخدمتک وتوقيرک وتبجيلک والانتهاء إلى أمرک ورأيک وعدم مخالفتک، والتقرب إلى الله تعالى ورسوله وأمير المؤمنين بذلک، وأمير المؤمنين مشتاق إليک، يحب احداثک العهد بقربک، والتميز بالنظر إلى ميمون طلعتک المباركة، فإن نشطت لزيارته والمقام قبله وأحببت ذلک حضرت أنت ومن اخترته من أهل بيتک ومواليک وحشمک وخدمک على مهل وطمأنينة، ترحل وتنزل إذا شئت وتسير كيف شئت، وإن احببت أن يكون يحيى بن هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين فى خدمتک هو ومن معه من الجند، يرحلون برحيلک، وينزلون بنزولک، والامر إليک فى ذلک، وقد كتبت إليه فى طاعتک بجميع ما تحب، فاستخر الله تعالى فما عند أمير المؤمنين من أهل بيته وولده وخاصته ألطف منزلة، ولا أثر ولا انظر إليهم وأبر بهم وأشفق عليهم وأسكن إليهم منک إليه، والسلام عليک ورحمة الله وبركاته. وكتب إبراهيم بن العباس فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين من الهجرة، فلما وصل الكتاب إلى أبى الحسن (ع) تجهز للرحيل، وأزمع على الانتقال

والتحويل، وخرج معه يحيى بن هرثمة مولى المتوكل ومن معه من الجند حافين به. [لقد خذعوه بالمكاتيب إذ رأوا ❊ مناقبه تستوجب الشرف العالى] [وليس ببدع منهم لو تبوأوا ❊ مقامات نصب من عدولهم قالى] [يودون أن يفنوهم عن جديدها ❊ وقد بذلوا فيه خزائن أموال] [فقبحا لهم، ما جنى سيد الورى ❊ بآل بنى العباس من سوء أفعال] [أتسجن أبناء الكرام عداوة ❊ وتشهر هاتيک النساء فوق اجمال] [كأن لم يكونوا للنبى قرابة ❊ ولم يعرفوا بين الخلائق بالآل] [فيا ضيعة الاسلام من بعد فقدهم ❊ ويا ذلة الايمان إذ فقد الوالى] [فيا عبرتى صبى ويا فرحتى اذهبى ❊ ويا قلب فالبث فى عناء وأهوال] قال الراوى: وكان أبو العباس فى الوفد الذين أرسلهم المتوكل فى إشخاص أبى الحسن (ع)، وكان يعيب على من يقول بإمامة الهادى (ع) قبل ذلک، ولم يكن فى شئ من أمره (ع) وصار معه وقت خروجه من المدينة رادا من ولايته وما زال عنه الشک وأقر بإمامته ودان بطاعته وزادت عقيدته. وقد روى عن أبى البصرى عن ابن العباس قال: كنا قد تذاكرنا أبا الحسن فقال: يا أبا محمد انى كنت ليس فى شئ من هذا الامر، وكنت أعيب على أخى وعلى أهل هذا القول عيبا شديدا بالذم والشتم، إلى أن كنت فى الوفد الذين بعثهم المتوكل إلى المدينة فى إحضار أبى الحسن (ع)، فخرجنا من المدينة وصرنا فى بعض الطريق فطوينا المنزل وكان

يوما صائفا شديد الحر، فسألناه أن ينزل بنا فقال: لا، فحرجنا ولم نطعم شيئا ولم نشرب، فلما اشتد الحر والجوع والعطش بنا ونحن فى تلك الحال فى أرض ملساء لا نرى فيها شيئا من الظل والماء، فجعلنا نشخص إليه بأبصارنا فقال (ع): ما لكم أظنكم جياعا وقد عطشتم ؟ قلنا له: أى والله يا سيدنا قد جعنا وعطشنا، فقال (ع): عرسوا، فابتدرت إلى الفضاء لانيخ ناقتى، ثم التفت وإذا أنا

بشجرتين يستظل تحتهما عالم كثير من الناس، وكنت أعرف موضعهما وهى أرض قراح قفراء، وإذا أنا بعين تسيح على وجه الارض أعذب ماء وأبرد ذوق، فنزلنا وأكلنا وشربنا واسترحنا، وإن فينا من سلك تلك الطريق مرارا فما رأى فيه شيئا فوقع فى قلبى ذلك الوقت أعاجيب وجعلت أحد النظر فيه وأتأمله (ع) فتبسم وطوى وجهه عنى فقلت فى نفسى والله لاعرفن هذا كيف هو ؟ فأتيت من وراء شجرة ودفنت سيفى وجعلت عليه حجرين وتغوطت عليها فى ذلك الموضع وتهيأت للصلاة، فقال أبو الحسن (ع): استرحتم ؟ قلنا: نعم، قال: فارتحلوا على اسم الله تعالى، فارتحلنا فلما سرنا ساعة رجعت على الاثر، فأتيت الموضع ووجدت الاثر والسيف كما وضعته والعلامة وكأن الله لم يخلق هناك شجرة ولا ماء ولا ظلا، فتعجبت ورفعت يدى إلى السماء، وسألت الله تعالى الثبات على المحبة والايمان، وأخذت الاثر فلحقت القوم فالتفت إلى أبو الحسن (ع) وقال: يا أبا العباس فعلتها ؟ قلت: نعم يا سيدى لقد كنت شاكا فأصبحت وأنا عند نفسى من أغنى الناس بک فى الدنيا والآخرة، فقال (ع): هو ذلک أنتم معدودون معلومون لا يزيد رجل ولا ينقص رجل. قال الراوى: فلما وصل (ع) سر من رأى، أنفذ المتوكل أن يحجب عنه، فعزلوه بخان يعرف بخان الصعاليک، فأقام فيه يوما فلما نزل فيه دخل عليه صالح بن سعيد كما فى الكافى والبصائر، فقال له: جعلت فداک فى كل الامور، أرادوا إطفاء نورک والنقص بک حتى أنزلوک فى هذا الخان الاشنع خان الصعاليک، فقال (ع) أهاهنا أنت يابن سعيد ثم أومى (ع) بيده وقال: أنظر، فنظرت فإذا أنا بروضات أنيقات وروضات باسقات فيهن حوريات خيرات عطرات وولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون، وأطيار وظباء وأنهار تفور وتموج، فحار بصرى وحسرت عينى فقال (ع) حيث كنا فهذا لنا يابن سعيد، لسنا فى خان الصعاليک. ولله در من قال من الرجال:

[فيا لک نور قد تبلج بالعلا ❊ وأبهر خلق الله طهرا وأظهرا] [فضائل لا تحصى وإن قام عدها ❊ من العالم العلوى فيا لک مفخرا] [لحا الله أقواما غدوا فى عقائد ❊ بها أظلمت كل المدائن والقرى] [فشنوا لغارات على آل أحمد ❊ وكم قتلوا منهم إماما غضنفرا] [ولا سيما تلک الطغاة التى عدوا ❊ لعمهم العباس نسلا بلا مترا] [لقد بالغوا فى أن يبيدوهم على ❊ أتم بلاء قاصم منهم العرى] [فمن بين مقتول بسم وبين من ❊ أبادوه مدفونا ومن بين مؤسرا] [ومن بين مذبوح بسيف من القفا ❊ أقام ثلاثا فى التراب معفرا]

ص: ۳۵۹

المجلس الثانی فیما خصه الله به من المعجزات الروحانیة والجسمانیة، وما آثره الله به من مکارم الاخلاق الربانیة، وهی التی أوجبت المحاولة لاطفاء نوره (ع)، وإخماد أثر حیاته، وکشف بدوره والاشخاص فی منازله ودوره، وما لقی بها من مصائب لا تحصی ونوائب لا تستقصی. ففی الخرائج والجرائح عن یحیی بن هرثمة قال: دعانی المتوکل وقال لی: اختر ثلاثمائة رجل ممن ترید واخرجوا إلی الکوفة، ثم ذکر مثلما تقدم إلی أن قال: فاحضروا علی بن محمد الهادی (ع) إلی عندی مکرما مبجلا ففعلت وخرجنا، وکان فی أصحابی قائد من الشراة، وکان لی کاتب یتشیع وانا علی مذهب الحشویة، وکان ذلک الشاری یناظر ذلک الکاتب وکنت أستریح إلی مناظرتهما لقطع الطریق، فلما وصلنا إلی وسط الطریق قال الشاری للکاتب: ألیس من قول صاحبک علی بن أبی طالب (ع) أنه ما فی الارض بقعة إلا وهی قبرا وستکون قبرا فانظر إلی هذه البریة أین من یموت فیها حتی یملاها قبورا کما تزعمون ؟ قال: فقلت للکتاب هذا من قولکم ؟ قال: نعم، قال قلت: أین من یموت فی هذه البریة العظیمة حتی تملا قبورا ؟ وتضاحکنا علیه ساعة حتی انخذل الکاتب فی أیدینا. قال: فسرنا حتی دخلنا المدینة، فقصدت باب الهادی (ع) فدخلت علیه، فقرأ کتاب المتوکل فقال: انزلوا ولیس فی وجهتی خلاف، قال: فلما

ص: ۳۶۰

سرت إلیه من غد وکنا فی تموز أشد ما یکون من الحر، فإذا بین یدیه خیاط وهو یقطع ثیابا غلاظا خفاتین له ولغلمانه، ثم قال للخیاط: إجمع علیها جماعة من الخیاطین واسرع من فراغها یومک، وبکر بها إلی فی هذا الوقت ثم نظر إلی وقال یا یحیی إقضوا وطرکم من المدینة فی هذا الیوم، واعمدوا إلی الرحیل غدا فی هذا الوقت، فخرجت من عنده وأنا متعجب من الخفاتین وأقول فی نفسی: نحن فی تموز وحر الحجاز وإنما بیننا وبین العراق عشرة أیام، فما یصنع بهذه الثیاب ؟ والعجب من الرافضة حیث یقولون بإمامته مع فهمه هذا، فعدت إلیه فی الغد فی ذلک الوقت فإذا الثیاب قد أحضرت، فقال لغلمانه: ادخلوا السوق وخذوا لنا معکم لبابید وبرانس، فقلت فی نفسی: هذا أعجب من الاول أن یلحقنا الشتاء فی الطریق حتی یأخذ معه اللبابید والبرانس، فخرجت معه وأنا أستضعف فهمه فسافرنا حتی وصلنا ذلک الموضع الذی وقعت فیه المناظرة فی القبور، فارتفعت سحابة سوداء واسودت وأرعدت وأبرقت حتی إذا صارت علی رؤوسنا أرسلت علینا بردا مثل الصخور، وقد شد (ع) علی نفسه وغلمانه الخفاتین ولبسوا اللبابید والبرانس وقال لغلمانه: ادفعوا إلی یحیی لبادة وإلی الکاتب لبادة وبرنسا، وتجمعنا والبرد یأخذنا حتی قتل من أصحابی ثمانون رجلا، وزالت ورجع الحر کما کان، فقال لی: یا یحیی أنزل من بقی من أصحابک لیدفنوا من مات منهم، ثم قال (ع): هکذا یملی الله البریة قبورا، قال: فرمیت نفسی من علی دابتی وعدوت إلیه، فقبلت رکابه ورجلیه وقلت: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأنکم خلفاء الله فی أرضه، وقد کنت کافرا، والآن قد

أسلمت على يديک يا مولاى، قال يحيى: فلزمت خدمته حتى مضى صلوات الله عليه. وفيه عن زرافة صاحب المتوكل أنه قال: وقع مشعبث ناحية الهند إلى المتوكل يلعب بالحق ولم ير مثله، وكان المتوكل لعابا فأراد أن يخجل على بن محمد (ع) فقال لذلک الرجل إن أنت اخجلته أعطيتک ألف دينار زاكية، قال:

تقدم وائت لنا بخبز رقاق خفاف واجعلها على المائدة وأقعدنى إلى جانبه، ففعل وحضر على بن محمد (ع) وكان له مسورة عن يساره وكان عليها صورتا أسد وجلس اللاعب إلى جنب المسورة، فمد على بن محمد (ع) يده إلى قرص فطيره ذلک المشعبث فى الهواء، فمد يده إلى آخر فطيره وتضاحک الجميع، فضرب على بن محمد (ع) على تلک الصورة التى فى المسورة وقال: خذى عدوالله، فوثبت تلک الصورة فابتلعت الرجل اللعاب وعادت إلى مكانها كما كانت، فتحير الجميع ونهض على بن محمد (ع) ليمضى، فقال له المتوكل: سألتک بالله إلا جلست ورددته فقال: والله لا ترى بعدها، أتسلط أعداء الله على أولياء الله ؟ وخرج من عنده. فلما غلب الشيطان تلک القلوب ولم يراقبوا علام الغيوب حملهم ذلک الغل الكامن فى الفؤاد، وأوجب لهم الجحود والالحاد، ولم يبالوا بإظهار هذه المعاجز التى طبقت الآفاق والسبع الشداد، فما ازدادوا إلا عداوة وانكارا وقسوة وأحقادا، فما أحراه بهذا الانشاد حيث يقول: – [حسدوهم مع علمهم أنهم ❊ خير البرايا سيدا ومسود] [لم يراعوا قرب النبى فزادوا ❊ فى شقاهم على فعال ثمود] [كلما أظهروا لما قد تعلوا ❊ من مقام تعنتوا بالجحود] [ويلک من قرابة حسدتهم ❊ ورمتهم بالحرب كالمطرود] [بلغت فيهم بقتل وأسر ❊ وعناء فيا لها من حسود] [قطعت رحمها وولت عداها ❊ فلها الويل قائد ومقود] [فمصابى لما أصيبوا عظيم ❊ وفؤادى قد صار حر وقيود] [كيف أنساهم وما قد أصيبوا ❊ من رزايا مفطرات الكبود] [قد حرمت الهنا ما دمت حيا ❊ ولبست الضنا زمان وجودى] [ويک يا عين اسكبى الدمع حزنا ❊ ويک لا تبخلى عليهم وجودى] ومن المعاجز الخارقة للعادة المنسوبة إليه ما روى فى الجرائح

والمناقب، عن على بن مهزيار قال: ظهرت امرأة فى زمان المتوكل تدعى أنها زينب بنت على وبنت فاطمة بنت رسول الله (ص)، فقال لها المتوكل أنت امرأة شابة وقد مضى من وقت رسول الله (ص) ما مضى من السنين، فقالت إن رسول الله مسح على رأسى وسأل الله عزوجل أن يرد على شبابى فى كل أربعين سنة مرة، ولم أظهر إلى الناس لهذه الغاية فلحقتنى الحاجة فصرت إليكم. فدعا المتوكل المشائخ آل أبى طالب (ع) وولد العباس فعرفهم حالها فروى منهم جماعة وفاة زينب (ع) بنت فاطمة (ع) فى سنة كذا، فقال لها: ما تقولين فى هذه الرواية ؟ فقالت هى كذب وزور، فإن أمرى مستور عن الناس فلا لى موت ولا حياة، فقال لهم المتوكل: هل عندكم حجة على هذه المرأة غير هذه الرواية ؟ فقالوا: لا فقال: هو برئ من العباس إن تركها عما ادعت إلا بحجة، فقالوا احضر على بن محمد

الهادى (ع) فلعل عنده شئ من الحجة غير ما عندنا، فبعث إليه فحضر (ع) فأخبره بخبر المرأة فقال (ع): كذبت فإن زينب (ع): توفيت فى سنة كذا فى شهر كذا فى يوم كذا، فقال المتوكل: فإن هؤلاء قد رووا مثل ذلک، وقد حلفت أن لا أتركها عما ادعت إلا بحجة تلزمها، فقال (ع): هاهنا حجة تلزمها وتلزم غيرها، قال: وماهى ؟ قال: (ع) إن لحوم بنى فاطمة (ع) محرمة على السباع، فأنزلها إلى السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرها فقال لها: ما تقولين ؟ قالت: إنما يريد هذا قتلى، فقال (ع): هاهنا جماعة من ولد الحسن (ع) والحسين (ع)، فأنزل من شئت منهم قال: فوالله لقد تغيرت وجوه الجميع، فقال بعض المبغضين له: هو يحيل على غيره فلم لا يكون هو ؟ فمال المتوكل إلى ذلک، ورجا أن يذهب من غير أن يكون له فى أمره صنع فقال: يا أبا الحسن لم لا تكون أنت ؟ فقال (ع): ذلک إليک، فقال له: إفعل، فقال (ع): أفعل إن شاء الله تعالى. فأوتى بسلم وفتح عن باب السباع وكانت ستة من الاسود، فنزل الامام (ع) إليها، فلما وصل (ع) وجلس صارت إليه ورمت بنفسها بين يديه،

فجعل يمسح بيده على كل واحد منهم ثم يشير له بالاعتزال فيعتزل ناحية حتى اعتزلت كلها ووقفت بأزائه فقال له الوزير ما هذا صوابا، فبادر بإخراجه من هناک قبل أن ينتشر خبره فقال له يا أبا الحسن ما أردنا بک سوءا، وإنما أردنا أن نكون على يقين مما قلت، فأحب أن تصعد فقام (ع) وصار إلى السلم وهم حوله يتمسحون بثيابه، فلما وضع رجله على أول مرقاة انتقل إليها بوجهه وأشار لها بيده أن ترجع فرجعت، وصعد (ع) ثم قال كل من يزعم أنه من ولد فاطمة (ع) فليجلس فى ذلک المجلس فقال المتوكل للمرأة: انزلى فقالت الله الله فى، فقد ادعيت الباطل، وأنا بنت فلان حملنى الضر على ما قلت فقال المتوكل: القوها إلى السباع فاستوهبتها منه أمه. وزاد فى كتاب المناقب فيها قال على بن الجهم: لو جربت قوله على نفسه يا أمير المؤمنين فصرفت حقيقة قوله، فقال: افعل فتقدم إلى قوام السباع فأمرهم أن يجوعوهم ثلاثة أيام ويحضروهم القصر، فترسل فى صحنه، وقعد فى المنظر وأغلق أبواب الدرجة، وبعث إلى أبى الحسن (ع) وأمره أن يدخل من باب القصر، فدخل (ع) فلما صار فى الصحن أمر أن يغلق الباب، وخلا بينه وبين السباع فى الصحن. قال على بن يحيى: وأنا كنت فى الجماعة وابن حمدون، فلما مشى فى الصحن يريد الدرجة مشت إليه السباع، وقد سكنت من زئيرها ولم يسمع لها حس، حتى تمسحت به ودارت حوله، وهو (ع) يمسح رؤوسها بكمه ثم ضربت بصدرها الارض فما مشت ولا دارت حتى صعد الدرجة، وقام المتوكل ودخل فارتفع أبو الحسن (ع) وقعد طويلا، ثم قام (ع) فانحدر ففعلت السباع كفعلها به الاول، وفعل (ع) بها كفعله الاول فلم تزل رابضة حتى خرج من الباب الذى دخل منه، وركب فانصرف واتبعه المتوكل بمال جزيل وصله به. قال إبرهيم بن الجهم فقلت يا أمير المؤمنين: أنت إمام فافعل كما فعل ابن عمک، فقال والله لئن بلغنى عنک احد من الناس بذلک لاضربن عنقک

وعنق هذه العصابة كلهم، فوالله ما تحدثنا بذلک حتى مات لا رحمه الله تعالى وبلغ إلى ما يستحق من العذاب، فانظروا إلى هذا البغض الكامن فى الجوانح والافئدة، وإلى هذه المكيدة حيث أطلعوهم على ما خصهم به الملک الديان من الانعام العديدة، فسعوا فى إطفاء نورهم ونائرتهم القديمة والجديدة، وقد يأبى أن يطفئ تلک الانوار، وأن يطمس تلک الآثار الشديدة ولله در من قال: [سعوا ويلهم جهرا لاطفاء نورهم ❊ وكيف ينال العبد إطفاء نوره] [تعالى قديما أن ينالوا مرادهم ❊ من الحجة القصوى ومن هدهم سور] [فإنهم نور الاله الذى بدا ❊ من العلم العلوى حال ظهوره] [فما زادهم تلک العداوة مطلبا ❊ وما بلغوا إلا ضلالة زوره] [وكيف ينالوا ما أهموا به وما ❊ عليه انطووا من سره وستوره] [ألا لعن الله العبابسة التى ❊ بغت وطغت فى غيها فى نشوره] [ستصلى جحيما لا يزال مخلدا ❊ عليهم وما زالوا إذا فى شروره] [لقد هدموا بيت الرسالة عنوة ❊ وهدوا من الاطواد رافع طهوره] [فلا غرو ان ناحت عليهم محاجرى ❊ وفارق قلبى مستقر سروره] [وأصبح أمواه البسيطة ناضبا ❊ عليهم وحل الخف وسط بدوره] ثم لم يزل المتوكل يضمر فى نفسه الشر والعداوة لما فى قلبه من الجفوة والقسوة، فروى أنه اتفق له مرض من جراح خرج له فى جسده وطال به واهتم من أجله، فما زال يصف حاله للاطباء وعلموا أنه ليس له علاج إلا بالنار، فلم يجسر أحد أن يمسه بالنار خوفا من بأسه وفرقا من سطوته إذا أحس بحرارة النار فيعاقب من أشار عليه بالعلاج بها، وكانت أمه فى وجل وخوف عليه من ذلک، حتى أنها لما آيست من برئه ورأت ما نزل به من تلک الجراح لم تجد شيئا ترجوا به معافاته مما نزل به، إلا أنها نذرت لابى الحسن على الهادى (ع) بمال إن عوفى من مرضه على ما رواه الكلينى عن إبراهيم الظاهرى قال: مرض المتوكل من جراح وأشرف منه على الهلاک، ولم يجسر أحد أن يمسه بحديدة، فنذرت

أمه إن عوفى أن تحمل إلى أبى الحسن (ع) مالا جزيلا من مالها، فقال له الفتح بن خاقان، لو بعثت إلى هذا الرجل فإنه لا يخلوا أن يكون عنده صفة يفرج بها عنک، فبعث إليه ووصف إليه علته. فرد إليه الرسول بأن يؤخذ له كسب الشاة فيداف بماء ورد فيوضع عليه، فلما رجع الرسول وأخبرهم أقبلوا إليه يهرعون فقال له الفتح بن خاقان: هو والله أعلم بما كان قال: فأحضروا الكسب وعمل كما قال (ع) ووضع على علته يوما فسكن وخرج منه ما كان فيه، وبشرت أمه بعافيته فحملت إليه عشرة آلاف درهم أو دينار تحت خاتمها، ثم برئ من علته فسعى عليه البطحاوى العلوى أن أموالا تحمل إليه وسلاحا فقال لسعيد الحاجب سرا واهجم عليه بالليل وخذ ما تجده عنده من الاموال والسلاح واحمله إلى. قال إبراهيم بن محمد: قال لى سعيد الحاجب: فصرت إليه بالليل ومعى سلم، فصعدت السطح، فلما نزلت على بعض الدرج فى الظلمة لم أدر كيف أصنع فى الدار، فنادانى: يا سعيد مكانک حتى يأتوک بشمعة، فلم ألبث أن أتونى بشمعة، فنزلت فوجدته وعليه جبة صوف وقلنسوة منها وسجادة على حصير بين يديه، فلم أشک أنه يصلى (ع)، فقال لى: دونک البيوت فادخلها، فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئا، ووجدت بدرة فى بيته مختومة

بخاتم أم المتوكل وكيسا مختوما، فقال (ع) لى: دونک المصلى فرفعته فوجدت تحته سيفا فى جفن غير ملبس، فأخذت ذلک كله وصرت إلى المتوكل، فلما نظر إلى خاتم أمه على البدرة، بعث إليها فخرجت إليه قال: فأخبرنى بعض الخدم الخاصة أنها قالت له: إنى قد نذرت فى علتک لما آيست منک إن عوفيت حملت إليه من مالى عشرة آلاف دينار، فعوفيت وحملتها إليه، وهذا خاتمى على الكيس، وفتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمائة دينار فضمه إلى البدرة وبدرة أخرى من عنده وأمرنى بحمل ذلک له، فحملته إليه ورددت البدرتين والكيس وقلت له: سيدى عز ذلک على فقال لى: (سيعلم الذين

ظلموا أى منقلب ينقلبون) (١) وفى ذلک قال بعض الشعراء هذه الابيات: [صالت أمية فى السادات من مضر ❊ وساعدتها بنو العباس فى الاثر] [لكنهم فعلوا أضعاف ما فعلت ❊ أمية فأبادوا صفوة البشر] [جاروا وما عدلوا واستأصلوا حسدا ❊ آل النبى جزاهم فى لظى سقر] [سقوهم السم سرا فى شرابهم ❊ وأوردوهم حياض الموت فى الضرر] [فكم بنوا فوقهم عالى البناء وكم ❊ قد وسدوهم وهم أحياء فى الحفر] [نفسى الفداء لهم فى كل فادحة ❊ وقل ذى بدلا فى وقع ذى الضرر] [كأنهم لم يكونوا نسل فاطمة ❊ ولم يجئ مدحهم فى محكم السور] [والله لا نسيت نفسى مصابهم ❊ وكيف أنسى وهم لى علة القدر] [لولاهم لم يكن خلق ولا بشر ❊ ولا نعيم ولا كون إلى الزمر] [لكنهم ندموا إن لم يكن لهم ❊ فى قتل سبط رسول الله من أثر] [فيا فؤادى لا تنسى لمصرعهم ❊ ويا عيونى صبى صب منهمر] [فليس حظک من بعد المصاب بهم ❊ إلا دموعا غزارا ولظى السهر] ومن كراماته (ع) ما فى كتاب الخرائج: أن أبا هاشم الجعفرى كان منقطعا إلى أبى الحسن الهادى (ع) بعد أبيه محمد الجواد (ع) وبعد جده الرضا (ع)، فشكى إلى أبى الحسن (ع) ما يلقاه من السوق إليه إذا انحدر من عنده إلى بغداد، ثم قال: يا سيدى ادع الله تعالى فربما لا أستطيع ركوب الماء فأسير إليک فى الفلا ومالى مركوب سوى برذونى على ضعفه، فاسأل الله تعالى أن يقوينى على زيارتک، فقال (ع): قواک الله يا أبا هاشم وقوى الله برذونک، فكان أبو هاشم (رض) يصلى الفجر ببغداد، ويسير على البرذون فيدرک الزوال من يومه ذلک بعسكر من سر من رأى، ويعود من يومه إلى بغداد إذا شاء على ذلک البرذون.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧. (❊)

وعن أبى هاشم أيضا قال: خرجت مع أبى الحسن (ع) إلى ظاهر سرمن رأى لنلتقى بعض القادمين، فابطؤا فطرح لابى الحسن (ع) غابة السرج فجلس عليها، فنزلت عن دابتى وجلست بين يديه وهو (ع) يحدثنى، فشكوت إليه قصر يدى وضيق حالى، فأهوى بيده إلى رمل كان جالسا عليه فناولنى منه كفا وقال: اتسع بهذا يا أبا هاشم واكتم ما رأيت، فخبئته عندى ورجعنا، فأبصرته فإذا هو يتقد كالنيران ذهبا أحمر، فدعوت صائغا إلى منزلى وقلت لى: اسبک لى هذه السبيكة فسبكها وقال لى: ما رأيت ذهبا أجود من هذا، وهو كهيئة الرمل من أين لک هذا فما رأيت أعجب منه ؟ قلت: كان عندى قديما. وعن محمد بن الفرج أنه قال: إن أبا الحسن (ع) كتب إلى: اجمع أمرک وخذ حذرک، فإنى فى جمع أمرى ولست أدرى ما الذى أراد (ع) فيما كتبه إلى وحتى ورد على رسول حملنى من مصر مقيدا مصفدا بالحديد وضرب على كل ما أملک فمكثت فى السجن ثمان سنين ثم ورد على كتاب من أبى الحسن (ع): لا تنزل فى ناحية الجانب الغربى من السجن، فقرأت الكتاب فقلت فى نفسى: يكتب إلى أبو الحسن (ع) بهذا وأنا فى الحبس إن هذا لعجيب، فما مكثت إلا أياما يسيرة حتى فرج الله عنى وحلت قيودى وخلى سبيلى، ولما رجع إلى العراق لم يقف ببغداد لما أمره أبو الحسن (ع) وخرج إلى سرمن رأى، قال فكتبت إليه بعد خروجى أن يسأل الله تعالى أن يرد على ضياعى فكتب إلى: سوف ترد عليک وما يضرک أن لا يرد عليک. قال محمد بن على النوفلى: شخص محمد بن الفرج إلى العسكر وكتب إليه برد ضياعه، فلم يصل الكتاب حتى مات. ولله در من قال: [هم الغوث إن لمت ملمات دهرنا ❊ وقد علموا حقا بما كان فى الغيب] [وذلک من علم آلاله مفوض ❊ عليهم بلا شک لدى ولا ريب] [وذلک برهان من الله ثابت ❊ إمامتهم فى مبتدا السن والشيب]

[فهم عصم قد أثبتت عصمة لهم ❊ مسددة قد طهرتهم من الغيب] [فوا عجبا كيف استطالت عليهم ❊ طغاة بنى حرب بقتل وتسليب] [وقد أركبوا تلک الفواطم جهرة ❊ بسبيهم ظهر العجاف من النيب] [فقلبى لهم لا يألف البشر والهنا ❊ ودمع عيونى مستديم بتصويب] [فعيشى من بعد المصاب منغص ❊ على ولو وليت ملک مآريب] [ولم يألف القلب المعذب بعدهم ❊ سرورا وقد أمسوا بكرب وتعذيب] [فذلک داء لا يزال مخلد ❊ بجسمى ولم يجدى لذلک تطبيبى] ومن المعجزات الخارقة ما رواه على بن محمد النوفلى قال: كتب على بن الخصيب إلى محمد بن الفرج بالخروج إلى العسكر، فكتب إلى أبى الحسن (ع) يشاوره، فكتب إليه أبو الحسن (ع): أخرج فإن فيه فرج، فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات. وروى فى كتاب المعتمد عن على بن مهزيار قال: وردت العسكر وأنا شاک فى الامامة، فرأيت السلطان قد خرج إلى الصعيد فى يوم من الربيع إلا أنه يوم صائف والناس عليهم ثياب الصيف، وعلى أبى الحسن (ع) لباد وعلى فرسه تجفاف لبود وقد عقد ذنب الفرسة والناس يتعجبون ويقولون: ألا ترون أبا الحسن (ع) وما فعل بنفسه ؟ فقلت فى نفسى: لو كان هذا إماما ما فعل هذا، فلما خرج الناس إلى الصحراء لم يلبثوا أن ارتفعت سحابة عظيمة وهطلت، فلم يبق أحد إلا غرق وابتل بالمطر، وعاد (ع) وهو سالم من جميعه، فقلت فى نفسى: يوشک أن يكون هذا إماما ثم قلت: أريد أن أسأله عن الجنب إذا عرق فى الثوب وقلت فى نفسى: إن كسف وجهه فهو الامام فلما قرب منى كسف (ع) وجهه وقال: إن كان عرق الجنب فى الثوب وجنابته من حرام فلا تجوز الصلاة

فيه، وإن كانت جنابته من حلال فلا بأس، فلم يبق فى نفسى بعد ذلک شبهة. وكم له من معجزات تبهر العقول قد بلغت حد التواتر واستقر عليها

المنقول والمنقول، فمن هنا حسدتهم أهل البغى والذحول ولم ترع فيهم حرمة الرسول (ص)، وعلى على فحل الفحول، ولابنته فاطمة البتول. وفى كتاب الدلائل قال: قال الفتح بن يزيد الجرجانى قال: ضمنى أنا وأبا الحسن الطريق عند منصرفى من مكة إلى خراسان وهو صائر إلى العراق، فسمعته (ع) وهو يقول: من اتقى الله يتقى من أطاع الله يطاع، قال: فتلطفت فى الوصول إليه وسلمت عليه، فرد على السلام وأمرنى بالجلوس، فأول ما ابتدأنى به أن قال: يا فتح من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فأيقن أن يحل به الخالق سخط المخلوق، وان الخالق لا يوصف إلا ما وصف به نفسه، وأنى يوصف الخالق الذى تعجز الحواس أن تدركه، والاوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والابصار عن الاحاطة به جل عما يصفه به الواصفون، وتعالى عما ينعته به الناعتون علوا كبيرا، تأنى فى قربه وقرب فى نأيه فهو فى نأيه قريب وفى قربه بعيد، كيف الكيف فلا يقال فيه كيف، وأين الاين فلا يقال فيه أين، إذ هو منقطع الكيفية والاينية، هو الواحد الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فجل جلاله بلا كيف يوصف بكنهه، ورسوله محمد (ص) وقد قرنه الجليل باسمه، وشركه فى إعطائه، وأوجب لمن أطاعه جزاء طاعته، إذ يقول تعالى: (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) (١) وقال تعالى يحكى عمن ترک طاعته وهو يعذبه بين أطباق نيرانها وسرابيل قطرانها يا ليتنا أطعنا الرسول، أم كيف يوصف بكنهه من قرن الجليل طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله (ص) حيث قال تعالى: (وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) (٢) وقال تعالى: (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات إلى أهلها) (٣) وقال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا ❊ (هامش) (١) سورة التوبة، الآية: ٧۴. (٢) سورة النساء، الآية: ۵٩. (٣) سورة النساء، الآية: ۵٨. (❊)

تعلمون) (٢) يا فتح كما لا يوصف الجليل جل جلاله، والرسول (ص)، والخليل (ع) يعنى على (ع)، وولد البتول، فكذلک لا يوصف المؤمن المسلم لامرنا، فنبينا أفضل الانبياء، وخليلنا أفضل الاخلاء، وأكرم الاوصياء، وأسمهما أفضل الاسماء، وكنيتهما أفضل الكنى، لو لم يجالسنا إلا كفو لم يجالسنا أحد، ولو لم يزوجنا الا كفو أحد، أشد الناس تواضعا أعظمهم حلما وأنداهم كفا وأمنعهم كنفا، ورث عنهما أوصيائهما علمهما فاردد إليهما الامر وسلم إليهم، أماتک الله مماتهم وأحياک حياتهم إذا شئت رحمک الله. قال الفتح: فخرجت فلما كان من الغد تلطفت فى الوصول إليه وسلمت عليه السلام فقلت: يا بن رسول الله أتأذن لى فى مسألة اختلجت فى صدرى ليلتى هذه ؟ قال: اسأل وإن شرحتها فلى، وإن أمسكتها فلى فصحح نظرک، واثبت فى مسألتک، واصغ فى جوابها سمعک، ولا تسأل

مسألة تعنت واعتن بما تعتنى به، فإن العالم والمتعلم شريكان فى الرشد مأموران بالنصيحة منهيان عن الغش، فالذى اختلج فى صدرک إن شاء العالم أنبأک به، إن الله لم يظهر على غيبة أحدا إلا من ارتضى من رسول، فكل ما كان عند الرسول كان عند العالم، وكل ما اطلع عليه الرسول أطلع عليه العالم، كى لا تخلو أرضه من حجة يكون له علم على صدق مقالته وجواز عدالته، يا فتح عسى الشيطان أراد اللبس عليک فأوهمک فى بعض ما أودعتک، وشككت فى بعض ما أنبأتک حتى أراد إزالتک عن طريق الله الذى فرضه الله والصراط المستقيم، فقلت: متى أيقنت أنهم كذا فهم أرباب، معاذ الله فهم مخلوقون مربوبون مطيعون لله داخرون راغبون، فإذا جاءک الشيطان من قبل ما جاءک، فاقمعه بما أنبأتک به، فقلت له: جعلت فداک فرجت عنى وكشفت ما لبس الملعون على بشرحک، فقد كان أوقع فى خلدى أنكم أرباب، قال: فسجد أبو الحسن (ع) وهو يقول

---

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٣ وسورة الانبياء، الآية: ٧. (*)

فى سجوده: راغما لک يا خلقى داخرا خاضعا، قال: فلم يزل كذلک حتى ذهب الليل. ثم قال: يا فتح كدت أن تهلک وتهلک وما ضر عيسى ابن مريم (ع) إذ هلک من هلک، انصرف إذا شئت يرحمک الله تعالى قال: فخرجت وأنا فرح بما كشف الله عنى من التلبس بأنهم هم، وحمدت الله على ما قدرت عليه، فلما كان فى المنزل الآخر دخلت عليه وهو متكئ وبين يديه حنطة مقلية وهو يبعث بها، وقد كان أوقع الشيطان فى خلدى أنه لا ينبغى أن يأكلون ويشربون إذا كان ذا آفة والامام غير ذى آفة، فقال: اجلس يا فتح فإن لنا بالرسل أسوة، يأكلون ويشربون ويمشون فى الاسواق وكل جسم مغذو بهذا إلا الخالق الرزاق تعالى لانه جسم الاجسام ولم يجسم ولم يتزايد ولم يتناقص، الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، منشئ الاشياء مجسم الاجسام، وهو السميع، العليم، اللطيف، الخبير، الرؤوف، الرحيم، تبارک وتعالى عما يصفه الظالمون علوا كبيرا، لو كان كما يوصف لم يعرف الرب من المربوب، ولا الخالق من المخلوق، ولا المنشئ من المنشأ، ولكنه فرق بينه وبين من جسمه وشاء الاشياء إذا كان لا يشبه شئ ولا يشبه شيئا، وفى هذا المعنى قيل: [على هو الهادى إلى منهج الهدى * فاكرم به هاد كما قاله الله] [به طلعت شمس الرشاد ولم يكن * له شبه فى خلقه يوم صفاه] [فويل لمن عاداه بغيا وقد عتى * عتوا عظيما فى جهنم مثواه] [لقد هدموا الاسلام إذ قتلوه * ولم يرقبوا فيه هنالک مولاه] [أيقتل مسموما ولم يک جرمه * إليه سوى أن المهيمن زكاه] [وأودعه تلک المعاجز فى الورى * وأعطاه أعلى المكرمات وولاه] [فيا معشر الارجاس أنتم قرابة * إليه ولا ترعوا هنالک تقواه]

فى رثائه (ع) قال بعضهم: [يا راكب الشدنية الوجناء * عرج على قبر بسامراء] [قبر تضمن بضعة من أحمد * وحشاشة للبضعة الزهراء] [قبر تضمن من سلالة حيدر * بدرا يشق حنادس الظلماء] [قبر سما شرفا على هام السها * وعلا بساكنه على الجوزاء] [يا ابن النبى المصطفى ووصيه * وابن الهداة السادة الامناء] [اناؤک بغيا عن مرابع طيبة * وقلوبهم ملاى من الشحناء] [كم معجز لک قد رواه ولم يكن * يخفى على الابصار نور ذكاء] [إن يجحدوه فطالما شمس الضحى * حفيت على ذى مقلة عمياء] [برا وتعظيما أروک وفى الخفا * يسعون فى التحقير والايذاء] [كم حاولوا انقاص قدرک فاعتلى * رغما لاعلى قنة العلياء] [فقضيت بينهم غريبا نائيا * بأبى فديتک من غريب نائى] [قاسيت ما قاسيت فيهم صابرا * لعظيم داهية وطول بلاء] [فلابكينک ما تطاول بى المدى * ولامزجن مدامعى بدمائى] وقال السيد صالح النجفى المعروف بالقزوينى من قصيدة: [لقد منى الهادى على ظلم جعفر * بمعتمد فى ظلمه والجرائم]

[أتاحت له غدرا يدا متوكل * ومعتمد فى الجور غاش وغاشم] [وأشخص رغما عن مدينة جده * إلى الرجس أشخاص المعادى المخاصم] [ولاقى كما لاقى من القوم أهله * جفاء وغدرا وانتهاک محارم] [وعاش بسامراء عشرين حجة * يجرع من أعداء سم الاراقم] [بنفسى مسجونا غريبا مشاهدا * ضريحا له شقته أيدى الغواشم] [بنفسى موتورا عن الوتر مغضيا * يسالم أعداء له لم تسالم] [بنفسى مسموما قضى وهو نازح * عن الاهل والاوطان جم المهاضم] [بنفسى من تخفى على القرب والنوى * مواليه من ذكر اسمه فى المواسم] [فهل علم الهادى إلى الدين والهدى * بما لقى الهادى ابنه من مظالم] [وهل علم المولى على قضى ابنه * على بسم بعد هتک المحارم] [وهل علمت بنت النبى محمد * رمتها الاعادى فى ابنها بالقواصم] [سقى أرض سامراء منهمر الحيا * وحيا مغانيها هبوب النسائم] [معالم قد ضمن أعلام حكمة * بنور هداها يهتدى كل عالم] [لئن أظلمت حزنا لكم فلقر بما * تضئ هنا منكم بأكرم تائم] [ومنتدب لله لم يثنه الردى * وفى الله لم تأخذه لومة لائم] [ويملا رحب الارض بالعدل بعدما * قد امتلات أقطارها بالمظالم] [إمام هدى تجلو كواكب عدله * من الجور داجى غيه المتراكم] [به تدرک الاوتار من كل واتر * وينصف المظلوم من كل ظالم] وقال على بن عيسى الاربلى فى مدح الامام على الهادى (ع): [يا أيها الرائح الغادى * عرج على سيدنا الهادى] [واخلع إذا شارفت ذاک الثرى * فعل كليم الله فى الوادى] [وقبل الارض وسف تربة * فيها العلى والشرف العادى] [وقل سلام الله وقف على * مستخرج من طلب أجواد] [مؤيد الافعال ذو نائل * فى المحل يروى غلة الصادى]

[يعفو عن الجانى ويعطى المنى ❊ فى حالتى وعد وايعاد] [مبارک الطلعة ميمونها ❊ وماجد من نسل أمجاد] [ولاهم من خير ما نلته ❊ وخير ما قدمت من زاد] وقال أبو الغوث المنجى أسلم بن مهوز شاعر آل محمد، وكان معاصرا للبحترى فالبحترى يمدح الملوک، وهو يمدح آل محمد (ص) وكان البحترى ينشد هذه القصيدة لابى الغوث: [ولهف إلى رؤياكم وله الصادى ❊ يذاد عن الورد الروى بذواد] [محلى عن الورد اللذيذ مساغه ❊ إذا طاف وراد به بعد وراد] [فأعليت فيكم كل هو جاء جسرة ❊ ذمول السرى تقتاد فى كل مقتاد] [أجوب بها بيد الفلا وتجوب ❊ إليک ومالى غير ذكرک من زاد] [فلما تراءت من رأى تجشمت ❊ إليک تعوم الماء فى مفعم الوادى] [إذا ما بلغت الصادقين بنى الرضا ❊ فحبسک من هاد يشير إلى هادى] [مقاويل إن قالوا بها ليل إن دعوا ❊ وفاة بميعاد كفناة لمرتاد] [إذا أو عدوا أعفوا وإن وعدوا وفوا ❊ فهم أهل فضل عند وعد وإيعاد] [كرام إذا ما أنفقوا المال أنفدوا ❊ وليس لعلم أنفقوه من إنفاد] [ينابيع علم الله أطواد دينه ❊ فهل من نفاد إن علمت لاطواد] [نجوم متى نجم خبا مثله بدا ❊ فصلى على الخابى المهيمن والبادى] [عباد لمولاهم موالى عباده ❊ شهود عليهم يوم حشر واشهاد] [هم حجج الله اثنتا عشرة متى ❊ عدد فثانى عشرهم خلف الهادى] [بميلاده الانباء جاءت شهيرة ❊ فأعظم بمولود وأكرم بميلاد] قال شاعر آل البيت المقبول الشيخ على البازى: [إن جئت سامرا فحى الوادى ❊ بعد التحية للامام الهادى] [اخلع نعالک قبل لثم ترابه ❊ عند الدخول لمرقد الامجاد] [وقل السلام على الرسول وآله ❊ فخر الورى من حاضر أو باد]

[من أوجب الله العظيم ولائهم ❊ مذ خصهم بشفاعة الميعاد] [وحباهمم من فضله بفضائل ❊ جلت عن التصوير والتعداد] [الواهبين لدى الجهاد جهودهم ❊ لله فى التبليغ والارشاد] [والباذلين حياتهم لحياة من ❊ ضلوا ليقفوا علة الايجاد] [والمؤثرين على النفوس فقيرهم ❊ ويتيمهم وأسيرهم بالزاد] [آل العبا فى عب ء أوزار الملا ❊ قاموا وزاحوا غيهب الالحاد] [ورثوا الشجاعة والندى عن تالد ❊ قرم وأفصح ناطق بالضاد] [بدعائهم للعالمين تطوعوا ❊ بعد الرسول بحكمة وسداد] [فرقانه السامى ونص حديثه ❊ عنهم أخذناه بلا إجحاد] [ما قادمتهم فى الانام عصابة ❊ إلا وكان مآلها لبداد] [هذى مآثرهم وتلک قبورهم ❊ وعلومهم تتلى على الاعواد] [حكموا بحكم الله بين عباده ❊ فهم الائمة زينة العباد] [كم حملوا العدوان من أعدائه ❊ وتجرعوا غصصا من الاوغاد] [فتفرقوا شيعا وجل ديارهم ❊ أودى بها صرف الزمان العادى] [وتتبعت آثارهم خصماؤهم ❊ فى كل حى آهل وبلاد] [فكأنما المختار قد أوصاهم ❊ أن لا يشيدوا للهدى بعماد] [قطعوا الصلات لرحمهم مذ قطعوا ❊ أرحامهم لا وفقوا لرشاد] [ما واصلوا بسوى القطيعة والاذى ❊ والظلم والتنكيل والاجهاد] [لم يصفحوا عنهم كصفح محمد ❊ عن جدهم فى بدر كالمعتاد] [قتلا وصلبا قد أبادوا جمعهم ❊ طمعا بأخذ الثار بالاحقاد] [ملاوا السجون بهم بدون جناية ❊ والسم بعد السجن والابعاد] [كابن الجواد على الهادى قضى ❊ بالسم إذ لما يجد من فاد] [غدروا به يا لهف نفسى غيلة ❊ واحر قلبى للسيد الهادى] [قد شيعوه وخلفه أيتامه ❊ تدعوه يارى الفؤاد الصادى] [من للعلوم وللعبادة والتقى ❊ والجود والارشاد والوفاد]

ص: ٣٧٧

[من مبلغ عنى النبى وحيدرا ❊ والطهر فاطم كعبة المرتاد] [أن الامام سليلها هادى الورى ❊ عصفت به للنائبات عوادى] [واسأل بيوم الطف عن سبط الهدى ❊ ورجاله الاعلام والاسياد] [منعوهم ماء الفرات ببغيهم ❊ وعداوة الآباء والاجداد] [جزروا الرجال على ظما ورضيعهم ❊ جزر الاضاحى يا اهيل ودادى] [ونساؤهم سقيت على عجف المطى ❊ أسرى لشر مذمم بفساد] [أخذوا البقية منهم لطليقهم ❊ مضنى يعانى الغل بالاصفاد] [وعلى الرماح رؤوسهم قد أهديت ❊ للشام والاعداء بالمرصاد] [أبدى الشماتة والجفا وقد اشتفى ❊ فيهم يزيد كما اشتفى ابن زياد] [هذى المصائب لا مصائب مثلها ❊ توهى القوى وتفت بالاعضاد] [ما ذنب أبناء النبى وآله ❊ تجزى جزاء المجرم المتمادى] قال محمد بن إسماعيل بن صالح الضميرى رحمه الله: [الارض خوفا زلزلت زلزالها ❊ وأخرجت من جزع أثقالها] إلى أن قال: [عشر نجوم أفلت فى فلكها ❊ ويطلع الله لنا أمثالها] [بالحسن الهادى أبى محمد ❊ تدرک أشياع الهدى إمامها] [وبعده من يرتجى طلوعه ❊ يظل جواب الفلا جزالها] [ذو الغيبتين طول الحق ❊ التى لا يقبل الله من استطالها] [يا حجج الرحمان إحدى عشرة ❊ آلت بثانى عشرها مآلها] وقال أيضا عند مرض الامام (ع): [مادت الارض بى وآذت ❊ وفؤادى واعترتنى موارد العرواء] [حين قيل الامام نضو عليل ❊ قلت نفسى فدته كل الفداء]

ص: ٣٧٨

[مرض الدين لاعتلالک ❊ واعتل وغارت له نجوم السماء] [عجبا إن منيت بالداء والسقم ❊ وأنت الامام حسم الداء] [وأنت أسى الادواء فى الدين ❊ والدنيا ومحى الاموات والاحياء]

ص: ٣٧٩

المجلس الثالث فيما جرى عليه من أهل زمانه إلى أن نقله الله إلى بحبوحات جنانه وتردأ برداء رضوانه وتاريخ وفاته (ع) وما لقى من هوانه. روى فى الخرائج عن ابن أرومة قال: خرجت أيام المتوكل إلى سر من رأى، فدخلت على سعيد الحاجب وقد دفع المتوكل إليه على الهادى (ع) ليقتله، فلما دخلت عليه قال: أتحب أن تنظر إلى إلآهک ؟ فقلت: سبحان الله (لا تدركه الابصار) (١) قال: هذا الذى تزعمون أنه إمامكم قلت: ما أكره ذلک، قال: إنى أمرت بقتله وأنا فاعل ذلک غدا، وعنده صاحب البريد فإذا خرج فادخل إليه، فلم ألبث أن خرج، فقال لى: أدخل فدخلت الدار التى هو فيها محبوسا فإذا بحياله قبر قد حفر، فدخلت وسلمت عليه وبكيت بكاء شديدا فقال لى (غ):

ما يبكيک ؟ فقلت: لما أرى فقال: لا تبک فلا يتم لهم ذلک، فسکن ما کان بی فقال (ع): إنه لا يلبث أکثر من يومين حتی يسفک الله دمه ودم صاحبه الذی رأيته، قال: فوالله ما مضی غير يومين حتی قتلا. فقلت لابی الحسن (ع): أخبرنی عن حديث رسول الله (ص) لا تعادوا الايام فتعاديکم ؟ فقال (ع): نعم إنه لحديث رسول الله (ص) تأويله: فأما

---

(١) سورة الانعام، الآية: ١٠٣. (*)

السبت فرسول الله (ص)، وأما الاحد فأمير المؤمنين (ع) وفاطمة، والاثنين الحسن والحسين (ع)، والثلاثاء علی بن الحسين ومحمد بن علی وجعفر بن محمد (ع)، والاربعاء موسی بن جعفر وعلی بن موسی ومحمد بن علی وأنا علی بن محمد (ع)، والخميس ابنی الحسن (ع)، والجمعة القائم عجل الله فرجه منا أهل البيت (ع). وفيه أيضا عن أبی العباس بن محمد بن أسرائيل الکاتب أنه جری ذکر أبی الحسن (ع) فقال: يا أبا سعيد إنی أحدثک بشئ حدثنی به أبی قال: کنا مع المعتز وکان أبی کاتبا له فدخلنا الدار وإذا المتوکل علی سريره قاعدا، فسلم المعتز عليه ووقفت خلفه، وکان عهدی به إذا دخل رحب به وأمره بالقعود، فأطال القيام وجعل يرفع رجلا ويضع أخری وهو لا يأذن له بالجلوس، ونظرت إلی وجهه يتغير ساعة بعد ساعة ويقبل علی الفتح بن خاقان هذا الذی تقول فيه ما تقول ويردد القول، والفتح مقبل عليه يسکنه ويقول مکذوب عليه يا أمير المؤمنين، وهو يقول: والله لاقتلن هذا المرائی الزنديق وهو يدعی الکذب ويطعن فی دولتی، ثم قال: جئنی بأربعة من الخزرج فجئ بهم ودفع إليهم أربعة أسياف، وأمرهم أن يرطنوا بألسنتهم إذا دخل أبو الحسن (ع)، ويقبلوا عليه بأسيافهم ويخبطوه وهو يقول: والله لاحرقنه بعد القتل، وأنا منتصب قائم خلف المعتز وراء الستر، فما شعرت إلا أبی الحسن (ع) قد دخل، فبادر الناس قدامه وقالوا: قد جئ به، فالتفت له (ع) وإذا أنا به وشفتاه يتحرکان وهو غير مکروب ولا جازع، فلما بصر به المتوکل رمی بنفسه عن السرير إليه وهو سبقه وانکب عليه وقبل ما بين عينيه ويديه وسيفه بيده، وهو يقول: يا سيدی يا ابن رسول الله يا خير خلق الله يا ابن عمی يا مولای يا أبا الحسن، وأبو الحسن (ع) يقول: أعيذک بالله يا أمير المؤمنين من هذا، فقال: ما جاء بک يا سيدی فی هذا الوقت ؟ قال: جائنی رسولک فقال المتوکل: قد کذب ابن الفاعلة، ارجع يا سيدی من حيث جئت، يا فتح، يا عبد الله، يا معتز

شيعوا سيدكم وسيدى، فلما بصر به الخزرج خروا سجدا، فلما خرج (ع) دعاهم المتوكل ثم أمر الترجمان أن يخبره بما يقولون، فقال لهم: لم لا فعلتم وما أمرتكم به فقالوا: هيبة منه وقد رأينا حوله أكثر من مائة ألف سيف لم نقدر أن نتأملها فمنعنا ذلک عما أمرتنا، وامتلئت قلوبنا رعبا من ذلک، فقال المتوكل: يا فتح هذا صاحبک وضحک فى وجه الفتح وضحک الفتح فى وجهه، وقال: الحمد لله الذى بيض وجهه وأنا حجته، فياالله من هذه النفوس الملعونة التى قدمت على مخالفة ربها ولم تبالى بمقارفة ذنبها، فسحقا لها وتبا فلقد باءت بالخسران وأطاعت الشيطان وقطعت الارحام، ونصرت العدوان. ولله در من قال: [ثلت عروشک يا بنى العباس ❊ مذ صرت أعداء لخير الناس] [عمدت يداک لهدم كل مشيد ❊ فى الدين قد زادت على الارجاس] [من آل سفيان وآل أمية ❊ أهل الشقاق نتيجة الخناس] [وهم وإن قتلوا الحسين عداوة ❊ لكنهم عفوا عن الارماس] [صيرتم حفرا لهم ومبانيا ❊ سكنوا بها فالحزن أصبح راسى] [فلانثرن مدامعى بمجامعى ❊ وأدير كأس الحزن فى جلاسى] [تالله لا أنسى الحزين مصابه ❊ فلحزنكم والله لست بناسى] [هيهات أسلوا حزنكم ومصابكم ❊ فمصابكم أدهى لطود رواسى] وفى مهج الدعوات بإسناده عن زرافة صاحب المتوكل وكان شيعيا أنه قال: كان المتوكل يحضر الفتح بن خاقان عنده ويقربه منه دون ولده وأهله، فأراد أن يبين فضله وموضعه عنده، فأمر جميع مملكته من الاشراف ومن سائر الجند وغيرهم والوزراء والامراء والقواد وسائر العسكر ووجوه الناس أن يزينوا بأحسن زينة، ويظهروا فى أفخر عددهم وذخائرهم، ويخرجوا مشاة بين يديه، وأن لا يركب أحد إلا هو والفتح بن خاقان خاصة بسر من رأى. ومشى الناس بين أيديهما على مراتبهم رجالة، وكان يوما قائضا شديد الحر، فأخرجوا

فى جملة الاشراف أبا الحسن (ع)، فشق عليه ما لقيه من الحر قال زرافة: فأقبلت إليه وقلت: يا سيدى يعز على ما تلقى من هذه الطغاة، وما قد تكلفته من المشقة، فقال (ع): يا زرافة، ما ناقة صالح عند الله بأكرم منى ولم أزل أسائله وأستفيد منه وأحادثه إلى أن نزل المتوكل من الركوب وأمر الناس بالانصراف، فقدمت إليهم دوابهم فركبوا إلى منازلهم وقدمت بغلة له (ع) فركبها وركبت معه إلى داره (ع)، فنزل فودعته وانصرفت إلى دارى. وكان لولدى مؤدب يتشيع من أهل العلم والفضل، وكانت لى عادة بإحضاره عند الطعام، فحضر ذلک اليوم وتجاريت معه الحديث وما جرى من ركوب المتوكل والفتح ومشى الاشراف وذوى الاقدار بين أيديهما، وذكرت له ما شاهدته من أبى الحسن الهادى (ع) وما سمعته من قوله (ع): ما ناقة صالح بأعظم عند الله قدرا منى، وكان المؤدب يأكل معى فرفع يده وقال: بالله إنک سمعته يقول بهذا اللفظ ؟ فقلت له: والله إنى سمعته يقول ذلک، فقال: اعلم أن المتوكل لا يبقى فى مملكته أكثر من ثلاثة أيام ويهلک، فانظر فى أمرک واحرز ما تريد احرازه، وتأهب كيلا يفجأكم أمره ثم جعل يجرى فى كلامه، فقلت له: من أين لک هذا العلم ؟ فقال: أما قرأت القرآن فى قصة الناقة فى قوله تعالى: (فتمتعوا فى داركم ثلاثة أيام) (١) الآية ؟ ولا يجوز أن يبطل قول الامام (ع)، قال زرافة: فما جاء اليوم الثالث حتى جاء المنتصر ومعه بغايا ووصيف والاتراک على المتوكل، فقتلوه هو والفتح بن خاقان وقطعوهم قطعا قطعا حتى لا يعرف أحدهما من الآخر، وأزال الله نعمته ومملكته، فلقيت الامام أبا الحسن (ع) وعرفته ما جرى من المؤدب وما قاله فقال صدق إنه

لما بلغ بى الجهد من المسير رجعت إلى كنوز عندنا كنا نتوارثها من آبائنا، وهى أعز من الحصون وأمنع من السلاح والجنن، وهو دعاء المظلوم على الظالم فقلت: يا سيدى تعلمنيه فعلمنيه:

---

(١) سورة هود، الآية: ۶۵. (*)

[أيا متوكل الارجاس فابشر * بخزى فى الحياة وفى القيامة] [أتهدم من رسول الله صرحا * علا فى المكرمات وفى الدعامة] [عمدت إلى الذى ساد البرايا * ومن جمع الشجاعة والحزامة] [زعمت بأن تبيد الدين جورا * فأولاک الخسارة والندامة] [أتعلو فوق من خضعت إليه * ملائک قدسها وأولو الكرامة] [كأنک قد عمدت لخير نور * لتطفيه فيا لک من ذمامة] [فكيف تظن أنک بالغ ما * أردت له وتظفر بالسلامة] [وكان إمامنا الهادى على * دعا البارى فبلغه مرامه] [عليه الله صلى ما تغنت * بأعلى الدوح من طرب حمامة] وروى المسعودى فى مروج الذهب أنه سعى إلى المتوكل بعلى بن محمد الهادى أن فى منزله كتبا وسلاحا من شيعته من أهل قم، وكان عازم على الوثوب بالدولة عليه، فبعث إليه جماعة من الاتراک فهجموا عليه فى داره ليلا فلم يجدوا فيها شيئا، ووجدوه فى بيت مغلوق عليه وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى وهو متوجه إلى الله تعالى يتلو آيات الله من القرآن، فحمل على حالته تلک إلى المتوكل وقالوا له: لم نجد فى بيته شيئا، ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكل جالسا فى مجلس الشراب فدخل عليه والكأس فى يد المتوكل، فلما رآه هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التى كانت فى يده (ع) عليه بترک، فقال: والله لا يخامر لحمى ودمى قط فاعفنى فأعفاه، فقال له: أنشدنى شعرا فقال (ع): إنى قليل الرواية فى الشعر فقال له: لا بد من ذلک فأنشده هذه الابيات لامير المؤمنين (ع): [باتوا على قلل الاجبال تحرسهم * غلب الرجال فلم تنفعهم القلل] [وأنزلوا بعد عز عن معاقلهم * وأسكنوا حفرا يا بئس ما فعلوا] [ناداهم صارخ من بعدما دفنوا * أين الاسرة والتيجان والحلل] [أين الوجوه التى كانت منعمة * من دونها تضرب الاستار والكلل]

[فافصح القبر عنهم حين سائلهم * تلک الوجوه عليها الدود يقتتل] [من بعد ما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد طيب الاكل قد أكلوا] قال: فبكى المتوكل حتى بلت دموعه لحيته وبكى الحاضرون ثم دفع إلى على (ع) أربعة آلاف دينار ورده إلى منزله مكرما، فيا قاتله الله من ملعون قد تولد من سفاح، فلم يزل ذلک اللعين يظهر

الداء الدفين ليقتل ذلک السيد الامين والله غالب على أمره فقطع الله منه الوتين. وقد روى فى كتاب كشف الغمة أن المتوكل كان ديدنه ودأبه يحرص على مجالسة على الهادى (ع)، ويعرض عليه أمورا يريد أن يسقط بها وقاره ومحله من القلوب، فإذا لم يجبه إلى ما يريد يعظم ذلک عليه، حتى أنه وجه إلى أخيه موسى وأحضره لعله أن يرى فيه ما يسقط منه محله فيكون له فى ذلک الكلام ليحتج به على الهادى (ع) حتى أعيته الحيلة فيه. قال الراوى: وكان يعقوب بن ياسر يقول: إن المتوكل كان يقول قد أعيانى أمر ابن الرضا (ع)، وإنى أريد أن يشرب معى أو يناد منى لاجل أن نجد فيه فرصة فى هلاكه، فقيل له: إن لم تجد فيه ذلک فهذا أخوه موسى قصاف عراف يأكل ويشرب ويتعشق، فقال: جيئونى به حتى نموه به على الناس ونقول له يا بن الرضا فكتب إليه وأشخصه مكرما، فتلقاه جميع بنى هاشم والقواد والناس حتى أنه إذا وافى أقطعه له قطيعة وبنى له فيها دارا، وحول الخمارين والقينات إليه وفضله ودبره وجعل له منزلا سريا حتى يزوره هو فيه، فلما وافى موسى تلقاه على الهادى (ع) فى قنطرة وصيف وهو موضع يتلقى فيه القادمين، فسلم عليه ووفاه حقه، ثم قال له: إن الرجل قد بعث إليک ليهتک عرضک ودينک ويضع من قدرک، فلا تقر له أنک شربت نبيذا قط، فقال له: إذا دعانى إليه فما حيلتى ؟ قال: لا تضع من قدرک ولا تفعل فانما أراد بهذا هتکک فأبى عليه فكرر عليه القول، فلما رأى أنه لا يجيب قال له: ان هذا مجلس لا تجتمع أنت وهو فيه أبدا قال: فأقام فيه ثلاث سنين يتردد عليه كل

يوم فيقال له: قد تشاغل فيخرج ثم يرجع فى الثانى فيقال له: قد سكر فبكر غدا فيبكر فيقال له: قد شرب دواء، فما زال على هذا ثلاث سنين حتى قتل المتوكل ولم يجتمع معه أبدا. وروى أن المتوكل وقيل الواثق أمر العسكر فى تسعين ألف فارس من الاتراک الساكنين بسر من رأى أن يملا كل واحد منهم مخلاة فرسه من الطين الاحمر، ويجعلون بعضه على بعض فى وسط برية واسعة هناک، فلما فعلوا ذلک صار كالجبل العظيم فصعد فوقه واستدعى على الهادى (ع) وقال له: ما استحضرتک إلا لترى نضارة خيولى وعسكرى، وقد أمرهم أن يلبسوا التخافيف ويكملوا الاسلحة ويعرضوا عليه بأتم عدة وأعظم هيبة، وكان غرضه كسر قلب كل من يخرج عليه من أهل البيت (ع) وغيرهم، فقال له على الهادى: أتريد أن أعرض عليک عسكرى كما عرضت على عسكرک ؟ قال: نعم، فدعا الله تعالى فإذا من السماء إلى الارض ما بين المشرق والمغرب ملائكة على نجب من الجنة، بأيديهم الحراب تلتهب فغشى على المتوكل فقال له الهادى لما أفاق: نحن لا ننافسكم على هذه الدنيا ونحن مشغولون عنكم بأمور الآخرة، فلا يدخلک منى مما تظن بأس. وروى عن أحمد بن داوود بن محمد بن عبد الله الطلحى قال: حملنا مالا من خمس ونذر من عين وورق ودنانير وحلى وجواهر وثياب من قم وما يليها فخرجنا نريد أبا الحسن (ع)، فلما صرنا إلى دسكرة الملک تلقانا رجل راكب على جمل ونحن فى قافلة عظيمة فقصدنا ونحن سائرون فى جملة الناس وهو يعارضنا بحمله، فقال: يا أحمد بن داوود ومحمد بن إسحاق معى رسالة إليكما فقلنا: ممن ؟ فقال: من سيدكما أبى الحسن الهادى (ع) يقول لكما: إنى راحل إلى الله تعالى فى هذه الليلة فأقيما مكانكما حتى يأتيكما أمر من أبى محمد الحسن (ع)، فخضشعت

قلوبنا وبكت عيوننا وأخفينا ذلک ولم نظهره، ونزلنا دسکرة الملک واستأجرنا منزلا وأحرزنا ما کان معنا فيه، وأصبحنا والخبر

شائع فى الدسکرة بوفاة إمامنا (ع) لا إله إلا الله أترى أن الرسول الذى جاء برسالته أشاع الخبر فى الناس ؟ فلما تعالى النهار رأينا قوما من شيعة على أشد قلقا مما نحن فيه، وأخفينا أمر الرسالة ولم نظهره، فلما جن الليل جلسنا بلا ضوء ولا سراج حزنا على الهادى (ع) نبکى ونشکو إلى الله تعالى فقده، وإذا نحن بيد داخلة علينا من الباب فأضاءت بنا کما يضئ المصباح وقائلا يقول: يا أحمد يا محمد هذا التوقيع، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسن المستکين لرب العالمين إلى شيعته المساکين أما بعد، فالحمد لله على ما نزل بنا منه ونشکره إليکم على جميل الصبر إليه، وهو حسبنا فى أنفسنا وفيکم ونعم الوکيل. قال الراوى ولما انتقل الامام على الهادى (ع) إلى روح الله ورضوانه وقد سمه المعتمد فى رمان وقيل فى ماء، فلما فاضت روحه المقدسة علا الصياح فى داره، وقامت الواعية فى الهاشميين والعلويين والطالبيين يلطمون الخدود ويخدشون الوجوه، وينادون واضيعتاه، واوحدتاه، من لليتامى والمساکين، ومن للفقراء والمنقطعين، ثم غسله ابنه الحسن العسکرى (ع) وحنطه وأدرجه فى أکفانه وصلى عليه، وخرج فى جنازته حافى الاقدام، وقد شق قميصه حزنا على مصاب أبيه، فکتب إليه الابرش فى ذلک وأعاب عليه فى شقه قميصه فقال (ع): يا أحمق ما أنت وذاک وقد شق موسى (ع) قميصه على أخيه هارون (ع). وکانت وفاته على ما رواه إبراهيم بن هاشم القمى قال: توفى أبو الحسن (ع) يوم الاثنين لثلاث خلون من رجب سنة ٢٥٤ أربع وخمسين ومائتين، وتوفى (ع) وله يومئذ إحدى وأربعين سنة ومثله ما رواه ابن عياش، وکانت مدة إقامته بسر من رأى ودفن فى داره بها فى آخر ملک المعتمد، وقد استشهد (ع) على يده مسموما. وفى رواية ابن بابويه فى أدعية شهر رمضان أنه سمه المعتمد، وفى بعضها أنه المتوکل، وکانت مدة إمامته (ع) بقية ملک المعتصم ثم ملک

الواثق، ثم ملک المتوکل، ثم ملک المنتصر، ثم ملک المستعين، ثم ملک المعتز، ثم ملک المعتمد أخ المتوکل ثمان سنين وستة أشهر، وفى آخر ملکه استشهد ولى الله الهادى (ع)، وهکذا فى رواية المناقب ودفن فى داره بسر من رأى وکان مقامه (ع) بها إلى أن توفى عشرين سنة، وأشهر الاخبار بيوم وفاته (ع) مختلفة جدا وما ذکرناه أشهرها رواية، فيالله لهدم مبانى هذا الدين، ويا ضيعة الفقراء والمساکين، فيجب على النفوس أن تموت أسفا إلى يوم الدين وأن تنثر درر المدامع فى الخدود، وتدير کاسات الاحزان على الحاضرين من المؤمنين، کيف لا وهم رکن الحق المبين والقطب الذى دارت عليه رحاء الاسلام بحسن الادارة والتمکين. شعر للمؤلف رحمه الله تعالى: [فيا قلبى المضنا أدم فى صبابة ❊ إلى أن تقوم الناس فى الحشر والنشر] [فإن عليا خير من وطأ الثرى ❊ وصى رسول الله فى العلم

والسر] [قضى وهو مسموما فوالهفتى له ❊ ويا طول حزنى ما بقيت من الدهر] [لقد أصبح الدين الحنيفى ثاويا ❊ على الارض ملحودا وقد ضم فى القبر] [على الدار من بعد الوصى عليها ❊ سلام مدى الايام فى منتهى العمر] [أيقتل مسموما على غير جرمة ❊ وتهتک أستار الشرائع والامر] وهذا آخر ما انتهى إلينا من وفاة سيدنا ومولانا على بن محمد الهادى (ع) على التمام والكمال، ونستغفر الله العظيم المنان عن الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان إنه غفور منان، وصلى الله على محمد وآله سادات الزمان والحمد لله رب العالمين.

ص: ٣٨٩

وفاة الامام الحسن العسكرى " عليه السلام " تأليف العلامة الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن عصفور الدارزى البحرانى

ص: ٣٩١

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى اختار لاوليائه الشهادة، وبوأهم بها الحسنى وزيادة، والصلاة والسلام على محمد وآله أرباب الخير والسعادة الممتحنين فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم، حسب مقتضى الحكمة والارادة، الصابرين فى السراء والضراء، والشاكرين فى الشدة والرخاء، والمتبوئين منزل السعادة. وبعد: فيقول الراجى لعفو ربه العميم حسين بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الدرازى: أنه قد التمس منى من لم يسعنى ترک إجابته فى أن أؤلف كتابا وجيزا على حسب الاطلاع والاحادة، مشتملا على وفاة إمامنا ومولانا وسيدنا أبى محمد الحسن بن على العسكرى (ع)، لتجتمع على استماعه أهل الايمان والولاية للائمة القادة، ليربحوا فى متاجرتهم كمال الارباح والافادة، فإن ذلک من أعظم الفوائد المستفادة، وليكن لى ذخرا يوم المعاد ومنفعة وزيادة، وقد رتبته على ثلاثة فصول وقد سميته (الشجون الوقادة فى وفاة إمامنا العسكرى من أئمتنا السادة) وبالله أستعين إنه خير موفق ومعين لكل طلب وإرادة.

ص: ٣٩٣

الفصل الاول كان مولده فى غرة شهر رمضان، أو فى غرة شهر ربيع الآخر، سنة إثنين وثلاثين ومائتين بسر من رأى، وأمه أم ولد. ويقال لها حديث، وقد جرت له فى ولادته آيات ومعجزات، وكان غير مترقب الولادة إخفاء لامره بين الخاصة والعامة، حتى أنه لم يوص إليه والده (ع) قبل مضيه إلا بأربعة أشهر، وأشهد على ذلک خواص شيعته، وكان المترقب للامام فى تلک الاعصار أخاه محمد كما صرحت به الاخبار. ففى خبر النوفلى كما فى الكافى قال: كنت مع أبى الحسن (ع) فى صحن داره، إذ مر بنا محمد ابنه فقلت له: جعلت فداک هذا صاحبنا بعدک ؟ فقال:

لا صاحبكم بعدى الذى يصلى على. قال الراوى عبد الله بن محمد الاصبهانى: ولم فعرف أبا محمد (ع) قبل ذلک، قال: فخرج أبو محمد فصلى عليه، وفى رواية جماعة من الثقات والخواص له (ع) منهم الحسن بن الحسن الافطس أنهم حضروا يوم توفى (ع) محمد بن على بن محمد دار أبى الحسن، وقد بسط له فى صحن داره والناس جلوس حوله، فقالوا: حتى قدرنا ان نكون حوله من آل أبى طالب وبنى العباس وقريش مائة وخمسين رجلا سوى مواليه وسائر الناس، إذ نظر إلى الحسن بن على (ع) قد جاء مشقوق الجيب حتى قام عن يمينه ونحن لا نعرفه،

فنظر إليه أبو الحسن بعد ساعة فقال: يا بنى أحدث لله شكرا فقد أحدث فيک أمرا، فبكى الفتى وحمد الله تعالى واسترجع وقال: يا أباه أسأل الله تمام النعمة علينا، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فسألنا عنه فقالوا: هذا ابنه وقدرنا له فى ذلک الوقت عشرين سنة أو أرجح، فيومئذ عرفناه وعلمنا أنه أشار إليه بالامامة وأقامه مقامه. كما فى حديث آخر عن أبى هاشم الجعفرى قال: كنت عند أبى الحسن (ع) بعد ما مضى ابنه أبو جعفر (رض) وإنى لافكر فى نفسى، وأقول هذه قصة أبى إبراهيم وقصة إسماعيل فأقبل على أبو الحسن (ع) قبل أن أنطق، فقال: نعم يا أبا هاشم بدا لله أبى جعفر فصير مكانه أبا محمد (ع) كما بدا له فى إسماعيل، بعد ما دل عليه أبو عبد الله (ع) ونصبه، وهو كما حدثتک نفسک وان كره المبطلون. أبو محمد ابنى الخلف من بعدى، عنده ما تحتاجون إليه ومعه آلة الامامة والحمد لله. وليس البلد المذكور فى هذا الخبر ونحوه على جهة الحقيقة، لان الامامة منصوص عليها من الله ورسوله (ص) أزلا وأبدا، فالمراد بها ظهور الشئ على ما هو عليه فى نفس الامامة بعد أن يكون الظاهر عكسه، وكيف وقد قال الله تعالى: (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) (١) وقال تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) (٢) ولقد كان أبو محمد أكبر من جعفر الكذاب. ولله درمن قال: [هو الشمس نورا لا خفاء بها * إذا فكيف ونور الله فيها مخلد] [ولكنما جار العدو عليهم * وقد قصدوهم بالبلا وتمردوا] [وقد شتتوا فى كل شرق ومغرب * وفى كل قفر من فنا الارض مشهد] [أبادوهم قتلا وسما ومثلة * فيا لک خطب فى الورى ليس يوجد] * (هامش ص ٣٩٤) (١) سورة التوبة، الآية: ١١٥. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٦. *

[فيا عين سحى دمع غربک أحمرا * فما طاب من بعد الاطايب مرقد] وفى كتاب الكافى عن جماعة من الثقات ومشايخه، قالوا: كان أحمد بن خاقان على الضياع والخراج بقم، فجرى بمجلسه يوما ذكر العلوية. ومذاهبهم، وكان شديد النصب والعداوة، فقال: ما رأيت ولا عرفت رجلا بسر من رأى من العلويين مثل الحسن بن على بن محمد بن الرضا (ع) فى هديه وسكونه وعفافه ونبالته وكرمه عند أهل بيته وبنى هاشم، وتقديمهم إياه على ذوى السن منهم والخطر، وكذلک القواد والوزراء وعامة الناس، فإنى كنت يوما واقفا على رأس أبى وهو يوم مجلسه للناس، إذ دخل

عليه حاجبه فقال: إن أبا محمد بن الرضا (ع) بالباب، فقال بصوت عال: ائذنوا له، فتعجبت مما سمعت منهم أنهم جسروا يكنون رجلا على أبى بحضرته، ولم يكن عنده إلا خليفته أو ولى عهد أو من أمر السلطان أن يكنى، فدخل رجل أسمر، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، حدث السن، له جلال وهيبة، فلما نظر إليه أبى قام يمشى إليه يتخطى مطأطأ، ولا أعلمه فعل هذا بأحد من بنى هاشم والقواد، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذى كان عليه، وجعل يكلمه ويفديه بنفسه، وأنا متعجب مما أرى منه إذ دخل الحاجب فقال: الموفق قد جاء، وكان الموفق إذا دخل على أبى يقدم حجابه وخاصته وقواده: ثم قاموا بين مجلس أبى وبين الدار وبسطوا سماطين إلى أن يدخل ويخرج، ولم يزل أبى مقبلا على أبى محمد (ع) يحدثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة فقال حينئذ: إذا شئت جعلنى الله فداک، ثم قال لحجابه: خذوا به خلف السماطين حتى لا يراه هذا – يعنى الموفق – فقام وقام أبى وعانقه ومضى. فقلت لحجاب أبى وغلمانه: من هذا الذى كنيتموه على أبى، وفعل أبى معه هذا الفعل ؟ فقالوا: هذا علوى يقال له الحسن بن على بن محمد (ع) يعرف بابن الرضا (ع)، فازددت تعجبا ولم أزل يومى ذلک كله قلقا مفكرا فى

أمره (ع) وأمر أبى، وما رأيت منه، حتى كان الليل وكانت عادة أبى يصلى العتمة ثم يجلس فينظر ما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه إلى السلطان، فلما صلى وجلس جئت وجلست بين يديه وليس معنا أحد، فقال لى: يا أحمد ألک حاجة ؟ قلت: نعم يا أبت، فإن أذنت لى سألتک عنها فقال لى: مأذون لک يا بنى فقلت: يا أبت من الرجل الذى رأيتک الغداة فعلت به ما فعلت من الاجلال والكرامة والتبجيل وفديته بنفسک وأبويک ؟ فقال: يا بنى ذاک إمام الرافضة، ذاک الحسن بن على (ع) المسمى بابن الرضا (ع) فسكت ساعة ثم قال: يا بنى لو زالت الامامة من خلفاء بنى العباس ما استحقها أحد من بنى هاشم غير هذا، وإن هذا يستخلفها فى فضله وعفافه وزهده (ع) وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيت أباه رأيت رجلا جزيلا نبيا فاضلا، فازددت قلقا وتفكرا وغيظا على أبى وما سمعت منه واستزهدته فى فعله وقوله فيه بما قال، ولم يكن لى همة بعد ذلک إلا السؤال عن خبره والبحث عن أمره، فما سألت أحدا من بنى هاشم، والقواد، والكتاب، والقضاة، والفقهاء، وسائر الناس، إلا وجدته عنده فى غاية الاجلال والاعظام، والمحل الرفيع، والقول الجميل، والتقدم على جميع أهل بيته ومشايخه، فعظم قدره عندى إذ لم أر له وليا ولا عدوا إلا يحسن القول والثناء عليه، فقال له بعض من حضر مجلسه من الاشعريين يا أبا بكر فما خبر أخيه جعفر ؟ فقال: ومن جعفر ؟ حتى يسأل عنه أو يقرن جعفر بالحسن (ع) وجعفر معلن بالفسق، فاسق، فاجر، شريب للخمور، أقل من رأيته من الرجال وأهتكهم لنفسه، خفيف، قليل فى نفسه، الحديث. وستأتى بقية فضائله فى الحديث عن وفاته (ع). [فيالک شخصا قد أقر بفضله ❊ جميع الورى من شامت وحسود] [وكيف يغطى نور شمس ضياؤها ❊ يعم جهات الست بعد خمود] [وذلک فضل الله يؤتيه من يشا ❊ على رغم أنف للبغى وحسود]

[وهذا الذى أبدا لهم من حقودهم * فبعدا لهم من ظالم وحقود] [أيقتل من هذا صفات كماله * بسم زنيم مبعد وكبود] [فوالهف نفسى بعد إخماد نورهم * وطول عنائى لا نعمت بعيدى] ومن معجزاته الخارقة للعادة، ما رواه الكلينى رحمه الله أيضا عن جماعة من أصحابنا، عن بعض فصادى العسكر من النصارى: أن أبا محمد (ع) بعث إليه يوما فى وقت صلاة الظهر، فقال: أفصد هذا العرق قال: فناولنى عرقا لم أفهمه من العروق التى تفصد، فقلت فى نفسى ما رأيت أمرا أعجب من هذا، يأمرنى أن أفصده فى وقت الظهر وليس بوقت الفصد، والثانية عرق لا أفهمه. قال: ثم قال انظر وكن بالدار، فلما أمسى دعانى وقال لى: سرح الدم فسرحته، ثم قال لى: إمسك فأمسكت، ثم قال لى: كن فى الدار، فلما كان نصف الليل أرسل إلى فقال لى: سرح الدم، فتعجبت أكثر من عجبى الاول، فكرهت أن أسأله، قال: فسرحت الدم فخرج دم أبيض كأنه الملح، قال: ثم قال لى اجلس، فجلست وقال لى: كن فى الدار. فلما أصبحت أمر قهرمانه أن يعطينى ثلاثة دنانير فأخذتها. فخرجت حتى أتيت إلى بختيشوع النصرانى فقصصت عليه القصة، قال: فقال لى: ما أفهم ما تقول، ولا أعرفه فى شئ من الطب، ولا قرأته فى كتاب، ولا أعلم فى دهرنا أعلم بكتب النصرانية من فلان الفارسى فأخرج إليه قال: فاكتريت زورقا إلى البصرة وأتيت الاهواز، ثم صرت إلى فارس إلى صاحبى فأخبرته الخبر، قال: فقال لى: أنظرنى أياما، فأنظرته ثم أتيت متقايضا، قال: فقال لى: إن هذا الذى تحكيه من أمر هذا الرجل فعله عيسى ابن مريم (ع) فى دهره مرة واحدة، ولقد حسده الناس على هذا الفضل الباذخ والمقام الشامخ، ولقد أنجز ذلک إلى أخيه جعفر الكذاب لمقابلة لجعفر الصادق (ع). وقد أفصح عن ذلک خبر الكابلى عن على بن الحسين (ع) على ما فى

كتاب الاكمال قال: دخلت عليه فقلت له: يابن رسول الله أخبرنى عن اللذين فرض الله تعالى طاعتهم ومودتهم. وأوجب على عباده الاقتداء بهم بعد رسول الله (ص)، فقال: بلى يا كابلى إن أولى الامر الذين جعلهم الله أئمة الناس وأوجب عليهم طاعتهم أولهم: أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ثم الحسن، ثم الحسين (ع) حتى انتهى الامر إلينا، فسكت (ع)، فقلت: يا سيدى روى لنا عن أمير المؤمنين (ع) انه قال: إن الله عزوجل لا يخلى الارض من حجة له على عباده فمن الحجة والامام بعدک ؟ فقال: ابنى محمد واسمه فى التوراة باقر يبقر العلم بقرا، وهو الحجة والامام بعدى، ومن بعد محمد ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق، فقلت: يا سيدى كيف اسمه الصادق وكلكم صادقون ؟ قال: حدثنى أبى عن أبيه عن رسول الله (ص) قال: إذا ولد ابنى جعفر بن على بن الحسين فسموه الصادق، فإن الخامس من ولده اسمه جعفر الكذاب المفترى على الله عزوجل المدعى بما ليس له بأهل، المخالف على أبيه والحاسد لاخيه، ذلک الذى يروم كشف ستر الله عند غيبة ولى الله. ثم بكى على بن الحسين (ع) بكاء شديدا، ثم قال: كأنى بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولى الله والتوكيل بحرم أبيه جهلا منه بولادته، وحرصا منه على قتله، إن ظفر به طمعا فى ميراث أخيه حتى يأخذه بغير حقه. قال أبو خالد: فقلت له: يا بن رسول الله إن

ذلک لکائن ؟ قال: هو مکتوب عندنا فی الصحیفة التی فیها المحن التی تجری علینا بعد رسول الله (ص)، قال أبو خالد: فقلت: یا بن رسول الله ثم یکون ماذا ؟ قال: تمد الغیبة بولی الله الثانی عشر من أوصیاء رسول الله (ص) والائمة بعده، یا أبا خالد إن أهل زمان غیبته (ع) القائلین بإمامته والمنتظرین لظهوره أفضل من أهل کل زمان، لان الله تبارک وتعالی أعطاهم من العقول ما صارت

ص: ۳۹۹

الغیبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم بمنزلة المجاهدین بین یدی رسول الله (ص) بالسیف، أولئک هم المخلصون حقا حقا، وشیعتنا صدقا، والدعاة إلی دین الله سرا وجهرا، ثم قال علی بن الحسین (ع) انتظار الفرج أفضل من العمل. وفی روایة، عن فاطمة بنت محمد بن الهیثم المعروف بابن النسابة قال: کنت فی دار أبی محمد الحسن بن علی العسکری (ع) فی الوقت الذی ولد فیه جعفر فرأیت أهل الدار فی سرور به، فسرت إلی أبی الحسن (ع) فلم أره مسرور بذلک فقلت له: یا سیدی مالی أراک غیر مسرور بهذا المولود ؟ قال: یهون علیک أمره فإنه سیضل خلقا کثیرا. ولله درمن قال: [قل للذی یرضی مقالة جعفر * ما أنت إلا هوج مرتاب] [شتان بین الجعفرین فصادق * یهدی الانام وآخر کذاب] [فتعم ذاک من الاله صلاته * وتعم هذا نقمة وعذاب] [لا یدخلن الریب قلبک فی الذی * ولد الکذاب وإنه لصواب] [إذ نوح أولد ابنه کنعان فی * الذکر الحکیم وطابت الانساب]

ص: ۴۰۱

الفصل الثانی وتلک شاهدة علی أنه السری ابن السری، فلا تشک فی إمامته ولا تمتری، واعلم أنه إذا بیعت مکرمة فسواه بائعها، وهو المشتری، الفائق نوره علی زحل والمشتری، سید أهل عصره وإمام أهل دهره، فالسعید من وقف عند نهیه وأمره، ذو العلا الذی فاز وعلا علی النجوم الزواهر، والمحتدی الذی فزعت إلیه العظماء عند الفادح والتفاخر، والمنصب الذی ظهرت فی عقوده أسنی فرائد وجواهر: [شرف تقادم کابرا عن کابر * کالرمح أنبوبا علی أنبوب] [لکنما هذا الزمان برییه * أضحی یعاندهم بکل کروب] [أضحت به أهل الفضائل والعلا * فی محنة شعوا ونیل شحوب] [ما بین مقتول بسیف عداته * أو بین مسموم لذی المشروب] [أو بین مأسور بثقل قیوده * أو بین مشجون بها متعوب] وروی أبو هاشم الجعفری (رض) قال: کنت عند الحسن (ع) فاستؤذن لرجل من أهل الیمن، فدخل رجل جسیم طویل جمیل، فسلم علیه بالولایة، فرد علیه بالقبول، وأمره بالجلوس، فجلس إلی جنبی فقلت فی نفسی: لیت شعری من هذا ؟ فقال (ع): هذا ولد الاعرابیة صاحبة الحصاة التی طبع فیها آبائی (ع) ثم قال: هاتها، فأخرج حصاة وناوله إیاه فأخرج (ع) خاتمه

وطبعها، وكأنى أقرأ الخاتم الساعة الحسن بن على (ع) فقلت لليمانى: أرأيته قبل هذه الساعة ؟ قال: لا والله وإنى منذ دهرى حريص على رؤيته حتى أذن لى فى الدخول، ثم نهض وهو يقول: رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ذرية بعضها من بعض، أشهد أن حقك واجب كوجوب حق رسول الله (ص) وحق أمير المؤمنين (ع) والائمة من بعده (ع) وإليک انتهت الحكمة والامامة، وإنک والله الامام ولا عذر لاحد فى الجهل بک، فسألت عن اسمه فقيل لى: مهجع بن الصلت بن عقبة بن سمعان بن غانم بن أم غانم الاعرابية صاحبة الحصاة التى طبع فيها أمير المؤمنين (ع)، وفى ذلک يقول أبو هاشم الجعفرى (رض): [له الله صفا بالدليل فاخلصا ❊ بدرب الحصا مولى لنا يختم الحصا] [وأعطاه آيات الامامة كلها ❊ كموسى وفلق البحر واليد والعصا] [فما قمص الله النبيين حجة ❊ ومعجزة إلا الوصيين قمصا] [فمن كان مرتابا بذاک فقصره ❊ من الامر ما يتلوا الدليل ويفحصا] ومن معجزاته (ع) ما رواه الجعفرى (رض) قال: كنت فى الحبس المعروف بحبس حسيس فى الجوشق الاحمر، أنا ومحمد بن الحسن العصفى، ومحمد بن إبراهيم العامرى وفلان وفلان، إذ دخل علينا الحسن العسكرى وأخوه جعفر، فحففنا به وكان المتولى بحبسه صالح بن وصيف، وكان معنا فى الحبس رجل جمحى يقول إنه علوى، فقال العسكرى: لولا أن فيكم من ليس منكم لاعلمتكم متى يفرج عنكم، وأومى بيده إلى الجمحى أن يخرج، فخرج، فقال (ع) هذا رجل ليس منكم فاحذروه، فإن فى ثيابه رقعة قد كتبها إلى السلطان يخبره بما تقولون فيه، فقام بعضهم وفتش ثيابه فوجد الرقعة، يذكرنا فيها بكل عظيمة. وروى عن الجعفرى (رض) قال: كان الحسن العسكرى (ع) يصوم فى الحبس، فإذا أفطر أكلنا معه من طعام كان يحمله إليه غلامه فى جوزة

مختومة، وكنت أصوم معه، فلما كان ذات يوم أكلت كعكة كبيرة، ولم يشعر بى أحد، ثم جئت فجلست معه فقال لغلامه: أطعم أبا هاشم فإنه مفطر، فتبسمت فقال: ما يضحكک يا أبا هاشم ؟ إذا أردت القوة فكل اللحم فإن الكعک لا قوة فيه، صدق الله ورسوله (ص) وأنتم أهل بيت رسوله (ص) ثم قال لى: افطر ثلاثا فإن الصحة لا ترجع إذا نهكها الصوم فى أقل من ثلاث، فلما كان فى اليوم الذى أراد الله تعالى أن يفرج عنه فيه، جاءه الغلام فقال: يا سيدى أحمل فطورک إليک ؟ قال: احمله وما أحسبنا نأكله، فحمل الغلام الطعام عند الظهر وأطلق العصر وهو صائم، فقال (ع): كلوا هناكم الله تعالى. فيا لها من مناقب كشفت عن تلک الانوار المضيئة، وأبرزت محجبات أبكار الاسرار من الافكار، فلا غرو حسدوهم الليل والنهار، وارتكب ما ارتكب فى شأنهم الحسدة الاشرار، فحرصوا أن يفنوهم من جديد الارض، ويضيقوا عليهم فى الطول والعرض، فسجنوهم فى السجون والقيود، ودفنوهم أحياء فى الاخدود. وعن أبى القاسم كاتب راشد فى كشف الغمة، قال: خرج رجل من العلويين بسر من رأى فى أيام الحسن (ع) إلى الجبل يطلب الفضل، فلقيه رجل بهلول فقال له: من أين أتيت ؟ فقال: من سر من رأى، فقال له: تعرف درب كذا ودرب كذا ؟ فقال: نعم فقال: هل عندک من أخبار الحسن بن على (ع) ؟ فقال: لا قال: فما أقدمک الجبل ؟ قال: أطلب الفضل

قال: لک عندی خمسون دینارا فاقبضها وانصرف معی إلی سر من رأی حتی توصلنی إلی الحسن بن علی (ع)، واستأذنا علی الحسن بن علی (ع) فأذن لهما فدخلا، والحسن (ع) قاعد فی صحن الدار، فلما نظر الحسن (ع) إلی الجبلی قال له: أنت فلان بن فلان ؟ قال: نعم قال: أوصی إلیک أبوک وأوصی إلینا بوصیة جئت لتؤدیها وهی معک، أربعة آلاف دینار هاتها فقال الرجل: نعم،

فدفع إلیه المال، ثم نظر إلی العلوی فقال: خرجت إلی الجبل تطلب الفضل فأعطاک هذا الرجل خمسین دینارا، فخرجت معه ونحن نعطیک خمسین دینارا فأعطاه. وروی جعفر بن شریف الجرجانی قال: حججت سنة فدخلت علی الحسن بن علی (ع) بسر من رأی، وقد کان أصحابنا حملوا معی شیئا من المال، فأردت أن أسأله إلی من أدفعه فقال لی قبل أن أسأله: ادفع ما معک إلی مبارک خادمی، ففعلت، فقلت: شیعتک بجرجان یقرؤنک السلام، فقال (ع): أو لست منصرفا بعد فراغک من الحج ؟ قلت: بلی قال: إنک تصیر إلی جرجان من یومک هذا إلی مئة وتسعین یوما، وتدخلها یوم الجمعة لثلاث مضین من شهر ربیع الآخر فی أول النهار، فأعلمهم انی أوفیهم فی ذلک الیوم آخر النهار فامض راشدا، فإن الله تعالی سیسلمک ویسلم من معک، فتقدم علی أهلک وولدک، ویولد لک ولد شریف، فسمه الصلت، وسیبلغ وسیکون من أولیائنا، فقلت: یا بن رسول الله إن إبراهیم بن إسماعیل الحلختی من شیعتک وهو کثیر المعروف إلی أولیائک، یخرج إلیک فی السنة من ماله أکثر من مئة درهم، وهو أحد المبتلین فی نعم الله تعالی بجرجان، فقال (ع): شکرا لله لابی إسحاق إبراهیم بن إسماعیل صنیعه إلی شیعتنا، وغفر الله ذنوبه ورزقه ذکرا سویا قائما بالحق، فقل له: یقول لک الحسن بن علی: سم ابنک أحمد. فانصرفت من عنده وحججت، فسلمنی الله تعالی حتی وافیت جرجان یوم الجمعة أول النهار لثلاث مضین من شهر ربیع الآخر علی ما ذکره (ع) فجاء أصحابی یهنونی، فأعلمتهم أن الامام الحسن العسکری (ع) وعدنی أنه یوافیکم فی هذا الیوم، فتأهبوا إلی ما تحتاجون إلیه، وأعدوا مسائلکم وحوائجکم کلها، فلما صلوا الظهر والعصر واجتمعوا فی داری فوالله ما شعرنا إلا وقد وافانا الامام (ع)، فدخل ونحن مجتمعون فسلم علینا فاستقبلناه وقبلنا

یدیه ورجلیه، ثم قال (ع) انی وعدت جعفر الشریف (رض) أن أوافیکم هذا الیوم، فصلیت الظهر والعصر بسر من رأی وصرت إلیکم وها أنا قد جئتکم الآن، فاجمعوا مسائلکم وحوائجکم کلها، فأول من ابتدر بالمسألة النصر بن جابر فقال: یابن رسول الله (ص) إن ابنی جابرا بلی فی بصره فادع الله تعالی أن یرد عینیه، فقال (ع): هاته، فجاء به فمسح بیده علی عینیه فعاد بصره، ثم تقدم رجل فرجل یسألونه حوائجهم فأجابهم ودعا لهم بالخیر، ثم انصرف (ع) من یومه ذلک إلی سر من رأی. وعن علی بن شابور قال: قحط الناس بسر من رأی فی زمن الحسن بن علی

العسكرى (ع) فأمر المتوكل بالاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون فما سقوا، وخرج الجاثليق فى اليوم الرابع مع النصارى والرهبان، وكان فيهم راهب فلما مد يده هطلت السماء بالمطر، وخرجوا فى اليوم الثانى فمطرت السماء، فشک أكثر الناس وتعجبوا وصبوا إلى دين النصرانية، فأنفذ المتوكل إلى الحسن العسكرى (ع) وكان محبوسا فأخرجه من الحبس، وقال: إلحق أمة جدک (ص) فقد هلكت فقال (ع): إنى خارج ومزيل الشک إن شاء الله تعالى، قال: فخرج الجاثليق فى اليوم الثالث والرهبان معه، وخرج الحسن (ع) فى نفر من أصحابه، فلما بصر بالراهب قد مد يده أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين أصبعه ففعل، وأخذ منه عظما أسودا، فأخذه الحسن (ع) وقال له استسق الآن فاستسقى، وكان فى السماء غيما فتقشع الغيم وطلعت الشمس بيضاء، فقال المتوكل: ما هذا العظم يا أبا محمد ؟ فقال (ع): إن هذا الرجل مر بقبر من قبور الانبياء فوقع فى يده هذا العظم، وما كشف عن عظم نبى إلا هطلت السماء بالمطر: [لحا الله قوما وازنوک بمن عتى ❊ على الله عدوانا فهدم دينه] [يظنون أن القطر ينزل سرعة ❊ إذا مد من غطى العقول يمينه] [ولم يعلموا عظم النبى بكفه ❊ ومن أين هذا السر يستخرجونه]

[فلولاک ردت للتنصر أمة ❊ لجدک قدما دينه يرتضونه] [أيا شر خلق الله كيف عمدتم ❊ إلى نور خلاق الورى تطفئونه] [صلاة إلهى لا تزال تحفه ❊ متى البان أهفى الريح منه غصونه] وكم له (ع) من معاجز لا تأتى عليها الاقلام وكتاب الارقام، وهى التى حسدوهم عليها الطغاة الظلام، سيما الارجاس من بنى العباس، فقد تقصدوهم فى كل محنة ومقام، فسقوهم كؤوس الحمام بكل لدن وحسام، على أنهم لا يشاركونهم فيما بأيديهم من الحلال والحرام. ومنها ما كتبه الحسن بن طريف يسأله ما معنى قول النبى (ص) لعلى (ع): من كنت مولاه فعلى مولاه ؟ قال (ع): أراد بذلک أن يجعله علما يعرف به حزب الله عند الفرقة، قال: وكتبت إليه أسأله وقد تركت التمتع ثلاثين سنة وقد نشأت لذلک، وكان فى الحى امرأة وصفت لى بالجمال، فمال قلبى إليها، وكانت لا تمنع يد لامس فكرهتها ثم قلت: قد قال رسول الله (ص) تمتع بالفاجرة فكأنها تخرجها من حرام إلى حلال، فكتب إلى: إنما تحيى سنة وتميت بدعة، فلا بأس، وإياک وجارتک المعروفة بالعهر، فإن حدثتک نفسک أن آبائى (ع) قالوا: تمتع بالفاجرة فإنک تخرجها من حرام إلى حلال، فهذه امرأة معروفة بالهتک وهى جارة، وأخاف عليک استفاضة الخبر فيها، فتركتها ولم أتمتع بها وتمتع بها شاذان بن مسعود رجل من إخواننا، فاشتهر بها حتى انتهى أمره إلى السلطان، وغرم بسببها مالا جزيلا، وأعاذنى الله تعالى من ذلک كله ببركة سيدى. وروى أنه كان عند المستعين بغل لم ير مثله حسنا وكبرا، وكان يمنع ظهره اللجام، وكان قد جمع عليه الرواض فلم يكن لهم حيلة فى ركوبه. فقال لهم بعض ندمائه: يا أمير المؤمنين ألا تبعث إلى الحسن العسكرى (ع) ابن الرضا حتى يجئ، فاما أن يركبه واما أن يقتله، فبعث إلى

الحسن العسكرى (ع)، فلما دخل الدار نظره واقفا فى صحن الدار، فوضع يده على كفله، قال: فنظر إلى البغل وقد عرق حتى سال العرق منه. ثم صار (ع) إلى المستعين فسلم عليه ورحب به وقربه وقال: يا أبا محمد ألجم هذا البغل، فقال (ع) لغلامه وكان اسمه أبى إلجمه يا غلام فقال المستعين: وأسرجه، فأسرجه (ع)، فقال المستعين: أرى أن تركبه فركبه من غير أن يمتنع عليه، ثم أركضه فى الدار ثم حمله إلى الهملجة، فمشى أحسن مشى، ثم رجع فنزل (ع) فقال له المستعين: كيف رأيته ؟ فقال (ع): ما رأيت مثله حسنا ورفاهة، فقال له المستعين: فإن أمير المؤمنين قد حملك عليه فقال (ع) لغلامه: خذه يا أبى فأخذه أبى فقاده. وعن أبى هاشم قال: شكوت إلى أبى محمد (ع) ضيق الحبس وضيق القيود، فكتب إلى أن تصلى اليوم الظهر فى منزلک فكان كما قال (ع)، وكنت مضيقا فأردت أن أطلب منه معونة فى الكتاب الذى كتبته فاستحيت، فلما صرت إلى منزلى وجه إلى بمائة دينار وكتب لى: إذا كانت لک حاجة فلا تستحى ولا تحتشم، واطلبها تأتک على ما تحب إن شاء الله تعالى. وعن محمد بن على بن إبراهيم بن جعفر، قال: ضاق بنا الامر فقال أبى: امض بنا حتى نصير إلى هذا الرجل يعنى أبا محمد (ع) فقد وصف عنه سماحة، فقلت: أتعرفه ؟ قال: والله ولا رأيته قط، ثم قصدناه فقال أبى ونحن فى الطريق: ليته يأمر لى بخمسمائة درهم مائتى درهم للكسوة، ومائتى درهم للدقيق ومائة درهم للنفقة، وقلت أنا فى نفسى: ليته يأمر لى بثلاثمائة درهم مائة أشترى بها حمارا، ومائة للنفقة، ومائة للكسوة، وأخرج إلى الجبل، فلما وافينا الباب خرج علينا غلامه فقال: يدخل على بن إبراهيم وابنه، فلما دخلنا وسلمنا قال لابى: يا على ما خلفک عنا إلى هذا الوقت ؟ فقلت يا سيدى استحييت أن ألقاک على هذه الحال، فلما خرجنا من عنده جاءنا غلامه فناول أبى صرة فيها دراهم فقال: هذه خمسمائة درهم مائتان للكسوة

ومائتان للدقيق ومائة للنفقة، وأعطانى صرة وقال: هذه ثلاثمائة درهم اجعلها مائة فى ثمن حمارک، ومائة للكسوة، ومائة للنفقة، ولا تخرج للجبل، وصر إلى سورا قال: فصار إلى سورا وتزوج امرأة منها، فدخله اليوم أربعة آلاف دينار ومع هذا يقول بالوقف. قال محمد بن إبراهيم الكردى: أتريد أمرا أبين من هذا. قال: صدقت ولكنا على أمر جرينا عليه قلت: هذا هو التقليد الذى ذمه الله تعالى فى كتابه فقال حكاية عن الكفار: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) (۱). ولله در من قال: [هم النور نور الله جل جلاله ❊ يجلى بهم تلک الحنادس والظلم] [زها نورهم فى الافق فى الصبح والمسا ❊ ولم يک نورهم فى الليل يبدو على علم] [فوا عجبا من أمة شهدت لهم ❊ مناقب لا يأتى على عدها قلم] [وقد جحدوهم بعد ما شاع فضلهم ❊ وقد فضلوا فى الخلق من أزل القدم] [ولم يكفهم هذا وقد عمدوا لهم ❊ بسيف رسم حيث واروهم الرجم] [ولا مثل أبناء العمومة ويلهم ❊ فلا راقبوا فيهم عهودا ولا ذمم] [أيقتل مثل العسكرى الذى به ❊ وجود الورى بعد التخلد فى العدم] [عليه سلام الله ما ذر لعنة ❊ على مستعين بالتوكل معتصم] ورى أنه لما مات أبوه على بن محمد الهادى (ع)، خرج إلى جنازة أبيه (ع) مشقوق الجيب، فكتب إليه ابن عوف وقرابة بن نجاح بن سلمة: أرأيت أو بلغت أن أحدا من الائمة (ع) شق ثوبه مثل هذا ؟

فكتب إليه: يا أحمق ما يدريک ما هذا قد شق موسى (ع) على هارون (ع). ❊ (هامش ص ۴۰۸) (۱) سورة الزخرف، الآية: ۲۲. ❊

ص: ۴۰۹

وكتب إليه داود بن هاشم الجعفرى يسأله عن قول الله عزوجل: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) (۱) فقال: كلهم من آل محمد (ص) الظالم لنفسه منا الذى لا يعرف حق الامام، والمقتصد منا العارف بحق الامام، والسابق بالخيرات هو الامام (ع) قال: فدمعت عينى وجعلت أفكر فى نفسى فى عظم ما أعطى الله آل محمد (ص) فنظر إلى وقال: الامر أعظم بما حدثتک به نفسک من عظم شأن آل محمد (ص) فاحمد الله ان جعلک متمسكا بحبلهم تدعى يوم القيامة بهم إذا دعى كل أناس بإمامهم، إنک على خير. وقعد إليه إسماعيل بن محمد بن على بن إسماعيل بن على بن عبد الله بن العباس قال: فلما مر بى شكوت إليه الحاجة وحلفت له ليس عندى درهم واحد فما فوقه، ولا غذاء ولا عشاء. قال: فقال (ع): أتحلف بالله كاذبا وقد دفنت مائتى دينار، وليس قولى هذا دفعا لک عن العطية، أعطه يا غلام ما معک فأعطانى مائة دينار، ثم قال لى: إنک تحرم الدنانير التى دفنتها، وإنک أحوج ما يكون إليها، وصدق (ع) فيما قال، وذلک أنى أنفقت ما وصلنى واضطررت اضطرارا شديدا إلى شئ أنفقه، فأتيت إلى الدنانير التى دفنتها فلم أجدها، فإذا ابن لى قد عرف موضعها فأخذها وهرب، فما قدرت منها على شئ. وقال على بن زيد بن على بن الحسين (ع): كان لى فرس وكنت به متعجبا أكثر من ذكره فى المجالس، فدخلت يوما على الحسن العسكرى (ع) فقال: ما فعل فرسک ؟ فقلت: ها هو عند بابک الآن قد نزلت عن ظهره، فقال (ع): استبدل به قبل المساء إن قدرت على مشتر له لا تؤخر ذلک، ودخل داخل فانقطع الكلام، فقمت مفكرا وقلت: ما معنى ذلک، وسرت إلى منزلى فأخبرت أخى فقال: ما أدرى ما أقول فى هذا، وشححت به، وأمسينا فلما ❊ (هامش ص ۴۰۹) (۱) سورة فاطر، الآية: ۳۲. ❊

ص: ۴۱۰

صلينا العتمة جاءنى السائس فقال: نفق فرسک الساعة، فاغتممت وعلمت أنه عنى هذا بذلک القول، ثم دخلت على أبى الحسن (ع) بعد أيام وأنا أقول فى نفسى ليته يخلف على دابة، فلما جلست قال: قبل أن أحدثه بشئ: نعم يخلف الله عليک، يا غلام أعطه برذونى الكميت. ثم قال: هذا خير من فرسک وأوطأ وأطول عمرا. وقال أحمد بن محمد: كنت كتبت إلى أبى محمد الحسن (ع) حين أخذ المهدى فى قتل الموالى يا سيدى الحمد لله الذى شغله عنا، فقد بلغنى أنه يتهددک ويقول: والله لاخلينهم عن جدد الارض، فوقع بخطه ذلک أقصر لعمره، فعد من يومک هذا إلى خمسة أيام، فيقتل يمر به فى اليوم السادس بعد هوان واستخفاف بموته. فكان كما قال (ع). ودخل العباسيون على صالح بن وصيف عندما حبس (ع) عنده وقالوا له: ضيق عليه ولا توسع فقال صالح: ما أفعل به فقد وكلت به رجلين

من أشر ما قدرت عليه، وقد صار إلى العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم، ثم أمر بإحضار الموكلين فقال لهما: ويحكما وما شأنكما فى أمر هذا الرجل ؟ فقالا له: ما تقول فى رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر نظر إلينا ارتعدت فرائصنا، ودخلنا مما لا نملكه على أنفسنا، فلما سمع العباسيون انقلبوا. وذكر جماعة من أصحابنا قالوا: سلم الحسن (ع) إلى حباس يقال له نحير ويقال نحرير فكان يضيق عليه ويؤذيه، فقالت له امرأته: اتق الله فإنک لا تدرى من فى منزلک، وذكرت له صلاحه وعبادته، وقالت: إنى أخاف عليک منه فقال: والله لارمينه إلى السباع، ثم استأذن الخليفة فى ذلک فأذن له، فرمى به إليها ولم يشكوا فى هلاكه، فنظروا إلى الموضع ليعرفوا الحال فوجدوه قائما يصلى والسباع حوله، فأمر بإخراجه إلى داره.

ص: ۴۱۱

ولله در من قال: [لحى الله هذا الخارجى بما جنا ❊ على من له أمر الخلافة والامر] [أيرمى بهذا النور بغيا ببركة ❊ السباع ولم ينهيه ردع ولا زجر] [فنفسى فداء الذى جار دهره ❊ عليه فأرداه الخداعة والعذر] [فانى عليه بعد ذلک فى عنى ❊ ونيران أحزانى يزيد لها سعر] [وكيف وقد مضت مصيبة التى ❊ تكور منها الشمس والنجم والبدر] [وخرت له السبع الطباق وزلزلت ❊ لها طبقات الارض بل نضب البحر] [فيا مدعى حب الامام فنح له ❊ بشجو عظيم فى الزمان له نشر] [وشق له جيب التصبر والعزا ❊ ومت أسفا حيا وإن ضمک القبر] والروايات فى مناقبه (ع) كثيرة، أجل من أن تستقصى، وكيف تأتى أقلامى وجنود كلامى على من مدحه الله وأثنى فى الكتاب، وجعله قدوة لعباده الانجاب، وقص مصيبته فى ملائكته وأنبيائه إلى يوم الحساب، وفيما ذكرناه كفاية لثبوت إمامته (ع) التى أوجبها الخالق كلها وفتح بها تلک الابواب.

ص: ۴۱۳

الفصل الثالث وقد سقى ذلک السم فى أول شهر ربيع الاول سنة ستين ومائتين، ومات فى يوم الجمعة لثمان مضين منه من ذلک العام، وله يوم وفاته (ع) ثمانية وعشرون سنة، وكان أعظم سبب فى هلاكه ما وشا به أخوه جعفر الكذاب حيث قد نازع الامامة كما أخبره النبى (ص) الاواب. وقد تقدم فى خبر الكابلى الذى رواه عن مشائخه الثقاه المنبئ عن قصته مع عبد الله بن خاقان وزيره وولى الضياع والخراج، أن ابن الرضا (ع) قد اعتل فركب من ساعته، فبادر إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلا ومعه من خدم أمير المؤمنين، كلهم من ثقاته وخواصه فيهم نحرير، فأمرهم بلزوم دار الحسين (ع) وتعرف خيره وحاله، وبعث إلى نفر من المطببين فأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده صباحا ومساء، فلما كان بعد ذلک بيومين أو ثلاثة أخبر أنه قد ضعف، فأمر المطببين بلزوم داره، وبعث إلى قاضى القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يثق بهم فى دينه وأمانته وورعه، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن (ع) وأمرهم بلزومه ليلا ونهارا، فلم يزالوا هناک حتى توفى صلوات الله عليه، فصارت سر من رأى فى

صيحة واحدة وبعث السلطان إلى داره ففتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها، وطلبوا أثر ولده، وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل فدخلن جواريه ينظر إليهن، فذكر

بعضهن أن جارية هناک بها حمل، فجعلت فی حجرة ووکل بها نحریر الخادم وأصحابه ونسوة معهم، ثم أخذوا بعد ذلک فی تهیئة وعطلت الاسواق، ورکب بنو هاشم والقواد وعبد الله بن خاقان الوزیر الاعظم وسار الناس إلی جنازته (ع)، وکانت سر من رأی شبیهة بالقیامة، فلما فرغوا من تهیئته (ع) بعث السلطان إلی أبی عیسی بن المتوکل فأمره بالصلاة علیه، فلما وضعت الجنازة للصلاة دنا أبو عیسی منه، فکشف عن وجهه فعرضه علی بنی هاشم، والعبابسة، والقواد، والکتاب، والقضاة، والمعدلین، وقال: هذا الحسن بن علی بن محمد بن الرضا (ع)، مات حتف أنفه علی فراشه حضره من حضره من خدم أمیر المؤمنین وثقافة فلان وفلان، ومن المطببین فلان وفلان، ثم غطی وجهه وأمر بحمله من وسط داره (ع)، ودفن فی البیت الذی دفن فیه أبوه (ع). فلما دفن أخذ السلطان فی طلب ولده، وأکثر التفتیش فی المنازل والدور وتوقفوا عن قسمة میراثه (ع)، ولم یزل الذین وکلوا بحفظ الجاریة التی توهموا علیها بالحمل ملازمین لها حتی تبین بطلان الحمل عندهم، فقسموا میراثه بین أمه وأخیه جعفر الکذاب، وادعت أمه وصیته، وثبت ذلک عند القاضی والسلطان وبطل أثر ولده، فجاء بعد ذلک جعفر الکذاب إلی عبد الله بن خاقان فقال: اجعل لی مرتبة أخی (ع) وأوصل لک فی کل سنة عشرین ألف دینار فزبره، وقال: یا أحمق إن السلطان قد جرد سیفه فی الذین زعموا أن أباک وأخاک أئمة، لیردهم عن ذلک، فلم یتهیأ له ذلک، فإن کنت عند شیعة أبیک وأخیک إماما فلا حاجة لک بالسلطان ولا غیر السلطان فی ترتیبک مراتبهم، وإن لم تکن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا، فاستقله عبید الله بن خاقان عند ذلک واستضعفه، وأمر أن یحجب عنه فلم یؤذن له بالدخول حتی مات، وخرج وهو علی تلک الحال یطلب أثر ولده الحسن بن علی (ع). وفی کتاب الاکمال عن محمد بن الحسن بن عباد قال: مات أبو

محمد (ع) یوم الجمعة مع صلاة الغداة، وکان فی تلک اللیلة قد کتب کتبا کثیرة إلی المدینة، وذلک فی شهر ربیع الاول لثمان خلون منه سنة ستین ومائتین من الهجرة، ولم یحضره إلا صقیل الجاریة وعقید الخادم ومن علم الله غیرهما - وهو القائم عجل الله فرجه - فدعا بماء قد غلی بالمصطکی، فجئنا به إلیه، فقال: ابدؤوا بالصلاة فوضئونی، فجئنا بالمندیل فبسطناه فی حجره وأخذ ابنه الماء من صقیل فغسل به وجهه وذراعیه مرة مرة، ومسح علی مقدمة رأسه وظاهر قدمیه مسحا وصلی صلاة الصبح علی فراشه، وأخذ القدح لیشرب وجعل القدح یضطرب ویضرب ثنایاه ویده ترتعش، فأخذت القدح من یده ومضی (ع) من ساعته ودفن فی داره بسر من رأی إلی جانب أبیه (ع)، وصار إلی کرامة الله تعالی وقد کمل عمره تسع وعشرون سنة. قال وقال لی ابن عباد فی هذا الحدیث، قدمت أم أبی محمد

من المدينة واسمها حديث حين اتصل بها الخبر إلى سر من رأى، فكانت لها أقاصيص يطول شرحها مع جعفر فى مطالبته إياها بميراثه وسعايته بها إلى السلطان، وكشف ما أمر الله تعالى بستره، وادعت عند ذلک صقيل أنها حامل فحملت إلى دار المعتمد، فجعلن نساء المعتمد وخدمه ونساء القاضى ابن أبى الشوارب يتعاهدن أمرها فى كل يوم ووقت، إلى أن دهمهم أمر الصفار وموت عبد الله بن يحيى بن خاقان بغتة، وخروجهم من سر من رأى وأمر صاحب الزنج بالبصرة وغير ذلک وفى هذا قيل: [مضى خير خلق الله بعد محمد ❊ وآبائه تلک الكرام الاماجد] [قضى وهو مسموم فوا لهفى لهم ❊ فيا لک من نور إلهى خامد] [فلا وفق الله الموفق إذ أتى ❊ بخطب شنيع يا له من منابد] [أدک رواسى الكائنات بأصلها ❊ وطبق أرباب النهى والفوائد] [وأخمد نور الله بعد سنائه ❊ وعطل أركان الهدى فى الهوامد] [فيا قلبى المضنى أدم فى صبابة ❊ ويا دمع عينى سل دما غير نافد]

[فقد مات سلطان الورى وابن خيرة ❊ الانام وكهف للملا فى الشدائد] [فكيف ألذ العيش أو أعرف الكرى ❊ وأنت رهين فى الثرى والجلامد] [ستبكيک أعواد المنابر والدعا ❊ وتبكيک أنواع الثنا والمحامد] [ويبكيک دين الله لما تعطلت ❊ مداركه من ثابتات الاساند] [فيا خير من قد ضمه باطن الحشا ❊ ويا خير من قد حط بطن الملاحد] [عليک سلام الله ما ذر شارق ❊ وقام أذان الذكر من كل عابد] وفى كتاب الاكمال عن أبى الاديان قال: كنت أخدم الحسن بن على العسكرى (ع)، وأحمل كتبه إلى الامصار، فدخلت عليه فى علته التى توفى فيها (ع)، فكتب معى كتبا وقال: امض إلى المدائن والامصار فإنک مستغيب خمسة عشر يوما وتسمع الواعية فى دارى وتجدنى على المغتسل، وتدخل إلى سر من رأى يوم الخامس عشر فترى ما أخبرتک به. قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدى إذا كان ذلک كذلک فمن آتيه ؟ قال: من طالبک بجوابات كتبى فهو القائم قلت: زدنى، قال: من أخبر بما فى الهميان فهو القائم بعدى، ثم منعتنى هيبته أن أسأله عما فى الهميان، فخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها، ودخلت سر من رأى يوم الخامس عشر كما قال لى (ع) وإذا الواعية فى داره وإذا هو على المغتسل، وإذا بجعفر أخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزونه ويهنونه، فقلت فى نفسى: إن يكن هذا الامام فقد بطلت الامامة لانى كنت أعرفه يشرب الخمر ويقامر فى الجوسق ويلعب بالطنبور، فتقدمت إليه فهنيته وعزيته فلم يسألنى عن شئ. ثم خرج عقيد الخادم فقال: يا سيدى قد كفن أخوک فقم للصلاة عليه، فدخل جعفر والشيعة من حوله يقدمهم السمان والحسن بن على قتيل المعتصم المعروف بسلمة، فتقدم جعفر ليصلى على أخيه فلما هم بالتكبير خرج صبى بوجهه سمرة بشعره قطط بأسنانه فلج فجذب رداء جعفر بن على وقال: تأخر

فأنا أحق بالصلاة على أبى (ع)، فتأخر جعفر وقد اربد واصفر وجهه، فتقدم وصلى عليه ودفن إلى جانب قبر أبيه (ع). فقال لى: يا بصرى هات جوابات الكتب التى معک، فدفعتها إليه وقلت فى نفسى هذه إثنتان، بقى الهميان ثم خرجت إلى جعفر الكذاب وهو يزفر وقال له حاجز الوشاء: يا سيدى من الصبى لنقيم الحجة عليه ؟ فقال: والله ما رأيته قط ولا أعرفه فبينما نحن جلوس إذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن على (ع) فعرفوا بموته، فقالوا: فمن نعزى، فأشار الناس إلى جعفر بن على فسلموا عليه وعزوه وهنوه، فقالوا: معنا كتب ومال، فأخبرنا ممن الكتب وكم المال، فقام وهو ينفض أثوابه وقال: تريدون منا علم الغيب قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب من فلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية، فدفعوا الكتب والمال وقالوا: الذى وجه بک لاجل ذلک فهو الامام، فدخل جعفر بن على على الموفق وكشف ذلک له، فوجه الموفق خدمه فضيقوا على صقيل الجارية وطلبوها بالصبى فأنكرت وادعت حملا بها لتغطى خبر الصبى، فسلمت إلى ابن أبى الشوارب القاضى فبلغهم موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان وخروج صاحب الزنج بالبصرة، فتشغلوا بذلک عن الجارية، فخرجت من أيديهم والحمد لله رب العالمين. ولله در من قال: [نفسى الفداء لسيد قدحت به ❊ تلک القوادح من بنى العباس] [طمست به أعلام دين محمد ❊ من بعد عدل صرن فى انكاس] [وعلا به طود الضلالة والعمى ❊ وغدت شموس الحق فى اطماس] [وبه تغيب نور أحمد والذى ❊ يجلو ظلام الحق والوسواس] [وبقى الانام بحيرة لا ترتجى ❊ كشفا لها مذ غاب فى الارماس] [يا قلبى الولهان مت أسفا له ❊ وتصدعى يا زفرة الانفاس] [إن الخليفة من له حكم الورى ❊ حكمت عليه طوائف الارجاس]

[فنفته من عقر الديار ببغيها ❊ حتى تغيب خفيفة الارجاس] [فإلهى عجل للانام ظهور من ❊ يحى الورى عن وصمة الخناس] [صلى الاله عليه ما هبت صبا ❊ وهنا ففاح أريج طيب الآسى] وفى الاكمال عن سيار الموصلى قال: لما قبض سيدنا أبو محمد الحسن العسكرى (ع)، قدم قوم من قم ومعهم الجمال وفود بالمال التى كانت على الرسم، ولم يكن عندهم خبر وفاته، فقيل لهم إنه (ع) قد فقد فقالوا: فمن وارثه ؟ قالوا: أخوه جعفر الكذاب بن على الهادى، فسألوا عنه قيل لهم: إنه قد خرج متنزها وركب زورقا ولحقه بالدجلة يشرب الخمر ومعه المغنين قال: فتشاور القوم وقالوا: ليس هذه صفة الامام فقال بعضهم لبعض: امضوا بنا حتى نرد هذه الاموال إلى أهلها، فقال أبو العباس جعفر بن محمد الحميرى: قفوا بنا حتى يرجع هذا الرجل ونختبر أمره على الصحة. قال: فلما انصرف دخلوا عليه فسلموا عليه وقالوا: يا سيدنا نحن قوم من قم ومعنا جماعة من الشيعة وغيرها، وكنا نحمل إلى سيدنا الحسن بن على (ع) الاموال فقال: وأين هى ؟ فقالوا: معنا فقال: احملوها إلى فقالوا: إن لهذه الاموال خبرا طريفا قال: فما هو ؟ فقالوا: إن هذه الاموال تجمع ويكون فيها من عامة الشيعة الدينار والديناران ثم يجعلونها فى كيس ويجتمعون عليه، وكنا إذا أوردنا المال إلى سيدنا أبى محمد (ع) يقول: جملة المال كذا وكذا دينار من عند فلان كذاوكذا، ومن عند فلان كذاوكذا، حتى يأتى على أسماء أصحابه كلها ويقول بما على الخواتيم من النقش فقال جعفر: كذبتم تقولون على أخى بما لا يفعل، هذا علم الغيب. فلما سمع القوم كلامه جعل ينظر بعضهم إلى بعض فقال: ألا تحملون هذا المال إلى

؟ فقالوا: إنا قوم مستأجرون وكلاء لارباب المال، ولا نسلم المال إلا بالعلامات التى كنا نعرفها من سيدنا الحسن بن على (ع)، فإن كنت الامام فبرهن لنا وإلا رددنا المال إلى أصحابه يرون فيه رأيهم.

ص: ۴۱۹

قال: فدخل جعفر على الخليفة وكان بسر من رأى، فاستدعى عليهم، فلما حضروا قال الخليفة: احملوا هذا المال إلى جعفر فقالوا: أصلح الله أمير المؤمنين، إنا قوم مستأجرون ووكلاء لارباب هذه الاموال، وهى وديعة لجماعة عندنا وأمرونا ألا نسلمها إلا بعلامة ودلالة، وقد جرت هذه العادة مع أبى محمد (ع) فقال الخليفة: ما الدلالة لابى محمد (ع) ؟ قال القوم كان يصف لنا الدنانير وأصحابها والاموال وكم هى، فإذا فعل ذلک سلمنا إليه المال، وقد وفدنا عليه مرارا فكانت هذه علامتنا معه (ع) ودلالتنا، وقد مات فإن يكن هذا الرجل صاحب هذا الامر، فليقم لنا ما كان يقيم لنا أخوه وإلا رددناها على أصحابها. فقال جعفر: يا أمير إن هؤلاء القوم يكذبون على أخى، وهذا علم الغيب. فقال الخليفة: القوم رسل وما على الرسول إلا البلاغ المبين، قال: فبهت جعفر ولم يحر جوابا فقال القوم: يقول أمير المؤمنين بإخراج أمره إلى من يدبرنا حتى نخرج من هذه البلدة، قال: فأمر لهم بنقيب فأخرجهم منها. فلما أن خرجوا من البلد خرج لهم غلام أحسن الناس وجها كأنه خادم، فنادى يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان أجيبوا داعى الله أجيبوا مولاكم، فقالوا: أنت مولانا ؟ فقال: معاذ الله، أنا عبد مولاكم فسيروا إليه قالوا: فسرنا معه حتى دخلنا دار مولانا الحسن بن على (ع) وإذا ولده القائم (ع) سيدنا قاعد على سرير كأنه فلقة قمر عليه ثياب خضر، فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقال: جملة المال كذاوكذا دينارا، حمل فلان كذا، ولم يزل يصف حتى وصف الجميع، ثم وصف ثيابنا ورحالنا وما كان معنا من الدواب، فخررنا سجدا لله عز وجل شكرا، وقبلنا الارض بين يديه، ثم سألنا عما أردنا فأجابنا، وحملنا إليه الاموال وأمرنا القائم (ع) أن لا نحمل إلى سر من رأى بعد هذا شيئا من المال، وانه ينصب إلينا فى بغداد رجلا نحمل إليه الاموال، ويخرج من عنده التوقيعات، قال: فانصرفنا من عنده، ودفع إلى أبى العباس جعفر بن محمد الحميرى شيئا من الحنوط والكفن، وقال: عظم الله أجرک فى نفسک.

ص: ۴۲۰

قال: فما بلغ أبو العباس عقبة همدان حتى توفى رحمه الله، وكان بعد ذلک تحمل الاموال إلى بغداد إلى النواب المنصوبين وتخرج منهم التوقيعات. ولما قدم الحسن (ع) على ربه، واستتر عن أهله وأصحابه، ووقعت الغيبة الصغرى، ولم يعلم به ولا يدرى من نصب لقبض الاموال والاخماس وإزالة الوسواس الخناس من الناس وكشف الشكوک والاقياس، فذهبت الخواص من شيعته إلى الاطلاع على أمره واستجلاء ديجور ليل استتار نور بدره، وكان ممن طلب إبراهيم بن مهزيار وهو من الثقاة الاخيار قال: قدمت المدينة مدينة الرسول (ص) فبحثت عن أخبار آل أبى محمد الحسن بن على (ع) الاخير، فلم أقع على شئ منها، فرحلت إلى مكة مستبحثا عن ذلک، فبينما أنا فى

الطواف الاخير إذ تراءى لى فتى أسمر اللون، ربع، حسن الوجه، جميل المخيلة، يطيل التوسم إلى، فعدلت إليه مؤملا منه عرفان الوجه لما قصدت إليه، فلما قربت منه سلمت عليه فأحسن الرد والاجابة، ثم قال: من أى البلاد أنت ؟ قلت: أنا رجل من العراق، قال: من أى العراق أنت ؟ فقلت: من الاهواز، قال: مرحبا بلقائک، هل تعرف بها جعفر بن محمد الحضينى ؟ قلت: دعى فأجاب قال: رحمة الله عليه ما كان أطول ليله وأجزل نيله، فهل تعرف إبراهيم بن مهزيار ؟ فقلت، أنا إبراهيم بن مهزيار، فعانقنى مليا ثم قال: مرحبا بک يا أبا إسحاق ما فعلت العامة التى وشجت بينک وبين أبى محمد، قلت: لعلک تريد الخاتم الذى آثرنى الله به من طيب أبى محمد بن على (ع) ؟ فقال: ما أردت سواه، فأخرجته إليه، فلما نظر إليه استعبر وقبله، ثم قرأ كتابته وكانت: يا الله يا محمد يا على ثم قال: يا أبا إسحاق أخبرنى من عظيم ما توخيت به بعد الحجج قلت: وأبيک ما توخيت إلا ما سأستعلمک مكنونه قال: سل عما تريد فإنى شارح لک إن شاء الله تعالى، قلت: هل تعرف من آل أبى محمد الحسن بن على (ع) شيئا ؟ قال: وأيم الله إنى لاعرف الضوء من جبين محمد (ع) وموسى أبناء الحسن بن على (ع)، ثم

إنى لرسولهما إليک قاصدا لانبئک أمرهما، فإذا أحببت لقاءهما والاكتحال بالتبرک بهما فارتحل معى إلى الطائف، وليكن ذلک فى خفية واكتتام. قال إبراهيم: فشخصت معه إلى الطائف نتخلل رملة رملة حتى أخذ فى بعض مخارج الفلوات، فبدت لنا خيمة شعر قد أشرفت على أكمة رمل تتلألأ تلک البقاع منها تلالا، فبدرنى إلى الاذن ودخل مسلما عليهما وأعلمهما بمكانى فخرج على أحدهما وهو الاكبر سنا، المهدى بن الحسن (ع) وإذا هو غلام أمرد، ناصع اللون، واضح الجبين، أزج الحاجبين، مسنون الخد، أقنى الانف، أشم أروع، كأنه غصن بان، صفحة غرته كوكب درى بخده الايمن خال كأنه قناة مسک على بياض الفضة، له سمة ما رأت العيون أقصد منه ولا أعرف حسنا وسكينة وحياء. فلما مثل لى أسرعت إلى تلقيه، فأكببت عليه ألثم كل جارحة منه، فقال: مرحبا بک يا أيا إسحاق، لقد كنت اليوم تعدنى وشک لقائک، والمقالب بينى وبينک على تشاحط وخيال المشاهدة، وأنا أحمد الله ربى على ما قيض من التلاقى ورفه من كربة التنائى والاستشراف، ثم سألنى عن أحوالى متقدمها ومتأخرها فقلت: بأبى وأمى ما زلت [أسأله] عن أمرک بلدا بلدا منذ استأثر الله سيدى أبا محمد فاستغلق ذلک على، حتى من الله على بمن أرشدنى إليک ودلنى عليک، والشكر لله على ما أوزعنى فيک من كريم اليد والطول، ثم نسب نفسه (ع) وأخاه موسى واعتزل بى ناحية، ثم قال لى: إن أبى صلوات الله عليه عهد لى أن لا أوطن من أرض الله إلا أخفاها وأقصاها إسرارا لامرى، وتحصينا لمحلى ومن كيد أهل الضلال والمردة من احداث الامم الضؤال، فأنبذنى إلى عثيالة التلال والرمال وجنبنى صرائم الارض، ينتظر لى الغاية التى عندها يحل الامر وينجلى الهلع، وكان بسط لى من خزائن الحكم وكوامن العلم ما ان نعشت إليک منه جزءا أغناک عن الجملة. اعلم يا أبا إسحاق أنه قال صلوات الله عليه: يا بنى إن الله جل ثناؤه لم

یکن یخلی أطباق أرضه وأهل الجد فی طاعته وعبادته بلا حجة یستعمل بها، وإماما یؤتم به ویقتدی بسبیل سنته ومنهاج قصده، وأرجو یا بنی أن تکون أحد من عده الله تعالی لنشر الحق وطی الباطل وإعلاء الدین واطفاء الضلال، فعلیک یا بنی بلزوم خوافی الارض واتبع قواصیها، فإن لکل ولی من أولیاء الله عدوا مقارعا وضدا منازعا افتراضا لثواب مجاهدة أهل نفاقه وخلافه أولی الالحاد والعناد فلا یوحشنک ذلک واعلم أن قلوب أهل الطاعة والاخلاص تفزع إلیک کالاطیار إلی أوکارها، وهم معشر یطلعون بمخایل الذلة والاستکانة وهم عند الله بررة یبتزون بأنفس مختلفة محتاجة، وهم أهل القناعة والاعتصام استبطوا الدین فوازروه علی مجاهدة الاضداد، وخصهم الله باحتمال الضیم فی الدنیا لیشملهم اتساع العز فی دار القرار، وجبلهم علی خلائق الصبر علی موارد أمورک تفز بدرک الصنیع فی مصادرها، واستشعر العز فی ما ینویک تحض بما علیه إن شاء الله تعالی، وکأنک بتأیید نصر الله وقد آن، وبتیسیر الفرج وعلو الکعب وقد حان، وکأنک بالرایات الصفر والاعلام البیض تخفق علی أثناء أعطافک ما بین الحطیم وزمزم، وکأنک بترادف البیعة وتصادف الولی یتناظم علیک الدار فی مثانی العقود وتصافق الاکف جنات الحجر الاسود تلوذ بفنائک من ملا برأهم الله فی طهارة الولادة ونفاسة التربة، مقدسة قلوبهم من دنس النفاق مهذبة أفئدتهم من رجس الشقاق لینة عرائکهم للدین، خصبة ضرائبهم علی المعتدین، واضحة بالقبول وجوههم نضرة بالفضل عیدانهم، یدینون بدین الحق وأهله، فإذا اشتدت أرکانهم وتقومت أعمدتهم قدمت بمکافقتهم طبقات الامم إلی بیعتک فی ظلال دوحة بسقت أفنان غصونها علی حافات بحیرة الطبریة، فعندما یتلالا صبح الحق وینجلی ظلام الباطل ویقصم الله بک الطغیان ویعید معالم الایمان فیظهر بک أقسام الآفاق ویظهر بک السلام الرقاق، یود الطفل فی المهد لو استطاع إلیک نهوضا لنهض ونواشط الوحش لو وجد نحوک مجازا تهتز بک أطراف الدنیا بهجة وتهتز بک أعطاف العز نظرة وتستقر بواقی الحق فی قرارها وتثوب شوارد الدین إلی أوکارها تتهاطل علیک سحائب

الظفر ویخنق کل عدو وینصر کل ولی، فلا یبقی علی وجه الارض جبار قاصد ولا جاحد فاجر غادر غامض ولا شأن مبغض ولا معاند کاشح (ومن یتوکل علی الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لکل شئ قدرا) (۱). ثم قال (ع): یا أبا إسحاق لیکن مجلسی هذا عندک مکتوما إلا عن أهل التصدیق والاخوة الصادقة فی الدین، وإذا بدت لک تلک الامارات والتمکن فلا تبطئ بإخوانک عنا، وبأهل المنازعة إلی منار الیقین وضیاء مصابیح الدین. قال إبراهیم بن مهزیار (رض): فمکثت عنده حینا أقتبس ما یروی من موضحات الاعلام ونیرات الاحکام، وأروی نبات الصدور من نضارة ما ذخره الله فی طبعائه من لطائف الحکمة وطرائف فواضل القسمة، حتی خفت إضاعة مخلفی بالاهواز لتراخی اللقاء عنهم، فاستأذنته فی القفول وأعلمته عظیم ما أصدر به عنه من التوحش لفرقته والتجرع للظعن عن مجالسته، فأذن لی، وأردفنی بصالح دعائه ما یکون عند الله ذخرا لی ولعقبی ولقرابتی ان شاء الله تعالی. فلما أزف ارتحالی وتهیأ اعتزام سفری، غدوت علیه مودعا مجددا للعهد، وعرضت علیه مالا کان معی یزید علی خمسین ألف

درهم، وسألته أن يتفضل بقبوله منى، فتبسم (ع) وقال: يا أبا إسحاق استعن بها على مصرفک فإن الشيعة مدنفة وفلوات الارض أمامک جمة، ولا تحزن لاعراضنا عنه فإنا قد أحدثنا لک شكره ونشره وربطناه عندنا بالتذكرة وقبول المنة، وبارک الله لک فيما حولک وأدام لک ما هو لک وكتب لک ثواب المحسنين وأكرم آثار الطائعين، فإن الفضل له ومنه، واسأل الله تعالى لاصحابک بأوفر الحظ وسلامة الاربة وأكناف الغبطة بلين المنصرف، ولا أوعث الله لک سبيلا ولا حير لک دليلا، واستودعه نفسک وديعة لا تضيع ولا تزول بمنه ولطفه ان شاء الله تعالى، يا أبا إسحاق

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣. (*)

متعنا الله بفوائد إحسانه وفوائد امتنانه، وصان أنفسنا فى معاونة الاوصياء لنا على الاخلاص فى النية وامحاظ النصيحة ومحافظة على ما هو أبقى وأرفع ذكرا. قال: فقمت من عنده وأقفلت حامدا لله عزوجل ما هدانى وأرشدنى، عالما بأن الله لم يكن ليعطل أرضه ولا ليخليها من حجة واضحة وإمام قائم، وألقيت هذا الخبر المأثور والنسب المشهور توخيا للزيادة فى سائر أهل اليقين، وتعريفا لهم بما من الله عزوجل به من إنشاء الذروة الطيبة والتربة الزكية، وقصدت أداء الامانة، والتسليم لما استبان ليضاعف الله تعالى للملة الهادية والطريق المرضية قوة عزم وتأييد نية وشدة واعتقاد عصمة (والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) (١). وهذا الحديث قد جلا عن الصدور وعرى الشكوک والريبة، ويكشف أستار الغيبة عن أسرار الرجوع والاوبة، ويمكن فى قلوب المؤمنين أعمدة الثبات على الايمان والتصديق والبعد عن الزلة والحوبة، ولقد أمرضت مصيبة فقد والده (ع) قلوب أوليائه المؤمنين، وطبقتها غيوم عموم الغيبة عن الاعين لاختلال الدين، وتسليط الفاسقين والمضلين على أرباب الحق واليقين ولو لا ما ندبنا إليه من التأسى بهم والصبر على مضاضة هذه اللواذع الصادرة فى هذه الايام، لبكينا بدل الدموع دما، وجعلنا العمر كله مأتما، فأى مصيبة أعظم من هذه المصيبة، وأى نائبة أعظم من هذه النائبة المنيبة، فلقد أحدثت فينا فتنا ليس منتهى لحدها وبلايا لا يأتى الحساب على عدها، ونسأل الله سبحانه الثبات على الايمان بأربابها، والكون فى خدمة ناصريها وأصحابها، وأن يدير تلک الافلاک من سماوات العدل بإيثار نوائبها ولنختم هذا الكتاب ببعض الابيات التى حملنا الحزن والتأوه عليها والشرب من أوصابها ونعزى بها صاحب العزاء

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣. (*)

وآله الطاهرين، ابتغاء لثوابها ورجاء لنيل الدخول فى جناته وفتح أبوابها وهذه الابيات هى: [جل المصاب بسيد السادات ❊ نجل الائمة أفضل القادات] [أعنى نتيجة من علا فوق السهى ❊ وانحط عنه عاليات سمات] [ختم الامام بابنه حقا كما ❊ ختم النبوة جده بثبات] [بئس الزمان فقد أراهم جوره ❊ ورماهم بسهامه وشتات] [فسقى النبى كؤوس سم ناقع ❊ وأعل فاطم بعد ضغط جنات] [وغدا الوصى بسيف ابن قذارها ❊ لرضا قطام مجدلا بصلاة] [وسقت جعيدة للزكى سمومها ❊ فى نسک صوم يا لها نكبات] [والفرقد الثانى مضى فى كربلا ❊ بسيوف أشقاها وشر عداة] [من بعدما خدعت له فى كتبها ❊ فأتى لها بالاهل خير حماة] [منعوه شرب الماء حتى إن قضا ❊ مقطوع رأس شيل فوق قناة] [ونساؤه أسرت وقد شهدت له ❊ فوق الرغام مرضض الجنبات] [وعليله زين العابدين مقيدا ❊ لا راحم منهم له بجهات] [كم نال من بعد التعزز ذلة ❊ فقضا بسم ناقع وترات] [والباقر المولى كذلک ابنه ❊ قتلتهما أشرارها لهنات] [والكاظم المسموم من أردى الورى ❊ من بعد تعنيف وذل حياة] [ولذى الرضا جارت عليه ببغيها ❊ ابنا العمومة أقذر القذرات] [وعدت على المولى الجواد وقوضت ❊ تلک القباب فيا لها نكبات] [والسيد الهادى لقد أردته فى ❊ عجل وشر عصابة وبغاة] [والعسكرى أبو الامام ببغيها ❊ جلبت لهه من سمها الكاسات] [وتقصدت ابن الخليفة سيدى ❊ بشرورها فغدا بدار شتات] [أغبر آفاق البلاد وكورت ❊ شمس العلوم وعطل الآيات] [والدرس مندرس وباب الشرع فى ❊ غلق ورايات الهدى نكسات] [ومنابر الوعاظ لا وعظ بها ❊ ومحارب أمست بغير صلاة]

[والمحكمات البينات تعطلت ❊ لا قيم فيها بغير حماة] [يا صاحب العصر الذى فرض له ❊ أخذ الدخول من العدا وبغاة] [عجل وجرد سيف جدک أحمد ❊ واغمده فى أعناق شر عداة] [لا سيما تيم لها وعديها ❊ وبنو أمية والعمومة عات] [فلقد أبادوا نسلكم وتمردوا ❊ وسبوا حريمک يا بن حمات] [حملوا لرأس حسين فوق سنانهم ❊ من بعد ذبح مفضع وشتات] [قم فانشرا لنا علوم محمد ❊ فى العالمين وبين الآيات] [فالرأس شاب من البلايا والعنا ❊ والعين من دم لها عبرات] [أهديتكم قدرى وما قد قلته ❊ فيكم أقل قليل فى المدحات] [منعوا علينا بالقبول وكفروا ❊ عنا الذنوب ومعظم السيئات] [صلى إله الخلق خير صلاته ❊ رغدت تأمكم مدى الساعات] [فاللعن فى أعدائكم متواتر ❊ ما قام داعى الله للصلوات] وهذا آخر ما أوردناه فى وفاة إمامنا وابن إمامنا الحسن العسكرى، عليه وعلى آبائه وابنه السلام على التمام والكمال، ونستغفر الله العظيم عن السهو، والغلط، والعمد، والنسيان، إنه غفور منان، والحمد لله حق حمده، وصلى الله على من لا نبى بعده محمد وآله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا مباركا آمين. وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة المباركة ظهر يوم السادس من شهر ربيع الاول سنة ۱۳۶۴ الرابعة والستين وثلاثمائة والالف هجرية على مهاجرها وآله أفضل الصلاة والسلام والتحية.

وفاة السيدة زينب الكبرى " عليها السلام " تأليف العلامة الجليل الشيخ فرج آل عمران القطيفى

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الميامين، ولعنة الله على أعدائهم الظالمين. وبعد: فيقول الراجى لعفو ربه المنان، فرج بن حسن بن أحمد العمران، هذه وفاة الصديقة الصغرى قد اقتطفتها من كتاب (زينب الكبرى) تأليف العلامة الجليل الشيخ جعفر بن محمد النقدى، المتوفى فى اليوم التاسع من شهر محرم الحرام من السنة التاسعة والستين والثلاثمائة والالف من الهجرة النبوية، إجابة لالتماس بعض المؤمنين راجيا من الله سبحانه أن ينفعنى بها وإياهم (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) (۱) وقد رتبتها على أربعة فصول:

(۱) سورة الشعراء، الآية: ۸۸ - ۸۹. (*)

الفصل الاول فى ميلادها وكناها وألقابها ونشأتها وتزويجها كانت ولادة الميمونة الطاهرة، والدرة الفاخرة، فى اليوم الخامس من شهر جمادى الاولى، فى السنة الخامسة - أو السادسة للهجرة - على ما حققه بعض الافاضل. وقيل فى غرة شعبان فى السنة السادسة. وعن الحافظ جلال الدين السيوطى فى رسالته الزينبية: ولدت فى حياة جدها رسول الله (ص) وكانت لبيبة جزلة عاقلة لها قوة جنان، فإن الحسن (ع) ولد قبل وفاة جده بثمان سنين، والحسين (ع) بسبع سنين وزينب الكبرى بخمس سنين انتهى كلامه. ولما ولدت (ع): جاءت بها أمها الزهراء إلى أبيها أمير المؤمنين (ع) وقالت له: سم هذه المولودة ؟ فقال (ع) ما كنت لاسبق رسول الله (ص) وكان فى سفر له، ولما جاء النبى (ص) وسأله عن اسمها فقال: ما كنت لاسبق ربى تعالى، فهبط جبرائيل يقرأ على النبى (ص) السلام من الله الجليل وقال له: سم هذه المولودة (زينب) فقد اختار الله لها هذا الاسم، ثم أخبره بما يجرى عليها من المصائب، فبكى النبى (ص) وقال: من بكى على مصاب هذه البنت كان كمن بكى على أخويها الحسن والحسين (ع) وتكنى بأم كلثوم، وأم الحسن، وتلقب: بالصديقة الصغرى، والعقيلة، وعقيلة بنى هاشم، وعقيلة

الطالبيين، والموثقة، والعارفة، والعالمة غير المعلمة، والكاملة، وعابدة آل على، وغير ذلک من الصفات الحميدة والنعوت الحسنة، وهى أول بنت ولدت لفاطمة صلوات الله عليها. ولقد كانت نشأة هذه الطاهرة الكريمة وتربية تلک الدرة اليتيمة فى حضن النبوة، ودرجت فى بيت الرسالة، رضعت لبان الوحى من ثدى الزهراء البتول، وغذيت بغداء الكرامة من كف ابن عم الرسول (ص) فنشأت نشأة قدسية وربيت تربية روحانية متجلببة جلابيب الجلال والعظمة، مترديه رداء العفاف والحشمة، فالخمسة أصحاب العباء (ع) هم الذين قاموا بتربيتها وتثقيفها وتهذيبها، وكفى بهم مؤدبين ومعلمين. ولما غربت شمس الرسالة، وغابت الانوار الفاطمية، وتزوج أمير المؤمنين (ع) بإمامة بنت أبى العاص وأمها زينب بنت رسول الله (ص) بوصية من الزهراء (ع) إذ قالت: وأوصيک أن تتزوج بأمامة بنت أختى زينب، تكون لولدى مثلى فقامت أمامة بشؤون زينب خير قيام كما كانت تقوم بشؤون بقية ولد فاطمة (ع)، وكانت أمامة هذه من النساء الصالحات القانتات العابدات، وكانت زينب (ع) تأخذ التربية الصالحة والتأديب القويم من والدها الكرار وأخويها الكريمين الحسن والحسين (ع) إلى أن بلغت من العلم والفضل والكمال مبلغا عظيما. ولما بلغت صلوات الله عليها مبلغ النساء، ودخلت من دور الطفولة إلى دور الشباب، خطبها الاشراف من العرب ورؤساء القبائل، فكان أمير المؤمنين (ع) يردهم ولم يجب أحدا منهم فى أمر زواجها، وممن خطبها الاشعث بن قيس وكان من ملوک كندة على ما فى الاصابة، فزبره أمير المؤمنين (ع) وقال: يا ابن الحائک أغرک ابن قحافة زوجک أخته – والحائک هنا المحتال والكذاب – وكان أبو بكر زوج أخته أم فروة بنت أبى قحافة من الاشعث، وذلک أن الاشعث ارتد فيمن ارتد من الكنديين وأسر، فأحضر

إلى أبى بكر فأسلم وأطلقه وزوجه أخته المذكورة، فأولدها محمد بن الاشعث وهو أحد قتلة الحسين (ع)، ثم أن الذى كان يدور فى خلد أمير المؤمنين (ع) أن يزوج بناته من أبناء إخوته ليس إلا امتثالا لقول النبى (ص) حين نظر إلى أولاد على (ع) وجعفر وقال: بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا، ولذلک دعا بابن أخيه عبد الله بن جعفر وشرفه بتزويج تلک الحوراء الانسية إياه على صداق أمها فاطمة أربعمائة وثمانين درهما، ووهبها إياه من خالص ماله (ع). وذكر بعض حملة الآثار أن أمير المؤمنين (ع) لما زوج ابنته من ابن أخيه عبد الله بن جعفر اشترط عليه فى ضمن العقد أن لا يمنعها متى أرادت السفر مع أخيها الحسين، وكان عبد الله بن جعفر أول مولود فى الاسلام بأرض الحبشة، وكان ممن صحب رسول الله (ص) وحفظ حديثه ثم لازم أمير المؤمنين (ع) والحسين (ع) وأخذ منهم العلم الكثير. قال فى الاستيعاب: وكان كريما، جوادا، ظريفا، خليقا، عفيفا، سخيا، وأخبار عبد الله بن جعفر فى الكرم كثيرة، وكان يدعوه النبى (ص) من أيسر بنى هاشم وأغناهم، وله فى المدينة وغيرها قرى وضياع ومتاجرة عدا ما كانت تصله من الخلفاء

من الاموال، وكان بيته محط آمال المحتاجين، وكان لا يرد سائلا قصده، وكان يبدأ الفقير بالعطاء قبل أن يسأله فسئل عن ذلک فقال: لا أحب أن يريق ماء وجهه بالسؤال، حتى قال فقراء المدينة بعد موته: ما كنا نعرف السؤال حتى مات عبد الله بن جعفر، فيحق له أن يتمثل بقول الشاعر: [نحن أناس نوالهم خضل ❊ يرتع فيه الرجاء والامل] [تجود قبل السؤال أنفسنا ❊ خوفا على ماء وجه من يسل] ولا زالت الصديقة زينب الكبرى سلام الله عليها فى بيت زوجها عبد الله بن جعفر الجواد، وهو من علمت ثروته، ويساره، وكثرة أمواله،

وخدمه، وحشمه يوم ذاک كانت تخدمها العبيد والاماء والاحرار، ويطوف حول بيتها الهلاک من ذوى الحوائج وطالبى الاستجداء، وكان بيتها الرفيع وحرمها المنيع لا يضاهيه فى العز والشرف وبعد الصيت إلا بيوت الخلفاء والملوک. وقد ولدت لعبدالله بن جعفر كما فى الجزء الثانى من تاريخ الخميس عليا وعونا الاكبر وعباسا وأم كلثوم، وذكر النورى فى تهذيب الاسماء واللغات جعفرا الاكبر، وذكر السبط بن الجوزى فى تذكرة الخواص محمدا، فأما العباس وجعفر ومحمد فلم نقف لهم على أثر ولا ذكرهم النسابة من المعقبين، وأما على وهو المعروف بالزينبى ففيه الكثرة والعدد، وفى ذريته الذيل الطويل والسلالة الباقية. وأما عون الاكبر فهو من شهداء الطف، قتل فى جملة آل أبى طالب، وهو مدفون مع آل أبى طالب فى الحفيرة مما يلى رجلى الحسين (ع)، وتوفى عبد الله بن جعفر رضى الله عنه فى المدينة المنورة سنة ثمانين من الهجرة النبوية عام الحجاف – وهو سيل كان ببطن مكة حجف بالناس فذهب بالحاج والجمال بأحمالها وذلک فى خلافة عبد الله بن عبد الملک بن مروان – وصلى عليه السجاد أو الباقر (ع) كان أمير المدينة يومئذ أبان بن عثمان، وخرجت الولائد خلف سريره قد شققن الجيوب والناس يزدحمون على سريره، وممن حمل السرير أبان بن عثمان وما فارقه حتى وضعه بالبقيع ودموعه تسيل وهو يقول: كنت والله شريفا واصلا برا، قال هشام المخزومى: أجمع أهل الحجاز وأهل البصرة وأهل الكوفة على أنهم لم يسمعوا ببيتين أحسن من بيتين رأوهما على قبر عبد الله بن جعفر وهما: [مقيم إلى أن يبعث الله خلقه ❊ لقاؤک لا يرجى وأنت قريب] [تزيد بلى فى كل يوم وليلة ❊ وتنسى كما تبلى وأنت حبيب]

الفصل الثانى فى شرفها، وعلمها، وعبادتها، وزهدها أما شرفها (ع): فهو الشرف الباذخ الذى لا يفوقه شرف، فإنها من ذرية سيد الكائنات وأشرف المخلوقات محمد بن عبد الله (ص)، قال رسول الله (ص): كل بنى أم ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فإنى أنا أبوهم وعصبتهم، وعنه (ص): أن الله عزوجل جعل ذرية كل نبى فى صلبه، وأن الله تعالى جعل ذريتى فى صلب على بن أبى طالب (ع). فهذا الشرف الحاصل لزينب (ع) شرف لا مزيد عليه، فإذا ضممنا إلى ذلک أن أباها على المرتضى وأمها فاطمة الزهراء، وجدتها خديجة الكبرى، وعمها جعفر الطيار فى الجنة

وعمتها أم هانئ بنت أبى طالب، وأخواها سيدا شباب أهل الجنة، وأخوالها وخالاتها أبناء رسول الله (ص) وبناته، فماذا يكون هذا الشرف وإلى أين ينتهى شأوه ويبلغ مداه، وإذا ضممنا إلى ذلک أيضا علمها وفضلها وتقواها وكمالها وزهدها وورعها وكثرة عبادتها ومعرفتها بالله تعالى، كان شرفها شرفا خاصا بها وبأمثالها من أهل بيتها ومما زاد فى شرفها ومجدها أن الخمسة الاطهار أهل العباء (ع) كانوا يحبونها حبا شديدا. وحدث يحيى المازنى قال: كنت فى جوار أمير المؤمنين فى المدينة مدة مديدة، وبالقرب من البيت الذى تسكنه زينب ابنته، فلا والله ما رأيت لها

ص: ۴۳۶

شخصا ولا سمعت لها صوتا، وكانت إذا أرادت الخروج لزيارة جدها رسول الله تخرج ليلا والحسن عن يمينها والحسين عن شمالها وأمير المؤمنين (ع) أمامها، فإذا قربت من القبر الشريف سبقها أمير المؤمنين (ع) فأخمد ضوء القناديل، فسأله الحسن (ع) مرة عن ذلک فقال (ع): أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختک زينب. وورد عن بعض المطلعين أن الحسن (ع) لما وضع الطشت بين يديه وصار يقذف كبده وسمع بأن أخته زينب تريد الدخول عليه أمر وهو فى تلک الحال برفع الطشت إشفاقا عليها، وجاء فى بعض الاخبار أن الحسين (ع) كان إذا زارته زينب يقوم إجلالا لها وكان يجلسها فى مكانه، ولعمرى إن هذه منزلة عظيمة لزينب (ع) وأخيها الحسين (ع). كما أنها كانت أمينة أبيها على الهدايا الالهية. ففى حديث مقتل أمير المؤمنين (ع) الذى نقله المجلسى فى تاسع البحار نادى الحسن (ع) أخته زينب أم كلثوم: هلمى بحنوط جدى رسول الله (ص) فبادرت زينب مسرعة حتى أتت به، فلما فتحته فاحت الدار وجميع الكوفة وشوارعها لشدة رائحة ذلک الطيب، وقال الفاضل الاديب حسن قاسم فى كتابه (السيدة زينب السيدة الماهرة الزكية)، زينب بنت الامام على بن أبى طالب (ع) ابن عم الرسول (ص) وشقيقة ريحانتيه لها أشرف نسب وأجل حسب وأكمل نفس وأطهر قلب، فكأنها صيغت فى قالب ضمخ بعطر الفضائل، فالمستجلى آثارها يتمثل أمام عينيه رمز الحق رمز الفضيلة رمز الشجاعة رمز المروءة، فصاحة اللسان قوة الجنان مثال الزهد والورع، مثال العفاف والشهامة ان فى ذلک لعبرة. وقال أيضا فإن عد فى النساء الشهيرات فالسيدة أولاهن وإذا عدت الفضائل فضيلة فضيلة من وفاء وسخاء وصدق وصفاء وشجاعة وإباء وعلم وعبادة وعفة وزهادة فزينب أقوى مثال للفضيلة بكل مظاهرها. وقال العلامة السيد جعفر آل بحر العلوم الطباطبائى فى كتابه (تحفة

ص: ۴۳۷

العالم) المطبوع بالنجف زينب الكبرى زوجة عبد الله بن جعفر تكنى أم الحسن، ويكفى فى جلالة قدرها ونبالة شأنها ما ورد فى بعض الاخبار من أنها دخلت على الحسين (ع) وكان يقرأ القرآن، فوضع القرآن على الارض وقام إجلالا لها. وقال محمد على المصرى فى رسالته التى طبعها بمصر السيدة زينب رضى الله عنها: هى بنت سيدى الامام على كرم الله وجهه، وبنت السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص)، وهى من أجل أهل البيت حسبا وأعلاهم

نسبا، خيرة السيدات الطاهرات، ومن فضيلات النساء وجليلات العقائل التى فاقت الفوارس فى الشجاعة، واتخذت طول حياتها تقوى الله بضاعة، وكان لسانها الرطب بذكر الله على الظالمين غصبا ولاهل الحق عينا معينا، كريمة الدارين وشقيقة الحسنين، بنت البتول الزهراء التى فضلها الله على النساء، وجعلها عند أهل العزم أم العزائم وعند أهل الجود والكرم أم هاشم، إلى أن قال ولدت رضى الله عنها سنة خمس من الهجرة النبوية قبل وفاة جدها (ص) بخمس سنين فسر بمولدها أهل بيت النبوة أجمعون، ونشأت نشأة حسنة كاملة فاضلة عالمة، من شجرة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، وكانت على جانب عظيم من الحلم والعلم ومكارم الاخلاق، ذات فصاحة وبلاغة تفيض من يدها عيون الجود والكرم. وقد جمعت بين جمال الطلعة وجمال الطوية حتى أنها اشتهرت فى بيت النبوة ولقبت بصاحبة الشورى، وكفاها فخرا أنها فرع من شجرة أهل بيت النبوة الذين مدحهم الله تعالى فى كتابه العزيز. وأما علمها (ع)، فهو البحر لا ينزف فإنها سلام الله عليها هى المترباة فى مدينة العلم النبوى، المعتكفة بعده ببابها العلوى، المتغداة بلبانه من أمها الصديقة الطاهرة سلام الله عليها، وقد طوت عمرا من الدهر مع الامامين السبطين يزقانها العلم زقا فهى [اغترفت] من عباب علم

آل محمد (ع) وعباب فضائلهم الذى اعترف [به] عدوهم الالد يزيد الطاغية بقوله فى الامام السجاد (ع): أنه من أهل بيت زقوا العلم زقا، وقد نص لها بهذه الكلمة ابن أخيها على بن الحسين (ع): أنت بحمد الله عالمة غير معلمة وفهمة غير مفهمة، يريد (ع) أن مادة علمها من سنخ ما منح به رجالات بيتها الرفيع أفيض عليها إلهاما لا يتخرج على أستاذ أو أخذ عن مشيخة، وإن كان الحصول على تلك القوة الربانية بسبب تهذيبات جدها وأبيها وأمها وأخويها أو لمحض انتمائها (ع) إليهم واتحادها معهم فى الطينة المكهربين لذاتها القدسية، فازيحت عنها بذلك الموانع المادية وبقى مقتضى اللطف الفياض وحده وإذ كان لا يتطرقه البخل بتمام معانيه عادت العلة لافاضة العلم كله عليها بقدر استعدادها تامة فافيض عليها بأجمعه إلا ما اختص به ائمة الدين (ع) من العلم المخصوص بمقامهم الاسمى، على أن هناك مرتبة سامية لا ينالها إلا ذو حظ عظيم وهى الرتبة الحاصلة من الرياضات الشرعية والعبادات الجامعة لشرائط الحقيقة لا محض الظاهر الموفى لمقام الصحة والاجزاء، فإن لها من الآثار الكشفية ما لا نهاية لامدها، وفى الحديث: من أخلص لله تعالى أربعين صباحا انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، ولا شک أن زينب الطاهرة قد أخلصت لله كل عمرها فماذا تحسب أن يكون المنفجر من قلبها على لسانها من ينابيع الحكمة. ويظهر من الفاضل الدربندى وغيره أنها (ع) كانت تعلم علم المنايا والبلايا، كجملة من أصحاب أمير المؤمنين (ع)، منهم ميثم التمار ورشيد الهجرى وغيرهما، بل جزم فى أسراره أنها صلوات الله عليها أفضل من مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وغيرهما من فضليات النساء، وذكر (قدس سره) عند كلام السجاد (ع) لها: يا عمة أنت بحمد الله عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهمة. إن هذا الكلام حجة على أن زينب بنت أمير المؤمنين (ع) كانت محدثة أى ملهمة، وأن علمها كان من العلوم اللدنية والآثار الباطنية.

ص: ۴۳۹

ومن نظر فی کتاب أسرار الشهادة رأی فیه من الادلة والتحقیقات فی حق زینب (صلوات الله علیها) ما هو أکثر مما ذکرناه. وفی (الطراز المذهب) أن شؤنات زینب الباطنیة ومقاماتها المعنویة کما قیل فیها أن فضائلها وفواضلها، وخصالها، وجلالها، وعلمها، وعملها، وعصمتها، وعفتها، ونورها، وضیاءها، وشرفها، وبهاءها، تالیة أمها وثانیتها، وقال ابن عنبة فی (أنساب الطالبین) زینب الکبری بنت أمیر المؤمنین (ع) کنیتها أم الحسن، تروی عن أمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) وقد أمتازت بمحاسنها الکثیرة وأوصافها الجلیلة وخصالها الحمیدة وشیمها السعیدة ومفاخرها البارزة وفضائلها الطاهرة. وقال العلامة الفاضل السید نور الدین الجزائری فی کتابه الفارسی المسمی بـ(الخصائص الزینبیة) ما ترجمته عن بعض الکتب: أن زینب کان لها مجلس فی بیتها أیام إقامة أبیها (ع) فی الکوفة، وکانت تفسر القرآن للنساء، ففی بعض الایام کانت تفسر (کهیعص) للنساء إذ دخل أمیر المؤمنین (ع)، فقال لها: یا نور عینی سمعتک تفسیرین (کهیعص) للنساء، فقالت: نعم فقال (ع): هذا رمز لمصیبة تصیبکم عترة رسول الله (ص) ثم شرح لها المصائب فبکت بکاء عالیا صلوات الله علیها. وفی کتاب (بلاغات النساء) لابی الفضل أحمد بن أبی طاهر طیفور قال: حدثنی أحمد بن جعفر سلیمان الهاشمی، قال: کانت زینب بنت علی (ع) تقول: من أراد أن لا یکون الخلق شفعاؤه إلی الله فلیحمده، ألم تسمع إلی قولهم سمع الله لمن حمده فخف الله لقدرته علیک واستح منه لقربه منک. وقال الطبرسی أن زینب روت أخبارا کثیرة عن أمها الزهراء (ع). وعن عماد المحدثین أن زینب الکبری کانت تروی عن أمها وأبیها

ص: ۴۴۰

وأخویها وعن أم مسلمة وأم هانئ وغیرهما من النساء، وممن روی عنها ابن عباس وعلی بن الحسین (ع) وعبد الله بن جعفر وفاطمة بنت الحسین (ع) الصغری وغیرهم. وفی (مقاتل الطالبیین) لابی الفرج الاصبهانی: زینب العقیلة بنت علی بن أبی طالب (ع) وأمها فاطمة بنت رسول الله (ص)، والعقیلة هی التی روی ابن عباس عنها کلام فاطمة (ع) فی فدک فقال: حدثتنی عقیلتنا زینب بنت علی (ع). وقال الفاضل العلامة الاجل المولی محمد حسن القزوینی فی کتابه المسمی بـ(ریاض الاحزان وحدائق الاشجان): یستفاد من آثار أهل البیت جلالة شأن زینب الکبری بنت أمیر المؤمنین (ع) ووقارها وقرارها بما لا مزید علیه، حتی أوصی إلیها أخوها ما أوصی قبل شهادته، وأنها من کمال معرفتها ووفور علمها وحسن أعراقها وطیب أخلاقها کانت تشبه أمها سیدة النساء فاطمة الزهراء فی جمیع ذلک والخفارة والحیاء، وأباها (ع) فی قوة القلب فی الشدة والثبات عند النائبات والصبر علی الملمات والشجاعة الموروثة من صفاتها والمهابة المأثورة من سماتها، وقد یستند فی جمیع ما ذکرناه إلی ما رواه فی (کامل الزیارات) من موعظتها لابن أخیها الامام السجاد زین العابدین (ع) حین المرور بمصارع الشهداء، ثم ساق حدیث أم أیمن الآتی ذکره، وعن

الصدوق محمد بن بابويه طاب ثراه: كانت زينب (ع) لها نيابة خاصة عن الحسين (ع) وكان الناس يرجعون إليها فى الحلال والحرام حتى برئ زين العابدين (ع) من مرضه. وأما عبادتها: فهى تالية أمها الزهراء (ع) وكانت تقضى عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن، ففى (مثير الاحزان) للعلامة الشيخ شريف الجواهرى (قدس سره): قالت فاطمة بنت الحسين (ع) وأما عمتى زينب فإنها لم تزل قائمة فى تلك الليلة أى العاشرة من المحرم فى محرابها، تستغيث إلى ربها،

ص: ۴۴۱

فما هدأت لنا عين ولا سكنت لنا رنة. وعن الفاضل النائينى البرجردى: أن الحسين لما ودع أخته زينب وداعه الاخير قال لها: يا أختاه لا تنسينى فى نافلة الليل، وهذا الخبر رواه هذا الفاضل عن بعض المقاتل المعتبرة. وقال بعض ذوى الفضل: أنها (صلوات الله عليها) ما تركت تهجدها لله تعالى طول دهرها حتى ليلة الحادى عشر من المحرم. وروى عن زين العابدين (ع) أنه قال: رأيتها تلك الليلة تصلى من جلوس، وروى بعض المتبقين عن الامام زين العابدين (ع) أنه قال: إن عمتى زينب كانت تؤدى صلواتها من الفرائض والنوافل عند سير القوم بنا من الكوفة إلى الشام من قيام، وفى بعض المنازل كانت تصلى من جلوس فسألتها عن سبب ذلك فقالت: أصلى من جلوس لشدة الجوع والضعف منذ ثلاث ليال، لانها كانت تقسم ما يصيبها من الطعام على الاطفال لان القوم كانوا يدفعون لكل واحد منا رغيفا واحدا من الخبز فى اليوم والليلة. وعن الفاضل النائينى البرجردى المتقدم ذكره عن بعض المقاتل المعتبرة عن مولانا السجاد (ع) أنه قال: إن عمتى زينب مع تلك المصائب والمحن النازلة بها فى طريقنا إلى الشام ما تركت [تهجدها] لليلة انتهى كلامه. فإذا تأمل المتأمل إلى ما كانت عليه هذه الطاهرة من العبادة لله تعالى والانقطاع إليه، يكاد يتيقن بعصمتها (صلوات الله عليها) وأنها كانت من القانتات اللواتى وقفن حركاتهن وسكناتهن وأنفاسهن للبارى تعالى، وبذلك حصلن على المنازل الرفيعة والدرجات العالية التى حكت رفعتها منازل المرسلين ودرجات الاوصياء (عليهم الصلاة والسلام). وأما زهدها (ع): فيكفى فى إثباته ما روى عن الامام السجاد من أنها (ع) ما أدخرت شيئا من يومها لغدها أبدا.

ص: ۴۴۲

وفى كتاب (جنات الخلود) ما معناه: وكانت زينب الكبرى فى البلاغة، والزهد، والتدبير، والشجاعة، قرينة أبيها وأمها، فإن انتظام أمور أهل البيت بل الهاشميين بعد شهادة الحسين (ع) كان برأيها وتدبيرها. وعن النيسابورى فى رسالته العلوية: كانت زينب بنت على فى فصاحتها وبلاغتها وزهدها وعبادتها كأبيها المرتضى (ع)، وأمها الزهراء (ع). ولله درالمؤلف النقدى حيث يقول: [عقيلة أهل بيت الوحى بنت ❊ الوصى المرتضى مولى الموالى] [شقيقة سبطى المختار من قد ❊ سمت شرفا على هام الهلال] [حكت خير الانام علا وفخرا ❊ وحيدر فى الفصيح من المقال] [

وفاطم عفة وتقى ومجدا * وأخلاقا وفى كرم الخلال] [ربيبة عصمة طهرت وطابت * وفاقت فى الصفات وفى الفعال] [فكانت كالائمة فى هداها * وإنقاذ الانام من الضلال] [وكان جهادها بالليل أمضى * من البيض الصوارم والنصال] [وكانت فى المصلى إذ تناجى * وتدعو الله بالدمع المذال] [ملائكة السماء على دعاها * تؤمن فى خضوع وابتهال] [روت عن أمها الزهراء علوما * بها وصلت إلى حد الكمال] [مقاما لم يكن تحتاج فيه * إلى تعليم علم أو سؤال] [ونالت رتبة فى الفخر عنها * تأخرت الاواخر والاوالى] [فلولا أمها الزهراء سادت * نساء العالمين بلا جدال]

الفصل الثالث فى أسفارها وهى ستة أسفار السفر الاول (من المدينة إلى الكوفة مع أبيها أمير المؤمنين (ع)) لما هاجر إليها سافرت (ع) هذا السفر وهى فى غاية العز ونهاية الجلالة والاحتشام، يسير بها موكب فخم رهيب من مواكب المعالى والمجد، ومحفوف بأبهة الخلافة، محاط بهيبة النبوة، مشتمل على السكينة والوقار، فيه أبوها الكرار أمير المؤمنين (ع) وإخوتها الحسنان سيدا شباب أهل الجنة، وحامل الراية العظمى محمد بن الحنفية، وقمر بنى هاشم العباس بن على (ع)، وزوجها الجواد عبد الله بن جعفر، وأبناء عمومتها عبد الله بن عباس وعبيد الله واخوتهما وبقية أبناء جعفر الطيار وعقيل بن أبى طالب وغيرهم من فتيان بنى هاشم، وأتباعهم من رؤساء القبائل وسادات العرب مدججين بالسلاح غاصين فى الحديد، والرايات ترفرف على رؤوسهم وتخفق على هاماتهم وهى فى غبطة وفرح وسرور.

السفر الثانى (من الكوفة إلى المدينة مع أخيها الحسن (ع) بعد صلحه مع معاوية) سافرت (ع) هذا السفر وهى أيضا فى موكب فخم فى غاية العز والدلال والعظمة والاجلال، تحوطها الابطال من إخوتها وبنى هاشم الكرام، حتى وصلت إلى حرم جدها الرسول الاكرم (ص)، ومسقط رأسها المدينة المنورة محترمة موقرة. السفر الثالث (من المدينة إلى كربلاء مع أخيها الحسين ويشتمل هذا السفر على نبذة من مصائبها وصبرها وإخلاصها وثابتها) لما عزم الحسين (ع) على السفر من الحجاز إلى العراق، استأذنت زينب زوجها عبد الله بن جعفر أن تصاحب أخاها الحسين (ع)، مضافا إلى ما عرفت سابقا من اشتراط أمير المؤمنين (ع) عليه فى ضمن عقد النكاح أن لا يمنعها متى أرادت السفر مع أخيها الحسين (ع)، فأذن لها وأمر ابنيه عونا ومحمدا بالمسير مع الحسين (ع)، والملازمة فى خدمته والجهاد دونه، فسافرت (ع) فى ذلك الموكب الحسينى المهيب، فى عز وجلال وحشمة ووقار، تحملها المحامل المزركشة المزينة بالحرير والديباج، قد فرشت بالفرش الممهدة ووسدت بالوسائد المنضدة، تحت رعاية أخيها الحسين (ع)، تحف بها الابطال من عشيرتها وتكتنفها الاسود الضارية من إخوتها وأبناء إخوتها وعمومتها كأبى الفضل العباس، وعلى الاكبر،

والقاسم بن الحسن، وأبناء جعفر وعقيل، وغيرهم من الهاشميين والعبيد والاماء طوع أمرها ورهن إشارتها، ولكنها (ع) سافرت هذه السفرة منقطعة من علائق الدنيا بأسرها فى سبيل الله، قد أعرضت عن زهرة الحياة من المال والبيت والزوج والولد والخدم والحشم، وصحبت أخاها الحسين (ع) ناصرة لدين الله وباذلة النفس والنفيس

ص: ۴۴۵

لامامها ابن بنت رسول الله مع علمها بجميع ما يجرى عليها من المصائب والنوائب والمحن، كما يدل عليه الحديث المروى فى كتاب (كامل الزيارات) للشيخ الفقيه أبى القاسم جعفر بن محمد بن قولويه طاب ثراه، قال: حدثنى أبو عيسى عبيد الله بن الفضل بن محمد بن هلال الطائى البصرى قال: حدثنى أبو عثمان سعيد بن محمد قال: حدثنا محمد بن سلام بن يسار الكوفى قال: حدثنى نوح بن دراج قال: حدثنى قدامة بن زائدة عن أبيه قال: قال على بن الحسين بلغنى يا زائدة أنک تزور قبر أبى عبد الله الحسين (ع) أحيانا، فقلت: إن ذلک لكما بلغک فقال لى: ولماذا تفعل ذلک ولک مكان عند سلطانک الذى لا يحتمل أحدا على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الامة من حقنا ؟ فقلت: والله ما أريد بذلک إلا الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط ولا يكبر فى صدرى مكروه ينالنى بسببه، فقال: والله إن ذلک لكذلک، فقلت: والله إن ذلک لكذلک يقولها ثلاثا وأقولها ثلاثا. فقال: أبشر ثم أبشر ثم أبشر، فلاخبرنک بخبر كان عندى فى النخب المخزون، فإنه لما أصابنا فى الطف ما أصابنا وقتل أبى وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله وحملت حرمه ونساؤه على الاقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا فعظم ذلک فى صدرى، واشتد لما أرى منهم قلقى، فكادت نفسى تخرج، وتبينت ذلک منى عمتى زينب الكبرى بنت على (ع) فقالت: ما لى أراک تجود بنفسک يا بقية جدى وأبى وإخوتى ؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدى وإخوتى وعمومتى وولد عمى مضرجين بدمائهم مرملين بالعراء مسلبين، لا يكفنون ولا يوارون ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر، فقالت: لا يجزعنک ما ترى فوالله إن ذلک لعهد من رسول الله (ص) إلى جدک وأبيک وعمک، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الامة لا تعرفهم فراعنة هذه الامة وهم معروفون من أهل السماوات، أنهم يجمعون هذه الاعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطف علما لقبر أبيک سيد

ص: ۴۴۶

الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالى والايام، وليجهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة فى محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهورا وأمره إلا علوا. فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر ؟ فقالت: نعم حدثتنى أم أيمن أن رسول الله (ص) زار منزل فاطمة (ع) فى يوم من الايام، فعملت له حريرة وأتاه على بطبق فيه تمر، ثم قالت أم أيمن: فأتيتهم بعس فيه لبن وزبد فأكل رسول الله (ص) وعلى وفاطمة والحسن والحسين من تلک الحريرة، وشرب

رسول الله (ص) وشربوا من ذلک اللبن، ثم أکلوا وأکل من ذلک التمر والزبد، ثم غسل رسول الله (ص) یده وعلی (ع) یصب علیه الماء، فلما فرغ من غسل یده مسح وجهه ثم نظر إلی علی (ع) وفاطمة والحسن والحسین نظرا عرفنا به السرور فی وجهه، وتوجه نحو القبلة وبسط یدیه ودعا ثم خر ساجدا وهو ینشج وجرت دموعه، ثم رفع رأسه وأطرق إلی الارض ودموعه تقطر کأنها صوب المطر، فحزنت فاطمة (ع) وعلی والحسن والحسین (ع) وحزنت معهم لما رأینا رسول الله (ص)، وهبنا أن نسأله حتی إذا طال ذلک قال له علی (ع) وقالت له فاطمة (ع): ما یبکیک یا رسول الله ؟ لا أبکی الله عینیک، فقد أقرح قلوبنا ما نری من حالک. فقال (ص): یا أخی سررت بکم. وقال مزاحم بن عبد الوارث فی حدیثه هنا فقال: یا حبیبی سررت بکم سرورا ما سررت مثله قط، وإنی لانظر إلیکم وأحمد الله علی نعمته علی فیکم، إذ هبط علی جبرائیل فقال: یا محمد إن الله تبارک وتعالی أطلع علی ما فی نفسک وعرف سرورک بأخیک وابنتک وسبطیک فأکمل لک النعمة وهناک العطیة بأن جعلهم وذریاتهم ومحبیهم وشیعتهم معک فی الجنة لا یفرق بینک وبینهم، یحبون کما تحب ویعطون کما تعطی حتی ترضی وفوق الرضا علی بلوی کثیرة تنالهم فی الدنیا ومکاره تصیبهم بأیدی أناس ینتحلون ملتک، ویزعمون أنهم من أمتک براء من الله ومنک خبطا خبطا وقتلا قتلا شتی مصارعهم نائیة. قبورهم خیرة من الله لهم ولک فیهم، فاحمد الله عز وجل علی خیرته وارض بقضائه، فحمدت الله

ورضیت بقضائه بما اختاره لکم. ثم قال لی جبرائیل: یا محمد إن أخاک مضطهد بعدک مغلوب علی أمتک معتوب من أعدائک ثم مقتول بعدک، یقتله أشر الخلیقة وأشقی البریة، یکون نظیر عاقر الناقة ببلد تکون إلیه هجرته وهو معرس شیعته وشیعة ولده وفیه علی کل حال یکثر بلواهم ویعظم مصابهم، وإن سبطک هذا وأومی بیده إلی الحسین (ع) مقتول فی عصابة من ذریتک وأهل بیتک وأخیار من أمتک بضفة الفرات بأرض یقال لها کربلاء، من أجلها یکثر الکرب والبلا علی أعدائک وأعداء ذریتک فی الیوم الذی لا ینقضی کربه ولا تفنی حسرته، وهی أطیب بقاع الارض وأعظمها حرمة یقتل فیها سبطک وأهله وإنها من بطحاء الجنة، فإذا کان الیوم الذی یقتل فیه سبطک وأهله، وأحاطت به کتائب أهل الکفر واللعنة، تزعزعت الارض من أقطارها، ومادت الجبال وکثر اضطرابها، واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها غضبا لک یا محمد ولذریتک، واستهضاما لما ینتهک من حرمتک ولشر ما تکافی به فی ذریتک وعترتک، ولا یبقی شئ من ذلک إلا استأذن الله عزوجل فی نصرة أهلک المستضعفین المظلومین الذین هم حجة الله علی خلقه بعدک، فیوحی الله إلی السماوات والارض والجبال والبحار ومن فیهن: إنی أنا الله الملک القادر الذی لا یفوته هارب، ولا یعجزه ممتنع، وأنا أقدر فیه علی الانتصار والانتقام، وعزتی وجلالی لاعذبن من وتر رسولی وصفیی وانتهک حرمته وقتل عترته ونبذ عهده وظلم أهل بیته عذابا لا أعذب به أحدا من العالمین، فعند ذلک یضج کل شئ فی السماوات والارضین بلعن من ظلم عترتک واستحل حرمتک، فإذا برزت تلک العصابة إلی مضاجعها تولی الله عزوجل قبض أرواحها بیده، وهبط إلی الارض ملائکة من السماء السابعة معهم آنیة من الیاقوت والزمرد مملوءة من ماء الحیاة وحلل من حلل الجنة وطیب من طیب الجنة، فغسلوا جثثهم بذلک الماء وألبسوها الحلل وحنطوها بذلک الطیب، وصلت الملائکة صفا صفا علیهم،

ثم يبعث الله قوما من أمتک لا يعرفهم الكفار لم يشركوا فى تلک الدماء بقول ولا فعل ولا نية، فيوارون أجسادهم ويقيمون رسما لقبر سيد الشهداء بتلک البطحاء يكون علما لاهل الحق وسببا للمؤمنين إلى الفوز، وتحفه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملک فى كل يوم وليلة، ويصلون عليه، ويطوفون حوله، ويسبحون عنده، ويستغفرون الله لمن زاره، ويكتبون أسماء زائرية من أمتک متقربين إلى الله تعالى وإليک بذلک وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم، ويوسمون فى وجوههم بميسم نور عرش الله هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الانبياء، فإذا كان يوم القيامة سطع فى وجوههم من أثر ذلک الميسم نور تغشى منه الابصار يدل عليهم فيعرفونهم، وكأنى بک يا محمد بينى وبين ميكائيل وعلى أمامنا، ومعنا من ملائكة الله ما لا يحصى عددهم ونحن نلتقط ذلک الموسوم فى وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلک اليوم وشدائده، وذلک حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرک يا محمد أو قبر أخيک أو قبر سبطيک لا يريد به غير الله عز وجل، ويجتهد أناس ممن حقت عليهم اللعنة من الله والسخط أن يعفو رسم ذلک القبر ويمحوا أثره فلا يجعل الله تبارک وتعالى لهم إلى ذلک سبيلا. ثم قال رسول الله (ص): فهذا أبكانى وأحزننى. قالت زينب (ع) فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبى (ع) ورأيت عليه أثر الموت، دنوت منه وقلت له: يا أبت حدثتنى أم أيمن بكذا وكذا وقد أحببت أن أسمعه منک، فقال: يا بنية الحديث كما حدثتک أم أيمن وكأنى بک وبنساء أهلک سبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبرا صبرا فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة، ما لله على ظهر الارض يومئذ ولى غير محبيكم وشيعتكم، ولقد قال لنا رسول الله (ص) حين أخبرنا بهذا الخبر: إن إبليس لعنه الله فى ذلک اليوم يطير فرحا، فيجول الارض كلها بشياطينه وعفاريته، فيقول: يا معاشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا فى هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة، فاجعلوا شغلكم بتشكيک الناس فيهم

وحملهم على عداوتهم واغرائهم وأوليائهم، حتى تستحكموا ضلالة الخلق وكفرهم، ولا ينجوا منهم ناج، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه وهو كذوب انه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح، ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنبا غير الكبائر. قال زائدة: ثم قال على بن الحسين بعد أن حدثنى بهذا الحديث: خذه إليک ما لو ضربت فى طلبه آباط الابل حولا لكان قليلا ولكون زينب (ع) عالمة بجميع ما يجرى عليها من المصائب والنوائب والمحن وأنها على بصيرة من أمرها قابلت تلک الرزايا والفوادح بجميل الصبر وعظيم الاتزان وقوة الايمان وكامل الاخلاص. وإليک نبذة يسيرة من مصائبها العظيمة وفوادحها الكبرى، فإنها (ع) رأت من المصائب والنوائب ما لو نزلت على الجبال الراسيات لا نفسحت واندكت جوانبها، لكنها فى ذلک تصبر الصبر الجميل كما هو معلوم لكل من درس حياتها، وأول مصيبة دهمتها هو

فقدها جدها النبى (ص) وما لاقى أهلها بعده من المكاره، ثم فقدها أمها الكريمة بنت رسول الله بعد مرض شديد وكدر من العيش والاعتكاف فى بيت الاحزان، ثم فقدها أباها عليا وهو مضرج بدمه من سيف ابن ملجم المرادى (لع)، ثم فقدها أخاها المجتبى المسموم تنظر إليه وهو يتقيأ كبده فى الطشت قطعة قطعة، وبعد موته (ع) ترشق جنازته بالسهام، ثم رؤيتها أخاها الحسين (ع) تتقاذف به البلاد حتى نزل كربلاء وهناک دهمتها الكوارث العظام من قتله (ع) وقتل بقية إخوتها وأولادهم وأولاد عمومتها وخواص الامة من شيعة أبيها (ع) عطاشى، ثم المحن التى لاقتها من هجوم أعداء الله على رحلها، وما فعلوه من سلب وسبى ونهب وإهانة وضرب لكرائم النبوة وودائع الرسالة، وتكفلها حال النساء والاطفال فى ذلة الاسر، ثم سيرها معهم من بلد إلى بلد ومن منزل إلى منزل ومن مجلس إلى مجلس، وغير ذلک من الرزايا التى يعجز عنها البيان ويكل اللسان، وهى مع ذلک كله صابرة

محتسبة ومفوضة أمرها إلى الله، قائمة بوظائف شاقة من مداراة العيال ومراقبة الصغار واليتامى من أولاد إخوتها وأهل بيتها، رابطة الجأش بإيمانها الثابت وعقيدتها الراسخة، حتى أنها كانت تسلى إمام زمانها زين العابدين (ع)، وأما ما كان يظهر منها بعض الاحيان من البكاء وغيره فذلک أيضا كان لطلب الثواب أو للرحمة التى أودعها الله عزوجل فى المؤمنين، أما طلب الثواب فلعلمها بما أعده الله عزوجل للبكائين على الحسين. قال الصادق (ع) من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح البعوضة، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر. وأما الرحمة التى أودعها الله فى المؤمنين فمثل ما كان من النبى (ص) على ما رواه البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالک عند ما دخل رسول الله (ص) وولده إبراهيم يجود بنفسه قال: فجعلت عينا رسول الله (ص) تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله، فقال: يا ابن عوف إنها رحمة. ثم اتبعها بأخرى فقال رسول الله (ص): إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقک يا إبراهيم لمحزونون، وبالجملة فزينب (ع) صبرت صبر الكرام على تلک المصائب العظام والنوائب الجسام. فمن عجيب صبرها وإخلاصها وثباتها ما نقله فى الطراز المذهب أنها سلام الله عليها وعلى أبيها وأمها وأخويها لما وقفت على جسد أخيها الحسين (ع) قالت: أللهم تقبل منا هذا القليل من القربان قال: فقارنت أمها فى الكرامات والصبر فى النوائب بحيث حرقت العادات ولحقت بالمعجزات. قال المؤلف النقدى أعلا الله مقامه: فهذه الكلمات من هذه الحرة الطاهرة، فى تلک الوقفة التى رأت بها أخاها العزيز بتلک الحالة المفجعة، التى كانت فيها تكشف لنا قوة إيمانها ورسوخ عقيدتها وفنائها فى جنب الله تعالى، وغير ذلک مما لا يخفى على المتأمل. وقال عمر أبو النصر اللبنانى فى كتابه الحسين بن على المطبوع حديثا

ومما يجب أن يصار إلى ذكره فى هذا الباب ما ظهر من زينب بنت فاطمة وأخت الحسين (ع) من جرأة وثبات جأش فى موقفها هذا يوم المعركة وعند ابن زياد وفى قصر يزيد إلى آخر ما قال. ولله در الشاعر الخطيب السيد حسن بن السيد عباس البغدادى حيث يقول: [يا قلب زينب ما لاقيت من محن ❊ فيک الرزايا وكل الصبر قد جمعا] [فلو كان ما فيک من صبر ومن محن ❊ فى قلب أقوى جبال الارض لا نصدعا] [يكفيک صبرا قلوب الناس كلهم ❊ تفطرت للذى لاقيته جزعا] السفر الرابع (من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام بعد قتل أخيها الحسين (ع) وأصحابه الابرار تحت رعاية الظالمين ويشتمل هذا السفر على خطبتيها البلغتين فى الكوفة وفى مجلس يزيد فى الشام) الاشارة إلى بلاغتها وشجاعتها: لما عزم ابن سعد على الرحيل من كربلاء، أمر بحمل النساء والاطفال على أقتاب الجمال، ومروا بهن على مصارع الشهداء فلما نظرن النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوههن وفيهن زينب بنت على (ع) تنادى بصوت حزين وقلب كئيب: يا محمداه صلى عليک مليک السماء، هذا حسين مرمل بالدماء، مقطع الاعضاء، وبناتک سبايا، إلى الله المشتكى، وإلى محمد المصطفى، وإلى على المرتضى وإلى فاطمة الزهراء وإلى حمزة سيد الشهداء، يا محمداه هذا حسين بالعراء، قتيل أولاد البغايا، واحزناه واكرباه عليک يا أبا عبد الله، اليوم مات جدى رسول الله يا أصحاب محمداه، هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا، وهذا حسين محزوز الرأس من القفا

مسلوب العمامة والرداء، بأبى من أضحى معسكره يوم الاثنين نهبا، بأبى من فسطاطه مقطع العرى، بأبى من لا غائب فيرجى ولا جريح فيداوى، بأبى من نفسى له الفداء، بأبى المهموم حتى قضى، بأبى العطشان حتى مضى، بأبى من شيبه يقطر بالدماء، بأبى من جده محمد المصطفى، بأبى من جده رسول إله السماء، بأبى من هو سبط نبى الهدى، بأبى محمد المصطفى، بأبى خديجة الكبرى، بأبى على المرتضى، بأبى فاطمة الزهراء (ع)، بأبى من ردت له الشمس حتى صلى، فأبكت والله كل عدو وصديق. ولله در الشاعر حيث يقول: [والطهر زينب تستغيث بندبها ❊ غرقت بفيض دموعها وجناتها] [رقت لعظم مصابها أعداؤها ❊ ومن الرزية أن ترق عداتها] ثم أنها (ع) سافرت هذا السفر المحزن وهى حزينة القلب كسيرة الخاطر باكية العين ناحلة الجسم مرتعدة الاعضاء، قد فارقت أعز الناس عليها وأحبهم إليها، تحف بها النساء الارامل والايامى الثواكل، وأطفال يستغيثون من الجوع والعطش، ويحيط بها القوم اللئام من قتلة أهل بيتها وظالمى أهلها وناهبى رحلها، كشمر بن ذى الجوشن وزجر بن قيس وسنان بن أنس وخولى بن زيد الاصبحى وحرملة بن كاهل وحجار بن أبى أبحر وأمثالهم لعنهم الله، ممن لم يخلق الله فى قلوبهم الرحمة إذا دمعت عيناها أهوت عليها السياط، وإن بكت أخاها لطمتها الايدى القاسية، وهكذا كان سفرها هذا. ولقد تواترت الروايات عن العلماء وأرباب الحديث بأسانيدهم عن حذلم ابن كثير قال: قدمت الكوفة فى المحرم سنة إحدى وستين عند منصرف على بن الحسين (ع) [ومعه النساء والاطفال] من كربلاء ومعهم الاجناد يحيطون بهم، وقد خرج الناس للنظر إليهم، فلما أقبلوا بهم على الجمال بغير وطاء وجعلن نساء الكوفة يبكين وينشدن، فسمعت على بن الحسين (ع) يقول بصوت ضئيل وقد نهكته العلة وفى عنقه الجامعة ويده مغلولة إلى عنقه: إن

هؤلاء النسوة يبكين فمن قتلنا، قال: ورأيت زينب بنت على (ع) ولم أر خفرة أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين (ع) قال: وقد أومت إلى الناس أن اسكتوا فقالت (ع): الحمد لله والصلاة على محمد وآله الطيبين الاخيار، أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر، أتبكون فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثل التى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف، والصدر الشنف، وملق الاماء، وغمز الاعداء، أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفى العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتنتحبون ؟ أى والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وملاذ حيرتكم ومفزع نازلتكم ومنار حجتكم ومدره سنتكم ألا ساء ما تزرون، وبعدا لكم وسحقا، فلقد خاب السعى، وتبت الايدى، وخسرت الصفقة، وبئتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة: أتدرون أى كبد لرسول الله (ص) فريتم، أى دم له سفتكم، وأى حرمة له انتهكتم، ولقد جئتم بها صلعاء عنقاء، سوداء، فقماء، خرقاء، شوهاء، كطلاع الارض، أو ملئ السماء، أفعجبتم أن مطرت السماء دما، ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وإن ربكم لبالمرصاد. قال الراوى: فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم فى أفواههم، ورأيت شيخا واقفا إلى جنبى يبكى حتى اخضلت لحيته بالدموع، وهو يقول: بأبى أنتم وأمى: كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل، لا يخزى ولا يبزى. قال المؤلف النقدى أعلا الله مقامه، أقول: وهذا حذلم بن كثير من فصحاء العرب أخذه العجب من فصاحة زينب وبلاغتها، وأخذته الدهشة من

براعتها وشجاعتها الادبية، حتى أنه لم يتمكن أن يشبهها إلا بأبيها سيد البلغاء، فقال: كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين (ع)، وهذه الخطبة رواها كل من كتب فى وقعة الطف، أوفى أحوال الحسين (ع)، ورواها الجاحظ فى كتابه (البيان والتبيين) عن خزيمة الاسدى قال: ورأيت نساء الكوفة يومئذ قياما يندبن مهتكات الجيوب، ورواها أيضا أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر بن طيفور فى (بلاغات النساء) وأبو المؤيد الموفق بن أحمد الخوارزمى فى الجزء الثانى من كتابه (مقتل الحسين) وشيخ الطائفة فى أماليه وغيرهم من أكابر العلماء، ومن بلاغتها وشجاعتها الادبية ما ظهر منها (ع) فى مجلس ابن زياد. قال السيد ابن طاوس وغيرهم وممن كتب فى مقتل الحسين (ع) أن ابن زياد (لع) جلس فى القصر وأذن للناس إذنا عاما، وجئ برأس الحسين (ع) فوضع بين يديه، وأدخلت عليه نساء الحسين (ع) وصبيانه، وجاءت زينب بنت على (ع) وجلست متنكرة، فسأل ابن زياد (لع): من هذه المتنكرة فقيل له هذه زينب ابنة

على (ع) فأقبل عليها فقال: الحمد لله الذى فضحكم وأكذب أحدوثتكم، فقالت (ع): إنما يفتضح الفاجر ويكذب الفاسق وهو غيرنا، فقال: كيف رأيت صنع الله بأخيک وأهل بيته ؟ فقالت: ما رأيت إلا خيرا، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينک وبينهم فتحاج ونخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذ، ثكلتک أمک يا ابن مرجانة، فغضب اللعين وهم أن يضربها فقال له عمرو بن حريث: إنها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشئ من منطقها، فقال لها ابن زياد (لع): لقد شفى الله قلبى من طاغيتک الحسين والعصاة المردة من أهل بيتک، فقالت: لعمرى لقد قتلت كهلى وقطعت فرعى واجتثثت أصلى، فإن كان هذا شفاؤک فلقد اشتفيت، فقال (لع): هذه سجاعة ولعمرى لقد كان أبوها سجاعا شاعرا، فقالت: يا ابن زياد ما للمرأة والسجاعة وإن لى عن السجاعة لشغلا. وفى (لواعج الاشجان) للسيد محسن الامين (أعلا الله مقامه): وكتب

ابن زياد إلى يزيد يخبره بقتل الحسين (ع) وخبر أهل بيته، وساق الحديث إلى أن قال: وأما يزيد فإنه لما وصله كتاب ابن زياد أجابه عليه يأمره بحمل رأس الحسين (ع) ورؤوس من قتل معه، وحمل أثقاله ونسائه وعياله، فأرسل ابن زياد الرؤوس مع زجر بن قيس، وأنفذ معه أبا بردة بن عوف الازدى وطارق بن أبى ظبيان فى جماعة من أهل الكوفة إلى يزيد، ثم أمر ابن زياد بنساء الحسن (ع) وصبيانه فجهزوا، وأمر بعلى بن الحسين فغل بغل إلى عنقه، وفى رواية فى يديه ورقبته، ثم سرح بهم فى أثر الرؤوس مع محفر بن ثعلبة العائدى وشمر بن ذى الجوشن، وحملوهم على الاقتاب وساروا بهم كما يسار بسبايا الكفار، فانطلقوا بهم حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرؤوس، فلم يكلم على بن الحسن (ع) أحدا منهم فى الطريق بكلمة حتى بلغوا الشام، فلما انتهوا إلى باب يزيد رفع محفر بن ثعلبة صوته فقال: هذا محفر بن ثعلبة أتى أمير المؤمنين باللئام الفجرة، فأجابه على بن الحسين (ع) ما ولدت أم محفر أشر وألام، وعن الزهرى أنه لما جاءت الرؤوس كان يزيد (لع) على منظرة جيرون فأنشد لنفسه: [لما بدت تلک الحمول وأشرقت ❊ تلک الشموس على ربى جيرون] [نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح ❊ فلقد قضيت من النبى ديونى] قال السيد ابن طاوس، قال الراوى: ثم أدخل ثقل الحسين (ع) ونساؤه ومن تخلف من أهل بيته على يزيد بن معاوية وهم مقرنون فى الحبال، فلما وقفوا بين يديه وهم على تلک الحال قال له على بن الحسين: أناشدک الله يا يزيد ما ظنک برسول الله (ص) لو رآنا على هذه الصفة ؟ فأمر يزيد بالحبال فقطعت ثم وضع رأس الحسين (ع) بين يديه. وأجلس النساء خلفه لئلا ينظرن إليه، فرآه على بن الحسين (ع) فلم يأكل بعد ذلک أبدا، واما زينب فإنها لما رأته أهوت إلى جيبها فشقته ثم نادت بصوت حزين يقرح القلوب: يا حسيناه يا

حبيب رسول الله يابن مكة ومنى، يابن فاطمة الزهراء سيدة النساء، يا بن بنت المصطفى. قال الراوى: فأبكت والله كل من كان فى المجلس ويزيد ساكت، قال السيد ابن طاوس: ثم دعا يزيد بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين (ع)، فأقبل عليه أبوبرزة الاسلمى وقال: ويحک يا يزيد أتنكت بقضيبک ثغر الحسين (ع) ابن فاطمة (ع)، أشهد لقد رأيت النبى (ص) يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن (ع) ويقول: أنتما سيدا شباب أهل الجنة فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيرا. قال الراوى: فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأخرج سحبا، قال: وجعل يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبعرى: [ليت أشياخى ببدر شهدوا ❊ جزع الخزرج من وقع الاسل] [لاهلوا واستهلوا فرحا ❊ ثم قالوا يا يزيد لا تشل] [قد قتلنا القرم من ساداتهم ❊ وعدلناه ببدر فاعتدل] [لعبت هاشم بالملک فلا ❊ خبر جاء ولا وحى نزل] [لست من خندف إن لم أنتقم ❊ من بنى أحمد ما كان فعل] خطبة زينب (ع) فى مجلس يزيد فى الشام: قال الراوى: فقامت زينب بنت على بن أبى طالب (ع) فقالت: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه كذلک يقول: (ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون) (١) أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الاسراء أن بنا هوانا على الله، وبک عليه

---

(١) سورة الروم، الآية: ١٠. (❊)

كرامة، وأن ذلک لعظم خطرک عنده، فشمخت بأنفک، ونظرت فى عطفک، جذلان مسرورا حيث رأيت الدنيا لک مستوسقة. والامور متسقة، وحين صفا لک ملكنا وسلطاننا، فمهلا مهلا، أنسيت قول الله تعالى: (ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) (١) أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرک حرائرک وإمائک، وسوقک بنات رسول الله (ص) سبايا قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن الاعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدنى والشريف، ليس معهن من رجالهن ولى ولا من حماتهن حمى ؟ وكيف ترتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الازكياء، ونبت لحمه من دماء الشهداء ؟ وكيف يستبطأ فى بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والاحن والاضغان ؟ ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم: [لاهلوا واستهلوا فرحا ❊ ثم قالوا يا يزيد لا تشل] منحنيا على ثنايا أبى عبد الله (ع) سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتک، وكيف لا تقول ذلک ! وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتک دماء ذرية محمد (ص)، ونجوم الارض من آل عبد المطلب، وتهتف بإشياخک زعمت أنک تناديهم فلتردن وشيكا موردهم، ولتودن انک شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت، أللهم خذ بحقنا وانتقم من ظالمنا، واحلل غضبک ممن سفک دماءنا وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلا جلدک، ولا حززت إلا لحمک، ولتردن على رسول الله (ص) مما

تحملت من سفک دماء ذريته، وانتهکت من حرمته فی عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم، (ولا تحسبن الذين قتلوا فی سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) (۲) وحسبک الله حاکما وبمحمد (ص)

---

(۱) سورة آل عمران، الآية: ۱۷۸. (۲) سورة آل عمران، الآية: ۱۶۹. (*)

خصيما وبجبرائيل ظهيرا، وسيعلم من سول لک ومکنک من رقاب المسلمين، وبئس للظالمين بدلا، وأيکم شر مکانا وأضعف جندا، ولئن جرت علی الدواهی مخاطبتک، إنی لاستصغر قدرک، وأستعظم تقريعک، وأستکثر توبيخک، لکن العيون عبری والصدور حری، ألا فالعجب کل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الايدی تنطف من دمائنا، والافواه تتجلب من لحومنا، وتلک الجثث الطواهر الزواکی تنتابها العواسل وتعفرها أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنما لتسدنا وشيکا مغرما، حين لا تجد إلا ما قدمت يداک (وما ربک بظلام للعبيد) (۱) فإلی الله المشتکی وعليه المعول، فکد کيدک واسع سعيک وناصب جهدک، فوالله لا تمحو ذکرنا ولا تميت وحينا ولا تدرک أمدنا ولا تدحض عنک عارها، وهل رأيک إلا فند وأيامک إلا عدد وجمعک إلا بدد، يوم ينادی المنادی: ألا لعنة الله علی الظالمين، فالحمد لله رب العالمين الذی ختم لاولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يکمل لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوکيل. فقال يزيد: [يا صيحة تحمد من صوائح * ما أهون الموت علی النوائح] قال المؤلف النقدی (أعلا الله مقامه): إن بلاغة زينب وشجاعتها الادبية ليست من الامور الخفية، وقد اعترف بها کل من کتب فی وقعة کربلاء، ونوه بجلالتها أکثر أرباب التاريخ، ولعمری إن من کان أبوها علی بن أبی طالب (ع) الذی ملات خطبه العالم وتصدی لجمعها وتدوينها أکابر العلماء، وأمها فاطمة الزهراء صاحبة خطبة (فدک الکبری) وصاحبة (الخطبة الصغری) التی ألقتها علی مسامع نساء قريش، ونقلتها النساء لرجالهن، نعم إن من کانت کذلک

---

(۱) سورة فصلت، الآية: ۴۶. (*)

فحرية بأن تكون بهذه الفصاحة والبلاغة، وأن تكون لها هذه الشجاعة الادبية والجسارة العلوية، ويزيد الطاغية يوم ذاک هو السلطان الاعظم والخليفة الظاهرى على عامة بلاد الاسلام تؤدى له الجزية الامم المختلفة والامم المتبانية فى مجلسه، الذى أظهر فيه أبهة الملک وملاه بهيبة السلطان، وقد جردت على رأسه السيوف، واصطفت حوله الجلاوزة، وهو وأتباعه على كراسى الذهب والفضة وتحت أرجلهم الفرش من الديباج والحرير، وهى صلوات الله عليها فى ذلة الاسر، دامية القلب باكية الطرف، حرى الفؤاد من تلک الذكريات المؤلمة والكوارث القاتلة، قد أحاط بها أعداؤها من كل جهة، ودار عليها حسادها من كل صوب، ومع ذلک كله ترمز للحق بالحق، وللفضيلة بالفضيلة، فتقول ليزيد غير مكترثة بهيبة ملكه ولا معتنية بأبهة سلطانه: أمن العدل يا ابن الطلقاء، وتقول له أيضا: ولئن جرت على الدواهى مخاطبتک إنى لاستصغر قدرک وأستعظم تقريعک واستكثر توبيخک، فهذا الموقف الرهيب الذى وقفت به هذه السيدة الطاهرة مثل الحق تمثيلا، وأضاء إلى الحقيقة لطلابها سبيلا، أفحمت يزيد ومن حواه مجلسه المشؤوم بذلک الاسلوب العالى من البلاغة، وأبهتت العارفين منهم بما أخذت به مجامع قلوبهم من الفصاحة، فخرست الالسن وكمت الافواه وصمت الآذان، وكهربت تلک النفس النورانية تلک النفوس الخبيثة الرذيلة من يزيد وأتباعه بكهرباء الحق والفضيلة، حتى بلغ به الحال أنه صبر على تكفيره وتكفير أتباعه، ولم يتمكن من أن ينبس ببنت شفة ليقطع كلامها أو يمنعها من الاستمرار فى خطابتها، وهذا هو التصرف الذى يتصرف به أرباب الولاية متى شاؤوا وأرادوا بمعونة البارى تعالى لهم، وإعطائهم القدرة على ذلک. وما أبدع ما قاله الشاعر الجليل السيد مهدى بن السيد داود الحلى عم الشاعر الشهير السيد حيدر رحمهما الله فى وصف فصاحتها وبلاغتها من قصيدة:

[قد أسروا من خصها بآية * التطهير رب العرش فى كتابه] [إن ألبست فى الاسر ثوب ذلة * تجملت للعز فى أثوابه] [ما خطبت إلا رأوا لسانها * أمضى من الصمصام فى خطابه] [وجلببت فى أسرها آسرها * عارا رأى الصغار فى جلبابه] [والفصحاء شاهدوا كلامها * مقال خير الرسل فى صوابه] ومن شجاعتها الادبية فى مجلس يزيد ما نقله أرباب المقاتل وغيرهم من رواة الاخبار: أن يزيد دعا بنساء أهل البيت والصبيان فأجلسوا بين يديه فى مجلسه المشؤوم، فنظر شامى إلى فاطمة بنت الحسين (ع) فقام إلى يزيد وقال: يا أمير المؤمنين هب لى هذه الجارية تكون خادمة عندى ؟ قالت فاطمة بنت الحسين (ع): فارتعدت فرائصى، وظننت أن ذلک جائز لهم، فأخذت بثياب عمتى زينب فقلت: عمتاه أو تمت واستخدم ؟ فقالت عمتى للشامى: كذبت والله ولؤمت، ما جعل الله ذلک لک ولا لاميرک. فغضب يزيد وقال: كذبت والله إن ذلک لى ولو شئت لفعلت قالت: كلا والله ما جعل ذلک لک إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا، فاستطار يزيد غضبا وقال: إياى تستقبلين بهذا الكلام إنما خرج من الدين أبوک وأخوک فقالت زينب: بدين أبى وأخى اهتديت أنت وأبوک إن كنت مسلما قال: كذبت يا عدوة الله قالت: يا يزيد أنت أمير تشتم ظالما وتقهر بسلطانک، فكأنه استحى وسكت فأعاد الشامى كلامه هب لى هذه الجارية فقال له يزيد: أسكت وهب الله لک حتفا قاضيا. وروى السيد ابن طاوس فى اللهوف هذه الرواية كما يأتى: قال نظر رجل من أهل الشام إلى فاطمة بنت الحسين (ع) فقال: يا أمير المؤمنين هب لى هذه الجارية، فقالت فاطمة لعمتها زينب (ع): أو تمت

واستخدم ؟ فقالت زينب (ع): لا ولا كرامة لهذا الفاسق فقال الشامى: من هذه الجارية ؟ فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين، وتلک زينب بنت على بن أبى طالب، فقال الشامى: الحسين بن فاطمة وعلى بن أبى طالب ؟ قال نعم، فقال الشامى:

لعنک الله يا يزيد، أتقتل عترة نبيک وتسبى ذريته والله ما توهمت إلا أنهم سبى الروم، فقال يزيد: لالحقنک بهم، ثم أمر به فضربت عنقه، والذى يظهر ان هاتين القضيتين كلتيهما وقعتا فى ذلک المجلس المشؤوم. قال السيد محسن الامين فى لواعجه: ثم دخلت نساء الحسين (ع) وبناته على يزيد فقمن إليهن وصحن وبكين وأقمن المأتم على الحسين (ع)، ثم أمر لهم يزيد بدار تتصل بداره، وقيل أمر بهم إلى منزل لا يكنهم من حر ولا برد، فأقاموا فيه حتى تقشرت وجوههم، وكانوا مدة مقامهم فى الشام ينوحون على الحسين (ع). السفر الخامس (من الشام إلى كربلاء ومن كربلاء إلى المدينة فى رعاية النعمان بن بشير وأصحابه، وقد أمرهم يزيد بالرفق بنساء الحسين (ع)) قال المفيد فى (الارشاد): ندب يزيد النعمان بن بشير وقال له: تجهز لتخرج بهؤلاء النسوة إلى المدينة، وأنفذ معهم فى جملة النعمان بن بشير رسولا تقدم إليه أن يسير بهم فى الليل، ويكونوا أمامه حيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا انتحى عنهم وتفرق هو وأصحابه حولهم كهيئة الحرس لهم، وينزل منهم بحيث ان أراد إنسان من جماعتهم وضوءا أو قضاء حاجة لم يحتشم، فسار معهم فى حملة النعمان ولم يزل ينازلهم فى الطريق ويرفق بهم كما وصاه يزيد حتى دخلوا المدينة. وقال السيد ابن طاوس لما بلغوا العراق قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء، فوصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبد الله الانصارى (رحمه الله) وجماعة من بنى هاشم ورجالا من آل الرسول (ص) قد وردوا لزيارة قبر الحسين (ع) فتوافوا فى وقت واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للاكباد، واجتمع إليهم نساء ذلک السواد فأقاموا على

ذلک أياما، قال: ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة، قال بشر بن حذلم: فلما قربنا منها نزل على بن الحسين (ع) فحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال: يابشر رحم الله أباک لقد كان شاعرا، فهل تقدر على شئ منه ؟ فقلت بلى يا ابن رسول الله إنى لشاعر فقال (ع): ادخل المدينة وانع أبا عبد الله (ع) قال بشر: فركبت فرسى وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبى (ص) رفعت صوتى بالبكاء وأنشأت أقول: [يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ❊ قتل الحسين فادمعى مدرار] [الجسم منه بكربلاء مضرج ❊ والرأس منه على القناة يدار] قال: ثم قلت هذا على بن الحسين (ع) مع عماته وإخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه، قال: فما بقيت فى المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن، مخمشة وجوههن، مضروبة

خدودهن، يدعون بالويل والثبور، فلم أر باكيا وباكية أكثر من ذلک اليوم ولا يوما مر على المسلمين مثله، وقال أبو مخنف فى مقتله نظير ما نقله السيد ابن طاوس ثم قام السجاد (ع) يمشى إلى أن دخل المدينة، فلما دخلها زار جده رسول الله (ص) ثم دخل منزله، وفى (المنتخب): وأمام أم كلثوم فحين توجهت إلى المدينة جعلت تبكى وتقول: [مدينة جدنا لا تقبلينا * فبالحسرات والاحزان جينا] [خرجنا منک بالاهلين جمعا * رجعنا لا رجال ولا بنينا] [وكنا فى الخروج بجمع شمل * رجعنا حاسرين مسلبينا] [وكنا فى أمان الله جهرا * رجعنا بالقطيعة خائفينا] [ومولانا الحسين لنا أنيس * رجعنا والحسين به رهينا] [فنحن الضائعات بلا كفيل * ونحن النائحات على أخينا] [ونحن السائرات على المطايا * نشال على جمال المبغضينا]

ص: ۴۶۳

[ونحن بنات يس وطه * ونحن الباكيات على أبينا] [ونحن الطاهرات بلا خفاء * ونحن المصطفون المخلصونا] [ونحن الصابرات على البلايا * ونحن الصادقون الناصحونا] [ألا يا جدنا قتلوا حسينا * ولم يرعوا جناب الله فينا] [ألا يا جدنا بلغت عدانا * مناها واشتفى الاعداء فينا] [لقد هتكوا النساء وحملوها * على الاقتاب قهرا أجمعينا] [وزينب أخرجوها من خباها * وفاطم واله تبدى الانينا] [سكينة تشتكى من حر وجد * تنادى الغوث رب العالمينا] والقصيدة تركناها خوف الاطالة. قال الراوى: وأما زينب (ع) فأخذت بعضادتى باب المسجد ونادت: يا جداه إنى ناعية إليک أخى الحسين (ع)، وهى مع ذلک لا تجف لها عبرة ولا تفتر من البكاء والنحيب، وكلما نظرت إلى على بن الحسين (ع) تجدد حزنها وزاد وجدها، أقول: وكأنى بها (ع) بعد أخيها الحسين (ع) لا زالت باكية العين حزينة القلب منهدة الركن من المصيبة وكأنى بلسان حالها يقول: - [يا غائبا عن أهله أتعود أم * تبقى إلى يوم المعاد مغيبا] [يا ليت غائبنا يعود لاهله * فنقول أهلا بالحبيب ومرحبا] [لو كان مجروحا لعولج جرحه * كيف العلاج ونور بهجته خبا] السفر السادس (من المدينة إلى الشام تحت رعاية زوجها عبد الله بن جعفر) أو إلى مصر، مع بعض النساء من بنى هاشم على اختلاف الروايات، وسيأتى تفصيل ذلک فى الفصل الآتى إن شاء الله

ص: ۴۶۵

الفصل الرابع فى وفاتها ومدفنها ورثائها وكراماتها وزيارتها ومدفنها فنقول: إن من المأسوف عليه أن حملة التاريخ على توسعهم فى سرد القصص والاحوال فى أشياء كثيرة بما يكون القارئ فى غنى عنها، أهملوا حقائق من التأريخ تمس إليها حاجة المقب ويشاق إليها طلبة الباحث، ولسنا الآن فى صدد الاسباب الباعثة على ذلک، ولعلها لا تخفى على الناقد غير أن المهم فى هذا الكتاب هى ناحية واحدة أصبحت من مواضيعه، وهو البحث عن وفاة عقيلة بنى هاشم زينب الكبرى، وتحرى الوقوف على مدفنها، وإن كانت المصادر التى نستمد منها لا تخلو جملة منها من تشويش واضطراب، وعلى العلات فنحن نقدم إلى القارئ الكريم ما قيل فى ذلک ونحيل الحكم إليه، فقيل أنها توفيت

فى المدينة المنورة، وكان ذلک بعد رجوعهم من الشام، ذكره صاحب (الطراز) عن (بحر المصائب)، ولو صح هذا لبقى لعظيمة بيت الوحى أثر خالد ومشهد يزار كما بقى لمن دونها فى المرتبة من بنى هاشم بل لمن يمت إليهم بالولاء من رجالات الامة، وقيل أنها توفيت حوالى الشام، نقله صاحب (الطراز) أيضا عن (أنوار الشهادة) و (بحر المصائب) فى تفصيل لا مقيل له من ظل الحقيقة، وهو بالروايات الخرافية أشبه فالاعراض عنه أجدر،

وقيل أنها توفيت فى الشام نقله فى (الطراز) أيضا عن (كنز الانساب) لكن قائله تفرد برواية قصة فى ذلک لم تتأكد، وقيل أنها توفيت فى إحدى قرى الشام نسبه فى (الطراز) أيضا إلى بعض المتأخرين، وتلهج الالسن فى سبب ذلک بحديث المجاعة التى أصابت أهل المدينة المنورة، فهاجرت مع زوجها عبد الله إلى الشام وتوفيت هنالک، وهو حديث لا أثر له فى كتب التاريخ والسير والانساب والتراجم، ولم يذكره المنقبون فى الآثار ممن فى كتب أهل البيت، كالكلينى، والصدوق، والشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسى، وابن شهر أشوب والطبرسى، وابن الفتال، والعلامة الحلى، وابن طاوس والوزير الاربلى، والمجلسى الذى جمع فأوعى وقد احتوت مكتبته على ما لا يوجد فى غيرها من آلاف الكتب، وتبرز هو فى الاحاطة بالسير والآثار وأخبار أهل البيت (ع)، إلى غيرهم كسبط ابن الجوزى، وابن الصباغ المالكى، وابن طلحة الشافعى، والحافظ الكنجى، وابن الصبان، والشبلنجى، والمحب الطبرى، والبدخشى، والسيد على الهمدانى، إلى نظرائهم، وما أدرى ولا المنجم يدرى من أين جاء القائل بحديث المجاعة، وقد خلت عند زبر الاولين الذين هم اقرب عهد بأمثال هذه الوقائع من هذا القائل وذويه، وأغرب من يدعى وصلا بليل عزاه إلى كتاب لم نجده فيه بعد الفحص والتتبع. أما هذا القبر الذى هو فى الشام فقد ذكر جماعة من المؤلفين أنه للسيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين، والمشهور أن أسمها زينب أيضا، ويفرق بينها وبين اختها زينب الكبرى بالوسطى، ولعل الاصح وأن اسمها رقية للحديث المروى فى (ينابيع المودة)، وبه قال جماعة من أهل العلم منهم صاحب كتاب (ذخائر العقبى) قال فى ضمن كلامه: وولدت فاطمة (ع) حسنا وحسينا (ع) وزينب ورقية وأم كلثوم، وولدت هذه السيدة بعد أختها زينب الكبرى وكانت من أجل النساء فضلا وزهدا وتقوى وعبادة وشرفا وعفة إلى غير

ذلک من الصفات الكريمة والاخلاق الفاضلة، أخذت العلم عن أبيها وأخويها وأختها ونشأت نشأتها المباركة فى البيت العلوى الطاهر، ومحل قبرها الشريف بقرية راوية من غوطة دمشق المعروفة بقرية الست. وقيل أن زينب الكبرى توفيت بمصر ولعل الاصح كما نص عليه العبيدلى كما سيأتى، ونقل الموافقة له ناشر كتاب (الزينبيات) عن ابن عساكر الدمشقى فى تاريخه الكبير، والمؤرخ ابن طولون الدمشقى فى (الرسالة الزينبية)، ووجدنا الموافقة له أيضا فى كتاب (لواقح الانوار) للشعرانى، وفى كتاب (إسعاف الراغبين) للشيخ محمد صبان بهامش (نور الابصار) وفى كتاب

(نور الابصار) للشبلنجى، وفى (الاتحاف) للشبراوى، وفى (مشارق الانوار) لحسن العدوى نقلا عن الشعرانى فى (الانوار القدسية) و (المنن)، وعن العلامة المناوى فى طبقاته، وعن جلال الدين السيوطى فى رسالته الزينبية، وعن العلامة الاجهورى فى رسالته على مسائل عاشوراء، وقال البحاثة فريد وجدى على ما نقله عنه بعض الاجلاء السيدة زينب بنت على كانت من فاضلات النساء وشريفات العقائل، ذات تقى وطهر وعبادة، هاجرت إلى مصر وتوفيت بها، وقال العلامة المحقق المطلع الشيخ محمد على الاردوبادى فى قصيدة قالها فى رثاء الصديقة زينب وهى طويلة: [قد عاد مصر للحفيظة مغربا ❊ فسنا ذكاها واضح لن يغربا] [بمليكة حسبا زكت فيه ولم ❊ يعقد عليه غير صنويها الحبا] [ومن النبوة فى أسرة وجهها ❊ بلج كمثل الشمس يجلو الغيهبا] [وتضوع منها للخلافة عبقة ❊ تطوى بنفحتها الصحاصح والربى] [بجلال أحمد فى مهابة حيدر ❊ قد أنجبت أم الائمة زينبا] [فيجمع الشرفين بضعة فاطم ❊ حصلت على أكرومة عظمت نبا] فأشار فى البيت الاول وهو مطلع القصيدة إلى محل قبرها الشريف فى مصر، وإليک ما ذكره النسابة شيخ الشرف ابن الحسن يحيى بن الحسن

العقيقى العبيدلى فى (أخبار الزينبيات) على ما حكاه عنه مؤلف كتاب (السيدة زينب)، ذكر أن زينب الكبرى بعد رجوعها من أسر بنى أمية إلى المدينة، أخذت تؤلب الناس على يزيد بن معاوية، فخاف عمرو بن سعيد الاشدق انتقاض الامر، فكتب إلى يزيد بالحال فأتاه كتاب يزيد يأمره بأن يفرق بينها وبين الناس، فأمر الوالى بإخراجها من المدينة إلى حيث شاءت، فأبت الخروج من المدينة وقالت: قد علم الله ما صار إلينا قتل خيرنا وسقنا كما تساق الانعام، وحملنا على الاقتاب، فوالله لا أخرج وإن أهرقت دماؤنا. فقالت لها زينب بنت عقيل: يا ابنة عماه قد صدقنا الله وعده وأورثنا الارض نتبوء منها ما نشاء فطيبى نفسا وقرى عينا وسيجزى الله الظالمين، أتريدين بعد هذا هوانا، إرحلى إلى بلد آمن، ثم اجتمعت عليها نساء بنى هاشم وتلطفن معها فى الكلام، فاختارت مصر وخرج معها من نساء بنى هاشم فاطمة بن الحسين (ع) وسكينة، فدخلت مصر لايام بقيت من ذى الحجة، فاستقبلها الوالى مسلمة بن مخلد الانصارى فى جماعة معه، فأنزلها داره بالحمراء فأقامت بها أحد عشر شهرا وخمسة عشر يوما، وتوفيت عشية الاحد لخمسة عشر يوما مضت من رجب سنة اثنتين وستين هجرية، ودفنت بمخدعها فى دار مسلمة المستجدة بالحمراء القصوى، حيث بساتين عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى، انتهى نص العبيدلى. يقول مؤلف هذه الوفاة وجامع هذه المقتطفات: لا يخفى على الناقد البصير. أن حديث العبيدلى المذكور، الذى استدل به المؤلف النقدى (أعلا الله مقامه) على مهاجرة زينب الكبرى إلى مصر لا يخلو من الملاحظات والانتقادات والاشياء التى لعلها لا تتناسب مع مقام الصديقة الصغرى (سلام الله عليها)، مثل أنها كانت تؤلب الناس على يزيد، ومثل أنها حلفت أن لا تخرج من المدينة ثم خرجت، ومثل أنها خرجت مع النساء ولم يتعرض لذكر أحد من رجالها كزوجها عبد الله بن جعفر أو أحد بنى هاشم، ولم يتعرض إلى

أنها استأذنت من زوجها أو من حجة الله الامام زين العابدين (ع)، غير ذلک مضافا إلى ما فى الخبر من التهافت والتدافع، مثل أنها دخلت مصر لايام بقيت من ذى الحجة وأقامت بها أحد عشر شهرا وخمسة عشر يوما، وتوفيت لخمسة عشر يوما مضت من رجب، وإن كان الصحيح أن دخولها مصر على تقدير صحة الخبر فى غرة شعبان كما فى كتاب (بطلة كربلاء) لبنت الشاطئ كما لا يخفى وكيف كان فالارجح عندى أنها (ع) توفيت فى الشام فى النصف من شهر رجب من العام الخامس والستين من الهجرة وهو عام المجاعة، وذلک بمحضر زوجها الجواد عبد الله بن جعفر، ودفنت فى إحدى قراه المعروفة برواية من غوطة دمشق المشتهرة الآن بقرية الست، والدليل على ما اخترناه ثلاثة أمور: الامر الاول ما ذكره الفاضل الشيخ محمد مهدى المازندرانى فى الجزء الثانى من كتابه (معالى السبطين)، والفاضل الخطيب السيد جاسم السيد حسن شبر فى كتابه (البلاغة العلوية) نقلا عن البحاثة المحقق آية الله السيد حسن صدر الدين (طاب ثراه)، قال فى كتابه (نزهة أهل الحرمين): زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (ع) وكنيتها أم كلثوم قبرها فى قرب زوجها عبد الله بن جعفر الطيار خارج دمشق الشام معروف، جاءت مع زوجها عبد الله بن جعفر أيام عبد الملک بن مروان إلى الشام سنة المجاعة ليقوم عبد الله بن جعفر فى مكان له من القرى والمزارع خارج الشام حتى تنقضى المجاعة، فماتت زينب (ع) هناک ودفنت فى بعض تلک القرى، هذا هو التحقيق فى وجه دفنها هناک، وغيره غلط لا أصل له، فاغتنم فقد وهم فى ذلک جماعة فخبطوا خبط العشواء انتهى كلام السيد الصدر (أعلى الله مقامه)، وقوله: قبرها فى قرب زوجها تصحيف وغلط مطبعى، والصحيح قبرها فى قرى زوجها كما تدل عليه العبارة الآتية وهى قوله: ودفنت فى بعض تلک القرى، فتنبه.

الامر الثانى ما نقله المازندرانى فى الجزء الثانى من (المعالى) عن العلامة الجليل ثقة الاسلام السيد هبة الدين الشهرستانى أنه قال: لامير المؤمنين (ع) بنتان بهذا الاسم الصغرى تلقب أم كلثوم والكبرى هى سيدة الطف، وكان ابن عباس ينوه عنها بعقيلة بنى هاشم ولدتها الزهراء (ع) بعد شقيقها الحسين بسنتين، وتزوجها عبد الله ابن عمها جعفر الطيار، وكانت قطب دائرة العيال فى المخيم الحسينى وقد أفرغ لسان الملک ترجمتها فى مجلد خاص من موسوعة (ناسخ التواريخ)، وجاء فى (الخيرات الحسان) وغيره: أن مجاعة أصابت المدينة فرحل عنها بأهله عبد الله بن جعفر إلى الشام فى ضيعة له هناک، وقد حمت زوجته زينب (ع) من وعثاء السفر أو ذكريات أحزان وأشجان من عهد سبى يزيد لآل الرسول (ص)، ثم توفيت على أثرها فى نصف رجب سنة خمس وستين من الهجرة ودفنت هناک حيث المزار المشهور. الامر الثالث قول الذاكر الخطيب الشيخ حسن بن الشيخ كاظم سبتى فى أواخر قصيدته التى قالها فى شرح أحوال الصديقة الصغرى قال تحت عنوان سبب وفاتها: -[وزوجها ابن عمها الطيار عبد ❊ الله بارى فى السخاء السحبا] [لما أصابت يثربا مجاعة ❊ وشدة وعامهم قد قطبا] [فسار عبد الله ينحو الشام فى ❊ عياله يحملهم وزينبا] [لكن وعثاء الطريق أثرت ❊ بها فكابدت عناء نصبا] [فعندما تذكرت دخولها ❊ للشام حسرى وهى فى أسر السبا

] [حمت وما زالت تعانى سقما ❊ وسقمها فى جسمها قد نشبا] [وعام خمسة وستين قضت ❊ صابرة بالصبر حازت رتبا]

ص: ۴۷۱

[وقد مضت عنا بنصف رجب ❊ يا ليت انا لم نشاهد رجبا] فكأنى بها (صلوات الله عليها) لما قرب منها الموت وحانت منها المنية، اضطجعت على فراشها واستقبلت القبلة، وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له، وأشهد أن جدى محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأن أبى أمير المؤمنين على بن أبى طالب، وأخوى الحسن والحسين وعلى بن الحسين وبقية الائمة الطاهرين (ع) أئمتى وأوليائى وإن جميع ما جاء به جدى رسول الله (ص) حق ومن عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، وكأنى بها سلام الله عليها عند احتضار الموت قد غمضت عينيها ومدت يديها ورجليها وقرأت سورة يس والصافات، وفاضت نفسها الطيبة وفارقت روحها الدنيا، وكأنى بمن حضر هذه الكارثة العظمى والفادحة الكبرى من نساء ورجال قد علا منهم الصياح، وارتفع النياح، وكثر منهم الضجيج والعجيج، ولطموا الخدود، وشققوا الجيوب، ونادوا بالويل والثبور وعظائم الامور، فلم ير فى ذلک اليوم إلا باک وباكية وناع وناعية، ونائح ونائحة، وصارخ وصارخة، ينادون وازينباه، واسيدتاه، واغريبتاه، وامصيبتاه، وافجعتاه، واوحشتاه، واطول حزناه، واثكلاه، وكأنى بزوجها الحزين مع من حضر من الجمع قد قاموا فى جهازها، فغسلوها وكفنوها، وصلوا عليها، ودفنوها فى قبرها، وأهالوا عليها التراب فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولله در الفاضل الخطيب الميرزا محمد الخليل النجفى حيث يقول فى قصيدة له فى رثائها عليها السلام: - [إذا نابک الدهر لا تعجب ❊ فليس على الدهر من متعب] [ولا تغترر بابتساماته ❊ فبالناب يغدر والمخلب] [وكن جلدا عند دهم الخطوب ❊ فمن يرتدى الصبر لم يغلب] [وإن دهمتک صروف الزمان ❊ تذكر عقيلة آل النبى]

ص: ۴۷۲

[تذكر مصائبها سلوة ❊ وحمر الدموع عليها اسكب] [فكل النوائب تسلى لدى ❊ نوائب خير النسا زينب] [وناهيک أرزاؤها فى الطفوف ❊ فمهما تحدثت لم تكذب] [رزايا يحار لديها الصبور ❊ احتمالا ومنها يشيب الصبى] [وقد قابلتها بكظم الوصى ❊ وصبر البتول وحلم الوصى] [إلى أن قضت وهى حلف الاسى ❊ بصبر لدى الدهر لم ينضب] [فيا قلب ذب بعدها حسرة ❊ ويا عين فيضى لها واسكبى]

أما رثاؤها (ع) فهو كثير لا يحصى نظما ونثرا، ولكن لا يسقط الميسور بالمعسور، فنقول من جليله الحقائق أن نظم القريظ فى أى أحد فيه إشادة بذكره، وإقامة لامره، فإن المأثرة مهما عظمت فقد تنسى ويخمل ذكرها بمرور الحقب والاعوام، لكن الشعر الخالد الذى تسير به الركبان يؤيد ذلک الفضل البائد، ويلفت الانظار إلى جهته، وبما أن ذكرى أهل بيت العصمة (صلوات الله عليهم) هى أساس الدين وجذم الاصلاح لما يتبعها من اعتناق تعاليمهم واقتفاء آثارهم، تواتر الحث على سرد الشعر فيهم مدحا ورثاء ورتبت عليه المثوبات العظيمة فى أحاديث أئمة الهدى (ع) وعد ذلک أفضل الطاعات. ففى (عيون الاخبار) لشيخنا الصدوق رحمه الله بالاسناد عن عبد الله بن الفضل الهاشمى قال: قال أبو عبد الله الصادق (ع) من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتا فى الجنة، وفيه عن على بن سالم عن أبيه عن الصادق (ع) أنه قال ما قال فينا قائل بيت شعر حتى يؤيد بروح القدس، إلى غير ذلک من الاخبار الكثيرة. وبما أن زينب العقيلة (سلام الله عليها) من أولئک الافراد الذين هم عمد الدين وأعضاد الشريعة وقد شاركت الحسين (ع) فى نهضته المقدسة والذب عن

شريعة جدها الرسول، تبادر أفذاذ ممن يمتهم الولاء إلى تحرى ذلک الاجر الجزيل بنظم مدائحها ومراثيها. فمن أولئک الافذاذ حجة الاسلام آية الله المغفور له الشيخ محمد حسين الاصفهانى المتوفى ۵ - ۱۲ عام ۱۳۶۱ هـ قال أعلى الله مقامه: - [وليت وجهى شطر قبلة الورى ❊ ومن بها تشرفت أم القرى] [قطب محيط عالم الوجود ❊ فى قوسى النزول والصعود] [ففى النزول كعبة الرزايا ❊ وفى الصعود قبلة البرايا] [بل هى باب حطة الخطايا ❊ وموئل الهبات والعطايا] [ام الكتاب فى جوامع العلا ❊ أم المصاب فى مجامع البلا] [رضيعة الوحى شقيقة الهدى ❊ ربيبة الفضل خليفة الندى] [ربة خدر القدس والطهارة ❊ فى الصون والعفاف والخفارة] [فإنها تمثل الكنز الخفى ❊ بالسر والحياء والتعفف] [تمثل الغيب المصون ذاتها ❊ تعرب عن صفاته صفاتها] [مليكة الدنيا عقيلة النسا ❊ عديلة الخامس من أهل الكسا] [شريكة الشهيد فى مصائبه ❊ كفيلة السجاد فى نوائبه] [بل هى ناموس رواق العظمة ❊ سيدة العقائل المعظمة] [ما ورثته من الرحمة ❊ جوامع العلم أصول الحكمة] [سرابها فى علو الهمة ❊ والصبر فى الشدائد الملمة] [ثباتها ينبئ عن ثباته ❊ كان فيها كل مكرماته] [لها من الصبر على المصائب ❊ ما جل أن يعد فى العجائب] [بل كاد أن يلحق بالمعاجز ❊ لانه حرفة كل عاجز] [فإنها سلالة الولاية ❊ ولاية ليس لها نهاية] [بيانها يفصح عن بيانه ❊ كأنها تفرغ عن لسانه]

[ناهيک فيه الخطب المأثورة * فإنها كالدرر المنثورة] [بل هى لولا الحط من مقامها * كاللؤلؤ المنضود فى نظامها] [فإنها وليدة الفصاحة * والدها فارس تلک الساحة] [وما أصاب أمها من البلا * فهو تراثها بطف كربلا] [لكنها عظيمة بلواها * من الحرب شاهدت دهاها] [رأت هجوم الخيل بالنار على * خبائها أو محور السبع العلى] [وأسلبوا يا ويلهم قرارها * مذ سلبوا إزارها خمارها] [وسبيهم ودائع المختار * عار على الاسلام أى عار] [يكاد أن يذهب بالعقول * سبى بنات الوحى والتنزيل] [وما رأت بالطف من أهوالها * جل عن الوصف بيان حالها] [ومن يطيق وصف سوء حالها * مذ رأت السبط على رمالها] [معفر الخد مضرجا بدم * لهفى على جمال سلطان القدم] [وحولها فتيانه على الثرى * كالشهب الزهر تحف القمرا] [واها على كواكب السعود * عقد نظام الغيب والشهود] [كيف هوت وانتثرت أشلاؤها * بأى ذنب سفكت دماؤها] [وشاهدت ريحانة الرسول * تدوسها حوافر الخيول] [فأصبحت خزانة اللاهوت * حلبة خيل الجبت والطاغوت] [صدر تربى فوق صدر المصطفى * ترضه الخيل على الدنيا العفا] [ترى العوالى مركز المعالى * مدرجة لذروة الكمال] [وهى عرش وعليه التاج * أو أنها البراق والمعراج] [نال من العروج ما تمنى * كقاب قوسين دنا أو أدنى] [حتى تجلى قائلا إنى أنا * من شجر القناة فى طور القنا] [لسان حاله لسلطان القدم * سعيا على الرأس إليک لا القدم] [وسوقها إلى يزيد الطاغية * أشجى فجيعة وأدهى داهية] [وما رأته فى دمشق الشام * يذهب بالعقول والاحلام]

[أمامها رأس الامام الزاكى * وخلفها النوائح البواكى] [أو الكتاب الناطق المبين * حف به الحنين والانين] [وأفظع الكل دخول الطاهرة * حاسرة على ابن هند العاهرة] [وما لها ومجلس الشراب * وهى ابنة السنة والكتاب] [أتوقف الحرة من آل العبا * بين يدى طليقها واعجبا] [يشتمها طاغية الالحاد * وهى سلالة النبى الهادى] [بل سمعت من ذلک اللعين * سب أبيها وهو أصل الدين] [أتنسب الطاهرة الصديقة * للكذب وهى أصدق الخليقة] [واحر قلباه لقلب الحرة * فما رأته لا أطيق ذكره] [شلت يد مدت بقرع العود * إلى ثنايا العدل والتوحيد] [تلک الثنايا مرشف الرسول * وملثم الطاهرة البتول] [وما حناه باللسان أعظم * وكفره المكنون منه يعلم] [وقد أبانت كفر ذاک الطاغى * بأحسن البيان والبلاغ] [حنت بقلب موجع محترق * على أخيها فأجابها الشقى] [يا صيحة تحمد من صوائح * ما أهون النوح على النوائح] ومن أولئک الافذاذ الخطيب الشيخ حسن بن الشيخ كاظم سبتى، وإليک ما قاله شارحا أحوال الصديقة (ع) وفضلها: [سل زينبا عما عليهم جرى * عما عليهم جرى سل زينبا] [هى العقيلة التى عنها روى * الحبر ابن عباس وعنها كتبا] [عامين من بعد شقيقها الحسين * ولدت أهلا بها ومرحبا] [أول شعبان أتى ميلادها * أضاء نورها فأخفى الكوكبا] [وبشر النبى لما ولدت * وهو على المنبر يلقى الخطبا] [بشره سلمان فيها بعد ما * وافاه جبريل بذاک مطنبا]

[وقال سماها الاله فى السما ❊ بزينب لما تقاسى نوبا] [فأم دار ابنته فاطمة ❊ مهنيا لها بها مرحبا] جلالة قدرها [إن قصدت تزور قبر جدها ❊ شوقا إليه إذ هم بيثربا] [اخرجها ليلا أمير المومنين ❊ والحسين والزكى المجتبى] [يسبقهم أبوهم فيطفئ ❊ الضوء الذى فى القبر قد ترتبا] [قيل له لم ذا فقال إننى ❊ أخشى بأن تنظر عين زينبا] مكارم أخلاقها [روحى لها الفداء من مصونة ❊ زكية كريمة ذات إبا] [ذات عفاف ووقار وحجى ❊ من شرفت أما وجدا وأبا] [أحمد جدى وعلى والدى ❊ وفاطم أم فأكرم نسبا] [تكفلت أثقل ما فى الدار ❊ بعد أمها من أيام الصبا] [وجرعت ما جرعته أمها ❊ من الاذى ما منه تنسف الربى] علمها [عيبة علم غير أن علمها ❊ غريزة ولم يكن مكتسبا] [عالمة عاملة لربها ❊ طول المدى سوى التقى لن تصبحا] [تقية من أهل بيت عصمة ❊ شقيقة السبط الحسين المجتبى] [صديقة كبرى لجم علمها ❊ طاشت بها الالباب والفكر كبا] [فيا لها داعية إلى الهدى ❊ فى حل كل مشكل قد صعبا] [ذات فصاحة إذا ما نطقت ❊ حينا تخال المرتضى قد خطبا] [سل مجلس الشام وما حل به ❊ مذ خطبت ماج بهم واضطربا]

صبرها [لله من صابرة على الاذى ❊ تجرعت مع الحسين الكربا] [ألفته فردا أو عداه أقبلت ❊ وخيلهم ملؤ الفيافى والربى] [واحتوشته بالرماح فارتوت ❊ من دمه سمر الرماح والضبا] [وأبصرته مذ هوى إلى الثرى ❊ مصافحا ذاک المحيا التربا] [رأته فى مصرعه مخذم ❊ الجسم لقى معفرا قد سلبا] [ملقى على وجه الصعيد عاريا ❊ والشمر فوق صدره قد ركبا] [وخيلهم تعدو على جثمان من ❊ نشا على صدر النبى قربا] [ورأسه شيل على مثقف ❊ مرتفع أمامها قد نصبا] [مرتلا آيات أهل الكهف ❊ لكن بالدماء شيبه قد خضبا] [وشاهدت ما فى الحما مقسما ❊ إلى العدى مغتنما حتى الخبا] [فكابدت بالطف ما لو بعضه ❊ صبت على الهضاب هد الهضبا] فى أنها كانت سلوة وعزاء للسجاد طيلة مرضه [ومذ عرا زين العباد السقم ❊ بالطف لما عانى بلاء مكربا] [كان له بها السلو والعزا ❊ بعد أبيه دون كل الاقربا] [فلم تزل تنبى بما يزيده ❊ الله بأحسن الحديث والنبا] [ما دام زين العابدين مجهدا ❊ يشكو السقام والعنا والوصبا] سبب وفاتها [وزوجها ابن عمها الطيار عبد ❊ الله بارى فى السخاء السحبا] [لما أصابت يثربا مجاعة ❊ وشدة وعامهم قد قطبا] [فسار عبد الله بنحو الشام فى ❊ عياله يحملهم وزينبا] [لكن وعثاء الطريق أثرت ❊ بها فكابدت عناء نصبا]

[فعندما تذكرت دخولها * للشام حسرى وهى فى أسر السبا] [حمت وما زالت تعانى سقما * وسقمها فى جسمها قد نشبا] [وعام خمسة وستين قضت * صابرة بالصبر حازت رتبا] [وقد مضت عنا بنصف رجب * يا ليت أنا لم نشاهد رجبا] للعالم الفاضل شاعر أهل البيت (ع) الشيخ محمد نصار: [هاج وجدى لزينب إذ عراها * فادح فى الطفوف هد قواها] [يوم أضحت رجالها غرضا للنبل * والسمر فيه هاج وغاها] [ونعت بين نسوة ثاكلات * تصدع الهضب فى حنين بكاها] [آه وا لهفتاه ما ذا تقاسى * من خطوب تربو على ما سواها] [ولمن تسكب المدامع من عين * جفا جفنها لذيذ كراها] [النهب الخيام أم لعليل * ناحل الجسم أم على قتلاها] [أم لاجسامهم على كثب الغبر * أم مخضوبة بفيض دماها] [أم لرفع الرؤوس فوق عوالى السمر * أم رض صدر حامى حماها] [أم لاطفالها تقاسى سياق الموت * أم عظم سيرها وسراها] [أم لسير النساء بين الاعادى * ثاكلات يندبن يا آل طاها] [وهى ما بينهن تندب من قد * ندبته الاملاك فوق سماها] وأما الكرامات المروية عن زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين (ع) والمنقولة فى الكتب العربية والفارسية كثيرة، ولا بأس بذكر واحدة من تلك الكرامات تيمنا وتبركا فنقول: من كراماتها الباهرة ما نقله العلامة النورى فى كتابه (دار السلام) قال: حدثنى السيد السند، والحبر المعتمد، العالم العامل، وقدوة أرباب الفضائل، والبحر الزاخر، عمدة العلماء الراسخين السيد محمد باقر السلطان آبادى نفع الله به الحاضر والبادى قال: عرض لى فى أيام اشتغالى ببروجرد

مرض شديد، فرجعت من بروجرد إلى سلطان آباد، فاشتد بى المرض بسبب هذه الحركة، وانصبت المواد فى عينى اليسرى فرمدت رمدا شديدا، واعتراها بياض وكان الوجع يمنعنى من النوم، فأحضر والدى أطباء البلد للعلاج، ولما رأوا حالتى قال أحدهم: يلزم أن يشرب الدواء مدة ستة أشهر، وقال الآخر: مدة أربعين يوما، فضاق صدرى وكثر همى من سماع كلماتهم لكثرة ما كنت شربت من الدواء فى تلك المدة وكان لى أخ صالح تقى أراد السفر إلى المشاهد العظيمة وزيارة سادات البرية، فقلت له: أنا أيضا أصاحبك للتشرف بتلك الاعتاب الطاهرة، لعلى أمسح عينى بترابها الذى هو دواء لكل داء، ويأتينى ببركاتها الشفاء فقال لى: كيف تطيق الحركة مع هذا المرض العضال وهذا الوجع القتال ؟ ولما بلغ الاطباء عزمى على السفر قالوا بلسان واحد: إن بصره يذهب فى اول منزل أو ثانى منزل، فتحرک أخى وأنا جئت إلى بيته بعنوان مشايعته فى الظاهر، وكان هناک رجل من الاخيار سمع قصتى فحرضنى على الزيارة وقال لى: لا يوجد لک شفاء إلا لدى خلفاء الله وحججه، فإنى كنت مبتلى بوجع فى القلب مدة تسع سنين وكلت الاطباء عن تداويه، فزرت أبا عبد الله الحسين (ع) فشفانى بحمد الله من غير تعب ومشقة، فلا تلتفت إلى خرافات الاطباء، وامض إلى الزيارة متوكلا على الله تعالى، فعزمت من وقتى على السفر، فلما كنا فى المنزل الثانى من سفرنا اشتد بى المرض ليلا. ولم استقر من وجع العين، فأخذ من كان يمنعنى من السفر يلومنى، واتفق أصحابى كلهم على أن أعود إلى بلدى الذى جئت منه، فلما كان وقت السحر وسكن الوجع قليلا رقدت فرأيت الصديقة الصغرى زينب بنت إمام الاتقياء عليه آلاف التحية والثناء، فدخلت على وأخذت بطرف مقنعة كانت فى رأسها وأدخلته فى عينى ومسحت عينى به، فانتبهت من منامى وأنا لم أجد للوجع أثرا فى عينى، فلما أصبح الصباح قلت لاصحابى لم

أجد اليوم ألما فى عينى فلا تمنعونى من السفر، فما تيقنوا منى فحلفت لهم وسرنا، فلما أخذنا فى السير رفعت المنديل الذى كان على عينى المريضة ونظرت إلى البيداء وإلى الجبال

ص: ۴۸۱

فلم أر فرقا بين عينى اليمنى الصحيحة واليسرى المريضة، فناديت الرفقاء وقلت لهم: تقربوا منى وانظروا فى عينى، فنظروا وقالوا: سبحان الله لا نرى فى عينک رمدا ولا بياضا ولا أثرا من المرض، ولا لفرق بين عينک اليمنى واليسرى، فوقفت وناديت الزائرين جميعا وقصصت لهم رؤياى وكرامة الصديقة الصغرى زينب (سلام الله عليها)، ففرح الجميع وأرسلت البشائر إلى والدى فاطمأن خاطره بذلک. قال العلامة النورى: وحدثنى بتلک الكرامة شيخنا الجليل النبيل والعالم الذى عدم له النظير والبديل المولى فتح على السلطان، آبادى قال: إنه شاهد هذه الحكاية بنفسه. يقول مؤلف هذه الوفاة وجامع هذه المقتطفات: وجدت فى كتاب (السيدة زينب) تأليف الشيخ أحمد فهمى زيارة الصديقة زينب (ع) قال: وقد ذكر فى كتاب ذخيرة العباد فى زيارة قبر السيدة زينب بنت على (ع) قف عند قبرها وقل:

ص: ۴۸۳

زيارة زينب (ع) بسم الله الرحمن الرحيم السلام عليک يا بنت سلطان الانبياء، السلام عليک يا بنت صاحب الحوض واللواء، السلام عليک يا بنت فاطمة الزهراء، السلام عليک يا بنت خديجة الكبرى، السلام عليک يا بنت سيد الاوصياء وركن الاولياء أمير المؤمنين، السلام عليک يا بنت ولى الله، السلام عليک يا ام المصائب يا زينب بنت على ورحمة الله وبركاته، السلام عليک أيتها الفاضلة الرشيدة، السلام عليک أيتها العاملة الكاملة، السلام عليک أيتها الجليلة الجميلة، السلام عليک أيتها التقية النقية، السلام عليک أيتها المظلومة المقهورة، السلام عليک أيتها الرضية المرضية، السلام عليک يا تالية المعصوم، السلام عليک يا ممتحنة فى تحمل المصائب بالحسين المظلوم، السلام عليک أيتها البعيدة عن الآفاق، السلام عليک أيتها الاسيرة فى البلدان، السلام على من شهد بفضلها الثقلان، السلام عليک أيتها المتحيرة فى وقوفک فى القتلى وناديت جدک رسول الله (ص) بهذا النداء: صلى عليک مليک السماء هذا حسين بالعراء مسلوب العمامة والرداء مقطع الاعضاء وبناتک سبايا، السلام على روحک الطيبة وجسدک الطاهر، السلام عليک يا مولاتى وابنة مولاى وسيدتى وابنة سيدتى ورحمة الله وبركاته، أشهد أنک قد أقمت الصلاة وآتيت

ص: ۴۸۴

الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله ورسوله وصبرت على الاذى فى جنب الله حتى أتاک اليقين، فلعن الله من جحدک ولعن الله من ظلمک ولعن الله من لم يعرف حقک ولعن الله أعداء آل محمد من الجن والانس من الاولين والآخرين وضاعف عليهم العذاب الاليم. أتيتک يا مولاتى وابنة مولاى قاصدا وافدا عارفا بحقک فكونى شفيعا إلى الله فى غفران ذنوبى، وقضاء حوائجى، واعطاء سؤلى وكشف ضرى، وأن لک ولابيک وأجدادک الطاهرين جاها عظيما وشفاعة مقبولة، السلام عليک وعلى آبائک الطاهرين المطهرين وعلى الملائكة المقيمين فى هذا الحرم الشريف المبارک ورحمة الله وبركاته. ثم صل ركعتين لله تعالى قاصدا إهداء ثوابهما إليها، ثم ادع الله عزوجل بما أحببت فإن قبرها أحد الاماكن المجاب فيها الدعاء. وقبل انصرافک اتجه إلى قبرها وودعه بهذا: السلام عليک يا سلالة سيد المرسلين، السلام عليک يا بنت أمير المؤمنين، السلام عليک يا بنت فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، أستودعک الله واسترعيک وأقرأ عليک السلام، أللهم لا تجعله آخر العهد منى لزيارة أم المصائب زينب بنت على، فإنى أسألک العود ثم العود أبدا ما أبقيتنى وإذا توفيتنى فاحشرنى فى زمرتها وادخلنى فى شفاعتها وشفاعة جدها وأبيها وأمها وأخيها برحمتک يا أرحم الراحمين. أللهم بحقها عندک ومنزلتها لديک اغفر لى ولوالدى ولجميع المؤمنين والمؤمنات وسيدتى وابنة سيدتى ورحمة الله وبركاته، أشهد أنک قد أقمت الصلاة وآتيت

الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأطعت الله ورسوله وصبرت على الاذى فى جنب الله حتى أتاک اليقين، فلعن الله من جحدک ولعن الله من ظلمک ولعن الله من لم يعرف حقک ولعن الله أعداء آل محمد من الجن والانس من الاولين والآخرين وضاعف عليهم العذاب الاليم. أتيتک يا مولاتى وابنة مولاى قاصدا وافدا عارفا بحقک فكونى شفيعا إلى الله فى غفران ذنوبى، وقضاء حوائجى، واعطاء سؤلى وكشف ضرى، وأن لک ولابيک وأجدادک الطاهرين جاها عظيما وشفاعة مقبولة، السلام عليک وعلى آبائک الطاهرين المطهرين وعلى الملائكة المقيمين فى هذا الحرم الشريف المبارک ورحمة الله وبركاته. ثم صل ركعتين لله تعالى قاصدا إهداء ثوابهما إليها، ثم ادع الله عزوجل بما أحببت فإن قبرها أحد الاماكن المجاب فيها الدعاء. وقبل انصرافک اتجه إلى قبرها وودعه بهذا: السلام عليک يا سلالة سيد المرسلين، السلام عليک يا بنت أمير المؤمنين، السلام عليک يا بنت فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، أستودعک الله واسترعيک وأقرأ عليک السلام، أللهم لا تجعله آخر العهد منى لزيارة أم المصائب زينب بنت على، فإنى أسألک العود ثم العود أبدا ما أبقيتنى وإذا توفيتنى فاحشرنى فى زمرتها وادخلنى فى شفاعتها وشفاعة جدها وأبيها وأمها وأخيها برحمتک يا أرحم الراحمين. أللهم بحقها عندک ومنزلتها لديک اغفر لى ولوالدى ولجميع المؤمنين والمؤمنات وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتک عذاب النار وصلى الله على سيدنا محمدا وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مكتبة يعسوب الدين عليه السلام الإلكترونية

Powered by: Atabat.info